عـــدن
في عـــهد الطـاهـريـــين
(٨٥٨-٩٤٥هـ/١٤٥٤-١٥٣٨م)

دكتور
عباس علوي حسين فرحان
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد
كلية الآداب / جامعة عدن

١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م

الإهـــــداء

إلى أبي الشهيد علوي حسين فرحان ..

رحمه الله وأسكنه فسيح جناته ،،

الباحث

المقدمة

الحمدلله والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، وبعد ، فإن التاريخ بوصفه ضرورة ثقافية اجتماعية فرض نفسه على الإنسان منذ أن بدأ خطواته الأولى على الأرض، ولذا فقد نشأ التاريخ من ضلع الأسطورة التي هي العلم البدائي، وإذا كانت الأسطورة محاولة لترقيع النقص والنسيان في معرفة الإنسان عن الماضي والحاضر من جهة، ومحاولة لتفسير الوجود الإنساني وظواهر الكون من جهة أخرى، فإنها أيضاً تمثل أولى محاولات الإنسان في معرفة شيء عن الماضي ، ولم تكن هذه المحاولة تبحث عن معرفة الماضي كغاية في حد ذاتها، ولكنها كانت الوسيلة لكشف ظواهر الحاضر، ولمعرفة السبب في أن ظواهر الحاضر تبدو على ما هي عليه ، وهو ما يعني أن الإنسان حين أراد منذ أقدم العصور أن يفسر حاضره لم يجد ما يعينه على ذلك سوى البحث في ماضيه ، وبعبارة أخرى لجأ الإنسان إلى التاريخ ليساعده على تفسير حاضره من خلال الكشف عن حقائق الماضي الإنساني.

وقد مرَّ علم التاريخ بتطورات هائلة منذ أن بدأ وليداً يحبو في رحاب الأسطورة حتى صار علماً أكاديمياً له مناهجه وفلسفته وفروعه المختلفة، بل وتاريخه، وكان من أهم هذه التطورات التي لحقت بالتاريخ أنه بدأ يتخلى عن مكانه التقليدي في قصور الملوك ، والأباطرة، والأمراء، وفي ساحات الحرب، لينزل إلى خضم الحياة العامة باحثاً عن الحقيقة؛ فقد كان التاريخ ربيباً للقصور وساكنيها يصحبهم إلى البلاطات بحثاً عن أسرار الفتن والمؤامرات، وسعياً وراء نصوص المعاهدات، ومحاورات المفاوضين، أو يسعى في ركب الحكام إلى ميادين الحروب يستمتع بأصوات القتال، وينظر إلى أشلاء القتلى، ويسمع أنات الجرحى، ويحيي المنتصرين، ويحاسب المهزومين ، ولكن التاريخ تخلى عن هذا المكان التقليدي الذي ظل فيه طويلاً ، ونزل يبحث وراء الحقيقة في الأزقة والطرقات والأسواق بين جموع العامة وجماعات المثقفين والفنانين والشعراء والساسة، لقد بدأ التاريخ يدرس أحوال صناع التاريخ الحقيقيين أينما وجدوا في كل ميادين الحياة ، وكانت النتيجة أن ظهرت للتاريخ فروع عديدة تبحث في شتى نواحي النشاط الإنساني ، فثمة تاريخ فني ، وتاريخ أدبي ، وتاريخ سياسي ، وتاريخ عسكري ، وتاريخ اجتماعي وما إلى ذلك.

وكان من نتاج تطور علم التاريخ أن صار التراث قضية حضارية مهمة لتحديد هوية الشعوب، وحظيت الكثير من المدن التاريخية عناية بالتدوين والتوثيق مما يسر للباحثين تتبع تطورها التاريخي ، إلا أن مدينة عدن كانت أقل المدن نصيباً من ذلك الاهتمام والعناية ، الأمر الذي حدا بالباحثين المعاصرين إفرادها بشيء من الدراسة المتعمقة على الرغم من شحة

المعلومات، ويأتي بحثنا الموسوم بـ : "عدن في عهد الطاهريين ٨٥٨-٩٤٥هـ/ ١٤٥٤-١٥٣٨م" محاولة جادة لإعادة الحياة لتاريخ عدن السياسي والحضاري في فترة زمنية وصفت بأنها من أخطر المنعطفات التاريخية التي مرت بها مدينة عدن في العصر الإسلامي؛ وذلك لأنها تعرضت للغزو غير مرة من قبل أساطيل الغزاة البرتغاليين وحملة مماليك مصر، وفرض على أهلها مقاومة أضخم وأخطر الأسلحة النارية التي أنتجتها مصانع أوروبا في القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي، وهو السلاح ذاته الذي صمم لخدمة الكشوف الجغرافية التي قامت بها البحرية البرتغالية في بلاد المشرق، وتم استخدامه على نطاق واسع لضرب مصالح الدولة المملوكية على خطوط الملاحة التجارية مع الشرق، وعجل ذلك التنافس المحموم بين هذين القطبين على الموانئ الواقعة على خطوط الملاحة الدولية من انهيار الدولة الطاهرية التي قامت وتأسست في عدن سنة ٨٥٨هـ/١٤٥٤م على يدي السلطانين المجاهدعلي وأخيه الظافر عامر أبناء طاهر بن معوضة، وامتد نفوذها على غالب مناطق اليمن في عهد السلطان صلاح الدين عامر بن عبدالوهاب (ت٩٢٣هـ/١٥١٧م)، وابتليت هذه الدولة بما ابتليت سالفتها الرسولية بالفتن الداخلية ، والحروب الطويلة مع الأئمة الزيدية ، ومع هذا ظلت الدولة الطاهرية تتسيد خريطة اليمن السياسية حتى دخول البندقية المملوكية إلى اليمن، فأدت دوراً فعالاً في إضعاف نفوذ بني طاهر إلى حدٍ كبير، وسقطت المقرانة حاضرة الطاهريين وعدد من المناطق، إلا مدينة عدن التي كانت عندها بنادق المماليك عديمة الفعالية، وظلت تقاوم حيناً من الزمن حتى سقطت على أيدي العثمانيين بعد أن استدرجوا واليها عامر بن داود آخر الحكام الطاهريين وشنقوه على حين غرة سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م.

والواقع إن هذا الموضوع بالغ الأهمية ؛ لأنه يلقي الضوء على أهمية مدينة عدن بالنسبة لسلاطين بني طاهر آخر حكام الدول اليمنية السنية في العصر الإسلامي هذا من جهة، ومن جهة أخرى، أهمية موقعها الاستراتيجي على البوابة الجنوبية للبحر الأحمر، ودورها الفعال في التأثير على حركة التجارة البحرية العالمية ، كما تكمن أهمية هذا البحث في أنه يدرس المظاهر الحضارية التي كانت قائمة في عدن آنذاك كالنظم الإدارية والمالية والقضائية وغيرها، فضلاً عن معالجة الأحوال الاجتماعية والدينية والعلمية والأدبية.

وغني عن البيان أن الهدف من هذه الدراسة ليس مجرد سرد التاريخ ، وإنما استخلاص الدلالات والمضامين على مكانة عدن في عصر الدولة الطاهرية كمركز تجاري عالمي ساهم إلى حدٍ كبير في أداء رسالته الحضارية عبر العصور.

ولما كانت عدن قبلة بعض الباحثين المعاصرين كالدكتور محمد كريم إبراهيم الذي أفرد لها أطروحة الدكتوراه تحت عنوان: "عدن : دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية ٤٧٦-

٦٢٦هـ/١٠٨٣-١٢٢٨م"، ثم جاء بعده محمد منصور بلعيد ليبدأ من حيث توقف سلفه فخصص بحثه لدراسة "عدن في عهد الدولة الرسولية ٦٢٩-٨٥٨هـ/١٢٣١-١٤٥٤م دراسة سياسية حضارية" (رسالة ماجستير)، فقد داهمتني رغبة جامحة في جمع مادة علمية متكاملة خاصة بهذا الموضوع الذي يستكمل آخر حلقات سلسلة تاريخ عدن في العصر الإسلامي، وهي دراسة لم تطرقها أقلام الباحثين إلا في بعض أجزائها، ومنها: "عدن فرضة اليمن" للمؤرخ حسن صالح شهاب، و "العقبة – دراسة تحليلية جغرافية تاريخية لجانب من مدينة عدن" للمؤرخ عبدالله محمد محيرز، و" صيرة : أبحاث متعمقة عن بعض معالم عدن ومرافقها الاقتصادية والعسكرية" للمؤرخ نفسه، وكل تلك المؤلفات ليست بهذه الشمولية التي أصبو إلى معالجتها على نحوٍ يليق بسمعة عدن التاريخية.

وفي الحقيقة أن الباحث واجه صعوبات عديدة في إنجاز هذه الدراسة، وعلى رأسها ندرة المعلومات في المصادر عن الحياة الاجتماعية ، فإنه في القليل النادر ما يتعرض المؤرخون لحياة الشعوب وتدوين شئون حياتهم اليومية ، كما بخلت المصادر بذكر أحوال أهل الذمة والطوائف المذهبية ، وإغفال مكانة ودور المرأة في المجتمع، ولم يرد في المصادر إلا النزر اليسير من هذه المعلومات.

وعلى صعيد التخطيط العام لمدينة عدن ، فقد أدت اجتهادات المؤرخين إلى تضارب في تسميات جبال المدينة، وضواحيها، وحصونها، ودروبها، ومواقع حاراتها، ومساجدها، حتى صار كل جبل أو حصن أو باب يحمل أكثر من اسم، الأمر الذي أدى بالتالي إلى اضطراب في تفسير أحداثها التاريخية ، فلا توجد حقائق موثوق بها تساعد الباحث على تصور خريطة للمدينة تمكنه من ربط الأحداث بمواقعها الصحيحة، فضلاً عن الفترات الزمنية التي تفصل بين كل مؤرخ والذي يليه والتي قد تصل إلى عدة قرون، وهي فترة ليست هينة إذا ما تم مراعاة أن عدن كانت مطمعاً وميداناً للتنافس بين دول اليمن في العصر الإسلامي، فما وصفه ابن المجاور في "المستبصر" قد أصبح خراباً يباباً وأطلالاً في عهد الطيب بامخرمة، وأصبحت في العصر الراهن أثراً بعد عين، ومن ناحية أخرى، فقد تطابق المعلومات التي أوردها ابن المجاور الوصف التاريخي عند بعض المؤرخين وقد تفارقه عند آخرين ، وهنا يظهر مدى الخطر الذي قد يلحق بتدوين تاريخ المدينة مالم يتم توخي الدقة في إعطاء المواقع أسماءها الحقيقية ، وتعيينها في مواقعها الصحيحة.

ومن الصعوبات أيضاً، أننا نتعامل مع أسلوب لغوي لكتاب المصادر يختلف في كثير من ألفاظه عما نستخدمه الآن ، وقد لجأت إلى نقل عبارات المصادر في حالات كثيرة للتعبير عما أريده ؛ لأن ذلك يعطي انطباع العصر على الدراسة ، ويعيش القارئ جو الأحداث ، وقد

فرض هذا الأسلوب زيادة في الكلمات الغامضة. أما أسماء الرجال فقد ورد عدد كبير منها في الدراسة، وكان من بالغ الصعوبة أن نقوم بتعريف كل هذه الأسماء سوى من كانت هناك ضرورة لترجمته، وعلى المهتمين بترجمة هؤلاء الرجال العودة إلى كتب التراجم ليجدوها في مظانها.

والحقيقة التي لا مناص من الإشارة إليها أن البحث في مثل هذه الموضوعات أمر بالغ الصعوبة ، ولكن الصعوبة تصبح أمراً هيناً إذا ما كان الباحث جاداً في بحثه عن الحقيقة قدر المستطاع ، وهو ما حاولناه في هذه الدراسة.

وقد اتبعنا منهجاً يتواءم وموضوع البحث وهو المنهج الوصفي التحليلي، وذلك بعرض الأحداث وطرح آراء المؤرخين واجتهاداتهم الفكرية ، ثم إخضاعها للتحليل والاستنتاج بما هو أقرب للصواب ، ووضعت لنفسي ميزاناً لا يحيف عن إظهار الحقيقة التاريخية وملازماً للأسباب العلمية والمنهجية ، ومن دون تكلف أو ميل، وتجنبنا قدر الإمكان تأثير العاطفة في تفسير الحقائق التاريخية بما يقبله العقل والمنطق. كما حاولنا تحقيق التوازن الكمي لعدد صفحات فصول الرسالة، إلا أن غزارة المعلومات في بعض الفصول وشحتها في أخرى حال دون ذلك .

وتم تقسيم الدراسة إلى تمهيد وخمسة فصول يعالج كل منها موضوعاً قائماً بذاته داخل الإطار العام للبحث ككل ، فخاتمة تضم أهم النتائج والاستنتاجات التي توصل إليها الباحث خلال مراحل الدراسة ، وأوجز هذه الأقسام أو الفصول فيما يأتي:

التمهيد جعلته مدخلاً عاماً للدراسة، وخصص لإبراز ملامح الحياة السياسية في دولة بني رسول، وانعكاسها على النشاط التجاري والحركة العلمية في مدينة عدن.

أما **الفصل الأول** فقد كرس لدراسة الأوضاع السياسية في اليمن قبل قيام الدولة الطاهرية، وتعرضنا فيه إلى نسب بني طاهر والآراء التي دارت حوله ، ثم فصلنا العوامل التي مهدت لنشوء الدولة الطاهرية ، وكذا الجهود التي بذلها الطاهريون لإقامة دولتهم على عدن بالذات، مع بيان أهمية هذه المدينة لمشايخ بني طاهر من الناحية الاقتصادية والسياسية، والظروف المختلفة التي هيأت المجال لاستيلائهم عليها سنة ٨٥٨هـ/١٤٥٤م؛ ولأن هذا الفصل يعد فصلاً سياسياً بحتاً ، فإن الباحث استعرض فيه مجمل الأحداث والصراعات الحربية التي دارت حول مدينة عدن ابتداءً من محاولة أبو دجانة (أمير الشحر) للاستيلاء عليها سنة ٨٦١هـ/١٤٥٧م ، ومروراً بعرض الظاهرة الأبرز في هذا العصر والمتمثلة في تداعيات الكشوف الجغرافية التي أفضت إلى احتدام الصراع الحربي على طرق الملاحة العالمية في بلاد المشرق بين أساطيل البرتغاليين ونظرائهم المماليك، وتم رصد آثار تلك المنافسة على مركز

عدن التجاري ، والظروف التي أوقعت المدينة غير مرة عرضة للعدوان الخارجي، المملوكي حيناً والبرتغالي أحايين كثيرة، وعرجنا في كل غزوة على تلمس دور المقاومة العدنية التي فرض عليها الدخول في أتون هذه الحروب، وتتبعنا في ختام هذا الفصل مظاهر تقلص وانحسار نفوذ الدولة الطاهرية، مع ذكر العوامل الرئيسة التي أدت لاحقاً إلى سقوطها في أيدي العثمانيين إثر استيلائهم على عدن التي كانت آخر معاقل الطاهريين سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م.

وأفردنا **الفصل الثاني** لبيان النظم الحضارية في مدينة عدن ، وهو فصل يتعرض وبشكل ملموس لجل الجوانب الحضارية التي كانت سائدة في عدن خلال العهد الطاهري، كالنظام القضائي الذي عددنا فيه أبرز الأسماء التي شغلت وظيفة القضاء، ثم علاقاتهم بالسلطان الطاهري، ولم نرَ من عائق يحول دون التعرف على نماذج من جرائم الحدود التي ارتكبت في تلك الحقبة والعقوبات الجزائية التي صدرت فيها. أما النظم الإدارية والمالية في عدن، فقد أوردنا أهم الوظائف الرسمية وأسماء من شغلها كالولاية أو الإمارة، والنظارة فقط بينما لم نجد في المصادر المتاحة ما يشير إلى وظيفتي الاستيفاء، والحسبة وغيرهما من الوظائف التي عرفتها مدينة زبيد إحدى حواضر الطاهريين آنذاك، وهذا ليس بغريب فلكل منطقة خصوصيتها ومميزاتها، كما تم التطرق إلى العملة التي تعد شريان المعاملات التجارية، والتداول النقدي بعدن؛ ولأن أهمية عدن تكمن في مينائها الذي كان عبر العصور يرفد خزائن الدول اليمنية المتعاقبة بالأموال الجزيلة فقد آثر الباحث الإشارة إلى النظام الإداري والمالي المتبع في الفرضة، وهو نظام قديم أخذ بالتطور منذ ما قبل عصر الزريعيين حتى عصر الدولة الطاهرية وربما فما بعدها، ومع أن مصادر عصر الطاهريين لم تتناول هذه النظم على وجه التحديد إلا أن ذلك لا يعني أنها لم تكن قائمة أو سارية الفعالية في عهدهم، لذا دعت الضرورة الاستعانة بالمصادر الرسولية، والأيوبية، والزريعية لاستكمال الصورة المهمة لآلية عمل الفرضة وما يرافقها من الإجراءات كالتفتيش الدقيق للمسافرين والمغادرين، وإحصاء البضائع وتفريغها وخزنها وتعشيرها وغير ذلك.

ويعد **الفصل الثالث** فصلاً اقتصادياً خالصاً، ذلك أنه يتناول الصناعة والتجارة في عدن، ونظراً لكثرة الصناعات التي اشتهرت بها المدينة خلال العصر الإسلامي فقد تم ترتيبها بحسب أهميتها بدءً بالصناعات التابعة للدولة، وجميعها صناعات أساسية، وتليها الصناعات المملوكة للأفراد أو الجماعات، وجلها صناعات تكميلية، ثم استعرض الباحث أهم الأسواق التجارية مستعيناً أيضاً بالمصادر السابقة بالإضافة إلى مصادر هذا العصر، وتم ترتيبها هي الأخرى على حروف المعجم وذلك لسببين: الأول: تعذر ترتيبها وفق أهميتها للدولة والمجتمع، والآخر: صعوبة ترتيبها بحسب المعيار الزمني من الأقدم إلى الأحدث ظهوراً، ثم انتقل الباحث إلى تفنيد

علاقات عدن مع الموانئ العالمية كمصر، والهند، وشرق إفريقيا، وشبه جزيرة العرب، مع بيان صادرات وواردات ميناء عدن من تلك الموانئ، ونظراً لشحة المعلومات عن الجانب التجاري في عصر الدولة الطاهرية فقد استعان الباحث بمصادر الدولة الرسولية على اعتبار أن العلاقات التجارية مع الدول ذات العلاقة لم تتأثر مع قيام الدولة الطاهرية، وإذا اعتراها شيء من ذلك فإنه لن يتجاوز حد التغيير في ميزان التبادل التجاري وهذا أمر طبيعي، فالصادرات من ميناء عدن والواردات إليه، وكذلك الضرائب المفروضة على السلع والبضائع لم تتغير نسبتها، كما ظلت قوانين الميناء ولوائحه سارية المفعول وهي ذاتها التي كانت تطبق في عصر الرسوليين؛ ولما كان بنو طاهر قبل قيام دولتهم وبعدها معدودين ضمن البيوت التجارية المشهورة، فقد تم تلمس أحوالهم الاقتصادية، والتعرف على أهم السلع والبضائع التي كانوا يصدرونها إلى الخارج، وختم هذا الفصل ببيان العوامل الداخلية والخارجية التي أدت إلى سقوط مركز عدن التجاري.

وخصص **الفصل الرابع** لإبراز المظاهر الاجتماعية في عدن، ويحتوي هذا الفصل على عدد من المواضيع المهمة ذات العلاقة بسكان المدينة، ومنها التعرف على القوى والفئات الاجتماعية التي تكون منها سكان عدن خلال العصر الإسلامي بمن فيهم أهل الذمة والطوائف الدينية الأخرى، واجتهد الباحث في الوقوف على أهم القوى الاجتماعية المؤثرة على المدينة إبان حكم الطاهريين ، كما تم التعرف على التركيب الاجتماعي للسكان وتقسيمها وفق المفهوم المعاصر ما بين طبقة خاصة وأخرى عامة، ثم تعداد العوامل السلبية التي أثرت على النمو السكاني في عدن، وعن التخطيط العمراني العام للمدينة أشار الباحث إلى التقسيم الإداري للأحياء والحارات التي كانت قائمة آنذاك ومنها: أحياء العرب، وأحياء الجاليات الأجنبية، وهو بالتأكيد تقسيم يختلف اختلافاً جذرياً عما هو عليه في العصر الراهن، حيث مرت المدينة بعدد من الاستحداثات والتغييرات على تخطيطها العام، كما تمت الإشارة إلى عمارة بيوت المدينة وقصورها وحصونها ومقابرها، فضلاً عن التعرف على عادات وتقاليد أهل عدن وأزيائهم وملابسهم ، ونالت المرأة العدنية نصيباً لا بأس به من الذكر على الرغم من شحة المعلومات.

ويعد **الفصل الخامس** آخر فصول الدراسة، ويشمل الحديث عن الحياة الدينية والعلمية والأدبية، بدءاً بالمذاهب الدينية التي كانت سائدة في مدينة عدن، وكذا مساجد المدينة ومدارسها، وننوه هنا إلى أننا ذكرنا غالب المنشآت الدينية بما فيها تلك التي تأسست في العصر الرسولي، وليس ذلك بغريب إذا ماعرفنا أنها ظلت تؤدي دورها الديني والعلمي خلال عصر الدولة الطاهرية، كما تم تسليط الضوء على التصوف وشئونه وأدبياته وغير ذلك، فضلاً عن ذكر

أبرز أعلام مدينة عدن في العصر الطاهري، ثم عرجنا على التعرف على مظاهر الحياة الأدبية في ذلك العصر من الشعر والنثر.

المصادر الرئيسة للدراسة:

لا أخفي شغفي بالكتابة عن تاريخ مدينة عدن السياسي والحضاري، والتشوق إلى الانطلاق نحو البحث والتتبع، ويحدوني أمل في إضافة شيء جديد إلى مراجع مكتبة التاريخ الإسلامي، غير أن هذا الشغف قد صاحبه قلق نسبي يعزى إلى شحة المصادر والمراجع ذات الصلة بالجانب الحضاري لمدينة عدن في ذلك العصر، وهي وإن وجدت متفرقة هنا وهناك فما هي إلا نزر يسير، ويكاد لا يخلو بعضها من التناقضات والاختلافات بسبب اعتماد مؤلفيها على السماع حيناً والنقل حيناً آخر لبعد عهدهم من الأحداث، ومع هذا وذاك فقد وفقت بحمد الله في جمع كم لا بأس به من المصادر والمراجع التي تغطي الفترة الزمنية الشاملة للبحث، وأذكر أهمها مرتباً حسب إفادتي منها، ويأتي على رأسها:

بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، لمؤرخ البلاط الطاهري الإمام الحافظ المحدث عبدالرحمن بن علي بن محمد بن عمر بن الديبع الزبيدي (ت٩٤٤هـ/١٥٣٧م)، ويحتوي على عشرة أبواب منها سبعة في أحوال الدول اليمنية في العصر الإسلامي، فيما خصص الأبواب: الثامن، والتاسع، والعاشر لأخبار الدولة الطاهرية حتى سنة ٩٠٠هـ/١٤٩٥م ويعد هذا الكتاب من المؤلفات القيمة التي اعتمد عليها الباحث في عرض التاريخ السياسي لسلاطين بني طاهر بدءاً بمؤسسي الدولة (المجاهد علي والظافر عامر)، ثم السلطان المنصور عبدالوهاب بن داود، ومعلومات يسيرة عن السلطان الظافر عامر (الثاني) ابن عبدالوهاب، ولما كان ابن الديبع قريباً من الطاهريين فقد كلفه السلطان الظافر عامر (الثاني) بتصنيف كتاب آخر هو: **الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد،** وهو ذيل على كتابه بغية المستفيد، وقد تناول فيه الأحداث التي مرت بها اليمن من سنة ٩٠١هـ/١٤٩٦م حتى سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م وزوال دولة عامر بن عبدالوهاب، مرتبة على السنين والأشهر والأيام، مشيراً إلى أحوال الدولة العامرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتكمن أهمية هذا الكتاب في أن مؤلفه هو المؤرخ الوحيد المعروف في البلاد اليمنية آنذاك وبخاصة في الفترة بين سنتي ٩٠٠هـ/١٤٩٥م – ٩٢٣هـ/١٥١٧م . كما تجلت أهميته بالنسبة للبحث في أنه يقدم عرضاً تفصيلياً عن العدوان الذي تعرضت له مدينة عدن على أيدي البرتغاليين وحملة مماليك مصر، وموقف الدولة الطاهرية منهما، بالإضافة إلى إشاراته المقتضبة إلى أحوال المدينة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية، وإن كانت في غالب الأحيان مبتورة وتستدعي الباحث اللجوء إلى القياس على الرغم من خطورته.

روضة الأخبار ونزهة الأسمار في حوادث اليمن الكبار والحصون والأمصار، للداعي الإسماعيلي عماد الدين إدريس بن الأنف (ت٨٧٢هـ/١٤٦٨م)، ويبدأ هذا الكتاب بذكر أحوال الدولة الرسولية منذ سنة ٨٤٥هـ/١٤٢٣م وهي الفترة التي كانت فيها هذه الدولة تلفظ أنفاسها الأخيرة، ولم يتوسع إلا فيما بعد سنة ٨٥٢هـ/١٤٢٩م حتى مقتل السلطان عامر بن طاهر بن معوضة سنة ٨٧٠هـ/١٤٤٧م، وتكمن أهمية الكتاب في أن مؤلفه كان معاصراً للأحداث التي تناولها كتابه، ويقدم لنا وصفاً تاريخياً لانهيار الدولة الرسولية وقيام الدولة الطاهرية على أنقاضها، وعلى الرغم من سمعلة المؤلف إلا أنه لم يحاول الترويج لأفكار مذهبه الإسماعيلي، واكتفى ببيان علاقته وإخوته الدعاة الوثيقة بأوائل السلاطين الطاهريين، ومواقفهم الداعمة في توطيد النفوذ الطاهري على مناطق اليمن الشمالية .

قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، للمؤرخ أبو محمد عفيف الدين الطيب بن عبدالله بن أحمد ابن علي بن أحمد بن علي بن أحمد بن إبراهيم الشهير بأبي مخرمة السيباني الحميري الهجراني الحضرمي (ت٩٤٧هـ/١٥٤٠م)، ويتكون من ثلاثة أجزاء، وعمد فيها المؤرخ إلى تقسيم كل جزء إلى طبقات وكل طبقة عبارة عن عشرين سنة ، ويذكر فيها وفياتها ترجمةً، ويليها أحداثها التاريخية، وتحتوي القلادة على معلومات نادرة قلما نجدها في غيرها، ومع أنه كان في بعضها ناقلاً عن المصادر التي سبقته عهداً محيلاً إليها تارة، ومغفلاً تارة أخرى لا سيما في الجزء الثالث، فقد نقل كثيراً عن ابن الديبع بالنص فيما يتعلق بالتاريخ السياسي والحربي لسلاطين بني طاهر منذ تأسيس دولتهم حتى مقتل الظافر عامر (الثاني)، كما برزت حاسة المؤلف النقدية في بعض التواريخ والأحداث، فيما غيب هذه الحاسة عمداً عند تناوله للتصوف وسلوكيات رجالاته وكراماتهم الخارقة، والتي كما يبدو قد قبلها على علاتها، وهو ما يوحي لنا ضمنياً بأن بامخرمة كان يميل إليهم إن لم يكن واحداً منهم . ولما كان بامخرمة شاهد عيان لمعظم الأحداث التي مرت بها مدينة عدن في العصر الطاهري , فقد جعلنا الجزء الثالث من قلادته المحور الرئيس وعماد هذه الدراسة وعلى وجه الدقة من طبقة العشرين الثالثة من المائة التاسعة حتى سنة ٩٢٧هـ/١٥٢١م وهي خاتمة هذا الجزء، ففيها كم هائل من المعلومات التي أغنت البحث من جوانبه السياسية والحضارية.

تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، للمؤرخ أحمد بن عبدالله شنبل (ت٩٢٠هـ/١٥١٤م)، وهو يبدأ من سنة ٥٠١هـ/١١٠٨م وينتهي بسنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م، وهو كما يبدو من اسمه قد خصص لعرض تاريخ حضرموت، غير أننا استفدنا منه في التعرف على بعض أعلام مدينة عدن الذين كان غالبهم من أبناء حضرموت الوافدين الذين انتهى بهم المطاف للاستقرار في عدن.

تاريخ الشحر المسمى العقد الثمين الفاخر في تاريخ القرن العاشر، للمؤرخ عبدالله بن محمد بن أحمد باسنجلة (ت٩٨٦هـ/١٥٧٨م)، وهذا الكتاب يبدأ بأول سنة من القرن العاشر حتى سنة ٩٧٧هـ/١٥٦٩م، وعلى الرغم من أن المؤلف قد جعل النصيب الأوفى من كتابه لأخبار مدينة الشحر، إلا أن الباحث قد استفاد منه كمصدر يكمل الفترة التاريخية التي توقف عندها ابن الديبع والطيب بامخرمة، إذ احتوى العقد الثمين على معلومات لا بأس بها عن أحوال مدينة عدن وإن كانت مقتضبة كعادة المصنفات التاريخية في العصر الإسلامي.

تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، للمؤرخ محمد بن عمر الطيب بافقيه الشحري (ت١٠١١هـ/١٦٠٢م)، وفيه حذا بافقيه حذو شيخه باسنجلة من حيث التزامه بأخبار القرن العاشر، والمزج بين الأحداث التاريخية وبين تراجم العلماء، إلا أن بافقيه زاد على باسنجلة وتوسع في أخبار هذا القرن، وكما يظهر أن المؤرخين قد نقلا عن قلادة الطيب بامخرمة وخصوصاً من الربع الأول من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي.

النور السافر في أخبار القرن العاشر، للمؤرخ محيي الدين عبدالقادر بن شيخ بن عبدالله العيدروس باعلوي (ت ١٠٣٨هـ/١٦٢٩م)، وهذا الكتاب يبدأ أيضاً من سنة ٩٠١هـ/١٤٩٧م حتى سنة ١٠٠٠هـ/١٥٩٢م، ويعد من الكتب القيمة التي اعتمدنا عليها في التعرف على مظاهر علاقات السادة آل العيدروس باعلوي بالسلطة السياسية الطاهرية وخصوصاً علاقات الصداقة التي توثقت بين السلطان عامر (الثاني) بن عبدالوهاب والأمير مرجان الظافري, وبين الشيخ أبي بكر بن عبدالله العيدروس، بالإضافة إلى علاقات آل العيدروس بمختلف طبقات سكان عدن وكبار موظفي جهاز الدولة في المدينة . ولما كان هذا الكتاب كأشباهه من كتب الصوفية يزخر بالكثير من المفردات الخاصة بالتصوف وتراجم رجالاتهم ، فقد توخى الباحث عدم الخوض أو التوغل في عرض كراماتهم الخارقة إلا ما يستحق الإشارة إليها عند الضرورة، فميدان النقد في هذا المجال العقائدي له رجاله، وعلى الرغم من هذا وذاك فإن هذا المصدر قد أفاد الباحث في تراجم أعلام مدينة عدن، وما يتصل بالأحوال الثقافية كالشعر والنثر.

طبقات صلحاء اليمن، للعلامة المؤرخ عبدالوهاب بن عبدالرحمن البريهي السكسكي (ت٩٠٤هـ/١٤٩٩م)، وقد رتبه على المنهج الذي سار عليه أسلافه من المؤرخين اليمنيين من حيث ترتيب التراجم على البلدان كطبقات ابن سمرة، والسلوك للجندي، وبدأ تاريخه بتراجم علماء صنعاء، وختمه بعلماء عدن المتوفين بها والوافدين إليها من أهل القرنين الثامن والتاسع الهجريين/الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، ويعد من المصادر المهمة لذوي الاختصاص بدراسة الحياة العلمية ليس في عدن وحدها بل في عموم مناطق اليمن.

الجزء اللطيف في التحكيم الشريف، للشيخ أبي بكر بن عبدالله العيدروس باعلوي العدني (ت٩١٤هـ/١٥٠٨م)، وهذا الكتاب كما يبدو من اسمه يحتوي على مبادئ، وأحكام التصوف، وطرائقه، وشعائره وغير ذلك مما يتعلق بالتصوف، بالإضافة إلى تناول سيرة المؤلف وتدرجه في مسالك التصوف، كما يحتوي على بعض الإجابات عن المآخذ التي طرحها باستنكار بعض علماء أهل السنة في ذلك العصر، وقد كان هذا الكتاب مصدراً مهماً لدى المؤرخ المحقق عبدالله محمد الحبشي عندما استند إليه في كتابه:**"الصوفية والفقهاء في اليمن"**، فآثر الباحث الاستفادة منهما معاً في مبحث الحياة الدينية في مدينة عدن.

ديوان محجة السالك وحجة الناسك، وهو أيضاً للشيخ أبي بكر العيدروس العدني، وهو مصدّر بمقدمة بقلم الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن باوزير تلميذ المؤلف، ويزخر هذا الديوان بالعديد من القصائد والمساجلات ذات الأغراض الشعرية عند الصوفية ، فضلاً عن مراسلات المؤلف التي كان ينظمها شعراً للسلطان الظافر عامر (الثاني) بن عبدالوهاب، وقد تمت الاستفادة من هذا الديوان في دراسة الحياة الأدبية بعدن في عصر الدولة الطاهرية.

السجل الكامل لأعمال افونسو دلبوكيرك، وهي مذكرات دلبوكيرك (ت ٩٢١هـ/١٥١٥م)، وترجمها من البرتغالية إلى الإنجليزية والتر دي جراي بيرش ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م، وترجمها من الإنجليزية إلى العربية عبدالرحمن عبدالله الشيخ سنة ٢٠٠٠م/١٤٢١هـ، وفيها يروي صاحبها قصة هجومه على مدينة عدن سنة ٩١٩هـ/١٥١٣م، وخطط وحيثيات المعركة بما فيها من المبالغات التي يستنكرها كل ذي عقل، ولإثبات ذلك عمد الباحث إلى مقارنتها بما ورد عند ابن الديبع وبامخرمة، ومع هذا تكاد لا تخلو من الفائدة في معلوماتها عن مدينة عدن وسكانها وتحصيناتها.

نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف، وهو عبارة عن وثائق مالية وإدارية تخص ديوان السلطان الرسولي المظفر يوسف بن عمر (٦٤٧-٦٩٤هـ/ ١٢٤٩-١٢٩٥م)، وتحتوي على جزئين، اعتمد الباحث على الجزء الأول الذي اشتمل على معلومات قيمة عن المعاملات المالية والإدارية التي تقام في ميناء عدن وآلية عمل موظفي الفرضة، والضرائب والعشور التي تؤخذ على صادرات وواردات عدن، وأصناف البضائع التجارية وغيرها من المعلومات المهمة التي أوضحت وبدقة مدى تطور ميناء عدن إدارياً ومالياً خلال عصر الدولة الرسولية . ولغياب المعلومات الموثقة عن سير عمل الفرضة في عصر الدولة الطاهرية لجأ الباحث للاستعانة بكتاب نور المعارف معتبراً أن ذلك النسق التنظيمي المتطور الذي شهده ميناء عدن في عصر بني رسول قد ظل قائماً وساري المفعول إبان حكم الطاهريين لعدن.

صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة: تاريخ المستبصر، للمؤرخ جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد المعروف بابن المجاور الشيباني الدمشقي (ت . د ٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، وهو من المصنفات القديمة التي وصفت مدينة عدن، وقد تمت الاستفادة منه في غالب فصول الدراسة لما له من أهمية في ترجمة مواضع وأجزاء المدينة وتخطيطها العام، فضلاً عن المعاملات التجارية في ميناء عدن من حيث العشور والضرائب التي كانت تفرض على أصناف السلع التجارية، بالإضافة إلى إشارات المؤرخ إلى المظاهر الاجتماعية المختلفة.

تاريخ ثغر عدن ، للمؤرخ أبي محمد الطيب بن عبدالله بن أحمد بامخرمة، ويحتوي هذا الكتاب على قسمين، خصص القسم الأول لوصف مدينة عدن، واعتمد على ما ورد في مستبصر ابن المجاور مع إضافات بسيطة عن تطورات المدينة في عصر الدولة الطاهرية، والقسم الثاني في تراجم أهل عدن مرتبة على حروف المعجم، وهي مقتبسة عن طبقات ابن سمرة وسلوك الجندي، والأهدل، ويعد من أهم المصادر التي اعتمد عليها الباحث خلال مراحل الدراسة، على أن الباحث قد استبدل كلمة قسم بجزء وفق المفهوم المعاصر.

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، للمؤرخ الرحالة شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد البنا الشامي البشاري المقدسي (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م)، ويعد من المصادر المساعدة للدراسة في المجال الاجتماعي والجغرافي.

أما المراجع الحديثة التي اعتمدت عليها الدراسة فلعل أهمها :

بنو رسول وبنو طاهر وعلاقة اليمن الخارجية في عهدهما، للمؤرخ محمد أحمد عبدالعال، وهو من المراجع القيمة التي تناولت أحوال دولتي بني رسول وبني طاهر، وتمت الاستفادة من اجتهادات المؤلف الفكرية في بعض المواضيع التي تناولتها الدراسة.

الفتح العثماني الأول لليمن من ١٥٣٨ – ١٦٣٥م، للمؤرخ السيد مصطفى سالم، وهو مرجع مهم في دراسة تاريخ اليمن الحديث، واستفاد الباحث من المعلومات القيمة التي وردت في فصليه الأول والثاني اللذين خصصهما للحديث عن أوضاع اليمن في العصر الإسلامي حتى زوال الدولة الطاهرية على يد القوات العثمانية سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م.

ثلاثية المؤرخ عبدالله أحمد محيرز، وأولها: **صيرة : أبحاث متعمقة عن بعض معالم عدن ومرافقها، الاقتصادية والعسكرية**، وثانيها: **صهاريج عدن**، وثالثها: **العقبة – دراسة تحليلية جغرافية تاريخية لجانب من مدينة عدن** ، وهذه المصنفات ذات قيمة علمية كبيرة لاعتمادها على الجانب النظري والجانب التطبيقي (الآثاري – الميداني)، وقد أعانت الباحث كثيراً خلال مراحل البحث.

أضواء على تاريخ اليمن البحري، للمؤرخ حسن صالح شهاب، وهو من المراجع الجيدة التي استعان بها الباحث بالإضافة إلى كتاب: **عدن فرضة اليمن** للمؤرخ نفسه.

الشهداء السبعة، للمؤلف محمد عبدالقادر بامطرف، وهو مرجع على جانب كبير من الأهمية وذلك لتعدد مصادره الحضرمية التي ساعدت الباحث إلى حدٍ كبير في سد النقص المتعلق بطبيعة علاقات التعاون والمؤازرة التي كانت قائمة بين مدينتي عدن والشحر خلال العدوان الخارجي عليهما معاً في مطلع القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي.

كما استند الباحث إلى عدد من المراجع الأجنبية، والرسائل العلمية، والبحوث والمقالات ذات الصلة بموضوع البحث ووضعنا عناوينها بين قوسين مزدوجين صغيرين لتمييزها عن المراجع الأخرى.

وتعد هذه الدراسة رسالة لنيل درجة الدكتوراه من قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة صنعاء، وهي تقدم حالة تاريخية لمدينة عدن في زمن مضى وهي حالة ماتزال آثارها قائمة في الوقت الراهن، وتؤكد على عراقة هذه المدينة عبر العصور.

وبعد فاني أرجو أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة، ولايسعني إلا أن أسجل شكري وتقديري إلى المشرفين على هذه الدراسة د. محمد عبده السروري أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة صنعاء ومساعده د. محمد صالح بلعفير أستاذ الحضارة الإسلامية المشارك بجامعة عدن على توجيهاتهما التي كان لها عظيم الأثر في إنتاج هذا العمل فجزاهما الله عني خير الجزاء، والشكر موصول إلى كل من ساهم في إخراج هذا العمل على هذه الصورة.

تـمـهـــــــــيـد: عدن قبيل قيام الدولة الطاهرية

وهب الله مدينة عدن(١) موقعا(٢)جغرافياً متميزاً كان له أثره في جعلها ميناءً تجارياً مهماً منذ زمن بعيد ، تمكنت عدن من خلاله من اكتساب شهرة واسعة ملأت الآفاق ، إذ أصبحت مرسى اليمن المتميز والأكثر جذباً لنواخيذ البحر عن بقية المدن الساحلية كونها المحور الذي تلتقي فيه المراكب التجارية القادمة من مختلف أصقاع المعمورة (٣) .

وتمكنت عدن من تحقيق أرباح طائلة من خلال فرض الرسوم والضرائب على أنواع البضائع والسلع التجارية الواردة إليها والصادرة منها ، وأضحى دخل خزانة عدن محسوداً تتناقله الألسن وتترصده الأعين، مما جعلها هدفاً لأطماع الغزاة عبر العصور.

---

١) المقصود بها عدن أبين، وهي المدينة التي ورد ذكرها في كثير من المؤلفات الجغرافية والتاريخية، حيث روي أن عدن وأبين أبناء عدنان، وأن عدن كانت من أعمال مخلاف أبين الواسع، وإن أبين أقدم من عدن وإليها تنسب عدن، لأن خضارهم وفواكههم وحبوبهم منها لكثرة مزارعها، وقد أضيفت عدن إلى أبين فعرفت عدن أبين تمييزاً لها عن عدن لاعة. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات دار المعارف، القاهرة،١٩٦٠،ص٢٧٠؛الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد، صفة جزيرة العرب، تح: محمد بن علي الأكوع، ط١، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٧٠؛ المقدسي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٣٠،مكتبة مدبولي ، القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص٨٥؛ الرازي، أبو العباس أحمد بن عبدالله، تاريخ مدينة صنعاء، تح: حسين عبدالله العمري، ط٣، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الحكمة، دمشق،١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص١٢٤؛ أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل، تقويم البلدان، اعتناء: رينودوالبارون ماك ديسلان، باريس، ١٨٤٠م،ص٩٣؛ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج٤، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٨م، ص٤٧٣؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ج١، بيروت، ١٩٧١م، ص٣٨٢؛ الويسي، حسين، اليمن الكبرى، مط النهضة العربية، القاهرة،١٩٦٢م، ص١٨٠ .

٢) موقع مدينة عدن (فلكياً): حددت المصادر القديمة موقع عدن بإثنتي عشرة درجة ، وثلاث عشرة درجة، وآخر تسع عشرة درجة ، وهي تقديرات قديمة اجتهدت بحسب الوسائل المتاحة. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٤٠، ٤١؛ أبو الفداء، تقويم البلدان؛ ص٩٢ ،ابن خلدون، ، العبر ، مج٤، ص٢٢٢ .أما المراجع الحديثة فحددت موقع عدن بين (١٢°) شمالاً و(٤٥°) شرقاً وتختلف في الكسور بين ذلك؛ بلاي فير. إف. ال، تاريخ العربية السعيدة أواليمن ، تر: د.سعيد عبدالخير النوبان وعلي محمد باحشوان ، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، ١٩٩٩م، ص١٥؛ لجنة الجغرافيا العدنية ، جغرافية عدن وبلاد العرب مع خلاصة جغرافية العالم ، دائرة المعارف العدنية، مط النيل المسيحية، مصر ، ١٩٣٢م، ص٢٣ ، ٢٤؛ باوزير، خالد سالم ، ميناء عدن دراسة تاريخية معاصرة، دار الثقافة العربية الشارقة ودار جامعة عدن، الشارقة، ٢٠٠١م ، ص١٢.

أما موقع عدن (جغرافياً) : فهي تقع في أقصى الجنوب الغربي لشبه الجزيرة العربية على خليج عرف باسمها،وتتحكم في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر الذي يبعد عنها إلى الغرب بنحو ١١ ميلاً (١٧ كم). العبادي، محمد أحمد موسى،"عدن دراسة جيوبوليتيكية" ،مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية،مج٧،ع(١٥)، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، سبتمبر-ديسمبر٢٠٠٤م، ص١٧٦ .

٣) شهرة ميناء عدن جعلت المؤرخين يطلقون على المدينة أسماء عديدة منها: (فرضة على البحر). الأصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد ، مسالك الممالك، تح: محمد جابر ومحمد غربال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي- الإدارة العامة للثقافة، الجمهورية العربية المتحدة ، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م، ص١٤ ؛ (فُرضة اليمن). المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٥. كما يطلق عليها المؤرخ نفسه اسم: (دهليز الصين وخزانة المغرب). المصدر نفسه والصفحة؛(مرسى بلاد اليمن على ساحل البحر الأعظم) . ابن بطوطة، محمد بن عبدالله بن محمد المراكشي ، مهذب رحلة ابن بطوطة المسماة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، هذبه: أحمد العوامري ومحمد أحمد جاد الله، ط٢، دار الحداثة ، بيروت، ١٩٨٥م، ص١٩٤.(ساحل بحر الهند أو الحبش). الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي ، معجم البلدان، ج٤، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٧م ، ص٨٩.

وإيماناً بأهمية ثغر عدن اقتصادياً حرص حكام الدول اليمنية على تطوير الميناء ، وتنظيم عمل إدارات الفرضة ، وسعوا جاهدين لإنعاش الحركة التجارية لضمان زيادة إيراد خزانة عدن. فقد اهتم بنو زياد بنشر الأمن حول مدينة عدن ، فقصدتها السفن التجارية لقربها من خطوط الملاحة التجارية بعد أن كانت تفضل موانئ البحر الأحمر ثم ازداد اهتمام الزياديين بتنشيط الحركة التجارية الداخلية فمهدوا طرق القوافل وحفروا الآبار وأقاموا المحطات التجارية، لتقديم الخدمات المختلفة للتجار [١] .

كما جذبت أهمية عدن التجارية انتباه الأسر الحاكمة المتعاقبة ، فاهتموا بعمرانها وتحصينها، إذ أقام الزريعيون ولاة الصليحيين أول سور حول عدن[٢]، ثم سار الأيوبيون على دربهم فأقاموا سوراً ضخماً حول المدينة[٣]، كما شيدوا بها دار الفرضة لتحصيل الرسوم على البضائع ، فضلاً عن عمارة الدور والمخازن والأسواق والقيساريات[٤]، مما أدى إلى زيادة الحركة التجارية التي انتعشت معها عدن[٥].

وعلى الرغم من الجهود المبذولة لتطوير هذا الثغر إلا أنها لم تنجح في كل عصور الدول المستقلة، فقد شهدت عدن حالات من الضعف والوهن والجمود في فتراتٍ زمنية متقطعة، كثيراً ما لازمت عهود الحكام الضعفاء، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على الصلة الوثيقة بين الاقتصاد والسياسة، وقد تجلت آثار تلك الصلة واضحة على مدينة عدن إبان حكم الرسوليين ٦٢٦ ـ ٨٥٨هـ/١٢٢٨-١٤٥٤م ، ويمكن إيجازها فيما يأتي:

---

١) بامخرمة، أبومحمد عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد، تاريخ ثغر عدن، نشره: أوسكار لوفجرين، دار التنوير للطباعة والنشر ،بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ج١،ص٩ .

٢) شيد الزريعيون سوراً يمتد من حصن الخضراء إلى جبل حقات، إلا إنه كان ضعيفاً فهدمته أمواج البحر،ثم أقاموا سوراً آخر أقوى، وظل قائماً يؤدي مهامه حتى قدوم الأيوبيين سنة ٥٦٩هـ. ابن المجاور، جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى: تاريخ المستبصر، نشره:أوسكار لوفجرين، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت،١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص١٢٨ ؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن ، ج ١، ص١٤ .

٣) بنى الأمير عثمان الزنجبيلي والي الأيوبيين على عدن سوراً يدور على جبل المنظر إلى نهاية جبل العّر وأقام عليه باب حقات، وأقام سوراً ثانياً يمتد من جبل الخضراء (المنصوري) ماراً بروؤس الجبال حتى التعكر، ثم شيد سوراً ثالثاً من الحجر والجص على الساحل من الصناعة إلى جبل حقات ، وجعل للسور ستة أبواب هي: باب الصناعة، وباب حومة والسيلة أو الباب المكسور لأنه دائم التعرض لاندفاع سيول الأمطار ، وباب الفرضة الذي ترد إليه البضائع وتصدر ، وباب مشرق أو باب الساحل ، وباب حيق المعروف بباب السرّ، وباب النوبة القريب من الجبل المسمّى باسمه . ابن المجاور، المستبصر، ص١٢٨؛ بامخرمة ،تاريخ ثغر عدن ، ج١، ص١٤ ـ ١٥ .

٤) القيساريات: جمع قيسارية، وهي الخان الكبير الذي يشغله جماعة من التجار . دهمان، محمد أحمد ، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر ، دمشق ،١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص١٢٦ .

٥) ابن المجاور ، المستبصر ، ص١٣٠ ؛ بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج١ ، ص١٠، ١٥ .

أولاً - تنافس الرسوليين[١] على عدن :

بعد مقتل السلطان المنصور نورالدين عمر سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م ، قرعت طبول الخطر معلنة عن بدء التنافس الرسولي الرسولي على الملك ، إذ لم يرض المظفر بتقديم أبيه لأخيه المفضل عليه في ولاية العهد[٢] ، وكانت عدن أهم ميادين ذلك التنافس الذي حسم في النهاية لصالح المظفر (٦٤٧-٦٩٤هـ/١٢٤٩-١٢٩٥م)، وتمكن من دخول عدن بمساعدة ناظرها آنذاك تاج الرئاسة وذلك في شهر صفر سنة ٦٤٨هـ/مايو ١٢٥٠م[٣].

ثم عاد الصراع ثانية عقب وفاة المظفر سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٥م وذلك بين أبنائه: الأشرف (٦٩٤-٦٩٦هـ/١٢٩٥-١٢٩٧م)، والمنصور ، والمؤيد (٦٩٦-٧٢١هـ/١٢٩٧-١٣٢١م)، وتمكن الأخير من الاستيلاء على عدن بعد أن سقطت في يده تعز ولحج وأبين[٤] ، غير أنه لم يتمكن من

---

١) بنو رسول: ينسبون أنفسهم إلى محمد بن هارون بن أبي الفتح الجفني الغساني، من نسل جبلة بن الأيهم بن جبلة... بن مالك بن زيد بن كهلان. انظر:السلطان الملك الأشرف، عمر بن يوسف بن عمر رسول، طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، تح: ك.و.وسترستين، ط٢،دار الكلمة، صنعاء،١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ص١٠٠. ويرجع نسبهم إلى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.انظر:الخزرجي، أبو الحسن علي بن الحسن ، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية،ج١، عني بتصحيحه: محمد بسيوني عسل، ط٢، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٩٨٣م ، ص٣٦-٣٧ ؛ ابن عبدالمجيد ، تاج الدين عبدالباقي ، تاريخ اليمن المسمى: بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تح: مصطفى حجازي، تقديم: إبراهيم الحضراني، دار العودة، بيروت، ١٩٨٥م، ص ٨٥. وهم من أصل تركماني.انظر: عبد العال، محمد أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر وعلاقة اليمن الخارجية في عهدهما، الهيئة العامة المصرية للكتاب، الإسكندرية، ١٩٨٠م، ص٤٨؛ الكبسي، محمد بن إسماعيل، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمانية، تح: خالد الأذرعي ، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء،٢٠٠٥م، ص١٢٦؛ الطميحي، فيصل علي، مسكوكات بني رسول الفضية المحفوظة في مؤسسة النقد العربي السعودي ،رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود كلية الآداب، الرياض، ١٤١٨م/١٤١٩هـ، ص٦؛ الفقي ، عصام الدين عبد الرؤوف، اليمن في ظل الإسلام منذ فجره وحتى قيام دولة بني رسول، دار الفكر العربي ، القاهرة، ١٩٨٢م،ص٢٣٦؛ بلعيد ، محمد منصور علي، عدن في عصر الدولة الرسولية ٦٢٩-٨٥٨هـ/١٢٣١-١٤٥٤م دراسة سياسية حضارية ، رسالة ماجستير، جامعة عدن ، كلية الآداب ، عدن ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م ، ص١٤. وهم من أصل كردي . المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تح: جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٣٥٥هـ ، ص٧٩؛ الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، مج١، تح: محمد عبدالقادر عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت،١٩٩٨م،ص١٢١. وهم من أصل فارسي. ابن المقرى، شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر، عنوان الشرف الوافي في علم الفقه والتاريخ والنحو والعروض والقوافي، تح: عبدالله خادم الأنصاري، مكتبة الإرشاد، صنعاء،١٩٩٦م، ص٢٥. وهم من الغز. ابن حاتم، بدر الدين محمد، السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، تح: ركس سميث، مط جامعة كامبردج، لندن ،١٩٧٣م ، ص١٠، وهم من أصل غساني بجيكي تركماني . ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي ، قرة العيون في أخبار اليمن الميمون، ج٢، تح: محمد بن علي الأكوع ، مط السعادة ، القاهرة، ١٩٧٧م، ص١، ٢.

٢) ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص٢٤٤ ؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ص٨٧ ؛ لقمان، حمزة علي إبراهيم، تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، دار نصر للطباعة،القاهرة، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م ، ص٧٨.

٣) ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص٢٦٥_ ٢٦٩ ؛ ابن عبدالمجيد ، بهجة الزمن ، ص٨٩ ؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٩٢.

٤) ابن عبدالمجيد ، بهجة الزمن ، ص١٠٠ ؛ الحمزي ، عماد الدين إدريس بن علي بن عبدالله ، كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار ، تح: عبدالمحسن المدعج ، مؤسسة الشراع العربي ، الكويت ، ١٩٩٢م ، ص١٢١؛الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٣٩- ٢٤٠ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ج٢، تح: سعيد عبدالفتاح عاشور، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م ، ص٤٧٦.

الحفاظ على هذا الانتصار وسرعان ما تجرع مرارة الهزيمة في معركة الدعيس[١]أمام خصمه الناصر بن الأشرف[٢].

ولما توفى الأشرف سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٧م آل الملك إلى أخيه المؤيد ، ومكث على سدة العرش قرابة ربع قرن ، شهدت عدن خلاله أمناً واستقراراً لم تعهده من قبل[٣] ؛ وأذنت وفاته بنشوب الصراع مجدداً وكان هذه المرة بين المجاهد علي بن داود (٧٢١-٧٦٤هـ/١٣٢١-١٣٦٣م) والظاهر عبدالله بن أيوب ، وتمكن الأخير من فرض نفوذه على عدن سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م بمساعدة ابن الدويدار والي المجاهد على لحج والذي على مايبدو أنه دخل في طاعته بسبب خلافه مع المجاهد لا أقل ولا أكثر[٤].

وبعد مضي سنتين على هذه الحادثة عظمت عدن في نظر ابن الدويدار وأراد الانفراد بها لنفسه دون أسياده الرسوليين ، إلا أن تخطيطه لذلك لم ينجح ، حيث تمكن ابن الصليحي والي مدينة عدن من القضاء عليه على حين غرة ، وبقيت عدن خاضعة لحكم الظاهر.[٥]

بيد أن النتائج التي آلت إليها صراعات الظاهر ونظيره المجاهد لم ترق للأخير ، فقام بسلسلة من المحاولات لانتزاع عدن من خصمه الظاهر ، وعلى الرغم من إخفاقه في عدد منها إلا أنه تمكن في نهاية المطاف من الظفر بها ، ودخلت في ملكه إلى أن توفي فيها سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٣م.[٦]

وخلف السلطان المجاهد ابنه الأفضل العباس (٧٦٤-٧٧٨هـ/١٣٦٣-١٣٧٦م) ، وشهدت عدن في بداية عهده عدة مظالم بسبب انشغاله عنها في محاربة خصومه في جهات تهامة ، فاستغل عمال عدن ذلك واستبدوا بالأمر، وعلى الأرجح أنه قد تنبه لذلك لاحقاً وتوجه لزيارة عدن

---

١) الدعيس : موضع في لحج بوادي تبن ، غرب قرية زايدة بمسافة يسيرة . المقحفي ، إبراهيم بن أحمد ، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، ج١ ، دار الكلمة ، صنعاء ، المؤسسة الجامعية للدراسات الطباعية والنشر والتوزيع ، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م ، ص٦١٣.

٢) ابن عبدالمجيد ، بهجة الزمن ، ص١٠١ ؛ الحمزي ، كنز الأخيار ، ص١٢١ ؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية، ج١ ، ص٢٤٣.

٣) الحمزي ، كنز الأخيار ، ص١٢٢ ؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٠١ ؛ مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ،تح: عبدالله محمد الحبشي ، مط الكاتب العربي ، دمشق ، ١٩٨٤م ، ص٥٣ .

٤) الجندي ، أبو البهاء عبدالله بهاءالدين محمد بن يوسف بن يعقوب ، السلوك في طبقات العلماء والملوك ، ج٢، تح: محمد بن علي الأكوع ، ط١ ، وزارة الإعلام ، صنعاء ، دار التنوير ، بيروت ، ١٩٨٩م ، ص٥٦١؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٢ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ٢ ، ص٤٩٩ ؛ لقمان ، تاريخ عدن ، ص٩١.

٥) ابن عبدالمجيد ، بهجة الزمن ، ص١٤٢ ؛ الجندي ، السلوك ، ج٢ ، ص٥٨٣ .

٦) الجندي ، السلوك ، ج٢ ، ص٥٩٧-٦٠٢ ؛الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٤٨-٤٩ ؛ بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج٢ ، ص١٤٣-١٥٠ ؛ مجهول ، قلائد الجمن في ملوك عدن وصنعاء اليمن ، مط مجيدي ، كانبور ، الهند ، ١٩١١م ، ص٨٤ .

سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م ، وأقام فيها أياماً، فنشر العدل بين التجار وأرباب الأسفار ، وأنعم على النواخيذ من حلله السنية[١].

ولما تولى الأشرف الثاني إسماعيل بن العباس أمر الرسوليين سنة ٧٧٨هـ/١٣٧٦م قام بزيارة عدن وأبطل فيها شيئاً كثيراً من المكوس المحدثة[٢] ، وفي عهده تعرضت عدن لتهديد الإمام الزيدي الناصر صلاح الدين بن المهدي (٧٧٣-٧٩٣هـ/١٣٧٢-١٣٩١م) حيث زحف بجيشه الجرار نحو المدينة سنة ٧٨٩هـ/١٣٨٧م بغية تحقيق حلم الزيدية التاريخي على يديه كأول إمام يفتح المدينة وينعم بخيراتها ، غير أن أهل عدن خرجوا لصده بقيادة أميرها شمس الدين علي بن محمد بن حسان في ظل غياب المساعدات الرسولية ، فحدثت بين الطرفين معارك شديدة أسفرت عن سقوط عدد من القتلى والجرحى ، وخاب أمل الإمام في تحقيق السبق على الأئمة ، وأُجبر على الانسحاب بعد أن ساءت أحوال جيشه[٣].

كما تعرضت مدينة عدن في عهد الأشرف الثاني إلى كوارث طبيعية لعل أهمها ذلك الحريق الهائل الذي شب سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٦م والذي أدى إلى تلف الكثير من البيوت والأموال[٤]، والأموال[٤]، وتلا ذلك زلزال شديد ضرب المدينة حتى انهارت بسببه عدد من الدور وذلك سنة ٧٨٩هـ/١٣٨٧م[٥] .

ومن جهة أخرى، تعرضت خزانة عدن هي الأخرى للسطو من قبل الأمير بدر الدين محمد الكاملي في أواخر حكم الأشرف الثاني، وقيل إنها كانت خزانة عظيمة فيها أموال جليلة من الذهب والفضة واللكوك[٦] وغيرها ، لكن هذه المحاولة فشلت وتم إيقاف الأمير الكاملي وتسليم الخزانة للسلطان الأشرف الثاني[٧] .

وفي عهد الناصر أحمد بن إسماعيل (٨٠٣-٨٢٧هـ/١٤٠١-١٤٢٤م) شهدت البلاد عدداً من التحولات السياسية أبرزها الصراع مع الأئمة الزيديين، والصراع مع قبائل الجحافل[٨]،وزيادة الجحافل[٨]،وزيادة

---

١) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٣٢ ؛ الملك الأشرف (الثاني) إسماعيل بن العباس ، فاكهة الزمن ومفاكهة الآداب والفنن في أخبار من ملك اليمن على إثر التبابعة ملوك العصر والزمن ، تح: علي حسن معيلي، رسالة ماجستير ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة تونس ، تونس ، ٢٠٠٥م ، ص٧٥٢ ؛ مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص٧٦ .

٢) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٤٥ ؛ لقمان ، تاريخ عدن ، ص١٠٢ .

٣) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٦٤ ؛ مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص٩٦ .

٤) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٥٩ .

٥) المصدر نفسه والجزء ، ص١٦٣ .

٦) اللكوك : جمع لك والواحد منها يساوي مائة ألف دينار .

٧) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ،ج٢ ، ص٢٥١-٢٥٢ .

٨) الجحافل: بطن من مذحج لهم بقية في لحج وأبين ، وهم أربع قبائل: (آل علي): ومن فخائذهم بنو رويس، وبنو وبنو شباحي، ثم (آل يحيى بن علي) وهم قبائل كثيرة يجمعهم: آل عزب ، وآل كروس ، وبنو مدقة ، وبنو

نفوذ قبائل يافع[١] في عدن، وبداية ظهور بني طاهر بن معوضة[٢] على الساحة السياسية.

فبالنسبة إلى الجحافل ، ذكرت المصادر بأنهم كانوا أشبه بالشوكة في ظهر حكام عدن وشكلت غزواتهم تهديداً دائماً أقلق سكان المدينة وتجارتها مع مناطق اليمن المختلفة ، ومن ضمن تلك الغزوات غزوة عام ٨٠٨هـ/١٤٠٦م ، حيث قاموا بقطع الطرقات وأكثروا من أعمال السلب والنهب حتى ضاق بهم الناس في عدن وأبين ولحج ، وكان من نتائج سلسلة هجماتهم على عدن مقتل القاضي شجاع الدين العلوي وأخيه القاضي عفيف الدين وسقوط عدد من القتلى من أهل يافع[٣] ، فأثار ذلك غضب السلطان الناصر ، وتقدم على رأس جيشه إلى عدن لملاحقة الجحافل الذين مالبثوا أن انسحبوا إلى مناطقهم ، واستمر تقدم السلطان إلى أبين ثم زحف إلى بلادهم حتى دخل دثينة[٤] ، وأخمد تمردهم عليه ، وأخذ قادتهم أسرى إلى زبيد[٥] .

ولايستبعد أن الناصر قام لاحقاً بإطلاق سراحهم ، إذ تمت الإشارة إلى وصول جعفر الجحفلي شيخ الجحافل إلى الناصر وهو إذ ذاك في عدن فأحسن إليه وكساه[٦] ، بيد أن هذه العطايا لم تنجح في كسب ود الجحافل ، إذ سرعان ما عادوا إلى تمرداتهم مستغلين هذه المرة خروج الإمام المنصور علي بن صلاح الدين لغزو بلاد بني طاهر الموالين للناصر ، فاضطر السلطان إلى محاربة الجبهتين كل على حدة حتى تمكن من الحد من خطورتهما لحين من الزمن[٧].

وعلى صعيدٍ آخر ، أقلقت يافع مستقبل حكم الناصر لعدن ، فبعد أن عززوا وجودهم في المدينة عملوا على تقويض صلاحيات عمال السلطان ، وتدخلوا في شئون المدينة الإدارية ،

الأصابع ، والمحافرة ، والشرمان ، وبنو مداقع ، وآل شقير ، والأعتوق ،وآل قحطان، وآل سالم، والفيزران، ثم (العجمان): وهم خمسة أقسام: آل قراد ، وآل أبي الغم، وآل فياض، وآل ظفر، ثم(الهياثم): ينحدرون من قبائل حمير ويقال= =إن جدهم انتقل من المشرق وسكن مع الجحافل فكانوا من جملتهم، ومن فخائذهم: آل حترش، وآل بن قيس، وآل بن فضل . المقحفي ، معجم البلدان ، ج١، ص٢٩٤.

١) يافع: بلاد واسعة تقع جنوب شرق صنعاء فيه بلدان ومزارع، ونسب قبائل يافع من حمير بن ولد يافع بن قادل بن زيد بن باغتة بن شرحبيل بن الحارث بن ذي رعين ومساكنهم في سرو حمير. السمعاني، أبو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور، الأنساب، ج٥، تقديم وتعليق:عبدالله عمر البارودي، ط١، دار الجنان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٦٧٦،٦٧٥؛ الحجري، محمد بن أحمد، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مج٢، جمعه: إسماعيل بن علي الأكوع ، ط٤، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص٧٧٣.

٢) انظر ترجمتهم فيما سيأتي ، ص ٣٧.

٣) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص١٤١ .

٤) دثينة: منطقة تشمل أراضي مديريتي مودية ولودر في محافظة أبين ، ورد ذكرها في بعض نقوش المسند ، وقديماً كانت أرضاً لقبيلة بني أود وفخائذها، ثم صارت تحت سيطرة الجحافل، وبعدهم العجمان ، ثم قبيلة أهل حصي أصحاب الظاهر (مديرية مكيراس) ، ثم قبيلة العجالم ، وهي اليوم تضم ثلاث قبائل رئيسية: السعيدي وعاصمتهم الخديرة، والميسري وعاصمتهم مودية، والحسني وعاصمتهم القليتة . المقحفي، معجم البلدان، ج١ ، ص٦٠٢ .الأكوع، إسماعيل بن علي،البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي، ط٢،مؤسسة الرسالة،بيروت١٩٨٨م، ص١١٦.

٥) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص١٤١ .

٦) المصدر نفسه ، ص١٧٤ .

٧) المصدر نفسة ، ص١٨٠ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥٦٤ .

فتغافل عنهم السلطان مكرهاً[١] ، وربما لكي يتجنب الدخول في حربٍ جديدة قد تعصف بعرشه حيث لارجعة .

وإحقاقاً للحق ، فإن أضخم المنشآت التي تم تأسيسها في عدن في هذا العصر تعود للسلطان الناصر، ففي أولى زياراته لعدن في شوال ٨٠٩هـ/١٤٠٧م تلمس خلالها أحوال المدينة، وساءه الازدحام الشديد على بابها البري الوحيد[٢] ، فبدأ بعمارة باب آخر عرف بباب الزيادة على باب الثغر البري[٣] لتسهيل انتقال الناس من وإلى عدن وبهذا أصبح للمدينة بابان إلى جهة البّر : الباب القديم الواقع في ثنايا العقبة وهو عبارة عن ممر منخفض من سلسلة جبلية تحيط بالمدينة عدا الجزء الشرقي الساحلي ، كما أن الباب القديم يقسم هذه السلسلة إلى قسمين : أحدهما جبل الخضراء[٤] في يمين الباب ، والقسم الثاني جبل التعكر[٥] في شماله، وكان هذا الباب المنفذ الوحيد للمدينة لزمن طويل يصل عدن ببقية مناطق اليمن [٦].

أما باب الزيادة فهو يقع إلى جوار الباب القديم ، ومن المحتمل أن يكون بوابة إضافية للقديم[٧]، فيما يرى بعض الباحثين أن باب الزيادة ما هو إلا البغدة الكبيرة التي تنفذ من جبل المنصوري (الخضراء) إلى التلاج الواقعة شمال المدينة[٨] ، إلا أن محيرز دحض ذلك مشيراً إلى إلى أن البغدتين شيدهما الإنجليز في وقت لاحق وانتهوا من شقها سنة١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩م[٩] ، وعلى الأرجح أن رأيه هو الأقرب للصواب .

وأبانت المرحلة اللاحقة لحكم الناصر عن ظهور -إذا جاز لنا التعبير- الحكام الضعاف، وذلك لقلة مدد توليهم لسدة الحكم ، ثم صغر سنهم وما يقابله من نمو واستقواء رجالات البلاط السلطاني من الساسة والعسكر المماليك ، حيث دام حكم المنصور عبدالله بن الناصر ثلاث

---

١) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص١٩٧ .
٢) انظر: لوحة رقم (٨،٧) .
٣) مجهول، الدولة الرسولية ، ص١٤٦ .
٤) جبل الخضراء: يمتد من محكمة عدن حالياً إلى محطة البترول(محطة العاقل حالياً) ومن باب الصناعة جنوباً حتى باب عدن(باب البرّ) شمالاً. محيرز,عبدالله أحمد، العقبة : دراسة تحليلية جغرافية تاريخية لجانب من مدينة عدن ،وزارة الثقافة ، مؤسسة ١٤ أكتوبر للصحافة والطباعة والنشر ،عدن ، د.ت, ص٤٤؛ رابضة، أحمد صالح، معالم عدن التاريخية ، ط١ ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ،١٤٢٠هـ/١٩٩٩م ، ص٨٥, ٨٦. وقد أطلق عليه لاحقاً اسم جبل المنصوري.

٥) جبل التعكر: من التسميات المشهورة في اليمن، وعرف لاحقاً باسم الخساف، عليه أقيم حصن التعكر الذي كان له دور كبير في تاريخ عدن منذ دولة الزريعيين إلى دولة الرسوليين ثم دولة الطاهريين . محيرز, العقبة, ص٣٥.

٦) محيرز, العقبة , ص١١٦ وما يليها .
٧) المرجع نفسه , ص١٢٠ .
٨) شهاب, حسن صالح ، أضواء على تاريخ اليمن البحري، لجنة نشر الكتاب اليمني , عدن , دار الفارابي, بيروت, ١٩٧٧, ص٢٣٥- ٢٣٧ ؛ رابضة، معالم عدن, ص٦١-٦٧ .
٩) العقبة, ص٨٦ .

سنوات[١] ، ثم تولى أخوه الأشرف الثالث إسماعيل وهو صغير السن ، فتمت الوصاية عليه من قبل أعيان الدولة ، ثم اختلفوا معه وألقوا القبض عليه بعد سنة وشهرين من توليه الملك[٢] .

واجتمعت كلمة المماليك على الظاهر يحيى بن إسماعيل(٨٣١-٨٤٢هـ/١٤٢٧-١٤٣٨م) للقيام بأمر السلطنة ، ونظراًّ لمكانة عدن في تاريخ بني رسول السياسي والاقتصادي، فقد باشر الظاهر منذ توليه بإرسال عماله إلى عدن للقيام بأمر الثغر[٣] ، ثم نزل بنفسه سنة٨٣٥هـ/١٤٣٢م، سنة٨٣٥هـ/١٤٣٢م، ومكث في المباه[٤] قرابة ثلاثة أيام حتى الفراغ من إعداد مراسم دخوله للمدينة في أبهة عظيمة تليق بمكانته[٥] .

وتجدر الإشارة إلى أنه أقر القاضي جمال الدين محمد بن سعيد كبن[٦] على وظيفة القضاء، وكان قد تولاها منذ عهد الناصر[٧] ، فيما ولى الأمير سيف الدين الدمرداش على المدينة[٨] ، أما نظر الثغر فقد عهده للأمير عفيف الدين عبدالله الشمسي[٩] .

وبعد وفاة الأشرف الرابع إسماعيل بن يحيى الذي تولى الملك خلفاً للظاهر بدأ العد التنازلي لنهاية الدولة الرسولية ، حيث اشتد الصراع بين الرسوليين على السلطة ، وكانت عدن محور اهتمام المتنافسين ، فساءت أوضاع البلاد عامة ، ودخلت في غياهب التفكك والانحلال السياسي لتأذن بصعود قوى طامحة جديدة تدعو للتغيير وانتشال البلاد مما هي فيه.

---

١) ابن الديبع ، قرة العيون ، ج ٢ ، ص١٢٦ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥٦٧ .
٢) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٠٩ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ج ٢ ، ص١٢٧ .
٣) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٠٩ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ج ٢ ، ص١٢٧ ؛ يحيى بن الحسين، غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥٦٧.
٤) المباه: قرية صغيرة كانت قائمة تحت عدن بينها وبين عدن ربع فرسخ (واحد كيلو متر تقريباً) تقيم فيها الرفقة من الناس والقوافل الوافدة إلى عدن والمغادرة منها ، ويتهيؤون فيها بالغسل ولبس الثياب ونحو ذلك ثم يسيرون جميعاً ، وبها دكاكين ومحلاجة وبيوت ، وأغلب أهلها صيادون ، ويحرقون النورة والحطم ، وبها مسجد قديم جدد عمارته السلطان الطاهري عامر(الثاني) بن عبدالوهاب . بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج١، ص١٨ ، ١٩ ؛ محيرز ، العقبة ، ص٤٧. انظر: لوحة رقم (١٢).
٥) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٤٧ .
٦) انظر ترجمته فيما سيأتي ، ص٢٧(ح٢) .
٧) البريهي ، عبدالوهاب بن عبدالرحمن ، طبقات صلحاء اليمن (تاريخ البريهي) ، تح: عبدالله الحبشي ،ط٢، صنعاء ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ، ص٣٣١ ؛ السخاوي ،شمس الدين محمد ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج٧ ، نشر مكتبة القدس ، القاهرة ، ١٣٥٣هـ، ص٢٥١ .
٨) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٣٤ .
٩) المصدر نفسه ، ص٢٤٦ .

ثانياً- النشاط التجاري في عدن :

ذكر ابن المجاور أنه كان يرسو تحت جبل صيرة [١] مابين سبعين إلى ثمانين مركباً كل عام، وأنه كان يرفع من عدن إلى تعز أربع خزائن كل عام : خزانة قدوم المراكب من الهند، وخزانة دخول الفوّة [٢] إلى عدن، وخزانة خروج الخيل من عدن إلى الهند ، وخزانة سفر المراكب إلى الهند ، وأن مقدار كل خزانة يبلغ نحو مائة وخمسين ألف دينار، ثم انقطعت الإيرادات إبان عهد السلطان نور الدين عمر بن علي بن رسول أول سلاطين دولة بني رسول بسبب ظلمه والضرائب التي فرضها على السلع التجارية واستباحة أموال التجار في عدن ، مما أدى إلى هروب التجار إلى جدة والهند وغيرهما[٣]، بيد أن المؤرخ ابن عبدالمجيد اليماني، ينفي ذم نور الدين ويثني عليه بقوله:"وكان ملكاً حازماً كريماً سريع النهضة حسن السياسة "[٤].

وأياً كان صحة قول هذا أو ذاك، فإن سلاطين بني رسول حرصوا كأسلافهم على السيطرة على ثغر عدن طوال حكمهم الذي دام قرنين وثلث القرن، وكان عصرهم أوسع العصور رخاءً وازدهاراً بالنسبة إلى عدن، وبلغ فيه نشاط عدن التجاري حداً لم يبلغه في أي عهد،إذ أوردت المصادر أن دخل الدولة من ضرائب السلع التجارية الواردة إلى عدن والصادرة منها كان في بعض السنين يزيد على سبعة عشر لكاً(مليون وسبعمائة ألف) من الدنانير[٥]، في حين لم يكن حده الأعلى من قبل يزيد على ستة لكوك (ستمائة ألف) من الدنانير[٦] .

---

١) جبل صيرة: يقع إلى الشرق من مدينة عدن، وقد أطلق على الجبل وعلى ساحله الذي يمتد من سفح جبل حقات شرقاً إلى سفح سلسلة جبال المنصوري غرباً بالاسم نفسه، فهو جبل صيرة، ساحل صيرة، خليج صيرة، ويطل هذا الجبل على الميناء والفرضة. ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص١١١؛ بامخرمة،تاريخ ثغر عدن، ج١، ص١٧؛ محيرز ، صيرة: أبحاث متعمقة عن بعض معالم عدن ومرافقها الاقتصادية والعسكرية، ط١،جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، سبتمبر١٩٩٢م،ص١٤- ١٥. انظر: لوحة رقم (٦).

٢) الفوّة: انظر تعريفها فيما سيأتي، ص١٢٢ .

٣) المستبصر ، ص١٤٩.

٤) بهجة الزمن، ص٨٧ .

٥) تم استخدام الدنانير والدراهم التي ضربها سلاطين بني رسول في المعاملات التجارية المتعددة منها ماتم ضربه في دار السكة بعدن، ومنها ماتم ضربه في زبيد . انظر: بلعفير، محمد صالح، "كنوز ومجموعات النقود الإسلامية في متاحف اليمن"، مجلة التراث، ع(٦) ، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، عدن، يوليو١٩٩٦م، ص٣٢؛ خليفة ، ربيع حامد ، "طراز المسكوكات الرسولية"، مجلة الإكليل،ع(٢)، وزارة الثقافة، صنعاء، السنة السابعة،١٩٨٩م/١٤٠٩هـ، ص٤٥؛ الشميري، فؤاد عبدالغني محمد، تاريخ اليمن سياسياً وإعلامياً من خلال النقود العربية الإسلامية للفترة من القرن الثالث إلى التاسع/ التاسع إلى الخامس عشر (٣-٩هـ/ ٩-١٥م)، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ،١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م،ص١٤٢؛ الطميحي، مسكوكات بني رسول،ص٦٥.

٦) كان بنو معن يرفعون للصليحيين خراج عدن ويقدر بنحو ١٠٠ ألف دينار. الخزرجي، العسجد المسبوك فيمن فيمن وليّ من الملوك، مخطوط مصور،ط٢، منشورات وزارة الأعلام والثقافة، صنعاء ، مشروع الكتاب ١/٦، دمشق،١٩٨١م،ص٨٣. وجاء بعدهم الزريعيون فكانوا يرفعون للصليحيين الخراج ذاته أي ١٠٠ألف دينار وهو مهر السيدة بنت أحمد الصليحي .عمارة اليمني، نجم الدين عمارة بن علي بن زيدان بن أحمد الحكمي، تاريخ اليمن المسمى: المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، تح: محمد بن علي الأكوع، ط٣، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء، ١٩٨٥،ص١٤١؛ ابن المجاور، المستبصر، ص١٢٢. أما في عهد الأيوبيين فبلغت خزانة عدن نحو ستمائة ألف دينار. ابن المجاور، المستبصر،ص١٤٩؛ محمد كريم إبراهيم =

والجدير بالذكر، أن نمو دخل الدولة من الضرائب ووصوله إلى أعلى مستوى لم يحدث في عهد مؤسسها السلطان نور الدين عمر بن علي (٦٢٦-٦٤٧هـ/١٢٢٨-١٢٤٩م)، ولا في عهد المظفر يوسف بن عمر بن علي أو الأشرف عمر أو المؤيد داود [١] ، وكذا المجاهد علي والأفضل عباس ، بل إن ذلك الارتفاع كان في عهد الأشرف إسماعيل (٧٧٨-٨٠٣هـ/١٣٧٦-١٤٠١م)[٢].

لكن هذا الارتفاع الهائل الذي بلغته خزانة عدن لم يكتب له الاستمرار في الخمسين سنة الأخيرة من عصر الدولة الرسولية، إذ سرعان ما تذبذب وتهاوى تدريجياً، ففي عهد الناصر أحمد بن إسماعيل قدرت خزانة عدن سنة ٨١٣هـ/١٤١١م بعشرة لكوك (مليون) من الدنانير فضلاًَّ عن الهدايا[٣]، وفي سنة ٨١٧هـ/١٤١٤م زاد دخل الخزانة مجدداً حتى وصل أربعة عشر لكاً (مليون وأربعمائة ألف) من الدنانير[٤]، ثم تدهور معدل الإيراد[٥] حتى وصل إلى خمسة لكوك (خمسمائة ألف) في عهد الظاهر يحيى وذلك سنة ٨٣٤هـ/١٤٣٠م ، وفي السنة التالية تدنى الدخل إلى ثلاثة لكوك (ثلاثمائة ألف)، ثم زادت لكاً واحداً(مائة ألف) سنة ٨٣٦هـ/١٤٣٣م ، ثم مالبث أن تدنى ثانية حتى قارب لكاً واحداً (مائة ألف) من الدنانير غير الهدايا والملبوسات سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٧م[٦] ، هذا ولم تشر المصادر إلى دخل خزانة عدن في السنوات الأخيرة(٨٤٠-٨٥٨هـ/١٤٣٧-١٤٥٤م) أي حتى قيام الدولة الطاهرية.

ويفهم من الإحصاءات الآنفة الذكر ، أن نمو معدل الإيراد وانخفاضه في خزانة عدن قد تأثر بعوامل عديدة أهمها :

= ،عدن: دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية (٤٧٦-٦٢٦هـ/١٠٨٣-١٢٢٨م)، منشورات مركز دراسات الخليج العربي- جامعة البصرة ، البصرة ، ١٩٨٥م،ص٢٩٢.

١) وللدلالة على تواضع دخل الخزانة ماذكره ابن الديبع من أن المؤيد داود وهب خزانة عدن لأحد ندمائه ويدعى الأمير شمس الدين علي بن رضوان . قرة العيون ،ج ٢،ص٦٥.

٢) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص١٣٠.

٣) المصدر نفسه ، ص١٦٠. كما يذكر أنه في سنة ٨١٠هـ في عهد السلطان الناصر منَّ الله على جهات حضرموت بالغيث فرخصت الأسعار حتى بلغ الطعام قهاول(١ مداً) بدرهم كبير ، والتمر ٢٥رطلاً بدرهم كبير، والسمن ٣ أرطال بدرهم كبير. الكندي ، سالم بن محمد بن سالم بن حميد، تاريخ حضرموت المسمى: العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة ، مج١، تح: عبدالله محمد الحبشي ،ط١،مكتبة الإرشاد ،صنعاء،١٤١١هـ/١٩٩١م، ص١٣٧.

٤) الحسيني، الحسن بن علي الشريف، ملخص الفطن والألباب ومصباح الهدى للكتاب، نسخة مصورة عن مكتبة الأمبروزيانا ، ميلانو، رقم H ١٣٠ ، ق٢٨ب .

٥) عانت حضرموت هي الأخرى شظف العيش، ففي جمادى الأولى سنة ٨٢٣هـ، وقعت مجاعة غلت فيها الأسعار، وقلّت المواشي وغلت أسعارها ومات أكثر الناس جوعاً، وأكلوا الحمير والقطط والكلاب، وخلت ديار كثيرة من أهلها. الكندي ، العدة المفيدة ، مج١، ص١٤١،١٤٠.

٦) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٤٢، ٢٤٩، ٢٥٩، ٢٧٠، ٢٧٨، ٢٨٧، ٢٩٤، ٣٠٠، ٣٤٠ .

١ -جور الحكام والولاة ، حيث ذكر ابن المجاور[١] تحت عنوان خراب عدن سنة ٦٢٥هـ/ ١٢٢٧م ما يفيد عن جور نور الدين عمر بن علي ، واحتكاره بيع السلع وشرائها بعدن وظلمه للتجار وإن كان فيما يبدو حينها نائباً للملك المسعود يوسف بن الكامل محمد الأيوبي، بالإضافة إلى نشاطه الواسع في التجارة ، ومع ذلك كان هذا التصرف قد أساء إلى النشاط التجاري في ميناء عدن وهروب التجار إلى موانئ أخرى .

ومهما يكن من أمر، فإن العدالة لا تتحقق إلا بعزم السلطان أو الوالي وشدة همته، ولا تزدهر التجارة إلا تحت ظلال الحكام الأكفاء الذين يراعون مصلحة الدولة قبل مصالحهم وأهوائهم الشخصية وذلك من خلال تشجيع التجار ونواخيذ البحر ، وترغيبهم بالسكنى، وإبطال المكوس وبعض الضرائب الجائرة ، والعمل على إنعاش النشاط التجاري .

٢ -الأمن والاستقرار؛ لأن النشاط التجاري لا يزدهر في ظل الفوضى والقلاقل والفتن والنهب والسلب، فالتاجر دائماً ما يبحث عن المواطن الآمنة التي تتكفل بسلامته وتحافظ على مصالحه التجارية ، فأينما وجد الاستقرار راجت التجارة وانتعش الاقتصاد ، بيد أن هذا العامل كان مهزوزاً وشبه غائب في عهد السلطان الناصر أحمد بن إسماعيل فقد ناوأته القبائل المحيطة بعدن كالجحافل ، وقد يرجع سبب تمردهم عليه إلى سوء أحوالهم المعيشية وليس الرغبة في معاداة السلطان وإرهاب الناس ؛ أما يافع التي غض الطرف عن شطحها وتجبرها في مدينة عدن فإن ذلك يعود دون أدنى شك إلى كثرة عددهم في المدينة ثم تنافس فخذيها من **آل** أحمد[٢] وآل كلد[٣] ورغبة كل منهما التسلط على الآخر عبر بوابة الهيمنة على مفاصل إدارات الثغر، وبهذه العوامل مجتمعة أصبحت يافع القوة الفعلية وصاحبة السيطرة ، وهو الأمر الذي فقده السلطان تدريجياً.

وأياً كان الأمر، فقد غدت سمة الفوضى والاضطراب ملازمة لعهود من جاء بعد الناصر، إذ تولى الحكم سلاطين ضعفاء ابتداء من السلطان المنصور عبدالله حتى نهاية حكم السلطان المسعود سنة ٨٥٨هـ/١٤٥٤م[٤]، فخلال هذه الفترة عمت الفوضى وشاعت التمردات القبلية في مختلف مناطق اليمن[٥]، فيما زاد نفوذ العبيد والمماليك الذين عملوا بدورهم على إذكاء الصراع السياسي والحربي بين الأمراء والسلاطين الرسوليين للتنافس

١) المستبصر ، ص١٤٧، ١٤٨.
٢) آل أحمد: من قبائل يافع يسكنون جبل لبعوس، سيطروا على عدن في القرن السابع الهجري. المقحفي، معجم البلدان،ج١، ص٣٦ .
٣) آل كلد : بطن من قبائل يافع ديارهم في القارة رصد وأعمال أبين، وهي قبيلة كبيرة سيطرت على عدن في القرن التاسع الهجري . المقحفي، معجم البلدان ،ج٢،ص١٣٥.
٤) ابن الديبع، قرة العيون، ج٢ ، ص١٢٦-١٤٢؛ يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ج٢، ص٥٦٧-٥٨٤ .
٥) ابن الديبع ، قرة العيون ، ج٢ ، ص١٢٧ .

على الحكم، فلم يؤد ذلك إلى تدهور الحركة التجارية في ميناء عدن فحسب بل آل إلى انحلال الدولة الرسولية وزوالها[١] .

٣ -تأمين خطوط الملاحة وحمايتها من القراصنة والحد من ظاهرة التجوير[٢] التي برز أثرها واضحاً بعد وفاة السلطان الناصر سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٤م ، وجاءت بنتائج مخيبة زادت من معاناة الحركة التجارية في ثغر عدن[٣] .

٤ -حسن العلاقات مع حكام الدول والأقطار ذات العلاقة بالنشاط التجاري مع ميناء عدن .

وعلى أية حال، لا يعد إيرادنا لهذه العوامل انتقاصاً من همة وعزم سلاطين بني رسول للاهتمام بميناء عدن، بل إن الحقيقة مغايرة تماماً لذلك، إذ إن الحركة التجارية لهذا الثغر لم تبلغ ذروتها إلا في العصر الرسولي، في حين لم تتمكن الدول السابقة واللاحقة لها من تحقيق أدنى مستويات الدخل الذي بلغته الدولة الرسولية، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أهمية ثغر عدن في التاريخ السياسي لسلاطين بني رسول، وتتجلى هذه الأهمية من خلال المحاولات المتكررة التي قام بها السلاطين للسيطرة عليه ، لا لشيء إنما لضمان المورد المالي الذي يساعدهم في تثبيت ملكهم، ويعينهم على مواصلة الحروب ضد منافسيهم ، والدليل على ذلك أن المنصور أيوب بن يوسف نازع ابن أخيه المجاهد علي بن داود على الحكم في أول عهده، واستولى ابن عمه الظاهر بن المنصور أيوب على عدن ولحج بوساطة خادمه عمر بن الدويدار، فلم يثبت المجاهد ملكه حينها إلا بعد أن سيطر على عدن[٤] .

والجدير بالملاحظة مما تقدم ، هو أن ثغر عدن لم يكن ذا أهمية لدى بني رسول إلا أنه مرسى المراكب القادمة من الشرق والغرب ، ونال ميناؤها الحظ الأوفر من الاهتمام والعناية من الناحيتين الإدارية والمالية .

---

١) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية، ص ٢٠٧ وماليليها؛ ابن الديبع، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تح: عبدالله محمد الحبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمانية، صنعاء، ١٩٧٩م، ص١٢١؛الكبسي، اللطائف السنية، ص١٦٩ . .

٢) المجور : بفتح الجيم وتشديد الواو مع الكسر، يطلق في اللهجة العامية باليمن على من سلك ببضاعة طريقاً خفية غير الطرق المألوفة، هرباً من رجال الجمارك، وفي بعض المصادر تطلق على من كان يتجاوز ميناء عدن من التجار والنواخيذ في عهد الملك الظاهر الرسولي، ويتعامل مع ميناء جدة .شهاب، حسن صالح ، "عدن في عهد الدولة الرسولية"، مجلة التراث، ع(٤) ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، عدن ، يناير-مارس١٩٩٢م/رجب-رمضان١٤١٢هـ ، ص١٦؛ عدن فرضة اليمن، ط١، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص١٧٩ . ولمزيد من التفاصيل حول حركة التجوير. انظر : دراج، أحمد، إيضاحات جديدة عن التحول في تجارة البحر الأحمر منذ مطلع القرن التاسع الهجري، الجمعية المصرية التاريخية الموسم الثقافي ١٩٦٧- ١٩٦٨م، الهيئة المصرية للكتاب، مط عين شمس، القاهرة، د.ت، ص ١٨٥ .

٣) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص٣٠٤ ؛عبد العال، بنو رسول، ص٤٥٩، ٤٦٠؛ شهاب، عدن في عهد الدولة الرسولية، ص١٨ .

٤) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص٩١ ؛ قرة العيون، ج٢،ص٧٠-٧٣ ؛ شهاب ،"عدن في عهد الدولة الرسولية"، ص٨.

ثالثاً- الحركة العلمية في عدن :

يعد عصر بني رسول أزهى عصور الدول اليمنية وأكثرها نهضةً وازدهاراً حتى إن بعض المؤرخين وصفوا فترة حكمهم لليمن بالعصر الذهبي، فقد شهدت اليمن في عصرهم تحولاً نوعياً كبيراً في جميع المجالات السياسية والحضارية، على أن الأخير كان الأكثر تميزاً وبروزاً لاسيما في الجانب الثقافي والعلمي، حيث دلت الشواهد التاريخية على حرص الرسوليين على الارتقاء بالحياة العلمية والفكرية واهتمامهم المتزايد بالعلوم المختلفة كالطب والرياضيات والفلك والزراعة والفقه والتفسير والتاريخ والأنساب وغيرها من العلوم، وشجعوا على دراستها[١]، كما فتحوا أبوابهم لاستقبال العديد من العلماء والمفكرين والمؤرخين، وبذلوا الأموال الجليلة لشراء الكتب، وأمروا بنسخها وتوزيعها على الجوامع والمساجد حرصاً منهم على تنوير الأمة بالمعارف الجديدة التي ألفها أعلام الفكر الإسلامي وقتذاك.

ولعل وفرة دخل خزانة الدولة الرسولية وطول فترة حكمهم لليمن الممتدة من ٦٢٦هـ/١٢٢٨م حتى ٨٥٨هـ/١٤٥٤م كانا من العوامل الرئيسة التي ساعدت إلى حدٍ كبير في إنتاج ثروة علمية وفكرية ضخمة متعددة المعارف، وقيام مؤسسات تعليمية عديدة نالت زبيد منها النصيب الأكبر، وتلتها تعز فيما حلت عدن في المرتبة الثالثة .

غير أن هذا الأمر لايدعو للاستغراب، فلطالما حرص بنو رسول على أن تظل عدن المدينة الرائدة تجارياً، وسخّروا جهودهم في توفير عوامل الاستقرار التي ساعدت في جذب الأموال المحلية والخارجية إلى هذا الثغر ، الأمر الذي قلل من أهميتها لهم كمركز علمي ينافس المدن الأخرى .

وبناءً على ذلك، ظلت عدن مدينة تستقبل القادمين وتودع المغادرين، تستفيد منهم ويستفيدون منها ومنهم العلماء الذين نجد أغلبهم دخلوا عدن ثم خرجوا منها وقليل منهم طاب له المعاش فاستوطنها ، لذا كانت الرحلة إلى عدن هي أساس الحركة العلمية لأنها محطة مرور

---

١) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٨٤ ، ٤٤١ ـ٤٤٢ ،ج٢، ص١١٨ـ١١٩ ، ١٢٥ـ ١٢٦ ، ١٥٨ـ ١٥٩ ، ٣١٧ـ٣١٨ ؛ الحضرمي ، عبدالرحمن بن عبدالله ،زبيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية ، صنعاء، المعهد الفرنسي ،دمشق،٢٠٠٠م، ص٤٠ ؛ لقمان ، تاريخ عدن، ص١٠٥؛ الثور، عبدالله، هذه هي اليمن، ط٢، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩م، ص٣٠١ـ ٣٠٦ ؛ الأكوع، إسماعيل بن علي، المدارس الإسلامية في اليمن ، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص١٥ ومايليها ؛ فخري،أحمد، اليمن ماضيها وحاضرها،ط٢،منشورات المدينة،بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م،ص٢٠٠ ؛ الأغبري، بدرسعيد ،"أسباب ازدهار التعليم في عهد بني رسول (٦٢٦ ـ ٨٥٨هـ/ ١٢٣١ـ ١٤٥٤ م)" ، ندوة الاحتفال بالمئوية الثامنة للمدرسة الياقوتية ، دار جامعة عدن ، عدن ، ٢٠٠١ م، ص٦٧ ـ ٧٥ ؛

Nützel, Heinrich: Münzen der Rasuliden Nabst Einem Abriss der Geschichte Dieser Jemenischen Dynastie Coins of the Rasulids Comprising Asynopsis of the History of Yemenite Dynasty, Translated by: Dr. Alferd Kinzelbach, Mainz . 1987 , P. 10 .

العلماء أو التجار العلماء الوافدين إليها من المشرق والمغرب ومن مناطق اليمن المختلفة[١] ، مما ساعد إلى حدٍ كبير في ازدهار الحركة العلمية في عدن وإن كان لا يرقى إلى ماوصلت إليه زبيد معقل الرسوليين وحاضرتهم الثقافية .

وحتى لا نبخس الرسوليين أشياءهم، نقول : إن الحكام الرسوليين ساهموا إلى حدٍ ما في بناء المؤسسات التعليمية لاسيما المدارس والمساجد ، فيما ساهم أهل عدن من التجار والعلماء الميسورين ببناء المساجد والأربطة والزوايا[٢].

ولما كانت المدرسة هي أهم المقرات العلمية، فقد تبيّن ندرتها في عدن مقارنة بالمدن الأخرى كزبيد وتعز وغيرها، ويفسر الشجاع[٣]هذا الأمر على أنه يعود إلى قلة أهل عدن المستقرين الذين لا يحتاجون إلى أكثر من مدرسة، كما كان الراحلون إلى عدن يلقون معارفهم في المجالس المنزلية أو في الهواء الطلق أو المساجد أو الرباطات ، وبذلك أصبحت المساجد بديلاً عن المدارس.

وفي ضوء هذا التفسير، يمكننا القول: إن المسجد في عدن صار المقر الرئيس لتلقي معظم المعارف، فشيد تجار المدينة عدداً لا بأس به من المساجد ورتبوا فيه المدرسين والأئمة والمؤذنين، وأوقفوا عليها ما يكفي لسد احتياجاتها .

وكان للرسوليين دور مهم في إنشاء أربطة الصوفية وازدهار التصوف في مناطق اليمن ومنها عدن ، كما اهتم عدد من الميسورين بإقامة الأربطة فأدت دورها التدريسي إلى جانب تربية المريدين على سلوكيات التصوف وطرائقه المختلفة .

وعلى خلفية العلم والعلماء، نود القول: إن أهل عدن ولاشك قد استفادوا من العلماء الوافدين[٤] وكذا ممن خرج من أهل عدن لطلب العلم في الأقطار الإسلامية[٥] ، الأمر الذي

---

١) الشجاع ، "ملامح الحركة العلمية في ثغر عدن إبان عهد بني رسول "، مجلة اليمن ، ع(٢٢)، مركز البحوث والدراسات اليمنية ، جامعة عدن ، عدن ، شوال١٤٢٦هـ/نوفمبر٢٠٠٥م ، ص٣٦ .

٢) الأربطة والزوايا: هي مقرات خاصة بالصوفية ، وهي مأوى للمريدين ومن يريد الدراسة وأداء بعض العبادات ، والزاوية أصغر من الرباط وقد تبدو شبيهة بغرفة صغيرة ينقطع فيها المتصوفة للعبادة وممارسة شعائر الصوفية . الحبشي ، عبدالله محمد ، الصوفية والفقهاء في اليمن، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م ، ص٢٧ .

٣) "ملامح الحركة العلمية" ، ص٣٧ .

٤) من العلماء الوافدين: عبدالله بن عمر الاسكندري المعروف بالنكزاوي صاحب مؤلف الكامل، وأبو الفضائل الحسن بن محمد الصفاني (ت٦٦٥هـ/١٢٦٧م)؛ وشيخ الإسلام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م). الجندي، السلوك ، ج٢، ص٤٣١ ـ ٤٣٢ ، ج١ ، ص٢٨٣، ج٢، ص٤٠١ ـ٤٠٢ ؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٦٩ ؛ السخاوي ، الجواهر والدرر في شيخ الإسلام ابن حجر، ج١، تح: إبراهيم حسن عبدالمجيد، دار ابن حزم ، بيروت ، ١٩٩٩م، ص١٤٩؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن ، ج٢ ،١١٧؛ النسبة إلى المواضع والبلدان ، منشورات مركز الوثائق والبحوث، أبوظبي ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص٣٨٩؛ الكندي ، العدة المفيدة، ج١، ص٦٣ .

٥) ومنهم: أبوبكر بن يوسف بن إسحاق العدني المعروف بابن المستأذن . السخاوي، الضوء اللامع، ج١١، ص٩٨ ؛ البريهي ، طبقات صلحاء ، ص٣٣٠ .

انعكس إيجابياً على أهل المدينة، حيث أصبحت تمتلك نخبة من العلماء والفقهاء كانت لهم بصماتهم في إثراء الحياة العلمية .

وقد برع في العلوم الدينية عدد من العلماء نذكر منهم القاضي شرف الدين حسين بن علي الفارقي (ت٨١٠هـ/١٣٨٩م) الذي وصف بأنه قاضي عدن وفقيهها ومدرسها ومقريها[١] ؛ والفقيه جمال الدين محمد بن سعيد بن كبن(٧٧٦ـ٨٤٢هـ/١٣٧٤ـ١٤٣٨م) الذي يعد في تقديري فلتة عدن في العصر الرسولي نظراً لاهتماماته العديدة وبراعته في عدد من العلوم الدينية والدنيوية[٢] ، والمفسر عبدالله بن أسعد اليافعي (ت٧٦٨هـ/١٣٦٧م) الذي ألّف كتباً قيمة في علم التفسير منها: (الأنوار اللائحة في أسرار الفاتحة) ، و(الدّر النظيم في خواص القرآن الكريم والآيات والذكر الحكيم)[٣].

وشهد علم الطب نهضة جيدة ساهم فيها سلاطين هذه الدولة ، فقد وفد إلى اليمن عدد من الأطباء المهرة [٤]، إذ يذكر أن السلطان المظفر أرسل إلى السلطان بيبرس سلطان مصر يطلب منه طبيباً لمدينة ظفار الحبوضي لأنها موبوءة[٥]، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على اهتمام بني رسول بالمجال الصحي .

ونظراً لأهمية هذا العلم فقد اشتغل أهل عدن بهذه المهنة ومنهم: العالم أبوبكر محمد بن الحسين التيمي الفارسي (ت٦٧٦هـ/١٢٧٨م) وله مؤلفات في هذا الاتجاه منها: (كتاب في معرفة السموم)، وكتاب في البيطرة بعنوان (التبصرة في علم البيطرة)، وله أيضاً (الدرة المنتجة في الأدوية المجربة)[٦]، كما كانت لهذا العالم اهتمامات أخرى في علم الفلك وله في ذلك (آيات الآفاق الآفاق في خواص الأوفاق)[٧]، وأخذ عنه ابنه أبو عبدالله محمد بن أبي بكر ومن مؤلفاته: (نهاية

---

١) اليافعي ، أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ج٤،ط٢، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ص٢٧٥ .

٢) برع ابن كبن في علم الحديث ، وله مؤلفات في الفقه منها : مفتاح الحاوي المبين بين النصوص والفتاوى ونكت على الحاوي ، وفي علم الطب له (وصف الطب لكشف الكرب)، كما كان ابن كبن عالماً بالرياضيات والحساب والجبر والمقابلة، وغير ذلك من الاهتمامات التي أفادت أهل عدن آنذاك . السخاوي ، الضوء اللامع، ج٧، ٢٥٠ ـ٢٥٢؛ البريهي ، طبقات صلحاء، ٣٣١ ـ٣٣٥ ؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن ، ج٢، ص٩١ـ٩٢ ؛ الحبشي ، عبدالله محمد، مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ، مركز الدراسات اليمنية، صنعاء، د.ت، ص٢٦٤ .

٣) الحبشي ، مصادر الفكر، ص١٩؛ الحنكي ، عبدالكريم، " عبدالله بن أسعد اليافعي " ، مجلة اليمن، ع(٢١)، مركز البحوث والدراسات اليمنية، جامعة عدن، عدن، مايو ٢٠٠٥ ،ص٩٧.

٤) فاروق أحمد حيدر، التعليم في اليمن في عهد دولة بني رسول خلال القرنين السابع، الثامن الهجريين، سلسلة إصدارات جامعة صنعاء، لعام ٢٠٠٤م(٣)، مؤسسة الميثاق للطباعة والنشر، صنعاء، ٢٠٠٤م، ص٨٨ .

٥) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية، ج١ ، ص٢٣٤ .

٦) الجندي ، السلوك ،ج٢ ، ص٤٢٩ ؛ فاروق حيدر، التعليم في اليمن، ص٨٨؛ المختار، عبدالرحمن أحمد، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين، رسالة دكتوراه ، جامعة صنعاء، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ص٣٩٢ .

٧) الجندي، السلوك ،ج٢،ص٤٢٩؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية،ج١ ،ص١٦٨ .

الإدراك في سرائر وعلوم الأفلاك) و (معارج الفكر الوهيج في حل مشكلات الزيج)[١]، غير أن أبا عبدالله محمد لم يكن موسيقياً كأبيه الذي ألّف في الطرب والموسيقى: (دائرة الطرب) و(رسالة في الموسيقى) وكتاب آخر في وضع الألحان[٢].

أما علم التاريخ فمن اللافت للنظر أن علماء عدن لم يؤرخوا لمدينتهم كغيرهم من أعلام المدن اليمنية كصنعاء وزبيد وغيرها، إذ نجد المؤرخ أحمد بن عبدالله الرازي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م) قد فتح باب هذا المجال للمؤرخين اللاحقين له عندما كتب (تاريخ صنعاء)، وسار على خطاه المؤرخ عبدالرحمن محمد الحبيشي (ت٨١٣هـ/١٤١٠م) وألف (تاريخ وصاب)، بيد أن ابن سمرة الجعدي الذي درس في عدن مؤلف كتاب (طبقات فقهاء اليمن)[٣] ومحمد بن أبي أبي بكر بن محمد التيمي الفارسي الذي له نبذ من تأريخ اليمن[٤]، وكذا الجندي الذي عاش ودرس ودرس في عدن مؤلف المصنف المشهور (السلوك في طبقات العلماء والملوك)[٥]، قد اقتصر تأليفهم على الطبقات ولم يفردوا لعدن مؤلفاً واحداً وهم أهلها وعلماؤها .

وقد جاء وصف مدينة عدن في مؤلفات المؤرخين الذين زاروها، كابن بطوطة الذي زارها في عهد المجاهد سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م ،وجاء وصفها في كتابه المشهور (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ، فضلاً عن صفة ابن المجاور المسماة: (بالمستبصر).

ونستخلص مما سبق إيراده، أن حركة التأليف في عدن بصفتها نتاجاً للحركة العلمية والفكرية لم تكن مواكبة لنشاط الحركة الثقافية التي ازدهرت في عصر بني رسول؛ لأن كثيراً من العلماء كانوا يتلقون علومهم ومعارفهم من كتب معروفة على أيدي مشايخ وعلماء وفدوا إلى عدن، وإذا ما وجدت بعض المؤلفات فهي إما مختصرات أو شروح أونظم بعض المصنفات في أبيات مقفاة[٦] ، بيد أن هذا لا يشير في حقيقته إلى ضعف قدرات أهل عدن الذهنية وعجزهم عن الابتكار والإبداع فقد كانت لهم مؤلفات مهمة في بعض العلوم العقلية كالطب والفلك على الرغم من شحتها .

ومن جهة أخرى بدت مشاركة العلماء واضحة في ولاية إدارات مدينة عدن كالقضاء والإفتاء والحسبة، كما كان لهم دور فعّال في أوساط الناس اجتماعياً ووعظياً ، في حين غابت مشاركتهم في المجال السياسي على الرغم من مكانتهم الروحانية التي تحظى باحترام وتوقير

١) الجندي، السلوك ،ج٢،ص ٤٣٠؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن ،ج٢، ص٢٠٦ ـ٢٠٧ ؛ الحبشي، مصادر الفكر، ص٤٨٣.
٢) الجندي، السلوك ،ج٢،ص٤٢٩؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية، ج٢ ، ص٢٢٨؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن ، ج٢، ص٢٠٩.
٣) الحبشي ، مصادر الفكر ، ص٤٠٧ .
٤) المرجع نفسه والصفحة .
٥) الجندي ، السلوك، ج٢، ص٤٢٥ ـ ٤٢٦ .
٦) الشجاع ،"ملامح الحركة العلمية" ،ص٤٥ .

الناس، مع العلم أن الأحوال المعيشية لأهل عدن قد تدهورت خلال الخمسين سنة الأخيرة من حكم الرسوليين ، وتأثرت بالصراعات الداخلية والفساد السياسي وغارات القبائل، ثم الانخفاض التدريجي في معدل الحركة التجارية لميناء عدن لأن غالبية سكان عدن[١] قد ارتبط دخلهم المادي بنشاط الفرضة .

ويبدو أن الظروف الاقتصادية المتقلبة التي عاشتها الأسر العدنية استدعت مشاركة المرأة في العمل الحرفي ، إذ يذكر أن نساء عدن ساهمن في دخل الأسرة بعمل القفاع [٢]، كما كانت لهن إسهامات واهتمامات أخرى في الحياة العلمية أغفلتها المصادر فيما عدا إشارات بسيطة متناثرة يستشف منها أن النساء العدنيات في عصر الرسوليين اتسمن بالفضل والعلم والزهد والتصوف[٣].

ونال النشاط العمراني بعدن قسطاً من اهتمام سلاطين بني رسول، إذ شيدوا المباني الدينية من مساجد ومدارس وتجديد بعض منها[٤] ، بالإضافة إلى إقامة المنشآت المدنية الخدمية لأهل عدن ، كما شجعوا التجار والعلماء الميسورين على المساهمة في الحركة العمرانية.

---

١) لايمكن تقدير عدد سكان عدن وفق معياري مستوى النشاط التجاري والهجرات الداخلية والخارجية؛ لأن عدن تعرضت سنة ٨٣٩هـ/١٤٣٦م في عهد الظاهر يحيى بن إسماعيل للإصابة بمرض الطاعون الذي وصل إليهم من بربرة واستمر أربعة أشهر ،وهلك فيه بضع عشرة آلاف ، وانتشر حتى وصل لحج وأبين وصنعاء . البريهي ،طبقات صلحاء، ص٩٢؛ بامخرمة، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، ج٣،تح: محمد يسلم عبدالنور، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م،ص٣٥٦٢؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج٢، ص٥٧٢،وذكر المقريزي أنه هلك في الطاعون (من أهل عدن) ممن عُرف اسمه سبعة آلاف وثمانمائة شخص . السلوك لمعرفة دول الملوك ،ج٤ ، تح: سعيد عبدالفتاح عاشور ، مط دار الكتب ، القاهرة، ١٩٧٢م ، ص٩٧٤.

٢) ابن المجاور، المستبصر، ص١٣٧؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن،ج ٢، ص٥٥ .

٣) السلطان الأشرف (الثاني) ، فاكهة الزمن ، ص٧٩٦ .

٤) انظر : فيما سيأتي ، ص٢٤٧ ومايليها .

الفصل الأول

تاريخ عدن السياسي في عهد الطاهريين

تاريخ عدن السياسي في عهد الطاهريين

أولاً- الأوضاع السياسية في اليمن قبل قيام الدولة الطاهرية :

شهد اليمن في الخمسين سنة الأخيرة من عصر الدولة الرسولية أزمة سياسية داخلية بالغة التعقيد، وذلك لغياب السلطة المركزية الموحدة لليمن إدارياً وسياسياً.

ففي مناطق الزيدية كان الوضع السياسي مشحوناً بالصراعات الحربية بين الأئمة أنفسهم على الحكم، حيث كان كل منهم يدعو لنفسه على أنه الأحق بالإمامة دون الآخرين، فبعد وفاة الإمامين: المنصور علي بن صلاح الدين ثم منافسه المهدي أحمد بن يحيى المرتضى بمرض الطاعون سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٧م، دعا كل من صلاح بن علي بن محمد بن أبي القاسم من أولاد الإمام الهادي يحيى بن الحسين وتلقب بالمهدي، والناصر بن محمد بن الناصر بن أحمد بن المطهر يحيى وتلقب بالمنصور، والمطهر بن محمد بن سليمان الحمزي وتلقب بالمتوكل[1].

وقد بويع الناصر وهو دون البلوغ فقام عنه قاسم بن عبدالله سنقر مولى الإمام المتوفي علي بن صلاح الدين لتدبير شؤون دولته على صنعاء، غير أن هذا الوضع لم يرضِ الإمام صلاح بن علي فقصدهما على رأس مجموعة محاولاً الاستيلاء على صنعاء، لكن محاولته باءت بالفشل ووقع في قبضة سنقر، إلا أنه لم يلبث في سجنه غير أيام بعد وساطة ومساعي زوجته الشريفة فاطمة بنت الحسن بن صلاح الدين ، فغادر معها إلى صعدة وهناك جمع رجاله لتكرار محاولة الاستيلاء على صنعاء، بيد أنه انكسر ثانيةً أمام عسكر الناصر الذين يقودهم سنقر[2].

وكانت هذه الانتصارات التي حققها سنقر قد أغرته بالاستيلاء على صنعاء، ومستغلاً في الوقت ذاته صغر سن الإمام الناصر بن محمد ، لكن الإمام فطن لهذه الخيانة فخرج من صنعاء متسللاً ولجأ إلى حصن هران [3] ليجمع القبائل حوله ويتقدم بهم لاستعادة صنعاء، فكان

---

١) عماد الدين إدريس ،عماد الدين إدريس بن عبدالله الأنف القرشي ، روضة الأخبار ونزهة الأسمار في حوادث اليمن الكبار والحصون والأمصار، تح: محمد بن علي الأكوع ، دار المعرفة ، صنعاء ،١٩٩٥م ، ص٢٩ ومايليها ؛ الكبسي ، اللطائف السنية ، ص١٦٩ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج٢، ص٥٧٣-٥٧٤ ؛ العرشي ، حسين بن أحمد ، بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، ١٩٣٩م ، ص٥٢ - ٥٣ . والإمام المتوكل هو: المتوكل على الله المطهر بن محمد بن سليمان بن يحيى بن الحسين بن حمزة بن علي بن محمد بن حمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبدالرحمن بن يحيى بن عبدالله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب . الكبسي ، اللطائف السنية ، ص١٦٩ .

٢) عماد الدين إدريس، روضة الأخبار، ص٤١-٤٢ ؛ الكبسي ، اللطائف السنية ، ص١٧١ ؛ الحداد ، محمد يحيى ، التاريخ العام لليمن : التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي منذ بداية التاريخ لليمن القديم وحتى العصر الراهن ، ج٢ ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ص١٦٧ .

٣) حصن هران : يقع بسواد ذمار شمالاً ، وهو مسقط من مساقط بلاد خولان . الهمداني ، صفة ، ص١٥٢-١٥٣،(ح٧) .

له ذلك بعد أن غادرها سنقر معلناً انضمامه إلى الإمام المطهر بن محمد بن سليمان ، لكن هذا الحلف لم يمكنهما من بلوغ صنعاء ، وتم النصر للإمام الناصر بعد معركة أسفرت عن مقتل عدد من رجال المطهر بينهم قاسم بن عبدالله سنقر فيما وقع الإمام أسيراً في قبضة الناصر، ثم تمكن من الفرار سنة ٨٤١هـ/١٤٣٨م(١).

وفي سنة ٨٤٦هـ/١٤٤٢م جرت حرب بين الإمامين صلاح بن علي والناصر بن محمد هُزم فيها الأول وتم أسره مرة أخرى(٢).

حاول الإمام الناصر بن محمد مدّ نفوذه شمالاً إلى صعدة سنة ٨٤٧هـ/١٤٤٣م، في حين كانت هذه المنطقة تحت يد الشريفة فاطمة بنت الحسن ، فتم للإمام الناصر الظفر بصعدة وانتزاعها من الشريفة فاطمة ، ثم غادرها إلى صنعاء(٣)، وفي سنة ٨٤٨هـ/١٤٤٤م عاد الإمام الناصر إلى صعدة غير أنه في هذه المرة كان مسالماً فصالح الشريفة فاطمة وأبقى لها بموجب بنود الصلح بعض النفوذ في صعدة ، كما تزوج من ابنتها الشريفة بدرة بنت محمد بن علي ، وعلى الرغم من تصالح الطرفين إلا أن الشريفة فاطمة لم تأمن جانب الناصر، ولذلك أرسلت تستدعي الإمام المطهر بن محمد للدفاع عن مصالحها(٤)، فأثار الأمر حفيظة الإمام الناصر وأعلن الحرب على المطهر ، وظلت الحرب بينهما حتى مابعد قيام الدولة الطاهرية سنة ٨٥٨هـ/١٤٥٤م(٥) .

أما الأوضاع في المناطق الخاضعة للحكم الرسولي فلايمكن الحديث عنها بمعزل عن بني طاهر باعتبارهم جزءاً لايتجزأ من السياسة الرسولية آنذاك، إذ تشير المصادر إلى أن أول ظهور لمشايخ بني طاهر على ساحة الأحداث السياسية التي شهدتها اليمن يعود إلى سنة ٨٠٣هـ/١٤٠١م أي في بداية عهد السلطان الناصر، وذلك إبان زحف الإمام علي بن صلاح الدين على أراضي الطاهريين لضمها تحت نفوذه، وحينها طلب الناصر من واليه عليها الشيخ علي بن طاهر بن عامر حماية إحدى قلاعها المهمة، غير أن ضعف حامية بني رسول هناك أجبرت الشيخ علي بن طاهر على التنازل عنها للإمام على كره منه نظير مبلغ من المال وفرس

---

١) عماد الدين إدريس، روضة الأخبار، ص٤٥-٤٦ ؛ الكبسي ، اللطائف السنية ، ص ١٦٧ ـ ١٧٢ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥٧٥ .
٢) الكبسي ، اللطائف السنية ، ص١٧٣ ـ ١٧٤ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥٨٢ ؛ العرشي ، بلوغ المرام ، ص٥٤ .
٣) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥٨١ .
٤) ذكر يحيى بن الحسين أن الإمام المطهر بن محمد قد تزوج بالشريفة بدرة بنت محمد زوجة الإمام الناصر، إذ رأى أعيان صعدة ضرورة فسخ نكاحها من الناصر بحجة أن شاهدي الناصر على عقد النكاح غير عدلين ، والدليل عندهم أن الإمام الهادي يشترط عدالة شهود النكاح . غاية الأماني، ج٢، ص٥٨٣.
٥) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥٨٢-٥٨٣ .

جواد أهدي له من الإمام، ثم استغل الطاهريون عودة الإمام إلى ذمار وأعلنوا الخلاف، فاضطر الإمام إلى مهاجمتهم، لكنهم سرعان ما اعتذروا له عما بدر منهم[١].

كما تجدر الإشارة إلى أن السلطان الناصر كان على علاقة طيبة مع الشيخ معوضة بن تاج الدين جد بني طاهر، إذ يذكر أن السلطان قد سافر لزيارة الشيخ في شوال سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٧م[٢]، وتوطدت عرى العلاقات بين الطرفين تبعاً لمصالحهما المشتركة، الأمر الذي أدى إلى استمرار جهود الشيخ معوضة الرامية إلى صد الهجمات التي شنها الإمام في ذي القعدة سنة ٨١١هـ/١٤٠٩م حتى وافته المنية في جمادى الآخرة سنة ٨١٢هـ/١٤١٠م[٣]، وظل أبناؤه من بعده على اتصال دائم ببني رسول، وتعمقت أواصر هذه العلاقة أثناء قدوم الشيخ طاهر بن معوضة بن تاج الدين سنة ٨١٧هـ/١٤١٤م على السلطان الناصر أحمد بن إسماعيل وهو إذ ذاك في تعز، فأكرمه ومن كان في صحبته[٤]، ومنذ ذاك الوقت ظل بنو طاهر عمالاً للرسوليين على جهاتهم وموكلين بإقرار الأمر في المقرانة ورداع، ودرعاً واقياً يحول دون توسع الأئمة الزيدية جنوباً، ووكلاءهم على تجارتهم في عدن[٥].

وتأكدت هذه المخاوف حينما تقدم الإمام علي بن صلاح الدين إلى بلاد بني طاهر بغية الاستيلاء عليها سنة ٨٢٦هـ/١٤٢٣م ، فاستعان مشايخ بني طاهر بالسلطان الناصر أحمد والتقيا بموقع الصرام [٦] وحدثت بينهما معركة أسفرت عن هزيمة الإمام[٧].

وبعد وفاة الإمام علي بن صلاح الدين سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٧م ، لم يلبث أحد الأئمة المتنافسين وهو الإمام المتوكل أن أظهر أطماعه التوسعية جنوب ذمار، وتمكن رجاله من الاستيلاء على حصن رداع[٨] ، إلا أنهم تركوه بيد بني طاهر لخطب ودهم ولتأكيد حسن نياتهم[٩]، وربما قصد الإمام بموقفه هذا إقصاءهم عن الحرب القائمة بينه وبين بني رسول .

---

١) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥٥٨ .
٢) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص١٤٧ .
٣) ابن الديبع ، قرة العيون ، ج٢ ، ص٣٨٩ .
٤) ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص١٠٣ ؛ قرة العيون ، ج٢ ، ص١٢٢ ؛ بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٥٤٦ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥٦٣ ـ ٥٦٤ ، ٥٦٦ .
٥) الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ص٥٨٥ ؛ الجرافي ، عبدالله بن عبدالكريم ، المقتطف من تاريخ اليمن ، تقديم : الياس عبود ، دار الكتاب الحديث ، بيروت ، ١٩٨٤م ، ص٨٢ .
٦) الصرام : قرية في منطقة بني قيس من مديرية الرضمة وأعمال إب . المقحفي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٩٠٣ .
٧) ابن الديبع ، قرة العيون ، ج٢ ، ص١٢٢ . وذكر يحيى بن الحسين أنها وقعت سنة ٨١٨هـ . غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥٦٤ .
٨) حصن رداع : يقع في مدينة رداع التي تبعد عن ذمار شرقاً بمسافة ٥٣كم ، ورداع إحدى مديريات محافظة البيضاء . المقحفي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٦٨١ ـ ٦٨٢ .
٩) عماد الدين إدريس ، روضة الأخبار ، ص٣٤ .

وأياً كان الأمر، فقد استغل بنو طاهر حالة الحرب بين الأئمة أنفسهم، وانشغال الرسوليين عنهم ومدوا نفوذهم إلى الكثير مما يليهم من الأراضي والحصون المعدودة من أملاك الطرفين[١].

ويبدو أن حالة اللااستقرار في المنطقة قد أملت على بني طاهر اتباع سياسة متوازنة، فأوهموا كلا الطرفين بأنهم خير حليف وأهل للثقة، مع حذرهم الشديد من خطورة وصول المدّ الزيدي إلى أراضيهم .

وتبعاً لهذه السياسة ، لم يجدوا بداً دون تلبية نداء الإمام المنصور بالله الذي استعان بهم في حربه مع منافسه الإمام المتوكل[٢].

وعلى الجانب الآخر، لم يتوان بنو طاهر عن القيام بالمهام التي تُسند إليهم من قبل سلاطين بني رسول ، حيث كلفهم السلطان المظفر (الثاني) يوسف بن إسماعيل (٨٤٥-٨٤٦هـ/١٤٤٢-١٤٤٣م) بالقبض على الأفضل محمد بن إسماعيل ، فظفروا به وساروا به إلى تعز أسيراً[٣].

كان للنهج السياسي الذي تعامل به مشايخ بني طاهر مع الطرفين المتناقضين أثره المجدي على نفوذهم في المنطقة، إلا أنه مع ذلك لم ينجح في كل المراحل، إذ إن ظروف المنطقة الوسطى المحيطة بأراضيهم خرجت من حالة الهدوء والسكينة وأفرزت ظهور قوى قبلية ناهضت بني طاهر ونازعتهم على ما تحت أيديهم، ومن هذه القوى آل عمار[٤] الذين كثيراً كثيراً ما أثّروا على الإمام المنصور وأغروه بأراضي الطاهريين، حتى سارع إلى نجدتهم سنة ٨٤٨هـ/١٤٤٤م ، وحارب بني طاهر حتى وقع الصلح بين الجميع[٥] ، ثم مالبث الإمام المنصور أن أغار في غفلة من بني طاهر على مدينة دمت[٦]ودخلها ونهبها، وأجبر أهلها على اللجوء للحصن، ودخلت قواته دار داود بن طاهر فنهبوها وأرهبوا من كان فيها من النساء والأطفال[٧].

١) عماد الدين إدريس، روضة الأخبار ، ص٣٤.
٢) المصدر نفسه ، ص٣٨ .
٣) ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص١١٥ ؛ قرة العيون ، ج٢ ، ص٤٠٢ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥٨٠ .
٤) آل عمار : قبائل في بلاد النادرة ، وهم من قبائل دهمة في بلاد صعدة . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج٣ ، ص٦١١ .
٥) عماد الدين إدريس ، روضة الأخبار ، ص٤٣ - ٤٦ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج٢، ص٥٨١.
٦) دمت : مدينة جنوب شرق يريم بمسافة ٤٥ كم، وهي إحدى مديريات محافظة الضالع. المقحفي، معجم البلدان، ج١، ص٦٢٠ .
٧) عماد الدين إدريس ، روضة الأخبار ، ص٤٦ .

وعلى الرغم من الأثر الموجع الذي تركته هذه النكسة إلا أن بني طاهر لم يخضعوا له، وانتظروا حتى استقوى أمرهم وملكوا أرض ردمان[١] ودمت وغير ذلك من الحصون والبلدان، ثم عادوا إلى قتال آل عمار والإمام المنصور معاً، ولعل أقسى المعارك وأشدها فتكاً تلك التي شنوها سنة٨٤٩هـ/١٤٤٥م في غياب أخيهم الشيخ علي بن طاهر الذي كان حينها حاجاً، ففي هذه المعركة سقط كل من داود وعبدالباقي أبناء طاهر قتيلين، فيما نجا أخوهم عامر وسرعان ما قلب موازين الحرب ، وتغلب على آل عمار وحلفائهم ولاحقهم إلى معاقلهم ثأراً لمقتل أخويه[٢].

وعندها استنصر آل عمار الإمام فهب لنجدتهم كعادته وزحف بجيشه إلى بلاد بني طاهر، إلا أنه انهزم بعد معركة عنيفة أزهقت فيها الأنفس ، وانتصر الشيخ عامر بن طاهر بعد أن بذل الأموال الجزيلة لتحفيز حلفائه، وعاد الإمام يجر أذيال الهزيمة بعد أن تفرق عنه أصحابه، ثم لحق الشيخ عامر بالإمام إلى محطته وحاصره هناك وشدد عليه الخناق، حتى خرج أحد أنصار الإمام يعرض عليه تسليمه قصر آل سعيد في جبل صباح[٣] ، وفي المقابل يسلم الشيخ عامر له ما معه من الأسرى، والرجوع إلى بلاده حقناً للدماء ، فتم الصلح بينهما[٤].

إن الحرب الضروس التي خاضها مشايخ بني طاهر مع الأئمة وأعوانهم من القبائل في ظل غياب المساندة المأمولة من الرسوليين لم تثنهم عن مواصلة الطاعة لبني رسول، وإن كان في تقديري قد قبلها الطاهريون على مضض، إذ ذكرت المصادر أنه بعد عودة الشيخ علي بن طاهر من الحج عهد إليه السلطان المظفر يوسف وإلى أخيه مهام محاربة السلطان المسعود، فقاما بذلك دون تلكؤ أو تردد[٥].

أما زبيد فقد كانت شديدة الاضطراب والتوتر ، حيث استفحل أمر العسكر المماليك حتى استقلوا بالأمور دون أوليائهم، وعملوا على توسيع دائرة التنافس بين الرسوليين عندما أقاموا السلطان المؤيد حسين وزجوا به بين سلاطين بني رسول المتنازعين على الحكم لا لشيء وإنما لاستمرار الصراع زمناً أطول[٦].

---

١) ردمان : تقع شرق رداع ومن ديارهم حالياً: الزاهر، سيلان، النجد، رهبان، القشلة، العياشية، ولعلها كانت تشمل قديماً: قيفة، ورداع، والسوادية. المقحفي، معجم البلدان، ج١، ص٦٨٣ .
٢) عماد الدين إدريس ، روضة الأخبار ، ص٤٨ .
٣) وهو ما يسمّى القصر من مخلاف آل عامر صباح وهو خراب . عماد الدين إدريس ، روضة الأخبار ، ص٥٢ (ح)٢ .
٤) عماد الدين إدريس ، روضة الأخبار ، ص٥٣ .
٥) المصدر نفسه ، ص٥٥ ـ ٥٩ ؛ بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٥٨٥ ـ ٣٥٨٧ ؛ يحيى بن الحسين، غاية الأماني ، ج٢، ص٨٥٤ .
٦) ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص١١٩ .

وبعيداً عن زبيد ، كان لغياب السلطة المركزية في حضرموت آثارها السيئة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، فقد عمت الفوضى والاضطرابات وتناحرت القبائل فيما بينها، ويذكر بامطرف مقولة الربان سالم عوض باسباع الشحري عن حال الشحر حينها في كتابه (بهجة السمر في أخبار بندر سعاد المشتهر) ، حيث قال :"السلاطين يتقاتلون ويتصالحون على أهل الشحر، وأهل الشحر مثل قطيع الغنم يغور فيها الذئاب وهي رابضة في مكانها، وكأن ماشي يحصل ، فسبحانه مقدّر الأمور"[١].

وتجدر الإشارة إلى أن بني رسول قد حكموا الشحر منذ سنة ٦٧٧هـ/١٢٧٨م حتى سنة ٨٣٦هـ/١٤٣٣م، حيث انتزعها منهم الأمير محمد بن سعيد بن مبارك بن فارس الكندي المكنى ب:أبودجانة حاكم حيريج[٢] ، ثم حول مركز إمارته إلى الشحر، فيما حاول الرسوليون استعادتها عدة مرات إلا إن تلك المحاولات باءت بالفشل[٣].

ووسط تلك المحاولات التي شنها الرسوليون، كانت القبائل تتصارع فيما بينها والقوي فيهم يأكل الضعيف، ومن تلك القبائل آل يماني[٤] المستولون على تريم[٥] ، وقبائل آل كثير[٦] كثير[٦] الذين يدينون للأمير سالم بن إدريس الحبوضي حاكم ظفار (في عمان حالياً) بالفضل الكبير لمساندته إياهم للوصول لسلطان حضرموت[٧]، ومنها أيضاً قبيلة آل أحمد، والصبرات، وآل ثعلب وغيرها من القبائل[٨] .

وشهدت حضرموت حروباً ضارية كان آل كثير في أغلبها طرفاً رئيساً بسبب محاولاتهم المتكررة لمدّ نفوذهم على أكبر قدر ممكن من الأراضي الحضرمية ، فواجهت إزاء ذلك مقاومة شديدة من القبائل التي كانت كثيراً ما تلجأ إلى إقامة تحالفات قبلية للحد من تزايد نفوذ آل كثير[٩].

---

١) محمد عبدالقادر ، الشهداء السبعة ، دار الحرية للطباعة ، مط الجمهورية ، بغداد ، ١٩٧٤م ، ص٢٤.

٢) حيريج : قرية في وادي المسيلة مابين الشحر وسيحوت من بلاد المهرة ، وقد اندثرت ، ومن سكانها الأشعثيون ، ويقصد التجار بندرها لنقل الكندر والصبغة إلى عدن وبربرة وغيرها . المقحفي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٢٨ - ٢٢٩ .

٣) بامطرف ، الشهداء السبعة ، ص٢٤ .

٤) آل يماني: ينتمون إلى قبيلة بني حرام من بني ظنة التي يتفرع منها أيضاً المناهيل وآل تميم والمعارة ، ونشأت منهم سلطنة آل يماني . بامطرف ، الشهداء السبعة ، ص٢٠ .

٥) تريم : مدينة قديمة لها شهرتها التاريخية في العلم ، تقع في نهاية وادي حضرموت ، شمال شرق سيئون بمسافة ٣٢ كم ، أسست في القرن الرابع ق.م ، وقيل في القرن الرابع الميلادي ، وهي مركز إشعاع علمي وفكري وديني . المقحفي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٢٨ - ٢٢٩ ..

٦) آل كثير : وهم من قبيلة بني حرام الشنافر التي تضم إلى جانبهم آل جابر وآل باجري والعوامر، أسسوا كياناً سياسياً قبلياً في حضرموت عرف في التاريخ الإسلامي بسلطنة آل كثير . بامطرف ، الشهداء السبعة ، ص٢٠ . حضرموت . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، مج٢ ، ص٦٦٣ .

٧) بامطرف ، الشهداء السبعة ، ص٢٦ .

٨) الكندي ، العدة المفيدة ، مج١ ، ص١٤٤ .

٩)المصدر نفسه والمجلد والصفحة .

ولم تخلّف الحرب القائمة بين قبائل حضرموت غير الخراب والدمار للقرى والحصون، وإتلاف الزرع، وسلب الأموال والأنعام، فيما لم يكتب للمساعي الداعية للتصالح النجاح، وإذا ما حدث صلح ما بين القبائل سرعان ما ينقضه أحد الأطراف لتندلع الحرب من جديد[١].

ثانياً- نسب سلاطين الدولة الطاهرية :

اختلف المؤرخون حول نسب بني طاهر وتضاربت آراؤهم فانقسموا إلى قسمين هما :

القسم الأول: يرجع نسب الطاهريين إلى بني أمية من قريش، وأنهم من سلالة الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي، ويتصدر قائمة هذا القسم المؤرخ عبدالرحمن بن الديبع، إذ يذكر في تواريخ الدولة الطاهرية هذا النسب قائلاً :"الشيخ الأجل شمس الدين بن علي بن طاهر بن معوضة بن تاج الدين العمري"[٢]، وفي موضعٍ آخر حاول ابن الديبع أن يزيل الغموض والاختلاط عند البعض فزاد عليه حلقات أخرى من سلسلة النسب بقوله :"الملك المجاهد شمس الدين علي بن طاهر وأخيه الملك الظافر صلاح الدين عامر ابني طاهر بن معوضة بن تاج الدين القرشي الأموي العمري"[٣]، ويزيد المؤرخ عيسى بن لطف الله حلقات أخرى في نسب السلطان عامر (الثاني) قائلاً: " هو عامر بن عبدالوهاب بن داود بن طاهر بن معوضة بن تاج الدين بن معوضة بن محمد بن سعيد بن عامر بن مسعود بن فهر بن وهب بن حرب القرشي الأموي"[٤] ، وممن نسبهم إلى بني أمية أيضاً المؤرخ عماد الدين إدريس بن الأنف[٥]، والمؤرخ الطيب بامخرمة[٦]،والمؤرخ محمد بن أبي بكر الشلي[٧]، والمؤرخ يحيى بن الحسين[٨]؛ ووافقهم عدد عدد من المؤرخين المحدثين كالقاضي عبدالله بن عبدالكريم الجرافي[٩]، وأحمد شرف الدين[١٠]. الدين[١٠]. فيما يرى ابن تغرى بردى أنهم من القبائل القرشية التي تسكن منطقة تهامة[١١].

---

١) الكندي، العدة المفيدة، مج١ ، ص ١٤٥ .
٢) قرة العيون ، ج٢ ، ص١٣٠ .
٣) بغية المستفيد ، ص١٢١ .
٤) روح الروح فيما جرى بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح ، (مخطوط مصور) ،ج١ ، ط٢ ، مشروع الكتاب ٧ / ١ ، وزارة الإعلام والثقافة ، صنعاء ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص٤ .
٥) روضة الأخبار ، ص٦١ .
٦) قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٦٠١ ـ ٣٦٠٢ .
٧) السناء الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر ، تح : إبراهيم المقحفي ، ط١ ، مكتبة الإرشاد، صنعاء ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ص١٦٢ .
٨) غاية الأماني ، ج٢، ص٥٨٦ .
٩) المقتطف ، ص٩٤ .
١٠) اليمن عبر التاريخ ، ط٢ ، مط السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٩٦٤م ، ص٢٧٧ .
١١) حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور ، تح : محمد كمال الدين عز الدين ، عالم الكتاب ، بيروت ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، ص٣٧٣ ، ٣٧٦ .

أما القسم الثاني: وجلهم من المؤرخين المتأخرين فيرجعون الطاهريين إلى النسب اليمني ومنهم المؤرخ محمد بن علي الأكوع الذي نسبهم إلى قبيلة الذراحن الحميرية سكان منطقة جبن[١] ، ويعلل الأكوع الأسباب التي ساقت ابن الديبع إلى ادعاء ذلك النسب بأنها تعود إلى تأثير إحسان السلطان عامر (الثاني) بن عبدالوهاب على ابن الديبع، حيث كان يغدق عليه الكثير من النعم والعطايا الجزيلة، ثم بدهاء السلطان وحنكته مالبث أن عرض عليه فكرة إرجاع بني طاهر إلى النسب العُمري الأموي، فقبلها المؤرخ ببساطة، وبروح الإحسان والود، في حين كان عامر بن عبدالوهاب يريد بها ضرب منافسيه العلويين المعتصمين في قمم جبال شمال اليمن، مشيراً في الوقت ذاته إلى أن هذه الدعوى قد ادعاها من قبلهم كثير من الحكام كالفاطميين والأيوبيين وغيرهم[٢]، ويتفق مع الأكوع كل من محمد صالح بلعفير[٣] ومحمد أحمد أحمد مقبل الفيصلي [٤] برفعهما الطاهريين إلى النسب ذاته.

وفي السياق نفسه ، خرجت طائفة من المؤرخين تنتمي إلى هذا القسم تتفق مع الأكوع بيمانية الطاهريين، غير أنها ترجعهم إلى قبائل جبن المذحجية الكهلانية، ومنهم القاضي عبدالله بن عبدالوهاب الشماحي[٥]، والمؤرخ محمد أحمد عبدالعال[٦]، والمؤرخ محمد يحيى الحداد[٧] ، الحداد[٧] ، بيد أن عبدالعال قد خالف آراء القسم الأول من المؤرخين مستنداً إلى عاملين هما:

العامل الأول: عمل العباسيون في البلاد التي خضعت لسيطرتهم على التخلص من بقايا الأمويين والتنكيل بهم أينما وجدوا، وكانت اليمن ضمن نفوذهم ويتولاها عمالهم الذين أسندت إليهم هذه المهام[٨].

العامل الثاني: عدم إشارة المصادر التي نسبت الطاهريين إلى بني أمية إلى كيفية وصولهم إلى اليمن، وتاريخ هذا الحدث ، أو ذكر شيء من أخبارهم قبل القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي[٩].

---

١) جبن : مدينة جنوب غرب رداع بمسافة ٥٠ كم ، تقوم على هضبة تحيط بها الجبال من جميع الجهات . المقحفي ، معجم البلدان ، ج١، ص٢٨٦ .
٢) ابن الديبع ، قرة العيون ، ج٢ ، ص١٤٤ ، ح١ .
٣) "العملة والتداول النقدي بعدن في عصر الدولة الطاهرية" ، مجلة سبأ ، ع (١٤ - ١٥) ، جامعة عدن ، عدن، يوليو ٢٠٠٧م ، ص٢٤١ ، ص٢٦١ ، ح١ .
٤) تاريخ الدولة الطاهرية ٨٥٨ - ٩٤٥هـ ، ط١ ، وزارة الثقافة والسياحة ، الهيئة العامة للكتاب ، دار الكتب، صنعاء ، ٢٠٠٥م ، ص١٤ .
٥) اليمن الإنسان والحضارة ، الدار الحديث للطباعة والنشر ، ١٩٧٢م ، ص١٢٨ .
٦) بنو رسول وبنو طاهر، ص٢٤٥ .
٧) التاريخ العام ، ج٢ ، ص١٨٣ .
٨) بنو رسول وبنو طاهر ، ص٢٤٦ .
٩) المرجع نفسه والصفحة .

وقد أضاف عبدالعال أن القبائل القرشية قد استقرت بأسفل وادي رمع بمنطقة تهامة شمال زبيد ،في حين سكن بنو طاهر منطقتي جبن والمقرانة في مخلاف رداع، ثم إنه استبعد أن يطمئن الرسوليون إليهم ويثقون بهم إن كانوا قرشيي النسب، لاسيما أن القبائل القرشية كانت من أكثر قبائل اليمن إثارة للاضطرابات في عصر الرسوليين، واستمرت ثوراتهم في عصر الطاهريين، فإن كانا من ذات النسب لما أقدم أيٌ منهما على محاربة الآخر[١].

ويرى الباحث في هذا الصدد أن ابن الديبع قد أهمل سلسلة من حلقات النسب وهي الواقعة فيما بين تاج الدين حتى عمر بن عبدالعزيز، وتجاوز بذلك عدة آباء وزمن يصل إلى مايقارب ستة قرون ، ووضوح هذه الثغرة غني عن البيان، لكن مع ذلك يبدو لي بأن المؤرخ قد قصد عن عمد بأن يترك سلسلة النسب شاغرة، حتى لايقع في فخ النسابين ، وبالتالي يفقد مصداقيته ليس في الأنساب فحسب بل وفي مجمل الأحداث التاريخية التي حوتها مؤلفاته،هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أومأ ابن الديبع لمن سيأتي من بعده من المؤرخين وذوي الألباب بأنه كان في ذلك حرجاً أو مكرهاً لاسيما أنه قد حظي بمكانة خاصة لدى السلطان عامر بن عبدالوهاب دون أرباب الديوان السلطاني آنذاك .

لكن مايدعو للاستغراب صمت مؤرخي الزيدية المعاصرين لابن الديبع عن هذا الادعاء، وقد زاد الأمر غرابة انصياع المؤرخين لهذا النسب كابن الأنف وغيره فلم يجدوا بداً من ركوب هذه الموجة مغيبين بذلك الأدوات المهمة التي يستخدمها المؤرخ لانتزاع كبد الحقيقة بقطع النظر عن حجم عواقبها السياسية والاجتماعية التي وضع لها المؤرخ ابن الأنف (وهو إسماعيلي) قدراً من الاعتبار ومراعياً العلاقات الحميمة التي تربطه وإخوته الدعاة بالطاهريين[٢] .

أما القسم الثاني من المؤرخين فعلى الرغم من اتفاقهم معاً على يمانية بني طاهر واختلافهم فيما بين قبيلتي حمير ومذحج، إلا أن هذا لايؤثر في حقيقة انتماء بني طاهر إلى الأصول اليمنية، فقبائل مذحج لها مضارب في المنطقة الوسطى الواقعة فيما بين ذمار شمالاً ورداع شرقاً والضالع غرباً، وقبائل حمير تشترك هي الأخرى مع مذحج في المنطقة ذاتها .

كما استند مؤرخو هذا الاتجاه إلى عدة حجج منطقية يمكن القبول بها على أنها الأقرب للترجيح ، منها ما أوردها الأكوع وأخرى ذكرها عبد العال، وإن كان الأخير كما يبدو غير موفق في بعضٍ مما ذكره حول القبائل القرشية التي سكنت منطقة تهامة ، إذ أشار إلى أن عدم

---

١) المرجع نفسه ، ص٢٤٦ - ٢٤٧ .
٢) ومنهم:الداعي الحسين بن الحسن ، وصنوه علي بن الحسن ،وابن عمهما إدريس بن محمد . انظر: إدريس عماد الدين ، روضة الأخبار ، ص٦٠، ٦٢ .

مشاركة بني طاهر لهذه القبائل في السكنى ذاتها ينفي عنهم النسب القرشي، إلا أننا نرى أن هذا ليس ضرورياً لتأكيد النسب أو نفيه، فكم من قبائل وفدت إلى اليمن وتفرقت بطونها وفخائذها في مناطق اليمن، وذلك لارتباط الحل والترحال بالأسباب الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية. أما ثورات القبائل القرشية وعصيانها للرسوليين ثم استمرارها في محاربة الحكام الطاهريين فلا تعد حجة منطقية ولايمكن القبول بأنها لن تحدث في حال انتماء الحكام الطاهريين إلى النسب القرشي؛ لأن تاريخ اليمن لاسيما الإسلامي مليء بأحداث العنف والقتل وسفك الدماء وغير ذلك من الأحداث التي ينبذها الدين والإنسانية، وقد تعدت مرحلة خلاف الدول اليمنية فيما بينها البين إلى ماهو أقسى من ذلك بكثير، حيث امتدت نيران الحروب بين القبائل والعشائر،ثم صارت بين بطون وفخائذ القبيلة الواحدة، ثم وصل حرّ هذه النزاعات بين ذوي القربى من عمومة وأخوال حتى بلغ منتهاه بين الإخوة والأشقاء، وقد أشارت المصادر المختلفة إلى أسبابها والأدوات التي استخدمت في إشعال فتيلها، وهي في معظمها قائمة على المصالح ونزعات النفس وشهواتها .

وعلى كلٍ، لا يؤل رأينا في هذا الأمر على أنه يخالف وجهات نظر المؤرخين بانتماء آل طاهر إلى النسب اليمني، بل على العكس من ذلك تماماً، فالباحث يرجح هذا الاتجاه، ومضيفاً في الوقت ذاته إلى الحجج التي أوردها المؤرخون المحدثون أن نسب سلاطين بني رسول الأعجمي قد جلب عليهم سخط اليمنيين، ولتدعيم شرعيتهم في حكم اليمن وتعزيزها، لزم عليهم البحث عن قوى قبلية يمنية متجذرة الأصل والنسب، وسليمة المذهب، لها نفوذها الاجتماعي وتأثيرها الاقتصادي، ثم لديها الاستعداد للقبول بمحالفتهم وحماية ملكهم، وهو أمر سبق أن اتبعه بنو أيوب مع بني حاتم الياميين الهمدانيين خلال حربهم الضروس مع الأئمة الزيدية في نهاية القرن السادس الهجري[1]، وللغاية ذاتها وقعت أنظار الرسوليين على الطاهريين لتفردهم بتلك المميزات دون القبائل الأخرى، لاسيما في المناطق الواقعة تحت نفوذ الرسوليين، فبنو طاهر كانوا حينها معدودين من ذوي الوجاهات القبلية، وشهرتهم بلغت حداً تجاوزت فيه حدود مناطقهم، فهم أصحاب تجارة وأراضٍ واسعة خصبة كثيراً ما أغرت الأئمة الزيدية وسلبت أفئدة القبائل المجاورة لها طمعاً وحسداً ومنهم آل عمار، وليس أدل عليه وصف عماد الدين إدريس[2] لهذه الأراضي: "بأنها تفد الحبوب الكثيرة، وهي عمدة مامع أهل صنعاء وذمار وما تحمل مشاقهم ومحطاتهم وتكاليف حصونهم على الاستمرار لما فيها من الزراعات

١) أنظر : فرحان ، عباس علوي حسين ، بنو حاتم الهمدانيون (٤٩٢ ـ ٦٢٦هـ) دراسة سياسية حضارية، رسالة ماجستير، جامعة عدن ، عدن ، ٢٠٠٥م ، ص١٢٦ .
٢) روضة الأخبار ، ص٤٣ .

والحبوب التي هي جل ماليديهم وأكثر محاصيلهم" ، وإلى جانب هذه المحاصيل اشتهر بنو طاهر بتجارة الفوّة وجنوا منها الأرباح الطائلة[١].

وبناءً على هذه المعطيات سعى السلاطين الرسوليون إلى توطيد علاقاتهم ببني طاهر، وأحاطوهم بهالة من التوقير والتقدير منذ وفاة جدهم الشيخ معوضة بن تاج الدين سنة ٨١٢هـ/١٤٠٩م، إذ يذكر أن السلطان الناصر أحمد بن إسماعيل أمر أن يُبنى دار للشيخ طاهر بن معوضة في المقرانة تليق بمكانته لدى الناصر، وحرصاً على إتمام هذا الأمر عرج السلطان الناصر على المقرانة بعد مدة ورأى تلك الدار وأعطى حينها البنائين عشرين ألف دينار، وسمّاها دار النعيم[٢]، كما عهد السلاطين الرسوليون لبني طاهر حماية منطقة رداع ونواحيها للحيلولة دون تقدم المدّ الزيدي جنوباً[٣]، وترسيخاً أو تعزيزاً لعمق هذه العلاقة تمت المصاهرة بين الرسوليين وآل معوضة بن تاج الدين سنة ٨٣٦هـ/١٤٣٣م ، فتزوج السلطان الظاهر يحيى بن إسماعيل (٨٣١-٨٤٢هـ/١٤٢٨-١٤٣٨م) ابنة الشيخ طاهر بن معوضة، بحضور جمع من الأمراء والفقهاء[٤]، وبذلك كله أضفى الطاهريون على بني رسول شيئاً من مظاهر شرعية حكمهم لليمن وإن كانت متأخرة ، ومن المرجح أن الطاهريين سعوا في تجميل وتزويق صورة الحكام الرسوليين بين أوساط الناس ، كيف لا وهم أصهارهم وعمالهم الذين لم يألوا جهداً لحماية الملك الرسولي لعقودٍ من الزمن .

ثالثاً- العوامل التي مهدت لنشوء الدولة الطاهرية :

كان النزاع السياسي حول السلطة سمة الحياة السياسية في اليمن منذ زمن بعيد، وقلما تمكن أحد من الظفر بالحكم ووحد اليمن سياسياً تحت سلطة مركزية واحدة، ولذلك خلّفت مجمل المحاولات لتحقيق ذلك الهدف الويلات والدمار لليمن مما أعاقها عن اللحاق بركاب الحضارة .

وغالباً ماعزا الكثير من المؤرخين الفشل السياسي الذي أصاب اليمن بصفة عامة والدول اليمنية في العصر الإسلامي بصفة خاصة إلى العوامل الداخلية بشكل عام، وهي على اختلافها كانت سبباً في سقوط دول وقيام أخرى عوضاً عنها .

وبما أن الدولة الطاهرية لاتختلف كثيراً عن الدول التي سبقتها عهداً من حيث استغلالها الأمثل للعوامل الداخلية وجوانب الضعف التي أدت إلى انهيار وسقوط دولة بني رسول وقيامها

١) ابن تغرى بردى ، حوادث الدهور ، ص٣٧٠ ؛ عبدالعال ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص٣٧٠ .
٢) ابن الديبع ، قرة العيون ، ج٢ ، ص١٢٢ .
٣) المصدر نفسه والجزء والصفحة ؛ بغية المستفيد ، ص١٠٣ ؛ بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٥٤٦؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٦ .
٤) ابن الديبع ، قرة العيون ، ج٢ ، ص١٣١ ؛ بغية المستفيد ، ص١٠٨ - ١٠٩ .

علـى أنقاضـها، فإنـه بعـد اسـتقراء الأحـداث والظـروف الداخليـة التـي رافقـت أواخـر عصـر الرسوليين يمكننا استنتاج عدد من العوامل الرئيسة التي أدت إلـى نشوء الدولـة الطاهريـة وهـي على النحو الآتي :

١- إن التنافس على العرش الرسولي لم يحترم مبدأ وراثـة الحكم وإنمـا أرسـى مبدأ الحكم لمن غلب، وتجلّى ذلك في الصراع الحربي بين السلطان المظفر يوسف (الثاني) وبين نظيره السلطان المسعود صلاح الدين، حيث لم يتح أحد منهما للآخر الانفراد بالحكم، وجرت بين الطرفين معارك كثيرة لم يتمكن أي منهما من حسمها لصالحه[١].

وفي خضم هذه الأحداث وقف بنو طـاهر إلـى جانب المظفر موالين لـه وأوكل إليهم محاربة المسعود وأعوانـه من المماليك، فقد ذكر أن المظفر كلف الشيخ علـي بن طـاهر إخماد الثورات التي أشعلها المماليك سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م، فتمكن من القضاء عليها، وحينما بدأت أيديهم تمتد إلى عدن سنة ٨٤٧هـ/١٤٤٣م لم يجد المظفر بداً من الاستعانة ببني طاهر لمقاومتهم، غير أن الطـاهريين كـانوا يخططـون بـدورهم للاستيلاء علـى الحكم، مستغلين الوضع السياسي المتدهور وظروف المتنافسين الصعبة من حيث الانقسامات وغياب ولاء جندهم لهم، ثم انكماش أمر الرسوليين في كثير من المناطق ، وقد أشار ابن الديبع إلـى هذه الرغبة بقوله: "وبنو طاهر إذ ذاك بلحج معاونين للملك المظفر وفي أنفسهم مافيها من طلب الاستبداد بذلك لما رأوه من ضعف المملكة وانحلال أمرها"[٢].

وعندما كان المسعود في عدن شعر بخطورة المظفر وبنـي طـاهر الذين كـانوا حينهـا معاونين لـه علـى لحج، فاضطر للخروج إليهم بنفسـه سنة ٨٤٨هـ/١٤٤٤م ، وتمكن من هـزيمتهم واسـترجاع لحـج[٣]، وأغـراه ذلـك النصـر للخـروج ثانيـة إلـى تعـز سـنة ٨٥٠هـ/١٤٤٦م ليقضـي علـى المظفر ويتخلص منـه نهائياً ، فحاصر المظفر فـي قلعتهـا لفترة، بيد أن بني طاهر هبوا لنجدة المظفر وفكوا عنـه الحصار، ولاحقوا المسعود حتـى وصل عدن[٤].

٢- استفحال أمر المماليك العسكر حتـى استقلوا بـالأمور دون أوليـائهم، فكـانوا يولـون ويعزلـون من يشاؤون من بني رسول، وعملوا على إذكاء نيران الصراع بين المتنافسين حتى تستمر سيطرتهم على زبيد ونواحيها، إذ يذكر أنهم أقاموا سنة ٨٤٦هـ/١٤٤٢م السلطان الناصر

---

١) ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص١١٨ ـ ١١٩ .
٢) المصدر نفسه ، ص١١٧ ـ ١١٨ .
٣) المصدر نفسه ، ص١١٨ .
٤) المصدر نفسه والصفحة .

أحمد بن الظاهر[١]، غير أنهم سرعان ماعزلوه وأقاموا بدلاً منه السلطان المسعود صلاح الدين سنة ٨٤٧هـ/١٤٤٣م [٢] وعندما شعروا بغلبة المسعود وامتداد نفوذه ووصوله إلى تعز، أقاموا في سنة ٨٥٥هـ/١٤٥١م سلطاناً آخر هو المؤيد حسين بن الظاهر يحيى[٣] ، مما زاد الأمر تعقيداً عن ذي قبل، لكنه في الوقت ذاته آذن بتعجيل انكسارهم جميعاً .

٣- تدهور دخل خزانة عدن بسبب ظاهرة التجوير التي نشطت في تلك الفترة، فضلاً عن الأوضاع السياسية المضطربة في البلاد التي ولاشك أسهمت في نفور التجار والنواخيذ، فانعكس ذلك سلباً على أوضاع الرسوليين، مما زادهم ضعفاً إلى ضعفهم، وعجزوا عن الإنفاق على الجند الذين فقدوا الولاء للدولة .

٤- زيادة النقمة والسخط الاجتماعي على الأوضاع المضطربة جراء تنافس الرسوليين على السلطة، الأمر الذي ألحق بالعامة والخاصة أضراراً في الزرع والضرع والمسكن وغير ذلك.

وبناءً على هذه العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وجد بنو طاهر أنفسهم أمام فرصة سانحة للانقضاض على العرش الرسولي، فكل الظروف هيئت لصالحهم ولم يعد هناك ما يثير قلقهم، باستثناء أطماع الزيدية في مناطق الرسوليين وإن كانوا حينها في شقاق على الإمامة، وفي وضع لايستطيعون فيه تسيير حملات عسكرية ضخمة إلى مناطق رداع وتهامة وتعز وعدن وإخضاعها لحكمهم؛ فإلى جانب حالة هذه المناطق غير المستقرة واضطرابها الأمني، فإنه من المستبعد أيضاً تقبلها للزيدية لامن حيث السلطة ولا من حيث المذهب .

وقد زاد من فرصة نجاح الطاهريين للاستيلاء على الحكم، ثقلهم القبلي ووجاهتهم الاجتماعية في منطقة رداع وما يجاورها من مناطق، فضلاً عن النفوذ الذي استمدوه من وظائفهم كعمال للرسوليين على جهات رداع ودمت حتى لحج وعدن ، ثم تأتي مكانتهم التجارية بوصفهم أصحاب أملاك وتجارة رابحة ولديهم من الأموال ما يكفي لتسهيل بلوغهم العرش .

وتأسيساً على ما سبق ، يمكننا القول إن الطاهريين استفادوا من خلو الساحة من الزعامات القبلية المؤثرة، لاسيما في تهامة، فالمعازبة[٤]، والقرشيون، وبنو حفيص[٥]كان همهم رفع الظلم والجور عنهم لا الزعامة والحكم، كما ضاقت الناس وتقطعت بهم السبل وكانوا يرجون الخلاص وقطع دابر القلاقل والفتن . أما في مدينة عدن فآل أحمد وآل كلد على الرغم

١) ابن الديبع بغية المستفيد ، ص١١٦ ؛ قرة العيون ، ج٢ ، ص٤٠٣ .
٢) ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص١١٧ ؛ قرة العيون ، ج٢ ، ص٤٠٣ .
٣) ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص١١٩ .
٤) المعازبة: من قبائل بيت الفقيه بن عجيل ، وهم الزرانيق. الحجري، مجموع بلدان اليمن، مج٢،ص٧١١.
٥) بنو حفيص: من قبائل الزيدية في شمال الحديدة . المقحفي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٤٨٤ .

من انتمائهما إلى ذات النسب اليافعي إلا أنهم كانوا على خلاف وعداء مستمر، ولايقيمون للتحالف فيما بينهما وزناً[١]، وفي تقديري كان هذا الشقاق القائم بين أهل يافع من أهم العوامل التي ركّز عليها الطاهريون وشجعتهم على التقدم إلى عدن ؛ لأن احتواء الطاهريين لآل أحمد أو لآل كلد كان كفيلاً بنجاح الاستيلاء على عدن، حتى وإن كان السلطان المؤيد موجوداً بين ظهرانيهم .

رابعاً- قيام الدولة الطاهرية :

١- أهمية عدن للسلاطين الطاهريين :

إن سلسلة الانتصارات التي حققها المسعود على منافسه المظفر والتي كان آخرها الحصار الذي ضربه عليه في حصن تعز كانت كافية لإقصاء المظفر وخروجه عن ميدان المنافسة السياسية، وبات واضحاً أنه لم يعد هناك ما يحول بين المسعود وبين العرش الرسولي سوى المؤيد الذي أقامه المماليك سنة ٨٥٥هـ/١٤٥١م ، بيد أن مجريات الأحداث كشفت _وعلى غير المتوقع _ عن انسحاب المسعود من عدن من غير حربٍ ولا قتال في السادس من جمادى الآخرة سنة ٨٥٨هـ/١٤٥٤م[٢] .

وقد يبدو هذا الانسحاب السلمي غير منسجم مع حالة الحرب المتبادلة بين آل رسول، لكنه ، في تقديري ، عبّر عن واقعية المسعود في التعامل مع ظروف الصراع القائم، وحسن استيعابه للمعطيات السياسية التي كانت تنذر بدنو هبوب رياح التغيير على المنطقة، وتأكد له ذلك بعد أن رأى بعين السياسي المحنك لا بعين الحاكم الواهم المكابر أن العقد قد انفرط من بين يديه، فقد ثبت له يقيناً أن المماليك والجند في حلٍ من ولائهم له وطاعته، وزاد من مخاوفه ماصارحه به وزيره الصباحي بقوله : "إن الملأ يأتمرون على قتلك أو أسرك، ولم يبق لك معين من آل مملكتك على أمرك"[٣] ،وبصرف النظر عن نيات الصباحي الرامية إلى دفع سيده للتنحي للتنحي عن السلطة وتمهيدها لأبناء زوجته من الأشرف بن الظاهر[٤]، إلا إنها زلزلت الأرض تحت قدميه، وصار لايملك من الأمر شيئاً سوى السكة والخطبة له على منابر عدن[٥]، كما قيل

---

١) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ٣٥٨٩ .
٢) المصدر نفسه والجزء ، ص٣٥٨٩ .
٣) عماد الدين إدريس ، روضة الأخبار ، ص٥٩ .
٤) المصدر نفسه والصفحة .
٥) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٥٨٩ .

إنه حاول يوماً منع شجار بين قبائل يافع فرماه أحدهم وشج رأسه[١]، هذا ماحل بمكانة السلطان المسعود من بعد عزٍ وسلطان إلى غريبٍ خائف مذعور تتقاذفه صروف القدر .

أما ما يدور خارج أسوار عدن، فقد كان المسعود على علمٍ بتنامي قوة ونفوذ مشايخ بني طاهر وإصرارهم على الاستيلاء على مدينة عدن، وهذا مالم يفطن إليه المؤيد وظن خلو الساحة من المنافسين ، وانفراده بالحكم ، فسارع إلى السيطرة على عدن بعد أيام قلائل من مغادرة المسعود لها، ودخلها في الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٨٥٨هـ/ ٢٨يونيو ١٤٥٤م[٢].

وعلى أية حال، لم يؤثر خبر استيلاء المؤيد على مدينة عدن في عزيمة مشايخ بني طاهر، ولم يثنهم عن اتخاذ قرار الزحف إلى هذه المدينة، دون سواها من المدن، على الرغم مما يحيط بها من مخاطر قد تزيد من احتمال فشل هذه المحاولة، في حين كان ضمان نجاح السيطرة على مدينة تعز حاضرة الرسوليين يبدو في متناول أيديهم، فعلام إصرار بني طاهر الاستيلاء على عدن ؟ وماهي مبرراته ؟

الحقيقة أنه لايمكن تفسير هذا الأمر على أنه يمثل رد اعتبار لبني طاهر واستعادة هيبتهم في المنطقة لاسيما أن المسعود مرغها غير مرة في لحج (سنة ٨٤٨هـ/١٤٤٤م وسنة٨٥٢هـ/١٤٤٨م، وسنة ٨٥٨هـ/١٤٥٤م)[٣] ، بل كان وراء البدء بالسيطرة على مدينة عدن هدفان أساسيان هما :

١-الهدف السياسي :

كان بوسع بني طاهر المتربصين في لحج الانقضاض على عدن عقب مغادرة المسعود مباشرة، غير أنهم تريثوا وربما عن قصد وتعمد ريثما يدخلها المؤيد، فيقع في الفخ، ويتم القبض عليه بسهولة، وبهذا يتمكنوا من تحقيق انتصارين سياسيين مهمين في آنٍ واحد، أولهما : وهو الأهم السيطرة على مدينة عدن واتخاذها قاعدة لانطلاق المدّ الطاهري شمالاً، وثانيهما: هو القضاء أو القبض على المؤيد آخر سلاطين بني رسول، بعد أن خلع المسعود نفسه في وقتٍ لاحق ثم رحل إلى مكة المكرمة، وبهذا تنتهي الصفة الشرعية للحكم الرسولي، وإعلان قيام الدولة الطاهرية بصفة رسمية من داخل مدينة عدن .

وقد يبدو للوهلة الأولى أن قيام الدولة الطاهرية سيكون على أساس القوة لا الشرعية في زمن صارت فيه القوة هي الوسيلة المثلى للوثوب على العرش، غير أنه من وجهة نظر مشايخ

١) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣ ، ص٣٥٨٩ .
٢) المصدر نفسه والجزء ، ص٣٥٨٩ .
٣) ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص١١٧ ـ ١١٨

بني طاهر قائم على أساس الشرعية، إذ يرون أنفسهم الورثة الشرعيين لبني رسول ، وأنهم الأحق بالملك دون سواهم، لاسيما وأنهم كانوا ولزمن طويل عمالهم وقادة جيوشهم، ووكلاءهم في التجارة، فضلاً عن علاقات الصهارة التي وثقت في عهد السلطان الظاهر يحيى بن إسماعيل ، وحجتهم هذه قائمة على المفاهيم السياسية السائدة آنذاك ،حيث غدت نزعات التسلط، ورغبات التملك، والتوق للاستقلالية سمة النواب والعمال في عهود الدول اليمنية من قبل، وتظهر على السطح عندما يشعرون بضعف ووهن الحاكم الذي يعملون بين يديه ، ولنا في استئثار العبد نجاح بملك الزياديين على زبيد خير دليل[١] ، وكذا الحركات الاستقلالية التي قام بها كل من بني حاتم الياميين الهمدانيين[٢]، وبني عمومتهم آل زريع الهمدانيين[٣] الذين استقلوا عن الصليحيين بعد أن كانوا نواباً لهم ، وآخرهم الرسوليون أنفسهم الذين ورثوا ملك بني أيوب بصفتهم نوابهم وعمالهم .

٢- الهدف الاقتصادي :

يعود هذا الهدف إلى أهمية عدن ودورها الاقتصادي باعتبارها الرافد الرئيس لدخل الخزانة العامة التي تعد أهم مقومات الحكم ورأس دعائم وأركان الدولة القوية، حتى وإن تأثر دخل عدن أواخر عصر الرسوليين لتضاؤل نشاط الميناء إلى حد الركود، إلا أن أهميتها تظل قائمة في كل العصور ولكل الأجيال .

ومن المسلّم به أن استعادة عدن دورها التجاري يظل مرهوناً بزوال العوامل والآثار السلبية التي ألمت بهذه المدينة، لذا صار لزاماً على بني طاهر القيام بدور المنقذ لهذا الثغر، لا لشيء إنما لكونهم أنفسهم أصحاب المصلحة الحقيقية لاستعادة عدن مجدها الحضاري وازدهارها التجاري الضائع .

وقد أشارت المصادر إلى أن مشايخ بني طاهر قد اشتغلوا بالتجارة وتعلقوا بها[٤]، كما كانوا في وقتٍ سابق وكلاء سلاطين بني رسول لتجارتهم في عدن، وبناءً على ذلك تصدرت عدن أولويات الحراك السياسي والحربي الذي قام به الطاهريون وذلك لحماية مصالحهم التجارية في ميناء الثغر .

---

١) أنظر : عمارة ،المفيد ، ص٧٦ ومايليها ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ج١، ص٣٢٤ ؛ الثور ، عبدالله أحمد، مختصر من تاريخ اليمن ، د.م ، ١٩٨٣م ، ص٦٤ .

٢) انظر : الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ص٧٢ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ج١ ، ص٢٨٤ ؛ يحيى بن الحسين ، أنباء الزمن في تاريخ اليمن ، (مخطوط) ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، ميكروفيلم رقم (٦٤) ، ق ٤٤ ب ؛ الهمداني حسين بن فيض الله وحسن سليمان محمود ، الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ، ط٣ ، منشورات المدينة ، صنعاء ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م ، ص١٦٢ .

٣) أنظر : ابن المجاور ، المستبصر ، ص١٢١ ـ ١٢٢ .

٤) عماد الدين إدريس ، روضة الأخبار ، ص٤٣ ؛ ابن تغرى بردى ، حوادث الدهور ، ص٣٧٠ .

٢- استيلاء الطاهريين على عدن :

انطلاقاً من أهمية عدن لدى الطاهريين ، وتطلعاً لتحقيق أهدافهم السياسية والاقتصادية، بذلوا الأموال لشراء الذمم في المدينة عبر صديقهم وشريكهم في التجارة علي بن سفيان[١]، ثم نزل الشيخ علي وأخوه عامر على رأس جمع من رجالهم وجندهم لمحاصرة مدينة عدن .

وتبدو مهمة تذليل السيطرة على المدينة عن طريق شراء الذمم ليست كافية مالم تعزز بخطوات أكثر إيجابية تكفل نجاح رغبة الطاهريين بالدخول إلى المدينة، ثم استحالة سقوط المدينة في أيدي جمع من العسكر والرجال لايرقى عددهم إلى قوام جيوش الحملات العسكرية المعروفة بقضها وقضيضها، لذا فعلى الأرجح أن مشايخ بني طاهر كانت لهم حساباتهم الخاصة وهي مغايرةً تماماً لما نظن، فقد عولوا على مسألة استغلال حالة العداء القائمة بين أهل يافع التي لم تكن وليدة تلك اللحظة بل إن تاريخها يعود إلى أيام المسعود حين تمردت يافع على والي المدينة وناظرها، وعاثوا فيها فساداً ، فسيطر آل أحمد على الحصون والقلاع والدروب، فيما هيمن آل كلد على المدينة وأسواقها ومتاجرها وشوارعها، ولم يبد المسعود تجاه ذلك مايذكر لقلة حيلته وضعف أمره[٢]، ولا يستبعد أنه مع مرور الوقت شعر آل أحمد أن ماهم فيه قد قلل من شأنهم وهيبتهم، إذ لا جدوى من الرتبة على الحصون والأسوار والدروب مالم ينلهم نصيب من خير الأسواق والمتاجر وإدارات المدينة وهي التي يستأثر بها آل كلد الذين يفوقونهم عدداً، فكانت تلك في نظرهم قسمة ضيزى، وظل آل أحمد على خلاف مع نظرائهم آل كلد والحرب بينهم سجال [٣] حتى بلغتهم الأخبار عن عزم آل طاهر القدوم لمحاصرة عدن، فاستبشروا بذلك خيراً .

وسرعان ماخرج وفد من نقباء آل أحمد يتقدمهم النقيب طاهر بن عامر والنقيب باكسامة إلى جبن المقرانة[٤] بلاد بني طاهر للتفاوض معهم وعرض المصالح المتبادلة بينهما، وتوصل الطرفان إلى اتفاق يقضي بموجبه أن يسلّم آل أحمد المدينة لمشايخ بني طاهر نظير مال معين مع بقائهم نقباء على المدينة، وتضمّن آخر بنود الاتفاق طرد غرمائهم آل كلد من المدينة[٥].

وبناءً على هذا الاتفاق السري، تقدم الشيخان علي وعامر أبناء طاهر حتى وصلا إلى منطقة المباة لمحاصرة عدن، ثم مالبث الشيخ علي أن دنا مع جماعة من عسكره إلى سفح جبل التعكر يمين باب المدينة، فوجد آل أحمد في انتظاره يرمون إليه بالحبال، وتمكن بها من اعتلاء

---

١) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٦٠٦ .
٢) المصدر نفسه والجزء ، ص ٣٥٨٩ .
٣) المصدر نفسه والجزء والصفحة.
٤) المصدر نفسه والجزء والصفحة .
٥) المصدر نفسه والجزء والصفحة .

الجبل المعروف بالخضراء، وكاد يغدر به أحد نقباء آل أحمد ويدعى القحاط إلا أن النقيب طاهر والنقيب باكسامة والنقيب أحمد منعوه[١].

ومهما يكن من أمر، فقد تمكن علي بن طاهر وقلة من رجاله من الدخول إلى المدينة ليلة الجمعة الثالث والعشرين من رجب سنة ٨٥٨هـ/ ٣يوليو ١٤٥٤م[٢].

وفي صباح يوم الجمعة فُتح باب المدينة، وضُربت الطبول إيذاناً بدخول الشيخ عامر بن طاهر مع من تبقى من جنوده ، فاضطربت المدينة، وأيقن آل كلد الهلاك فلزموا الحوط والمساجد والمقابر رجالهم ونساءهم، واستولى الشيخان علي وأخوه عامر على المدينة، ونادوا فيها بالأمان لعامة الناس إلا آل كلد فلهم مهلة ثلاثة أيام للخروج من عدن ومن وجد بعدها منهم فدمه هدر، فتفرق آل كلد شذر مذر، منهم من لاذ بالفرار إلى الشحر وهم الأغلبية يتقدمهم الشيخ مبارك الكلدي وقليل منهم خرجوا إلى زيلع وإلى بربرة[٣]، وعهد مشايخ بني طاهر إلى صديقهم ابن سفيان إمارة الحصون والقلاع والدروب؛ أما المؤيد حسين فقد أحسنا إليه، وحددا إقامته في بيته، واشتريا ماكان معه من الطبلخانة والخيل والسلاح[٤]، ثم تركا له حرية مغادرة عدن ، ونالت آخر العقوبات الجزائية الأمير زين الدين جياش السنبلي أبرز قادة الدولة الرسولية الذي سبق له أن ولي إمارة عدن من قبل المسعود ، ثم ولاه على زبيد سنة ٨٤٩هـ/١٤٤٥م ، وله مع مشايخ بني طاهر وقائع كثيرة، دارت أغلبها حول عدن، وتغلب عليهم مرات عدة ، فكانت كفيلة بطرده من عدن ومعه ثلاثون من أهله[٥].

وبهذه الإجراءات سقطت الدولة الرسولية بعد حكم قارب نحو المائتين واثنين وثلاثين عاماً، وقامت على أنقاضها الدولة الطاهرية وذلك على يدي الشيخين علي بن طاهر الذي لقب بالمجاهد وأخيه عامر بن طاهر الملقب بالظافر ، واشتركا في الحكم وتجنبا الخلاف ، وأعان كل منهما الآخر[٦].

وكانت الخطبة والسكة باسم الظافر عامر مع أنه الأصغر سناً وذلك برضى من أخيه

١) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص ٣٥٨٩.
٢) ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص١٢١ ؛ بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ص٣٥٨٩ ؛ الكبسي ، اللطائف السنية، ص١٨١ ؛ لقمان ، تاريخ عدن ، ص١١٠ .
٣) بامخرمة، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٥٩٠ .
٤) ابن الديبع ، قرة العيون ، ج٢ ، ص١٤٥ ؛ بغية المستفيد ، ص١٢١ ؛ لقمان ، تاريخ عدن ، ص١١٠ .
٥) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ٣٥٩٥ ـ ٣٥٩٦ .
٦) قلما نجد اشتراك اثنين من الحكام في قيادة دفة الدولة، وهذه الظاهرة تفردت بها الدولة الطاهرية، وعلى الرغم من نجاحهما معاً في قيام وتثبيت أركان الدولة وتوسيع نفوذها لتصل إلى صنعاء والشحر، إلا أنهما كثيراً ما اختلفا وتخاصما، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى عدم تقاسمهما سلطات الحكم وتحديد نطاق اختصاصات كل منهما، الأمر الذي أدى إلى ازدواجية القرار وخلافهما على ذلك في كثير من الأحيان.

المجاهد علي[١]، واستمرت كذلك في مناطق اليمن حتى سنة ٨٦٤هـ/١٤٦٠م[٢].

وقد اتخذ الطاهريون من بلدهم المقرانة عاصمة لملكهم، فيما كانت عدن ،في تقديري، هي الأنسب والأكثر ملاءمة للقيام بهذا الدور السياسي إلى جانب دورها الحضاري، فهي تمتلك مقومات متميزة قلما تتوافر في مناطق اليمن ومنها التحصينات الطبيعية التي تحيط بالمدينة وهي عبارة عن سلسلة جبلية تحتضن المدينة من جهات الشمال، والغرب، والجنوب، يتخللها منفذان(بابان) يفضيان إلى البرّ، وتشرف المدينة على خليج صيرة القائم عليه الميناء من جهة الشرق، هذا فضلاً عن التحصينات الحربية العامرة على قمم الجبال كالأسوار والقلاع والحصون التي بدورها زادت من أمان المدينة وجعلتها صعبة المنال وعصية السقوط مالم تُضرب بأيدي أهلها من الداخل كما حدث مع الطاهريين أنفسهم وحلفائهم آل أحمد.

وعلى صعيد ممارسة السياسة الخارجية فعدن هي القناة الأكثر والأيسر اتصالاً مع العالم الخارجي، وقد جسدت هذا الدور منذ زمن بعيد نظراً لموقعها الجغرافي الحيوي على خطوط الملاحة العالمية.

بيد أن هذه المقومات لم يعرها بنو طاهر أهمية، إذ غلبت عليهم نزعات المناطقية والعصبية القبلية وتمسكوا بالمقرانة باعتبارها أرضهم وأرض أجدادهم، وموطنهم التاريخي الذي عُرفوا به بين قبائل اليمن (بنو معوضة أصحاب المقرانة)، وفيها حصونهم ودورهم وأطيانهم ومصالحهم وجل موروثهم الإنساني .

وأياً كان الأمر، فقد مكث السلطان المجاهد علي والسلطان الظافر في عدن مايقارب السنة وأربعة أشهر، وهما يعملان على إقرار الأمور في عدن وينظمان مصالحها وشئون إداراتها[٣].

وأثناء وجود السلطان المجاهد في عدن تلقى عدداً من الرسائل من مناطق مختلفة بعث بها زعماء المناطق والمشايخ يعلنون فيها مبايعتهم للمجاهد ومعاهدته ببذل الطاعة، وأولها رسالة جاءت من كبار وجهاء زبيد يعاهدونه فيها بالولاء وتسليم الأمر إليه[٤]، كما أعلن الشيخ إبراهيم الثابتي صاحب الحديدة في رسالة ثانية بمحالفة المجاهد علي وبذل الطاعة[٥]، كما دانت دانت لهما الجحافل التي طالما هددت أمن عدن والطرق التجارية[٦].

---

١) عماد الدين إدريس، روضة الأخبار، ص٦٠ .
٢) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٠٢. وللمزيد من التفاصيل حول السكة أنظر: فيما سيأتي، ص١١٨ ومايليها.
٣) ابن الديبع ، قرة العيون ، ج٢ ، ص١٤٦.
٤) المصدر نفسه والجزء والصفحة .
٥) المصدر نفسه والجزء ، ص١٤٧ .
٦) عماد الدين إدريس ، روضة الأخبار، ص٦١ .

وفي السياق ذاته، بعث المؤرخ عماد الدين إدريس بن الأنف القرشي بقصيدة تهنئة للسلطان المجاهد وأخيه السلطان الظافر قال فيها:

كذا تبتني العليا وتبنى المفاخر
وتمضي القنا والمرهفات البواتر
كذا شيد العليا علي بن طاهر
وقد عمر المجد الموثل عامر
همامان أبقى طاهر بن معوضة
فلله ماأبقى لنا القيل طاهر
هما ورثا الأملاك من آل جفنة
وسعدهما بالنجح واليمن طائر
رأوا ملك غسان خوين نجومه
وقد فرطت تلك الملوك الأكابر[١]

حتى قوله :

وحازا قرار الملك بالسيف عنوة
فمالهما إذ يمماه مكابر
فقد ذلت الأعداء في كل وجهة
ودارت عليهم للهلاك الدوائر
فملاهما والحمدلله غالب
ولا أحد إلاهما قط ظافر[٢]

وعلى أية حال، كان ينتظر السلطان المجاهد والسلطان الظافر عمل شاق لإعادة الأمور إلى نصابها، إذ ورثا بلاداً عمتها الفوضى والاضطراب، ومزقتها الفتن الداخلية والانقسامات، ومما لاشك فيه أن الأئمة الزيدية خلال هذه الفترة قد استغلوا ظروف الضعف والانحلال التي أصابت اليمن ليمدوا نفوذهم على أكبر قدر ممكن من المناطق المحيطة بهم، في وقتٍ ثارت فيه قبائل عدة كالمعازبة والقرشيين وبني حفيص وأعلنوا عصيانهم وخرجوا عن طاعة بني طاهر، وعملوا على إثارة الفوضى وقطع الطرقات وأعمال السلب والنهب، ناهيك عن الاضطراب والقلاقل التي شهدتها مدينتا زبيد والشحر.

١) عماد الدين إدريس، روضة الأخبار، ص٦١.
٢) المصدر نفسه والصفحة.

كانت أولى خطوات بني طاهر العملية قد توجهت نحو حصن التعكر، فتمكن السلطان المجاهد من الاستيلاء عليه في ذي القعدة سنة ٨٥٨هـ/نوفمبر ١٤٥٤م(١)، وبهذا دانت عدن كلها للطاهريين.

ويذكر ابن الديبع(٢) أن الأمير زين الدين جياش السنبلي عندما خرج من عدن مطروداً مهاناً أقام في موزع يكاتب المماليك في زبيد ليأذنوا له بالدخول فسمح له الأغلبية وكره قلة منهم، ثم دخل زبيد ووجد له مكاناً بينهم، وتمكن السنبلي بحنكته من ضم أكثر المماليك إلى صف السلطان المجاهد، ثم أرسل إلى السلطان يحثه على الخروج من عدن لقبض زبيد، وفسّر غير واحد من المؤرخين(٣) قصة طرد السنبلي من عدن على أنها مكيدة القصد منها إيهام المماليك العسكر القائمين على مقاليد زبيد بخروج السنبلي مطروداً مهاناً فيثقوا به ويرحبوا بانضمامه إلى جبهتهم المناهضة لحكام بني طاهر، ومن ثم يتسنى له القيام بمهمة زرع الفتن والفرقة فيما بينهم، وتمزيقهم كل ممزق، فيضعف أمرهم وتتشتت كلمتهم، غير أن هذه المكيدة لم يشر إليها ابن الديبع صراحة، مما حدا بنا إلى تفسير هذا الأمر على نحوٍ مخالف متسائلين عن ضيق وقت الاتفاق بين الطرفين في عدن، وصعوبة الوثوق بعدو الأمس بين ليلةٍ وضحاها، مالم تكن هناك فرصة زمنية كافية تتيح للسلطان المجاهد والسنبلي مراجعة حساباتهما السابقة واللاحقة .

وبالنظر إلى تاريخ الأمير السنبلي الحربي المناهض للطاهريين لايتوقع أكثر المتشائمين نجاته من سيف بني طاهر،بيد أنهم أكتفوا بطرده وأهله، حرصاً منهم على الابتعاد قدر الإمكان عن سفك الدماء لاسيما مع بداية مرحلة تأسيس دولتهم، فنهجوا سياسة متزنة قائمة على أسس التسامح والعفو في غالب الأحوال لما لها من أثر حسن في قلوب الرعية. وبطرد السنبلي من عدن فقد كل مصالحه وأصبح شأنه شأن العامة لايلوذ على شيء فيما كان أسياده كالمؤيد ينزلون ويقيمون معززين مكرمين، وخلال إقامة السنبلي في زبيد توصل إلى قناعة بدنو سقوط زبيد في قادم الأيام، وحتى يسترد مركزه وهيبته الضائعة كان عليه أن يقدم شيئاً ذا قيمة ينال بموجبه ثقة الطاهريين ولبس ثوبهم، فكانت زبيد هي الثمن الذي أكد إخلاصه للعمل في خدمة السلطان الطاهري .

---

١) ابن الديبع ، قرة العيون ، ج٢ ، ص١٤٦ ؛ الكبسي ، اللطائف السنية ، ص١٨١ .
٢) ابن الديبع ، قرة العيون ، ج٢ ، ص١٤٦ .
٣) أنظر : تعليق المحقق محمد بن علي الأكوع في قرة العيون ، ج٢ ، ص١٤٦ (ح٢) ؛ الحداد، التاريخ العام، ج٢ ، ص١٧١ .

وكيفما كان الأمر، فالسلطان المجاهد علي بن طاهر خرج من عدن في الثالث من شوال سنة ٨٥٩هـ/١٤٥٥م[١] ، وعرج على بلده جبن لجمع جنده واتجه بهم نحو تعز فسيطر عليها، وهناك قدم عليه القرشيون يبايعونه على السمع والطاعة[٢].

وعندما تقدم السلطان المجاهد إلى زبيد لاذ غالبية المماليك بالفرار وتشتت شملهم فور سماعهم بقدومه، وتمكن من دخول زبيد بمساعدة جياش السنبلي وذلك في الثاني من ذي الحجة للسنة ذاتها وفي صحبته ابن أخيه الشيخ جمال الدين محمد بن داود إذ كانت عادة سلاطين بني طاهر صحبة أقاربهم في سفرهم وحروبهم، كما كان في صحبته أيضاً الفقيه العلامة يوسف المقرئ وكثير من القرشيين[٣].

وخلال استقرار السلطان المجاهد في زبيد أرسل إلى المعازبة يدعوهم للدخول في طاعته والكف عن أعمال السلب والنهب، غير أنهم أبوا وخالفوا عليه، فخرج إلى حربهم مرات عدة[٤].

أما المؤيد حسين آخر سلاطين بني رسول في زبيد، فإنه لجأ إلى بيت الشيخ الغزالي عند دخول السلطان المجاهد إلى زبيد، ثم غادر اليمن إلى مكة المكرمة ومنها إلى مصر حيث أحسن إليه المماليك، ورتبوا له معاشاً شهرياً يقوم بكفايته خلال إقامته في مكة التي مالبث أن عاد إليها واستقر بها حتى وفاته[٥].

وعلى كلٍ، فإنه على الرغم من انشغال الطاهريين بإقرار الأوضاع وإعادتها إلى الاستقرار في مناطق اليمن المناهضة لهم، إلا أن السلطانين المجاهد والظافر لم يقطعا نزولهما إلى عدن إذ كانا في كل موسم ينزلان لسداد الثغر والقيام بما لاغنى لهما عنه من جمع الخزانة وإرسالها إلى جبن والمقرانة[٦].

خامساً- محاولة أمير الشحر الاستيلاء على عدن :

حاول محمد بن سعيد بن مبارك بن فارس أبودجانة أمير الشحر استغلال الفتنة التي شب أوارها بين آل أحمد وآل كلد اليافعيين الذين اختلفوا على اقتسام المصالح في عدن، بيد أن الطاهريين قضوا على هذه الفتنة بمجرد مناصرتهم لآل أحمد ضد آل كلد حتى يمكنوهم من

١) ابن الديبع ، قرة العيون ، ج٢ ، ص١٤٦ .
٢) المصدر نفسه والجزء ، ص١٤٦ - ١٤٧ .
٣) المصدر نفسه والجزء ، ص١٤٨ ؛ الكبسي ، اللطائف السنية ، ص١٨٣
٤) ابن الديبع ، قرة العيون ، ج٢ ، ص١٤٨ - ١٤٩ .
٥) ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص١٢٤
٦) عماد الدين إدريس ، روضة الأخبار ، ص٦٣ .

الاستيلاء على عدن، ثم يحولون دون وجود جبهة يافعية متوحدة ضدهم، وإثر استيلائهم على المدينة باشروا بطرد آل كلد منها، فلاذ غالبيتهم إلى الشحر يقودهم الشيخ مبارك الكلدي الذي ما انفك عن إغراء أبي دجانة بالاستيلاء على عدن مدعياً خبرته بمكامن ضعف المدينة التي ينبغي استغلالها لتحقيق أهداف الحملة، مشيراً في الوقت ذاته إلى موقع حصن القفل[١] الخالي من أية حماية كمنفذ آمن للدخول إلى المدينة[٢].

استحوذت فكرة الاستيلاء على عدن على أبي دجانة، وأخذ بها كخطوة وقائية استباقية تحول دون محاولة الطاهريين شن غاراتهم البحرية والبرية على الشحر، في حين كان آل كلد يرمون إلى استخدام أبي دجانة لتحقيق حاجة في أنفسهم ضد إخوتهم آل أحمد اليافعيين .

وعلى إثر اقتناع أبي دجانة وتبنيه لهذه الفكرة حدث خلاف شديد في الشحر بين أبي دجانة ووزيره الفقيه الشيخ سليمان بن عبود بن تايه الشحري الذي لم يحبذ هذه الفكرة ومبرراتها، ومال إلى أهمية العمل على تحصين الشحر وحمايتها من أي غارات كإجراء احترازي، ثم مصالحة الطاهريين وخلق علاقة حسن الجوار[٣]، وساندت الوزير في ذلك والدة أبي دجانه وهي سيدة وصفها بامخرمة[٤] بأنها ذات عزم وحزم، غير أن أبادجانة لم يلتفت لرأي لرأي أمه، وألقى بوزيره في السجن، وعين بدلاً منه وزيراً مهرياً يوافقه على رأيه[٥].

وانصرف أبو دجانة لإعداد حملته وأحاطها بشيء من السرية حتى لايصل خبرها إلى عدن، وتمكن من قبض جميع سنابيق أهل الشحر وخصوصاً العازمة منها للإبحار إلى عدن، إلا أن سنبوقاً وأحداً فرّ خفية ووصل عدن، وأخبرهم بنيات أبي دجانة[٦].

وإثر ذلك، اتخذ الأمير علي بن سفيان احتياطاته، فرتب العسكر في موضع حصن القفل، وذكر بامخرمة أنهم أرادوا نصب المدافع على الدروب، إلا أنهم لم يجدوا سوى أربعة أو خمسة مدافع صغيرة لا تفي بالغرض، وهذا إن دل على شي إنما يدل على ضعف حامية عدن وقلة عتادها الحربي آنذاك، الأمر الذي قاد الأمير ابن سفيان إلى الإرسال للسلطان الظافر عامر يحثه على الوصول أو المدد بالعسكر[٧]، وما أن وصل كتاب أمير عدن للظافر حتى تقدم بجيشه

---

١) للمزيد من المعلومات عن هذا الحصن انظر : فيما سيأتي ، ص٢٠٥ .
٢) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٦١٢ .
٣) بامطرف ، الشهداء السبعة ، ص٢٧ .
٤) قلادة النحر ، ج٣ ، ص ٣٦١٣ .
٥) بامطرف ، الشهداء السبعة ، ص٢٧ .
٦) محيرز ، العقبة ، ص١٦٦ .
٧) بامخرمة، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٦١٢ ـ ٣٦١٣ .

بجيشه نحو المدينة، فوصلها في يوم الاثنين الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٨٦١هـ/١٤٥٧م[١].

وعلى غير علمٍ فيما ينتظره في عدن، تحرك أبودجانة في أواخر ربيع الآخر للسنة ذاتها على رأس تجريدة[٢] بحرية مكونة من تسعة مراكب من المهرة[٣] والحموم[٤] وجمع من آل كلد اليافعيين، بيد أن حملة أبي دجانة تعرضت لعواصف بحرية قرب بندر عدن، فشتت سفنهم،فيما جنحت بعضها على ساحل المكسر[٥] وفيها أبودجانة ومبارك الكلدي،ولم يلبث السلطان الظافر أن خرج إليهم من باب البرّ ومعه جنوده ونقباء من آل أحمد، فتم أسر أبي دجانة وابن أخيه، وقُتل مبارك الكلدي على أيدي نقباء آل أحمد[٦].

وأمر السلطان الظافر بتعزير أبي دجانة وأدخله عدن راكباً على جمل ليراه الناس ومعه الأسرى حتى وصلوا ميدان(ساحة) المدينة،وصعد الظافر إلى دار السعادة[٧] التي تشرف على ذلك الميدان معبراً عن انتصاره على تلك الحملة، ثم أمر بسجن أبي دجانة[٨].

وفي الوقت الذي كان فيه أبودجانة في السجن، أوفد الطاهريون قوة للاستيلاء على مدينة الشحر بقيادة الأمير جياش السنبلي، فتمكن من السيطرة على نصف المدينة الشرقي، أما الجزء الغربي فقد كان تحت سيطرة والدة أبي دجانة التي استمرت تقاوم السنبلي مدة من الزمن[٩].

---

١) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣ ، ص٣٦١٣ .
٢) التجريدة : هي مجموعة من السفن الحربية . بامطرف ، الشهداء السبعة ، ص٩٨،ح(٥٧) .
٣) المهرة: ينسبون إلى قضاعة وكانت عاصمتهم حيريج وهي الآن أطلال على ساحل الإقليم المهري . بامطرف، الشهداء السبعة ، ص١٨ .
٤) الحموم: ينسبون إلى مدينة الحامي الواقعة على ساحل حضرموت ، شرق الشحر بمسافة ٣٠ كم وجنوب الديس ، أنجبت العديد من الملاحين البحريين عبر التاريخ ، وكانت تعرف قديماً باسم عطار ، ونظراً لوجود ينابيع الماء المعدنية الحامية سميت بالحامي . المقحفي، معجم البلدان ، ج١ ص٣٩٧ ؛ بامطرف ، الشهداء السبعة ، ص٣٩ .
٥) المكسر: هي قنطرة بناها الفرس وقيل غير ذلك ، وقد شيدت على سبع قواعد ، وطوله ثلاثمائة ذراع وستون خطوة ، وبينها وبين جبل حديد نصف فرسخ (٢كم تقريباً) . ابن المجاور ، المستبصر ، ص١١٦ ؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن ، ج ١ ، ص١٩ .
٦) عماد الدين إدريس ، روضة الأخبار ، ص٦٥ ـ ٦٦ ؛ شنبل ، أحمد بن عبدالله ، تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل ، تح : عبدالله محمد الحبشي ، ط١ ، د.م ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م ، ص١٨٨؛ بامخرمة، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٦١٣ ؛ الكبسي ، اللطائف السنية ، ص١٨٣ ؛ العبدلي ، أحمد بن فضل، هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ، تح : خالد الأذرعي ، ط١ ، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء ، ٢٠٠٤م، ص١١٢ ؛ لقمان ، تاريخ عدن ، ص١١١ .
٧) دار السعادة: بناها سيف الإسلام طغتكين بن أيوب مقابل الفرضة من جهة حقات وتشرف على البحر، وقيل إنها كانت لتجار من مصر ولي بعضهم نظر عدن أيام الأشرف بن الأفضل الرسولي ، وبناؤها عجيب مثلث الشكل . بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج١ ، ص١٠ ـ ١١ .
٨) بامخرمة، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٦١٣ ؛ الكبسي ، اللطائف السنية ، ص١٨٣ .
٩) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٦٩٧ ؛ بامطرف ، الشهداء السبعة ، ص٢٨ .

ولما طال أمد النزاع بينهما،سعى أهل الشحر للمفاوضة بين الطرفين حتى خرجوا باتفاق يقضي بأن يطلق السلطان الظافر سراح أبي دجانة مقابل تسليم والدته ما تبقى من المدينة لجياش السنبلي[١].

وفي سنة ٨٦٣هـ/١٤٥٩م أطلق الظافر الأمير أبا دجانة ولحقت به أمه إلى حيريج[٢]، وفي السياق ذاته يذكر بامخرمة بأن أبادجانة توفي عقب وصوله حيريج، وأضاف قائلاً:"يقال إنه لم يخرج من عدن إلا مسموماً"[٣]، وهذا غير صحيح إذ نجد المؤرخ نفسة يعود إلى ذكر أبي دجانة في حوادث السنة السادسة والستين وثمانمائة للهجرة[٤].

وكيفما كان الأمر، فماهي إلا أشهر قليلة أقامها أبودجانة في حيريج حتى عاد إلى انتزاع الشحر من الطاهريين[٥]، وباشر بحضر السفن والمسافرين في البحر إلى عدن[٦].

وبعد ثلاث سنوات أغار السلطان الظافر بنفسه على الشحر بجيش جرار قيل إن تكاليف نقل الأثقال على الجمل بلغت اثني عشر ألف دينار، كما شحن عدداً من المراكب بالماء والزاد وأمرها بالإبحار على نحوٍ موازٍ لجيشه الذي يقوده براً، فكانوا يأتونه إلى البر ويزودونه بالمؤن حتى وصلوا إلى أسوار الشحر، فانسحب أبودجانة من المدينة ليلة الجمعة السابع عشر من صفر سنة ٨٦٦هـ/١٤٦٢م[٧]، ودخلها جيش الطاهريين بقيادة الأمير جياش السنبلي ثم دخلها السلطان الظافر[٨]، وبهذا الصدد قال بامطرف[٩]: "وعلى إثر هذه الحادثة الدامية التي عمت الشحر، أطلق أهالي الشحر تشنيعتهم المشهورة التي يرددها الشحريون إلى اليوم وهي(ما في آل طاهر طاهر)".

ومكث السلطان الظافر ثلاثة أشهر بالشحر، ثم عاد إلى عدن بعد أن ولّى عليها الأمير أحمد بن إسماعيل بن شقرا ويعينه على إدارتها آل كثير بطلب من الظافر نفسه[١٠].

---

١) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٦١٤ .
٢) شنبل ، تاريخ حضرموت ، ص١٨٩ ؛ بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٦١٤ ؛ بامطرف ، الشهداء السبعة ، ص٢٨ .
٣) قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٦١٤ .
٤) المصدر نفسه والجزء ، ص٣٦١٧ .
٥) بامطرف ، الشهداء السبعة ، ص ٢٨ .
٦) عماد الدين إدريس ، روضة الأخبار ، ص١٣٩ .
٧) المصدر نفسه ، ص١٣٩ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ج٢ ، ص١٥٣ ؛ بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٦١٧.
٨) عماد الدين إدريس ، روضة الأخبار ، ص١٤٠ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ج٢ ، ص١٥٣ ؛ بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٦١٧ .
٩) الشهداء السبعة ، ص٢٨ .
١٠) بامطرف، الشهداء السبعة ، ص٢٨ .

ويذكر أنه في سنة ٨٦٧هـ/١٤٦٣م سحب بنو طاهر نائبهم على الشحر واستخلفوا عليها السلطان بدر بن محمد الكثيري، لتدخل الشحر مرحلة تاريخية جديدة تحت ظل السلطنة الكثيرية وهي تتزامن مع وفاة الأمير محمد بن سعيد بن فارس أبي دجانة[١].

وفي ضوء علاقات بني طاهر بالشحر، يمكننا القول إن بني طاهر ساروا على التقليد ذاته الذي سار عليه بنو صليح وبنو أيوب ثم بنو رسول وهو السيطرة على المدينة والانتفاع بخيراتها، غير أن اضطراب أحوال اليمن عموماً لم يترك مجالاً مناسباً لهم لتحقيق رغبتهم في الاستيلاء على الشحر بالأسلوب الذي تمنوه ، فجبهة الزيدية كانت شديدة التوتر والحساسية، وتزداد خطورتها على الطاهريين، مستغلين بعد الطاهريين عنها في غالب الأحيان وانشغالهم الدائم في قمع حركات التمرد، وضرب القوى الخارجة على سلطانهم في مناطق تهامة وحضرموت وغيرها. ومما لاشك فيه أن الشحر وحدها قد أرهقت الطاهريين مادياً وعسكرياً لمشقتها وبعدها عن مركز الحكم، لذا صار لزاماً عليهم صرف النظر عنها وتركها بأيدي من يثقون به من أهل حضرموت، بعد أن أضحى أمر الاحتفاظ بها صعباً للغاية، وبهذا وفروا طاقاتهم ومجهوداتهم العسكرية لضرب الأئمة والقبائل المتمردة في تهامة.

وتذكر المصادر أن الأئمة الزيدية كثيراً ما أجبروا بني طاهر على الخروج إليهم لصد هجماتهم وغاراتهم على المناطق الواقعة جنوب ذمار والمعدودة من أملاك الطاهريين، وتبعاً لذلك حدثت بين الطرفين وقعات عدة فيما بين سنة ٨٦٢هـ/١٤٥٨م وسنة ٨٧٠هـ/١٤٦٦م[٢]،وتمكن خلالها المجاهد علي من الاستيلاء على ذمار سنة ٨٦٥هـ/١٤٦١م بعد أن تغلب على الإمام الناصر[٣]، ثم استولى أخوه الظافر عامر على صنعاء سنة ٨٦٦هـ/١٤٦٢م[٤]، وفي المقابل تكبد الطاهريون جراء هذه الحروب العديد من الخسائر في الأرواح والعتاد، ومنها مقتل أخيهم الشيخ محمد بن طاهر سنة ٨٦٤هـ/١٤٦٠م[٥]، ثم عظمت مصيبة الطاهريين بمقتل سلطانهم الظافر عامر، عقب مؤامرة دبرها له عيسى بن شارب

---

١) بامطرف، الشهداء السبعة، ص٢٩ .
٢) ابن الديبع ، قرة العيون ، ج٢ ، ص١٥١ ـ ١٥٨ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ،ج٢ ، ص٥٨٩ـ٦٠٢ .

٣) ابن الديبع ، قرة العيون ، ج٢ ، ص١٥٢ ؛ بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٦١٦ . وخلال عودة الإمام الناصر إلى صنعاء مهزوماً تمكن أهل عرقب من أسره وأرسلوه إلى الإمام المطهر محمد بن سليمان ، وتوفي في سجن كوكبان . يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥٩٣ ـ ٥٩٤ ؛ الكبسي ، اللطائف السنية ، ص١٨٤ .
٤) ابن الديبع ، قرة العيون ، ج٢ ، ص١٥٤ ؛ الكبسي ، اللطائف السنية ، ص١٨٤ .
٥) ابن الديبع ، قرة العيون ، ج٢ ، ص١٥١ ـ ١٥٢ ؛ بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٥٩٥ .

الهمداني في ضواحي صنعاء فسقط السلطان على إثرها صريعاً تحت سنابك خيلهم سنة٨٧٠هـ/١٤٦٦م[١].

وبعد مقتل السلطان الظافر عامر واجه أخوه السلطان المجاهد علي متاعب كثيرة بسبب التمردات التي اعتادتها القبائل التهامية كلما سنحت لها الفرصة للتخلص من الحكم القائم، ثم الغارات التي شنتها قبائل الجحافل أصحاب دثينة على قرى لحج فنهبوها وسبوا نساءها وأطفالها[٢]، ولكنه استطاع بصبره وجلده أن يخضعها لسلطانه ماعدا صنعاء فإنها ظلت في حوزة الأشراف؛ وقد عبر الكبسي[٣] عن ذلك بقوله: "وبعد قتل عامر تفرد بالملك المجاهد علي بن طاهر، فأعرض عن الفتن واقتصر على بلاده وبلاد أخيه عامر، وترك بلاد الزيدية وقتالهم، وأحسن السياسة وتدبير الملك وبناء المساجد والربط وعوّد العوائد وأعطى الأموال المستكثرة"، ويبدو أن قوله هذا يعبر بطريقة أو بأخرى عن رأي الأئمة في طبيعة الصراع القائم والتي تهدف إلى اقتسام بلاد اليمن بين الطرفين على أن تكون المناطق الجنوبية للطاهريين، إذ لاسبيل آنذاك للطاهريين لحكم اليمن كله، وإقصاء الزيدية عن ميدان المنافسة،ثم استحالة قبول أهل المناطق الشمالية الزيدية لحاكم يخالفهم في المذهب آنذاك.

وكيفما كان الأمر، فقد مرض المجاهد علي بن طاهر في شهر محرم سنة ٨٧٧هـ/١٤٧٢م، واستخلف ابن أخيه عبدالوهاب بن داود وقلده أمر الملك، غير أن المجاهد تعافى من مرضه وعاد لتدبير شئون الحكم حتى توفي في جبن في العاشر من ربيع الآخر سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٨م[٤].

وتولى الحكم عبدالوهاب بن داود وتلقب بالمنصور وذلك حسب وصية عمه المجاهد السابقة،وجرت مراسيم تنصيب السلطان المنصور في عدن، إذ يذكر أنه في ليلة وفاة عمه المجاهد بايعه أخوه الشيخ عبدالملك بن داود وابن عمه الشيخ أحمد بن عامر،ثم خرج من جبن إلى عدن وبصحبته القاضي جمال الدين القماط ، فوصلها في الثالث عشر من ربيع الآخر سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٨م ومعه قلة من جنوده دون علم أهل عدن بوفاة عمه المجاهد، ثم لحقت به البقية الباقية من الخيل والجند، ولما اطمأن بوصولهم أمر بإشاعة موت عمه المجاهد في المدينة،

---

١) ابن الديبع ، قرة العيون ، ج٢ ، ص١٥٧ـ ١٥٨ ؛ بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٦٠٢ ؛ الكبسي، اللطائف السنية ، ص١٨٦.
٢) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٦٢٣.
٣) اللطائف السنية ، ص١٨٦ ـ ١٨٧ .
٤) ابن الديبع ، قرة العيون ، ج٢ ، ص١٦٢ ، ١٦٦ ؛ بغية المستفيد ، ص١٤٧ ـ ١٥٨ ؛ العبدلي ، هدية الزمن ، ص١١٢ .

عندها لم يجد أهل يافع والمرتبون على الحصون من سبيل سوى مبايعته، فقرر شؤون المدينة ومهد قواعدها[١].

وبهذا التنصيب يكون المنصور عبدالوهاب قد حذا حذو المجاهد والظافر اللذين سبقاه بإعلان تقليدهما لملك الطاهريين من عدن، وربما يعود سبب اختياره لهذه المدينة بالذات لوصية أوصاه بها عمه المجاهد قبل وفاته، نظراً لما كانت تتمتع به عدن من مميزات كالسكينة والاستقرار، ناهيك عن خلوها التام من أي وجود للمشايخ الطاهريين الذين قد يخالفونه ويبطلون البيعة له.

هذا وقد تأكدت تلك المخاوف بخروج أبناء عمه الظافر عامر بن طاهر عن طاعته، وأعلنوا مخالفتهم لهذه البيعة، فاضطر إلى مواجهتهم ترغيباً وترهيباً،وقضى سني حكمه وهو يحاربهم حيناً ويلاطفهم حيناً آخر[٢]، فضلاً عن انشغاله بقمع تمردات القبائل التهامية المناوئة لحكمه كلما دعت الضرورة لذلك[٣] .

أما جبهة الأئمة الزيدية، فقد اعتزلها وترك المؤيد محمد بن الناصر مستولياً على صنعاء دون أن ينازعه عليها، وتوقف نفوذه عند ذمار التي سيطر عليها قهراً بحد السيف سنة ٨٨٩هـ/١٤٨٤م[٤].

سادساً- عدن والغزو الخارجي :

١- عدن بين البرتغاليين ومماليك مصر :

بعد وفاة المنصور عبدالوهاب بن داود ببلدة جبن في السابع من جمادى الأولى سنة ٨٩٤هـ/١٤٨٩م[٥] تولى الحكم ولده الشيخ عامر بن عبدالوهاب بوصية من والده، فتمت بيعته في جبن والمقرانة وتلقب بالظافر[٦] ،غير أنه لم يعلن تنصيبه من عدن كما جرى ذلك مع أسلافه .

وعلى أية حال، لم يستسلم مشايخ بني طاهر لوصية المنصور والقبول بها كأمر واقع لايقبل التعديل أو التغيير، فابتلي السلطان عامر(الثاني) كما بلي أبوه من قبل بخروج أبناء

---

١) ابن الديبع ، قرة العيون ، ج٢ ، ص١٦٨ ؛ بغية المستفيد ، ص١٥٩ ـ ١٦٠ ؛ بامخرمة ، قلادة النحر، ج٣ ، ص٣٦٣٤ ؛ السخاوي، الضوء اللامع ، ج٥ ، ص٢٣٣ ؛ الكبسي ، اللطائف السنية ، ص١٨٧ .
٢) ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص١٦٠- ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٧٦ .
٣) المصدر نفسه ، ص١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ـ ١٧٨ ، ١٨٢ .
٤) المصدر نفسه ، ص١٧٣ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج٢ ، ص٦١٤ .
٥) ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص١٨٢ .
٦) ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص١٨٥؛ يحيى بن الحسين ، ج٢ ، ص٦١٥ ؛ العبدلي ، هدية الزمن ، ص١١٣ .

السلطان عامر(الأول) بن طاهر عن طاعته، مما حدا به إلى نهج السياسة ذاتها التي نهجها أبوه إزاءهم، فرغبهم تارة وأرهبهم تارة أخرى، وحاول مراراً استمالتهم نحوه ببذل الأموال(١) والإقطاعات الواسعة، وأبرم معهم العهود(٢)، غير أنهم تمردوا عليه ونقضوا المواثيق، وحشدوا الجيوش من جبن ويافع وغيرها من المناطق لمنازعته على العرش، فاضطر إلى مقاومتهم وأوقع كثيراً منهم بين أسير وقتيل(٣) .

ونظراً لانضمام يافع إلى صفوف المعارضة، أصدر السلطان عامر(الثاني) أوامره إلى ابن عمه الشيخ محمد بن عبدالملك بن داود أمير عدن حينها بإخراج أهل يافع من المدينة، فتم نفي نحو خمسمائة منهم(٤)، كما غزا عامر(الثاني) بلاد يافع سنة ٩٠٣هـ/١٤٩٨م وفتك بهم في عقر دارهم(٥).

وكانت للمعارضة محاولات للسيطرة على عدن أهمها ماجرت في رمضان سنة ٨٩٤هـ/١٤٨٩م ونفذها الشيخ عبدالباقي بن محمد بن طاهر الذي انضم هو الآخر إلى قافلة بني عمومته المناوئين لعامر(الثاني)، بيد أنه فشل ورجع خائباً من حيث أتى بعد أن ألحق به الأمير محمد بن عبدالملك الهزيمة في ضواحي مدينة عدن(٦).

وعلى الرغم من استمرار المحاولات التي شنتها المعارضة في مختلف المناطق إلا أنهم لم يتمكنوا من الإطاحة بالسلطان عامر(الثاني)، ووقع الكثير منهم في قبضته فأودعهم الواحد تلو الآخر في دور الأدب . أما القبائل المناوئة للحكم فقد تمكن عامر(الثاني) من إخضاع القبائل التهامية لسلطانه وأسرف في استخدام الشدة والعنف وجز الرؤوس ومصادرة الأموال، كما طالت سيوف عامر(الثاني) قبائل دثينة وأسر المئات منهم(٧).

وتمتعت جبهة الأئمة الزيدية بالاستقرار في بدايات حكم عامر(الثاني) إذ نشأت بينه وبين الإمام محمد بن الناصر صاحب صنعاء علاقة حسنة سادها الود وحُسن الجوار(٨)، بيد أنها

---

١) ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص١٨٧ .

٢) ذكر الشيخ أبوبكر بن عبدالله العيدروس الذي حضر مجلس الصلح بين الظافر (الثاني) والشيخ عبدالله بن عامر بأن الطرفين تحالفا على كتاب الله خمسين يميناً ثم بايع بينهما مبايعة الإسلام ، وأخذ على كل منهما عهد الله وميثاقه بالوفاء ، إلا أن الشيخ عبدالله نكث بذلك . العيدروس ، أبوبكر بن عبدالله بن أبي بكر باعلوي، ديوان محجة السالك وحجة الناسك ، ط٢ ، مط مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م، ص ١٣٤.

٣) ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص١٨٦-١٨٨ ، ١٩٢ - ١٩٣ ، ١٩٨- ١٩٩ .

٤) المصدر نفسه ، ص١٨٧ .

٥) ابن الديبع، الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تح : عبدالله محمد الحبشي، ط١، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص٤٢؛ عيسى بن لطف الله، روح الروح، ج١، ص٦ .

٦) ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص١٨٩ .

٧) ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص٦٩ .

٨) الكبسي ، اللطائف السنية ، ص١٨٩ ؛ عيسى بن لطف الله ، روح الروح ، ج١ ، ص٥ .

أنها لم تكن كذلك مع الإمام الوشلي[١] الذي استولى على ذمار، الأمر الذي استفز عامر(الثاني) فخرج إليه واستعاد ذمار إلى ملكه وذلك في ذي القعدة سنة ٨٩٥هـ/ ١٤٩٠م[٢]. وبعد مدة خرجت ذمار عن نفوذ عامر(الثاني) فعاود دخولها قهراً في جمادى الآخر سنة ٩٠٧هـ/١٥٠٢م[٣]، ثم توجه إلى صنعاء فحاصرها لمدة من الزمن ولم يتمكن من دخولها[٤] إلا إلا في السابع من شوال سنة ٩١٠هـ/١٥٠٤م.[٥]

وعلى الرغم من الانتصارات التي حققها الظافر عامر بن عبدالوهاب على المستوى الداخلي إلا أنه واجه خطراً خارجياً هدد أمن الدولة الطاهرية وزعزع كيانها السياسي، وتمثل ذلك الخطر في أساطيل البحرية البرتغالية التي أبحرت من لشبونة في سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٥م[٦]، ١٥٠٥م[٦]، وأخذت تجوب البحار والمحيطات تحمل معها مخططاً توسعياً يقضي بالسيطرة على خطوط الملاحة والتجارة في المحيط الهندي ، وإغلاق الطريقين التجاريين التقليديين بين الشرق والغرب وهما: طريق البحر الأحمر، وطريق خليج البصرة (العربي)، والسيطرة على مدخليهما،وكذا التوغل شرقاً لإقامة القواعد البحرية على ساحل الهند الغربي لملاحقة السفن التجارية العربية والهندية، وأخفت وراء كل هذه الأغراض هدفاً جوهرياً وهو التبشير[٧] .

---

١) هو الإمام محمد بن علي السراجي الوشلي(٨٤٥ ـ ٩١٠هـ/١٤٤١-١٥٠٤م) كانت دعوته في السادس من ذي الحجة سنة ٩٠٠هـ/١٤٩٥م ، تمكن الظافر من أسره وتوفي مسموماً في سجنه سنة ٩١٠هـ/١٥٠٤م . عيسى بن لطف الله ، روح الروح، ج١، ص١١ .

٢) ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص١٩٥ .

٣) ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص٨٤ .

٤) المصدر نفسه والصفحة ؛ عيسى بن لطف الله ، روح الروح ، ج١ ، ص٩ .

٥) ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص١١٣ ـ ١١٥ ؛ عيسى بن لطف الله ، روح الروح ، ج١ ، ص١٠ .

٦) أقدم ذكر للبرتغاليين في المصادر اليمنية جاء عند شنبل ويعود إلى سنة ٩٠٤هـ/١٤٩٩م . تاريخ حضرموت، ص٢١٦ .

٧) شهد القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي جهوداً برتغالية متواصلة من أجل الوصول إلى الهند، ويعد عام ٩٢٠هـ/ ١٤١٥م هو الميلاد الحقيقي لبداية البرتغال كإمبراطورية توسعية في العالم يقودها هنري الملاح ، الذي سعى منذ تنصيبه إلى تجنب المواجهة مع الجارة إسبانيا ، والابتعاد عن الصراع القائم في شرق البحر الأبيض المتوسط ، وأنشأ مركزاً للملاحة لرعاية الحملات البحرية الاستكشافية ، ثم بلغت هذه الجهود قمتها على يد القبطان بارثليميودياز الذي اكتشف رأس الرجاء الصالح سنة٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م، مما أدى إلى سرعة وصولهم إلى الهند عن طريق القبطان فاسكودي جاما الذي تمكن من الوصول إلى كاليكوت أهم موانئ ساحل مالابار الهندي سنة ٩٠٤هـ/ ١٤٩٩م ، وكان تفوقهم الحربي هو العامل الرئيس الذي أوصلهم إلى هذه المرحلة المتقدمة ، إذ كانوا يمتلكون الأسلحة النارية كالبنادق والمدافع ، فضلاً عن السفن الضخمة المزودة بالآلات الحربية ، وهذه الأسلحة لم تكن قد عرفت بعد في أفريقيا وبلاد العرب والهند . سيد مصطفى سالم ، الفتح العثماني الأول لليمن من ١٥٣٨ ـ ١٦٣٥م ، ط٣ ، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ، ١٩٧٧م ، ص٦٥ ؛

Wells . H.G : Ashort History Of the World, Pelican Books, London, 1954, P. 240 ; Ray Willis. F: Western Civilization, 3rd ed, D.C.Henth & Company, Mass, 1981, P.551 ; Edgar Prestage : The Portuguese Pioneers, A&C . Black, London, 1933, P. 213 ; Boxer. C : The Portuguese Seaborne Empire (1415–1825), Penguin Books, Havmonds, 1973, PP. 90–92

ولما كانت مصر المملوكية هي المعنية بالتهديد والإقصاء عن ميدان التجارة البحرية بوصفها آنذاك رأس العرب والمسلمين، فقد بادرت من جانبها بمضاعفة نشاطها البحري المضاد للقرصنة البرتغالية للحيلولة دون تمكينهم من العبث بمصالح مصر التجارية مع الشرق .

وخلال مطاردة المماليك للسفن البرتغالية كانوا قد زاروا عدداً من الموانئ اليمنية ومنها عدن في وقتٍ كانت فيه علاقة البلدين تسير على نحوٍ جيد، وليس أدل على ذلك من عدد زيارات الوفود المصرية التي وصلت اليمن وإكرام الطاهريين وفاداتهم(١) ، ولعل آخرها تلك الزيارة التي قام بها الأمير حسين الكردي إلى عدن قادماً من جدة وتصحبه آنذاك ثلاث برشات(٢)، وثلاثة أغربة(٣)، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ٩١٣هـ / ١٥٠٧م ، ٠٨م(٤)، وقصد فيها الأمير مرجان الظافري والي عدن يستأذنه في الدخول إلى بندر حقات للتزود بما يحتاج إليه من الماء والحطب وغيرهما من المؤن، فأذن له بذلك، ثم غادر باتجاه الهند لقتال الأسطول البرتغالي(٥).

وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن البرتغاليين كانوا سباقين في طرق أبواب عدن، إذ يذكر أنهم وصلوها سنة ٩٠٨هـ/١٥٠٢م كتجار وجواسيس ، واستمروا يترددون على المدينة وأسواقها وعلى ديوان حاكمها الأمير مرجان الظافري، دون أن يبدوا نياتهم الاستعمارية لهذه المدينة(٦)، في حين أكدت المصادر أن فاسكودي جاما هاجم سبع سفن عربية على مدخل البحر الأحمر واستولى عليها وقتل بعض ركابها وأسر آخرين وذلك في شهر رجب من السنة ذاتها/ يناير١٥٠٣م(٧).

---

١) منها: زيارتهم لليمن سنة ٨٩٦هـ، وأخرى في شهر ربيع الآخر سنة ٩٠٢هـ، وأعقبتها زيارة في شهر شعبان سنة ٩٠٦هـ . انظر: ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص١٩٨ ؛ الفضل المزيد ، ص٣٣ ، ٧٤ .

٢) برشات: جمع برشة، وهي نوع من القوارب والزوارق الشراعية، وتسيّر بالمجاديف. النخيلي، درويش، السفن الإسلامية على حروف المعجم، د.م ، ١٩٧٤م، ص١٠٤ ـ ١١٢.

٣) أغربة: جمع غراب، ويطلق على سلسلة من السفن منها الكبير ذو الشراع الواحد، والصغير الذي تسيّره المجاديف، واشتهر هذا النوع كسفينة مقاتلة. شهاب، أضواء على تاريخ اليمن البحري، ص٢٦٩ .

٤) وفي هذه السنة سيطر البرتغاليون على جزيرة سقطرى. بافقيه، تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تح: عبدالله الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م ، ص٨١؛ بامطرف، الشهداء السبعة، ص٤٩.

٥) ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص١٤٠ ، ١٤٢ ؛ بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٧٢٧ ـ ٣٧٢٨ ؛ المليباري، أحمد زين الدين المعبري، تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين، قدم له وحققه وعلق عليه: محمد سعيد الطريحي، دار المعارف الهندية"١"، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٦٣م، ص٢٥٢؛ عيسى بن لطف الله، روح الروح، ج١، ص١١ .

٦) بامطرف ، الشهداء السبعة ، ص٥٠ .

٧) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٧٢٢ ؛ بافقيه ، تاريخ الشحر ، ص٥٩ ؛ سيد مصطفى ، الفتح العثماني، ص٦٩ .

٢- الغزو البرتغالي لعدن :

بعد نحو ست سنوات من احتلال البرتغاليين لجزيرة سقطرى أدركوا أن عدن هي بوابة البحر الأحمر وليست سقطرى، وبالسيطرة عليها يمكن شل الحركة التجارية في البحر الأحمر، واستناداً لهذه المعطيات التي حملتها تقارير البحرية البرتغالية إلى لشبونة، أصدر ملك البرتغال أوامره باحتلال عدن، فتحرك القبطان دلبوكيرك(١) من جوّا في سنة ٩١٩هـ/١٥١٣م نحو عدن للسيطرة عليها(٢).

ويذكر بامخرمة(٣) الذي عاصر هذه الحملة بان أهل أبين رأوا عدداً من السفن قاصدة عدن، وكانت في حقيقتها طلائع الأسطول البرتغالي، فأرسلوا من يبلغ الأمير مرجان والي المدينة بذلك، والذي بدوره أسرع بإرسال الخبر إلى السلطان الظافر عامر (الثاني) الذي كان آنذاك يواصل حروبه الداخلية، فأمر بتجهيز حملة حربية لنجدة عدن، وأمر باقي أمراء الموانئ بالاستعداد للمقاومة(٤).

وعلى أية حال ، فقد أُشير على الأمير مرجان بنقل شحنات السفن الراسية في الميناء إلى المدينة خشية تعرضها للسطو من قبل البرتغاليين، بيد أن الأمير مرجان لم يعمل بمشورتهم لثقته بقدراته في حماية البندر(٥)، وكان آنذاك مشهوراً بحنكته وكفاءته في إدارة شئون الحكم في في عدن.

وفي صبيحة يوم الجمعة الموافق ١٧محرم ٩١٩هـ/ ٢٥ مارس ١٥١٣م رأى أهل عدن ثمانية عشر مركباً راسية في صيرة(٦)، فعزم الأمير مرجان على منازلتهم، غير أنه أحجم

---

١) هو افونسو جود سالو دلبوكيرك ولد سنة ١٤٥٣م، عمل في شرق أفريقيا يطارد العرب والمسلمين ويغير عليهم، وأطلق عليه العرب حينها لقب عين البقر وأحياناً أبوكرش، وهو المؤسس الفعلي للإمبراطورية البرتغالية في الشرق، وتم تعيينه نائباً لملك البرتغال في الهند سنة٩١٥هـ/١٥٠٩م. بوكيرك، افونسو، السجل الكامل لأعمال افونسو دلبوكيرك (مذكرات)، ج٣ ، تر : عبدالرحمن عبدالله الشيخ،منشورات المجمع الثقافي،أبوظبي،١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص٥٥ــ٦٠؛ السلمان، محمد أحمد، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج، مركز زايد للتراث، أبوظبي، د.ت، ص٥٧، ٦٠ .

٢) شهاب، أضواء على تاريخ اليمن، ص١٤٦. أدرك دلبوكيرك أن الجزء الأكبر من التجارة الشرقية يمر في البحر الأحمر وليس الخليج العربي، وأن عدن هي أكبر مستودع تجاري ويجب السيطرة عليها لتأمين طريق البرتغال حول رأس الرجاء الصالح. سيد مصطفى، الفتح العثماني، ص٨٧ .

٣) وردت أخبار الغزو عند بامخرمة أكثر تفصيلاً عن غيره لمعاصرته لهذا الحدث عن قرب، كما ذكرها عدد من المؤرخين كابن الديبع، الفضل المزيد، ص١٢١، ١٢٢؛ بافقيه، تاريخ الشحر، ص١٠٢- ١٠٣؛ عيسى بن لطف الله، روح الروح، ج١، ص١٥؛ محيرز، صيرة، ص٩١ - ٩٢.

٤) بافقيه ، تاريخ الشحر ، ص١٠٢ ؛ محيرز ، صيرة ، ص٩١ .

٥) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٧٣٢.

٦) المصدر نفسه والجزء والصفحة ؛ وذكر سيد مصطفى أن الحملة البرتغالية تألفت من عشرين سفينة ومن ألف وسبعمائة جندي برتغالي وثمانمائة من هنود ساحل مالابار. الفتح العثماني، ص٨٧ .

وتراجع عن ذلك لعدم ثقته بقدرات أصحابه، وفضّل أسلوباً آخر يدعو إلى التغافل عنهم وعدم مبادرتهم بالحرب، وأمر أهل المدينة باتباع ذلك[١].

وتنفيذاً للمخطط البرتغالي، شرعت إحدى سفنهم في استطلاع الوضع في البندر حتى اطمأنت، ثم أشارت إلى الأسطول بالتقدم حتى رسوا في البندر، وبدأوا مباشرة بضرب المدينة بالمدفعية والبنادق[٢].

وحاول الأمير مرجان مناورتهم والدخول في مفاوضات لكسب الوقت، فأرسل إليهم بالكباش والفواكه على سبيل الضيافة، إلا أنهم رفضوها وقالوا إن هدفهم هو الاستيلاء على المدينة، وإنهم إن لم يتسلموها طوعاً أخذوها قهراً، مؤكدين في الوقت ذاته مهاجمة المدينة صباح يوم السبت[٣].

وعلى الرغم من تعنتهم إلا أن الأمير مرجان حاول ثانيةً ، فأرسل رسولاً آخر بهدايا ويخبر دلبوكيرك أن عدن تحت أمر ملك البرتغال وأن رغبات الملك نافذة، بيد أن دلبوكيرك رفضها، ورد على الأمير مرجان بأنه ليس من عادته قبول الهدايا من أمراء لاتربطه بهم حالة سلام حقيقية، وإذا كانت رغبة الأمير مرجان في الطاعة حقيقية، فإن عليه الأمر بفتح أبواب المدينة، ويسمح بدخول جنوده إليها، أما السفن الراسية في الميناء فيمكن السماح لها بالسفر إذا طلبت منه إذناً بذلك[٤].

عندما رأى الأمير مرجان أنهم بدأوا بالاستيلاء على السنابيق والسفن الراسية تمهيداً لغزو المدينة، أمر بنصب المدافع على الدرب استعداداً للمقاومة[٥].

ولإعداد الخطة الهجومية على عدن استشار القبطان دلبوكيرك كبار قادة الأسطول[٦]، وبدورهم قرروا تكليف فرقة باستخدام السلالم لتسلق الدرب من يسار الساحل ويقودها دي جارسيا، فيما يقود دلبوكيرك بنفسه قوة ثانية لمهاجمة المدينة من يمين الساحل، ثم قائد آخر يتخذ موقعاً بين الفرقتين ومعه فرقة تحمل سلّماً ضخماً، فيما عهدوا إلى مائة جندي تسلق التل المطل على السور في أقصى اليمين من الساحل للقفز خلف السور[٧].

---

١) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٣٢.
٢) المصدر نفسه والجزء والصفحة .
٣) المصدر نفسه والجزء، ص٣٧٣٣ .
٤) محيرز، صيرة ، ص٩٢ .
٥) بامخرمة، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٧٣٣ .
٦) قبل أن يهاجم دلبوكيرك عدن دارت بينه وبين كبار قادته مناقشات حول كيفية احتلال عدن ، فانقسموا فيما بينهم إلى فريقين: الأول وهم الأكثرية رأى ضرورة إجراء محادثات سلمية لمعرفة ما إذا رغب أهل عدن بالطاعة لملك البرتغال ، وتمسك الفريق الآخر بفكرة مهاجمة عدن دون سابق إنذار وكان دلبوكيرك مع الفريق الآخر. السجل الكامل لأعمال دلبوكيرك ، ج٣، ص٤٤٦ ـ ٤٤٧ .
٧) هناك تقارب كبير بين ماذكره بامخرمة في قلادة النحر ص٣٧٣٤ وبين السجل الكامل لأعمال دلبوكيرك ص٤٥٩ـ٤٦٠ ، كما يظهر أن الخطة الهجومية بنيت على معلومات سابقة حوتها تقارير موثوقة، ولايستبعد =

وكيفما كان أمر ذلك المخطط، فقد فشل دلبوكيرك فشلاً ذريعاً إذ إن قواته المتجهة إلى يسار الساحل عجزت عن اقتحام المدينة، والفرقة التي قادها بنفسه أعاقها شدة انحدار الشاطئ مما عرقل سير القوارب، فاضطروا للخوض في الماء حاملين معهم السلالم والبنادق فوق رؤوسهم، وحاولوا عبثاً نصب السلالم على الدرب فتكسرت بهم[١].

وبعد أن أخفق دي جارسيا في التسلق من يسار السور واقتحام باب السّر[٢]حول وجهته إلى رأس شرشرة[٣] ، وتمكنت قواته من التسلق إلى أعلى السور دون أن يواجه مقاومة تذكر ونزل بعضهم إلى المدينة وآخرون صعدوا إلى جبل الخضراء، فوجدوا أهل عدن لهم بالمرصاد يرمونهم بالحجارة حتى أنزلوهم من الجبل[٤].

أما المعارك التي دارت على الدرب، فقد ورد في المصادر أن دلبوكيرك أمر جنوده بالبحث عن باشورة (كشك خشبي متحرك) للاحتماء بها حتى يتمكنوا من الدخول إلى المدينة، كما أمر بترميم السلالم حتى يتمكن جنوده من تجاوز الدرب[٥]، بيد أن الانتصار في هذه المرحلة من المعركة كان حليف أهل عدن الذين استبسلوا في مقاتلة البرتغاليين حتى استولوا على الدرب، ومن جهته أمر الأمير مرجان بحرق الباشورة التي كانت تحمي عدداً قليلاً من الغزاة، فاضطر من نجا منهم إلى ركوب السنابيق للعودة إلى السفن[٦].

وفي آخر الدرب قرب جبل الخضراء كان الانتصار فيها لوهلة حليف البرتغاليين، وتمكنوا من الدخول إلى أسواق المدينة[٧]، ولعل ما ساعدهم على ذلك قلة خبرة المتطوعين من أهل المدينة وتفوق البندقية أمام الحجر.

ومما لاشك فيه ، أن ذلك الإخفاق قد أثر في معنويات أهل عدن وتسرب إلى نفوسهم اليأس والإحباط، إذ يذكر أن الأمير مرجان كاد يترك القتال وينسحب إلى دار السعادة، نظراً

=أن الذي بعث بها إليهم جاسوسهم الذي ذكر أنه دخل عدن ثم أشهر إسلامه على يد قاضي المدينة، وبعدها التحق بصفوف حاميتها، ومكث فيها حتى انكشف أمره ولقي عقابه على يد الأمير مرجان الظافري. بامطرف، الشهداء السبعة، ص٥٥ .

١) بامخرمة، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٧٣٤.

٢) باب السرّ: هو أحد الأبواب الستة التي أقامها الأمير عثمان الزنجبيلي على السور، ويعرف أيضا بباب حيق. بامخرمة، تاريخ ثغر عدن،ج١ ، ص١٤.

٣) رأس شرشرة: هو ذلك الرأس الصخري البارز الذي يشكل الطرف الشرقي لجبل الخضراء، ويتصل به السور الممتد حتى جبل حقات .

٤) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٧٣٤ .

٥) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٧٣٤ ؛ دلبوكيرك ، السجل الكامل ، ج٣ ، ص٤٥٩ ـ ٤٦٠ ؛ عيسى بن لطف الله ، روح الروح ، ج١، ص١٥ .

٦) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٧٣٤ .

٧) المصدر نفسه والجزء والصفحة.

لعدم تكافؤ طرفي المعركة في العدد والعتاد، فضلاً عن تأخر نجدات الطاهريين لانشغالهم بمحاربة خصومهم[١].

لكن الأمير مرجان كما يبدو قد استقرأ أحداث ووقائع المعركة ورأى إمكانية التقدم والتفوق على العدو، فعاد إلى المعركة في قلةٍ من رجاله، وانضم إليه رجال المدينة وقاتلوا الغزاة حتى ألحقوا بهم الهزيمة المنكرة، وهرب البرتغاليون إلى مراكبهم، ولتمام الإجهاز عليهم أمر الأمير مرجان بضرب مراكبهم بالمدفعية من قلعة صيرة[٢]، فقتلت وجرحت عدداً كبيراً منهم، وعلى إثر هذه الضربة الموجعة التي تلقاها الغزاة قاموا بإضرام النيران في المراكب الراسية في البندر انتقاماً لهزيمتهم[٣] ، وقد ظلت بعض المراكب تناوش المدينة دون طائل فيما أبحرت أغلب مراكبهم إلى جزيرة كمران[٤].

هذا وقد اختلف المؤرخون حول حصيلة قتلى هذه المعركة من الطرفين إذ يذكر المؤرخ شنبل[٥] مائة قتيل برتغالي وخمسين شهيد مسلم، وجاء عند بافقيه الشحري[٦] مائتان من قتلى البرتغاليين فيما لم يحدد عدد شهداء عدن، الذين هم دون شك كوكبة من خيرة رجالاتها أبرزهم إسماعيل بن عمر بن موسى المهري الرحيلي الذي كان أحد أسباب النصر[٧].

وبهذا الانتصار الساحق سجلت المدينة أروع صفحاتها التاريخية ممهورة ببطولات المقاومة الشعبية تحت لواء أميرها الجسور مرجان الظافري .

---

١) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٣٤ .

٢) وصفت قلعة صيرة من واقع سجل رحلات دن بروكه المؤرخة في ١٠ سبتمبر ١٦١٤م/١٠٢٣هـ بأنها كانت مثلثة الشكل، ومشيدة من الجير والحجر، ذات أبراج مستديرة بارزة، وتمتد من أسفل إلى أعلى أي من سفح الجزيرة إلى داخل الحصن، دورة منيعة لها العديد من التحصينات من الجير والحجر، وأضاف أنه علم بأن المياه تخزن في صهاريج حجرية داخل الحصن لمدة سنة كاملة بلا انقطاع، وذلك لمواجهة الهجمات، والحالات الطارئة. حسين محمد سعيد، "هولندا واليمن من رحلة دن بروكه إلى كورنيلوس براور"، مجلة المنار، ع(٦)، اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، عدن، مايو ١٩٩٠م، ص١٢٤.

٣) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٧٣٤؛ المليباري، تحفة المجاهدين، ص٢٦١ .

٤) لم يتمكن دلبوكيرك من العودة إلى الهند أوهرمز في وجه الرياح التي جاء بها إلى عدن وهي الرياح الشمالية الشرقية المعروفة بالأزيب ، فأضطر مسايرتها إلى البحر الأحمر حتى استقر في جزيرة كمران إلى حين هبوب الرياح الجنوبية الغربية التي تسافر بها المراكب إلى بلاد الهند . شهاب ، "عدن بين مدافع البرتغاليين ومماليك مصر" ، مجلة التراث ، ع (٥) ، مركز الدراسات والبحوث اليمني، عدن ، أبريل- يونيو ١٩٩٢م ، ص٤٠ .

٥) تاريخ حضرموت ، ص٢٥٥ .

٦) تاريخ الشحر ، ص١٠٢ .

٧) باسنجله، عبدالله بن محمد بن أحمد، تاريخ الشحر المسمى العقد الثمين الفاخر في تاريخ القرن العاشر، تح: عبدالله محمد الحبشي، ط١، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص٣٥.

٣- عودة البرتغاليين لغزو عدن للمرة الثانية:

أقام البرتغاليون في جزيرة كمران حتى منتصف جمادى الأولى للسنة ذاتها/ يوليو ١٥١٤م، ثم عادوا ليعززوا رفاقهم في عدن استعداداً لمهاجمة المدينة مرة ثانية[١] ، بيد أن الأمير مرجان هذه المرة اتخذ الاستعدادات اللازمة والمتاحة لتحصين المدينة، فبنى دروباً[٢] ومسالك وحصوناً، ولعله بنى الممشى (الممر) بين جزيرة صيرة والبلد لتيسير نقل المؤن إلى الجزيرة والقلعة، كما فتح باب المشاركة أمام أهل عدن للعمل ضمن القوات النظامية، ورتب عسكر البحرية على ساحل البحر وعلى المراكب، وعزز رتبة الحصون والدروب وشحنها بالعتاد[٣].

وعندما وصل البرتغاليون إلى صيرة بدأوا بحرق عشرين مركباً من المراكب الراسية[٤] ثم نزلوا بالسنابيق إلى ساحل صيرة ليلاً، وكان البحر عارياً، وبينما هم يحملون السلالم والعتاد، إذا بأهل المدينة قد ثاروا عليهم بالسلاح من كل مكان، وحدثت بين الطرفين معركة شديدة الضراوة، ثم تدخلت المدفعية، وقصفت مراكب الغزاة من أعلى سور صيرة، ومن الله على عدن بالنصر، وقفل البرتغاليون منهزمين إلى سفنهم بين قتيل وجريح[٥] .

وعن هذا الموقف ذكر دلبوكيرك[٦] أن أهل عدن كانوا يقصفونهم بالمدافع ، وأنه تمكن تمكن فيما بعد من الاستيلاء على ستة وثلاثين مدفعاً كانت في صيرة فاستخدمها لقصف المدينة حتى دمّر الكثير من دورها، وعلى الرغم من صحة رواية الدمار والخراب اللذين ألحقتهما المدفعية بالمدينة، إلا أن عدد المدافع التي ذكرها دلبوكيرك رقم مبالغ فيه، فمن الصعوبة بمكان أن تستوعب صيرة هذا الكم الهائل من المدافع وذلك لضيق مساحتها، ورواية دلبوكيرك لاتبتعد عن كونها محاولة يائسة منه أراد بها تضخيم وقائع المعركة والسلاح المستخدم فيها لتضليل الرأي العام البرتغالي وليبرر عار الهزيمة، وحاول عبثاً إخفاء نتائج الغزو التي جسدت الروح القتالية لأهل عدن، وصمود تحصينات المدينة أمام أخطر وأفخر ما أنتجته مصانع السلاح البرتغالية ؛ وإذا افترضنا صحة ماورد في المذكرات فمن أين تحصل عليها الأمير مرجان ؟ ثم لماذا لم يتم استخدامها استخداماً أمثل في المعركة ؟ ولماذا لم يستعن بها السلطان عامر (الثاني)

---

١) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٧٣٤ ، ٣٧٣٥ .
٢) ذكر دلبوكيرك أنه عندما عاد وجد المدينة قد حصنت بالأسوار العالية . السجل الكامل ، ج٣ ، ص٥٠٤ .
٣) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٧٣٥ .
٤) جاء في مذكرات دلبوكيرك أنه حاول إحراق السفن الراسية في البندر ، غير أن التجار عرضوا عليه الأموال مقابل عدوله عن ذلك ، فرفض عرضهم وساومهم على إطلاق الأسرى البرتغاليين الذين قبض عليهم الأمير مرجان ، فلم يتمكن من تحريرهم وهاجم السفن وأحرقها . السجل الكامل ، ج٣ ، ص٥٠٤ ـ ٥٠٦.
٥) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٧٣٥.
٦) السجل الكامل ، ج٣ ، ص٤٦٨.

لاسيما والبندقية كانت سبباً رئيساً في هزيمته ؟ بالنسبة للأمير مرجان يمكننا القول: إنه قد توافرت له فرص تدمير السفن البرتغالية بالمدافع وذلك قبل دخولها خليج صيرة، غير أنه تحاشى المبادرة في إشعال الشرارة الأولى، وفضّل نهج السياسة الدفاعية، وعندما تقدمت سفنهم وانتشرت في الميناء تعذر عليه ضربها من أعلى جبل صيرة، ذلك أن المدفع لايستخدم في العادة إلا لضرب الأهداف البعيدة المدى. أما السلطان عامر (الثاني) فإننا لانشك في امتلاكه لهذا السلاح الفتاك غير أنه لم يحمله على ظهور الجمال والبغال إلى ساحات المعارك، نظراً لدقة خصائص ومميزات استخدام هذا السلاح الذي يتعذر معه الاعتماد عليه كآلة فعالة في المعارك الخاطفة التي تتطلب سرعة التنقل والحركة لاسيما في المناطق الجبلية، واكتفى بتثبيتها على قصور وحصون المقرانة لحماية ممتلكات بني طاهر، وأبقى عليها كذلك الحكام اللاحقون له، فعندما دخل الإمام المطهر المقرانة سنة ٩٣٤هـ/١٥٢٨م وجد بها المدافع الكبار التي تركتها الدولة الطاهرية[١] .

وعلى أية حال، ففي اليوم التالي أحجم الجند البرتغاليون عن مهاجمة المدينة ولزموا مراكبهم، وكعادتهم أفرغوا غضبهم وغيظهم على السفن الراسية في البندر فأضرموا فيها النار حتى أحرقوها، وفي المقابل تعرضت سفنهم لنيران المدافع والعرادات فأصابتها بأضرار بالغة، وأجبرتهم على الفرار مذمومين مدحورين[٢].

وبهذا النصر المؤزر يكون الأمير مرجان الظافري قد سدد صفعة قوية إلى هيبة البرتغاليين الحربية البحرية، إذ كانت هزيمتهم في عدن أول هزيمة كبرى يتلقونها منذ انتصاراتهم المتلاحقة على الأقاليم الصغيرة في شرق أفريقيا وسواحل الهند الغربية .

وعلى إثر نتائج المقاومة الباسلة التي نظمها وخطط لها الأمير مرجان ضد الغزاة سطع نجمه في الآفاق ، وذاع صيته بحسن الإعداد وبعد النظر والثبات عند الشدائد فوق شهرته كإداري قدير .

ولكي يمسح البرتغاليون عار تلك الهزيمة أو على الأقل يخففون من آلامها ذهبوا ليعززوا مراكزهم العسكرية والتجارية شرقاً فاحتلوا جزيرة هرمز سنة ٩٢١هـ/١٥١٥م[٣].

---

١) أنظر: الكبسي ، اللطائف السنية ، ص٢١٩.

٢) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٧٣٥ ؛ عيسى بن لطف الله ، روح الروح ،ج١ ، ص١٦ .

٣) ذكرت بعض المصادر مقتل عين البقر(دلبوكيرك) على يد الأمير مرجان الظافري . العيدروس ، محي الدين عبدالقادر بن شيخ بن عبدالله ، تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ، ص٩٢ ؛ عبدالعال ، البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص١٢٠ . بينما يذكر البعض وفاته في مدينة جوّا الهندية في ١٦ ديسمبر ١٥١٥م . سيد مصطفى ، الفتح العثماني ، ص٩٠ ؛ محمد علي موسى، "الهجوم البرتغالي على عدن (قراءة من خلال مذكرات الفونسو البوكرك)" ، مجلة اليمن ، ع (٢٣) ، مركز البحوث والدراسات اليمنية، جامعة عدن ، عدن ، جمادى أول ١٤٢٧هـ/ مايو ٢٠٠٦م ، ص١٢٧ .

٤- حملة مماليك مصر على عدن:

شهدت العلاقات اليمنية المصرية مطلع القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي تطوراً إيجابياً لاسيما في مجال التعاون المشترك لحماية مصالح البلدين التجارية مع الشرق، وتعزيز العمل على مقاومة الخطر البرتغالي للحيلولة دون تمكينه من بسط نفوذه على خطوط الملاحة.

وكان أثر ذلك التعاون واضحاً مع خروج الحملة المملوكية الأولى من مصر في ٦ جمادى الآخرة سنة ٩١١هـ/ ٤ نوفمبر١٥٠٦م بقيادة حسين الكردي(١)، وإذ ذاك لم تتوان اليمن عن تقديم التموين اللازم للسفن المصرية عبر موانئها في البحر الأحمر وبحر العرب، وتعرضت مدينة عدن خلال هذه الفترة للعدوان البرتغالي سنة ٩١٩هـ/١٥١٣م في ظل غياب المساعدة المأمولة من المماليك(٢)، وربما يعزى ذلك إلى انشغالهم بتسوية أوضاعهم في المحيط الهندي بعد أن أضرتها البحرية البرتغالية.

وأياً كان الأمر، فقد تغيرت العلاقات الطاهرية المصرية ونحت منحى خطيراً إثر تغير نيات المماليك إبان خروج حملتهم الثانية من مصر والتي اشترك في تجهيزها السلطان قانصوه الغوري والسلطان بايزيد العثماني سنة ٩٢١هـ/١٥١٥م وعين عليها الأمير حسين الكردي قائداً للحملة وسلمان الريس قائداً للأسطول(٣)، حيث يذكر أن البحرية المملوكية عندما وصلت إلى جزيرة كمران في٧ ذي القعدة ٩٢١هـ/ ١٥فبراير١٥١٥م شرعت ببناء حصن لهم(٤) ، وأمروا بإقامة الخطبة لسلطان مصر دون إذن من السلطان الظافر عامر(الثاني) وكأن الجزيرة معدودة ضمناً من أملاك مصر المملوكية، فاستفز هذا التصرف مكانة السلطان الظافر، مع الإشارة إلى أن السلطان الظافر قد استنجد بهم كغيره من أمراء الساحل الغربي للهند(٥)، مما أوحى بحريتهم المطلقة بإقامة القواعد البحرية على السواحل اليمنية أو إنهم عمدوا إلى استفزاز السلطان عن قصد .

---

١) تألفت الحملة من المغاربة وأبناء المماليك في مصر ويعرفون بأولاد الناس ومن المماليك السلطانية والأحباش والتركمان ، وعدد السفن التي أقلتهم حوالي ثلاث عشرة سفينة . ابن إياس ، محمد بن أحمد ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج٤ ، مكتبة يحيى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦٣م ، ص٨٤ .

2) De Nison Ross .E : The Portuguese in India and Arabia between 1507 – 1517 , J.R.A.S, 1921 , Part IV. October , P. 560 .

٣) تألفت هذه الحملة من عشرين سفينة تحمل على متنها ستة آلاف جندي أغلبهم من البحارة العثمانيين والمغاربة والتركمان والبقية من البيوت والفرق المختلفة . ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج٤ ، ص١٩٥- ١٩٩.

٤) ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص٢٢١ ؛ بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٧٤٠ .

٥) المليباري، تحفة المجاهدين، ص٢٤٩ ؛ النهروالي ، قطب الدين محمد بن أحمد ، البرق اليماني في أخبار الفتح العثماني ، ط٢ ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ،١٤٠٧هـ/١٩٨٦م ، ص١٩ .

وكيفما كان قصد الظافر وحقيقة موقفه منهم، فقد انحرفت هذه الحملة عن أهدافها وأجلت مهامها التي خرجت من أجلها، وبدأوا بالتفكير بذريعة تمكنهم من وضع أقدامهم على اليمن بصفة رسمية، وعلى غير المتوقع واتتهم هذه الفرصة بقدوم رسول الإمام شرف الدين حاملاً معه رسالة إلى الأمير حسين الكردي يدعوه فيها إلى تقديم العون والنصرة على السلطان الظافر عامر ومتهماً إياه بمحاربة آل البيت وغيرها من الأعمال التعسفية[١].

وبعد أن استشار الأمير حسين قيادات الحملة، أرسل مبعوثيه إلى السلطان الظافر عامر يطلب منه المدد بالمال والطعام لمحاربة البرتغاليين فاستشار السلطان الظافر هو الآخر وزيريه علي النظاري ومحمد البعداني[٢]، فرأى الأول إجابة المماليك إلى طلبهم، فيما خالف الثاني هذا الرأي وأخذ به الظافر وكاد أن يقتل مبعوثي المماليك[٣]، إذ ظن الظافر أن تكون مطالب المماليك نوعاً من فرض السيادة على اليمن، ثم يتحول طلبهم إلى خراج دائم باسم محاربة البرتغاليين.

ولما بلغ الأمير حسين الكردي ما كان من رد السلطان الظافر أمر بتجهيز حملته لاحتلال اليمن بصفة شرعية، فوصل إلى الحديدة ورماها بالمدفعية ، ثم تمكن من التوغل إلى مناطق الطاهريين خلال عدة أشهر بمساعدة القبائل التهامية المناوئة للطاهريين وكذا أهل جازان، وسقطت زبيد في أيدي المماليك في ١٩ جمادى الأولى٩٢٢ هـ/٢١ يونيو١٥١٦م بعد أن خاضوا معركة شديدة مع القوات الطاهرية التي يقودها الأمير عبدالملك بن عبدالوهاب[٤].

وفي زبيد توصل المماليك إلى قرار يقضي بمهاجمة مدينة عدن وتطويقها من البر والبحر بحيث يزحف جيش المماليك لمحاصرتها من البر بينما يقوم الأسطول البحري بمحاصرتها من البحر[٥]، إلا أن القوات البرية لم تتمكن من الوصول إلى عدن بسبب انشغالها بحرب قوات الطاهريين.

---

١) عيسى بن لطف الله ، روح الروح ،ج١ ، ص١٧ ـ ١٩ .

٢) لم تذكر المصادر لقب الوزارة إلا في عهد السلطان الظافر عامر (الثاني) بن عبدالوهاب الذي اتخذ لنفسه اثنين من الوزراء، وقد جرت العادة في ذلك الوقت على تعيين وزير واحد لإعانة السلطان، بيد أن اشتراك اثنين في الولاية يعد، في تقديري، ظاهرة غير مألوفة تفردت بها دولة الظافر عامر (الثاني) دون الدول التي سبقت الدولة الطاهرية عهداً.

٣) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٧٤١ ؛ عيسى بن لطف الله ، روح الروح ، ج١، ص١٩ ـــ ٢٠ ؛ النهروالي ، البرق اليماني ، ص٢٠ .

٤) ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص٢٢٥ ـ ٢٢٧ ؛ بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ٣٧٤١ ـ ٣٧٤٦ ؛ عيسى بن لطف الله ، روح الروح ،ج١ ، ص٢٣ .

٥) شهاب ، "عدن بين مدافع البرتغاليين" ، ص٤٢ . كما تجدر الإشارة إلى أن أهل عدن قد خافوا من أن يقف بعض الأتراك على البندر وبعضهم على المباة فتحاصر البلد براً وبحراً . بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج١، ص١٨ ـ ١٩ .

ولم تكد مدينة عدن تضمد جراحها بعد هزيمة البرتغاليين حتى فاجأها أسطول المماليك الذي يقوده حسين الكردي وسلمان الريس وعدده واحد وعشرون مركباً قادمة من زبيد عبر زيلع، فكان وصولهم إلى عدن يوم الثلاثاء الموافق ١٣ رجب٩٢٢هـ/١٢أغسطس١٥١٦م، وتزامن ذلك مع نهاية موسم إقلاع مراكب الهند، وحينها تمكن سلمان الريس من إدراك المركب السلطاني الطاهري واستبدل طاقمه بآخرين من رجاله وحمّلهم رسالة إلى صاحب الهند يشير فيها إلى سقوط عدن في أيديهم(١)، وعلى الأرجح أنه قصد بها إحاطة أمراء ساحل الهند الغربي بسيطرتهم على مداخل البحر الأحمر والخليج العربي وقرب انفراج الأزمة التي سببتها أساطيل البرتغال على خطوط الملاحة الدولية .

وأياً كان القصد، فقد استغل ابن أخت سلمان غياب خاله ونزل بالسنابيق وشن هجوماً على البندر بالمدافع والبنادق والسهام،إلا أن قوات المدينة ردت عليهم بالمثل وأجبروهم على التراجع من البندر بعد أن لقي ابن أخت سلمان مصرعه(٢).

وكان رد فعل هذه الهزيمة التي تكبدها المماليك أن أعادوا هجومهم على البندر حتى دخلوه، ثم وجهوا مدافعهم نحو صيرة ودمروا دربها، بينما وثبت قوات المدينة إلى القلعة، ومن باب النوبة(٣) خرجت لهم القوات النظامية وكان البحر حينها عارياً فحملوا على المماليك، ومن القلعة هاجمهم المرتبون فيها بالحجارة حتى تراجعوا للتحصن بمراكبهم(٤).

وعندما عاد سلمان بعد ملاحقته المركب السلطاني فوجئ بهزيمة قواته وساءه مقتل ابن أخته، وقادته حماقته إلى استئناف الهجوم، في حين ترك المرتبون مواقعهم على القلعة وظنوا خطأً بزوال خطر المماليك ونزلوا منها، فاستغل سلمان هذه الفرصة وأسرع إلى السيطرة عليها، وأمر قواته بضرب المدينة بالمدافع، وبرحمة الله ولطفه كانت نيرانها تسقط على جبل

---

١) ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص٢٢٩- ٢٣٠ ؛ بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٧٤٧ ؛ عيسى بن لطف الله ، روح الروح ، ج١، ص٢٤ ؛ النهروالي ، البرق اليماني ، ص٢٣.

٢) ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص ٢٣٠ ؛ بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ٣٧٤٧ .

٣) باب النوبة : ينسب إلى جبل النوبة ، وهو الباب السادس في السور الذي أقامه الأمير عثمان الزنجبيلي الممتد من جبل الخضراء إلى جبل حقات ، بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ،ج١ ، ص١٥ .

٤) ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص٢٣١ ؛ بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ٣٧٤٧ ؛ عيسى بن لطف الله ، روح الروح ،ج١ ، ص٢٤ .

شمسان[١] دون أن تلحق بأحياء المدينة أضراراً تذكر، الأمر الذي أعاد الأمل إلى قوات عدن لمواصلة المقاومة[٢].

ولما تحقق لسلمان من عدم فاعلية القصف من القلعة أنزل المدافع على الممشى(الممر) الذي يربط صيرة بالبلد، وبدأ بقصف السور المقابل لدار السعادة فالحق به أضراراً امتدت حتى زريبة الفوّة، فاضطر أهل المدينة للتسلل ليلاً لترميم السور وحمايته بأكياس من الخيش مملوءة بقطع من الفوّة فعززت من حماية السور[٣].

وفي هذه الأثناء قام سلمان بتحويل نيران القصف المدفعي نحو المدينة بدلاً من السور، فيما تسلق عدد من جنوده السور ونصبوا عليه علمهم، الأمر الذي استفز أحد جنود المقاومة فتقدم إليه ونزعه ورماه وقتل حامله، واشتدت المقاومة حتى أجبرت الغزاة على التراجع إلى مراكبهم[٤].

واستجابة لنداء أمير عدن وصل الأمير عبدالملك بن عبدالوهاب ونصب خيامه في التلاج خارج عدن، وفي اليوم التالي دخل المدينة ونزل في دار السعادة، فانقطعت آمال المماليك في السيطرة على عدن، وجمعوا جنودهم وعتادهم إلى مراكبهم وعادوا يجرون أذيال الهزيمة[٥].

وختم الأمير مرجان فصول الملحمة البطولية بكمين أعده للغزاة في رباك،إذ نزل جماعة منهم ليستقوا فوقعوا في الفخ، وقتل منهم نحو الأربعين عدا الجرحى[٦].

وهكذا فشل حسين الكردي وسلمان الريس أو الرومي في احتلال عدن وعاد إلى جدة بعد أن ترك نائبه برسباي في اليمن يقاتل السلطان الظافر عامر (الثاني)، فتفوقت البندقية المملوكية على السلاح التقليدي اليمني واستطاعوا خلال مدة زمنية قصيرة من السيطرة على

---

١) يعد بامخرمة أول مؤرخ يذكر هذا الجبل بجبل شمسان ، فقد كان يُعرف ذي قبل بالعرّ ، وهو عبارة عن سلسلة جبلية على شكل حدوة الحصان مفتوحة نحو الشرق تحوي عدداً من أحواض التصريف في كل من الطويلة والخساف ، وتصل أعلى قمة في هذه السلسلة إلى حوالي ٥٥٣م . كيث جوردن كوكس وإيان جراهام جاس ودونالد ايفور جون ماك ، التطور الجيولوجي لبراكين عدن وعدن الصغرى ، تعريب : أحمد سعيد باحاج، ط١ ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م ، ص٢١ .

٢) ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص٢٣١ ؛ بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٧٤٨ ؛ عيسى بن لطف الله، روح الروح ،ج١ ، ص٢٤ .

٣) ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص٢٣١ ؛ بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ٣٧٤٨- ٣٧٤٩ ؛ عيسى بن لطف الله ، روح الروح ،ج١ ، ص٢٤ .

٤) ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص٢٣١ ؛ بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٧٤٩ .

٥) ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص٢٣٢ ؛ بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٧٤٩ ؛عيسى بن لطف الله، روح الروح ، ج١ ، ص٢٥ .

٦) ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص٢٣٢ ؛ بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٧٥٠ ؛عيسى بن لطف الله، روح الروح ،ج١ ، ص٢٥ .

مناطق الطاهريين بعد معارك عديدة أسفرت عن مقتل الظافر عامر (الثاني) وأخيه عبدالملك على أبواب صنعاء في ربيع الآخر٩٢٣هـ/١٥مايو١٥١٧م[١].

٥- الغزو البرتغالي لعدن للمرة الثالثة:

كانت تحصينات عدن العسكرية قد تعرضت لأضرار بالغة، فيما قتل عدد كبير من جنود حاميتها إثر عدوان الحملة المصرية، مما استدعى نهوض الأمير مرجان إلى المبادرة بإجراء الترميمات اللازمة لتحصينات عدن بما فيها سورها العالي الذي يعد الخط الدفاعي الأول للمدينة[٢].

وفي هذا السياق ذكر بامطرف[٣] أن الأمير مرجان تلقى في سبيل إنجاز ذلك العمل معونة مالية وعينية سخية من الأمير محمد بن عبدالله الكثيري أمير الشحر[٤]، وقدم تجار وأعيان وأهالي عدن من جانبهم التبرعات الوافرة، فيما التحق عدد منهم إلى صفوف حامية عدن.

وفي أثناء ذلك كان البرتغاليون يترقبون تطورات الأحداث حول عدن، ومن المؤكد أنهم علموا بأنباء الغزو المملوكي الفاشل على المدينة والخراب الذي لحق بتحصيناتها خلال الغزو، فوجدوها فرصة سانحة للانقضاض على المدينة في وقتٍ كانت فيه عدن تضمد جراحها وتبكي القتلى من أبنائها.

وفي ضوء ذلك أبحر الأسطول البرتغالي الذي ضم ثلاثين قطعة بحرية[٥] تحمل على متنها ألفاً ومائتين من المقاتلين بقيادة القبطان لوبوسواريز الذي عين على الأسطول البرتغالي في المحيط الهندي خلفاً لأفونسو دلبوكيرك، فوصلوا عدن في سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م والمدينة وقتئذٍ لم تستكمل ترميماتها الدفاعية[٦].

وفي هذا الصدد يذكر بامطرف أن الأمير مرجان الظافري استشار أعيان المدينة، فرأى غالبيتهم أن يسلمهم الأمير المدينة حقناً للدماء، فوافقهم على ذلك، وخرج الأمير وبصحبته أعيان

---

١) ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص٢٣٤ -٢٣٧ ؛ عيسى بن لطف الله ، روح الروح ،ج١ ، ص٢٧ .
٢) بامطرف ، الشهداء السبعة ، ص٥٤ .
٣) المرجع نفسه والصفحة .
٤) يبدو أن هذه المعونة كانت إضافية إلى جانب الإتاوة السنوية التي كان يرسلها سلاطين آل كثير إلى حاكم عدن نظير إقرارهم على الشحر ، والتي تقدر بعشرين ألف أشرفي ذهباً ، وكميات من القمح ، والتمر ، والأقمشة ، والمواشي ، وشيئاً من العنبر الأصلي. بامطرف ، الشهداء ، ص٩٨ ، ح٥١ ؛ والأشرفي: هو الدينار الذهبي الذي ينسب إلى السلطان المملوكي الأشرف سيف الدين برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢١-١٤٣٧م). الجابر، إبراهيم جابر، النقود العربية الإسلامية في متحف قطر الوطني،٢، وزارة الإعلام والثقافة، الدوحة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص٣٤٦ .
٥) وهي سبع وعشرون قطعة بحرية . بامطرف ، الشهداء السبعة ، ص٥٥ .
٦) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٧٥٧ ؛ بافقيه ، تاريخ الشحر ، ص١٣٣ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج٢ ، ص٦٥٨؛ شهاب ، أضواء على تاريخ اليمن البحري ، ص١٤٧ .

المدينة وتجارها إلى الساحل، ثم أرسلوا مبعوثهم للقبطان سواريز، وأخبره باستسلام المدينة، وبدوره نزل إلى البر في أبهة فائقة ومعه نواخيذ السفن، فرحب بهم الأمير مرجان وهو كظيم يعتريه الذل والقهر، وقال القبطان لوبوسواريز للأمير مرجان إنهم:" لا يريدون الحرب مع أهل عدن بل إنقاذها من المصريين ... ولكم الأمان على نسائكم وأرواحكم وأموالكم"[١] ، كما طلب من الأمير الاحتفاظ بالقلعة والدفاع عنها حتى عودتهم لاحقاً لاستلام المدينة، بعد أن يتم لهم طرد المصريين من البحر الأحمر، ثم غادر لوبو سواريز مدينة عدن عصر ذلك اليوم إلى الحديدة مثقلاً بالعطايا التي قدمها له الأمير مرجان[٢].

وبعد نحو سنة قدم القبطان لوبوسواريز بما تبقى من أسطوله الكسيح إلى عدن ليتسلمها من الأمير مرجان، بيد أن الأمير هذه المرة أبى مصافحة رسل القبطان الابطرف سيفه المسلول، ورفض تسليم عدن لهم، وما من شك أن هذا الموقف الشجاع الذي أتخذه الأمير إزاء لوبوسواريز جاء بعد أن استكملت عدن ترميمات حصونها وأسوارها المنيعة وباتت قادرة على الصمود ، وكذا استعداد حاميتها وتأهبها للمقاومة بعد أن دعمها الأمير بتجنيد المئات من رجال القبائل المحيطة بعدن، ثم وصول النجدة الحضرمية المكونة من ألف مقاتل، ثم أنه من المؤكد أن الأمير مرجان قد بلغه ما حل بالأسطول البرتغالي من دمار وخراب إثر الزوابع التي واجهته على سواحل اليمن، ثم المقاومة التي أنهكته في زيلع، والمرض الذي تفشى بين جنوده، وآخرها وقوع سبعة من بحارته في قبضة حاكم اللحية[٣].

وعلى أية حال، لم يبد القبطان لوبوسواريز حيال الرد العنيف شيئاً يذكر غير عض أصابع الندم، ثم غادر عدن كسيراً ومهاناً.

هذا وقد هاجم بعض الكتاب الغربيين المحدثين القبطان لوبوسواريز لموقفه السلبي من عدن فاتهموه بعدم الحكمة وإضاعته فرصة احتلال المدينة في ذلك الوقت المبكر[٤].

---

١) الشهداء السبعة ، ص٥٥ ـ ٥٦ نقلاً عن سعيد بن علي بامعبيد ، زاد الأسفار في أخبار الشحر وعدن وملابار ، ص٧٩.
٢) الشهداء السبعة ، ص٥٥ ـ ٥٦ .
٣) سيد مصطفى ، الفتح العثماني ، ص١٢٠ ؛ بامطرف ، الشهداء السبعة ، ص٥٨ ؛ شهاب ، أضواء ، ص١٤٧ ، ١٤٩ . واللحية : هي بلد تهامية على ساحل البحر الأحمر شمال الحديدة وهي من الموانئ الصغيرة.
4) Long worth Dames M : The Portuguese and Turks in The India Ocean in The Sixteenth Century , J.R.A.S, Part I , 1921 , pp . 12–13; Wilson , Arnoid.T : The Persian Gulf , an Historical Sketch from the earliest times to the beginning of the twentieth Century , London , George Allen and Unwin Ltd , Second Improsion , 1945, P . 123.

سابعاً- سقوط الدولة الطاهرية:

١- تنافس الطاهريين على عدن:

ساهم مقتل السلطان الظافر عامر(الثاني) ابن عبدالوهاب في زعزعة حكم بني طاهر إلى حدٍ كبير، غير أنه لم يشكل في حينه نهاية الدولة الطاهرية بل مهد الطريق للتعجيل بزوالها، إذ لم يعد لبني طاهر من سيطرة إلا على بعض المناطق ومنها عدن[١].

وعلى كلٍ، فقد تولى شؤون الحكم شهاب الدين أحمد بن عامر خلفاً لأبيه، وعندها أمر الأمير مرجان بذكر اسمه على منابر عدن في محرم ٩٢٤هـ/يناير ١٥١٨م إذ كانت الخطبة حتى هذا التاريخ لا زالت تقام باسم السلطان الظافر عامر[٢].

وما هي إلا أيام معدودة حتى توفي السلطان أحمد مسموماً في محرم للسنة ذاتها[٣]، ولا يستبعد ضلوع أياد طاهرية وراء مقتله، نظراً لازدياد حدة التنافس بين أقطاب الأسرة الطاهرية على الاستئثار بالحكم، ذلك الأمر الذي حاول أن يتحاشاه سلاطينها المؤسسون خلال سني حكمهم.

وللقيام بمهام الحكم تم مبايعة الشيخ عامر (الثالث) بن عبدالملك بن عبدالوهاب وهو صغير السن، وخطب له في عدن بأمر الأمير مرجان الظافري ثم مات هو الآخر في شهر رمضان للسنة ذاتها[٤]، وتم تنصيب محمد بن أحمد بن عامر بن عبدالوهاب، فخطب له على منابر عدن وسائر مناطق نفوذ الطاهريين[٥].

وفي عهد السلطان محمد بن أحمد ظهرت نزعات الأمير مرجان للاستقلال بحكم مدينة عدن والتصرف بشؤونها دون الرجوع للديوان السلطاني، لكنه لم يعلن عن ذلك صراحة تجنباً لحدوث ما لا يحمد عقباه، وللتعبير عن ذلك لجأ مرجان إلى سياسة التضليل والخداع مع سيده، حتى تجلّى ما يبطنه عياناً برفضه تنفيذ أوامر السلطان محمد، ثم انكشف أمره إبان عزم السلطان محمد زيارة عدن لتفقد أحوالها، إذ لم يجبه إلى طلبه وسعى إلى المراوغة والتسويف[٦]، ويفهم من موقفه هذا بأنه كان يسعى إلى حظر أية زيارات قد تعزز من سلطة الطاهريين على عدن، فقد أضحى امتلاك عدن يمثل صكاً شرعياً لاستحقاق السلطنة، وللدلالة

---

١) بلعفير ،" العملة والتداول النقدي" ، ص٢٤٦ .
٢) ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص٢٤١- ٢٤٢ .
٣) المصدر نفسه ، ص٢٤٢ ؛ بافقية ، تاريخ الشحر ، ص١٣٥.
٤) ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص١٤٢ ؛ بافقيه ، تاريخ الشحر ، ص١٣٥.
٥) ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص١٤٢ .
٦) ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص١٤٢ ؛ وجاءت وفاته عند بامخرمة سنة٩٢٥هـ/١٥١٩م.قلادة النحر،ج٣،ص٣٧٦٢.

على ذلك عدم انقياد أهل الجبال لأمر السلطان محمد وقالوها له صراحة: "لا نعرف إنك لنا سلطان حتى يدخلوك عدن"(١).

وأمام إصرار السلطان محمد بن أحمد على الدخول إلى عدن سارع الأمير مرجان إلى خلعه سنة ٩٢٦هـ/١٥٢٠م وإعلان تنصيب عبدالملك بن محمد بن عبدالملك عوضاً عنه، حتى يشغلهما في محاربة بعضهما البعض، فيما ينفرد هو بحكم عدن(٢).

بيد أن السلطان عبدالملك لم يكن بأفضل حال من محمد بن أحمد مع الأمير مرجان، إذ تجرع هو الآخر من ذات الكأس التي شرب منها محمد بن أحمد، وانتظر في لحج طويلاً على أمل زيارة عدن حتى أذن له الأمير بدخولها أواخر ربيع أول ٩٢٧هـ/فبراير ١٥٢١م(٣).

وخلال عشرة أيام أمضاها السلطان عبدالملك بن محمد في عدن تمكن من إجراء اتصالاته مع العسكر وزعماء قبائل يافع لمساعدته على الإطاحة بالأمير مرجان، غير أن الأمير سرعان ما اكتشف خفايا هذه المؤامرة، وبدوره حاول الاحتيال على السلطان عبدالملك ليخرجه من عدن ودفعه إلى مناجزة منافسه المخلوع محمد بن أحمد، فلم تنطل عليه هذه الحيلة، وعلى إثرها مرض الأمير مرجان الظافري ومات كمداً في شهر ربيع الآخر ٩٢٧هـ/١٥٢١م(٤).

وبوفاة الأمير مرجان انفرد السلطان عبدالملك بن محمد بحكم عدن بعد أن استقر له أمرها وولى عليها أخاه الشيخ أحمد بن محمد، ثم مضى قدماً للتخلص من منافسه محمد بن أحمد وإخوته ومحاربة المماليك لاسترداد بلاد أجداده ، لكنه عجز عن تحقيق ذلك ، وقتل على أيديهم سنة ٩٣٣هـ/١٥٢٧م(٥).

٢- سقوط عدن في أيدي العثمانيين :

ظلت اليمن من سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م وهي السنة التي سقطت فيها مصر على يد العثمانيين حتى سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م بعيدة عن الإستراتيجية العثمانية، واكتفوا بسيادتهم الاسمية على المناطق اليمنية الخاضعة لسلطة المماليك الذين اضطروا إلى إعلان ولائهم للدولة العثمانية.

---

١) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٧٦٥ ؛ بافقيه ، تاريخ الشحر ، ص١٤٧ .
٢) ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص٢٤٣؛ بافقيه ، تاريخ الشحر ، ص١٤٨ ؛ بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٧٦٥ - ٣٧٦٦ .
٣) ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص٢٤٢ ؛ بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٧٦٨ .
٤) ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص٢٤٢ ؛ بافقيه ، تاريخ الشحر ، ص١٥٣ ؛ بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣، ص٣٧٦٩ . تم دفن الأمير مرجان الظافري في قبة العيدروس . العيدروس ، النور السافر ، ص١٢٣ .
٥) العيدروس ، النور السافر ، ص١٢٣ ؛ عيسى بن لطف الله ، روح الروح ، ج١ ، ص٤١ .

وكان متوقعاً عقب سيطرة العثمانيين على مصر أن يوجهوا أنظارهم صوب البحر الأحمر والمحيط الهندي ومحاربة البرتغاليين، بيد أن السلطان سليم الأول وجه اهتمامه إلى تعزيز الأسطول العثماني في البحر المتوسط، وسار على نهجه السلطان سليمان القانوني الذي أولى الجبهة الأوروبية جل اهتمامه(١).

وفي منتصف تلك الفترة الزمنية الممتدة من سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م حتى ٩٤٥هـ/١٥٣٨م تولى أمر عدن الشيخ أحمد بن محمد لمدة قصيرة(٢)، ويبدو أنه تعرض خلال وجوده في عدن لضغوط الصراعات الداخلية وذلك عقب مقتل السلطان عبدالملك بن محمد سنة ٩٣٣هـ/١٥٢٧م والتي منها تنافس أفراد الأسرة الطاهرية على الحكم وما يقابله من تفوق لتيار الإمام شرف الدين(٣) وازدياد نفوذه في اليمن، ثم خطورة الجبهة الخارجية التي لم يعد ينفع معها سياسة التوازنات التي حققت لعدن استقلالها لمدة من الزمن، إذ أصبحت بحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى موقف عدن المحدد من طرفي الصراع البحري، فإما أن تكون مع العثمانيين أو مع البرتغاليين! وجل هذه الضغوط أجبرت الشيخ أحمد بن محمد على مغادرة عدن سنة ٩٣٣هـ/١٥٢٦م على غراب يريد اللجوء إلى الهند، وبذل أعيان عدن آنذاك جهدهم في إعادته لإقرار شؤون المدينة، لكن دون جدوى، فوصل قشن ثم رجع إلى اليمن ليجد ابن عمه الشيخ عامر بن داود في انتظاره ثم أمر بتحديد إقامته في تعز ليس له من الأمر شيء حتى كانت نهايته على يد المطهر بن الإمام شرف الدين الذي قبض عليه وأرسله إلى صنعاء أسيراً(٤).

ثم اجتمع رأي أعيان عدن على تولية الأمر للأمير عبدالصمد بن إسماعيل وهو عبدٌ مولّد لبني طاهر، وقرروا مراسلة سليمان باشا تسليم البلد إليه، غير أن عبدالصمد رفض ذلك بحجة أحقية عامر بن داود بورث ملك أجداده وعدم إجازتها لغير الطاهريين(٥).

وبناءً على ذلك أرسل أعيان عدن لطلب الشيخ عامر (الرابع) بن داود لتولي مقاليد الحكم وتزامن ذلك مع وصول رسول سلمان باشا (الريس) إلى عدن في شهر صفر

---

١) سيد مصطفى ، الفتح العثماني ، ص١١٤ . حرص السلاطين العثمانيون على أن يذيعوا أخبار انتصاراتهم على الشعوب الأوروبية في مختلف البلدان الإسلامية ، مما أكسب العثمانيين مكانة رفيعة من الناحية المعنوية، وساعدتهم إلى حدٍ كبير في الاستيلاء على الأقطار العربية لاسيما عندما كانت الدولة العثمانية في بداية توسعها التاريخي . أباظة ، فاروق عثمان ، الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢ـ ١٩١٨م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٦م ، ص١٩ .

٢) ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص٢٤٢؛ باسنجلة، العقد الثمين، ص٤٣.

٣) هو المتوكل على الله يحيى بن شمس الدين بن أحمد بن يحيى بن المرتضى بن الفضل بن المنصور بن الفضل بن الحجاج بن علي بن يحيى بن القاسم بن يوسف بن المنصور بن يحيى بن الناصر بن أحمد بن يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، من مؤلفاته: البحر الزخار ، وكتاب الأحكام في أصول الزيدية. النهروالي ، البرق اليماني ، ص٦٠.

٤) بافقيه ، تاريخ الشحر ، ص١٨٢ ؛ باسنجلة، العقد الثمين، ص٤٣ ؛ عيسى بن لطف الله ، روح الروح ، ج١، ص٥٥ ـ ٥٦.

٥) بافقيه ، تاريخ الشحر ، ص١٨٣ .

٩٣٤هـ/١٥٢٨م ، ويدعوهم إلى السمع والطاعة ، فأجابه الأمير عبدالصمد إلى المصالحة على أن تكون السكة والخطبة باسم السلطان سليمان القانوني، وتضمن أحد بنود الصلح بأن تدفع عدن نصف عشور موسم المراكب التي تصل من الهند(١).

وبينما الشيخ عامر (الرابع) بن داود نازل من الجبال في طريقه نحو عدن لتولي مقاليد الحكم اعترضته قبيلة الطوالق وتمكنوا من قتل اثنين أو ثلاثة من مرافقيه وأثخنوا جراحه حتى ظنوا موته، بيد أنه نجا وحُمل إلى عدن ودخلها، وذلك بعد أن خُطب له بعدن قبل قدومه بنحو شهر واستمرت الخطبة للسلطان سليمان العثماني ولعامر بن داود حسب الصلح المبرم بين الطرفين(٢).

وعلى صعيدٍ آخر، لم يدم نهج العثمانيين نحو تعزيز وجودهم في أوروبا لمدة طويلة، إذ أولوا الشرق اهتماماً واسعاً ، نظراً للتهديد الجدي الذي استشعروه من التقارب الصفوي الأوروبي ومدى خطورته على الأراضي المقدسة، ناهيك عن تأمين مصالحهم السياسية والاقتصادية فهي لا تقل أهمية عن مصالحهم في أوروبا، ولذا جهز إبراهيم باشا والي مصر حملة تكونت من أربعة آلاف جندي وعشرين سفينة وأرسلها إلى اليمن وجعل إمرتها لخيرالدين حمزة وقيادة الأسطول لسلمان الريس، وبعد وصولها سنة ٩٣٢هـ/١٥٢٦م تآمر حمزة على سلمان وأغتاله سنة ٩٣٤هـ/ ١٥٢٨م ، ثم دارت الدائرة على حمزة وقتل على يد ابن أخت سلمان ويدعى مصطفى بيرم(٣).

واستكمالاً لأهداف الأسطول العثماني توجه مصطفى نحو عدن، كما أمر في الوقت ذاته حاكم زبيد بالزحف لمحاصرتها براً، وضربوا الحصار على المدينة قرابة خمسة أشهر أي منذ ٩ ذي الحجة ٩٣٥هـ/١٥٢٩م حتى شهر ربيع الآخر ٩٣٦هـ/١٥٣٠م(٤).

وعلى الرغم من طول مدة الحصار إلا أن عدن صمدت وقاتلتهم لمدة أربعة أيام، وصبر أهل المدينة على الجوع حتى أكلوا القطط والكلاب، ثم فشل الحصار وعاد مصطفى بيرم خائباً إلى زبيد(٥).

وكان من نتائج هذا الحصار الجائر على عدن أن ضعفت تحصيناتها الدفاعية، ولم تعد قادرة على مواجهة غزوة أخرى، الأمر الذي استغله ايتوردا سيلفيرا البرتغالي وتقدم بقواته

---

١) بافقيه، تاريخ الشحر، ص١٨٣- ١٨٥ .
٢) المصدر نفسه ، ص١٨٥ - ١٨٦ .
٣) ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج٤ ، ص١٩٥ ؛ بافقيه ، تاريخ الشحر ، ص١٨٩ ؛ النهروالي ، البرق اليماني، ص٥٣ -٥٤ ؛ سيد مصطفى ، الفتح العثماني ، ص١٥١ .
٤) بافقيه ، تاريخ الشحر ، ص١٩٠ - ١٩٣ .
٥) المصدر نفسه ، ص١٩٣؛ باسنجلة، العقد الثمين، ص٤٥ ؛ وذكر النهروالي أن مصطفى بيرم توجه إلى سلاطين الهند فأنزلوه منزلةً عظيمة ، ثم توفى مسموماً سنة٩٤٥هـ/١٥٣٨م.البرق اليماني ، ص٥٥.

نحوها وهو إذ ذاك في طريقه إلى الحبشة وذلك في شهر شعبان٩٣٦هـ/١٥٢٩م،١٥٣٠م، ولم يكن دا سيلفيرا يقصد مهاجمتها، ولمس خلال مقابلته لوالي المدينة أن عدن باتت تعيش فترة حرجة يعتريها الضعف والاستسلام، فاغتنم هذا الفرصة وأرغمه على إبرام معاهدة مع البرتغال يقضي أول بنودها بدفع عدن مبلغاً سنوياً قدره عشرة آلاف دينار أشرفي، وثانيها السماح للسفن البرتغالية باستخدام ميناء عدن، وثالث البنود عدم تعرض البرتغاليين للسفن التجارية المغادرة والقادمة من وإلى عدن(١) .

وترك دا سيلفيرا لتنفيذ هذه الاتفاقية سفينة وأربعين جندياً في عدن، وكان الجنود البرتغاليون يزفون مع عسكر السلطان الطاهري خلف الوالي عند خروجه لصلاة الجمعة في جامع عدن، مما أثار غضب الأهالي واستنكارهم، إلا أن الوالي برر توقيعه على تلك المعاهدة بداعي خوفه من العثمانيين(٢).

وأياً كان الأمر الذي قاد عدن إلى هذه المنزلة، فالاتفاقية لم تدم سوى سنة واحدة، أعلن الوالي بعدها تبعية عدن للخلافة العثمانية وذكر اسم سلطانها في الخطبة، وتم إيداع الجنود البرتغاليين سجن عدن(٣) . ولإدراكه العميق بخطورة هذا الموقف أرسل عامر (الرابع) ابن داود الشيخ عبدالله بن شيخ العيدروس (ت٩٤٤هـ/١٥٣٧م) إلى حضرموت لجلب المدد لنجدة عدن ، فاستخدم العيدروس نفوذه هناك وقام بتجنيد مائة من المهرة للخدمة في حامية عدن ، بيد أنها فيما يبدو قد تعذر عليها الوصول إلى عدن ، إذ اعترضهم البرتغاليون في البحر ، وأطلقوا عليهم النار ، ثم ألقوا عليهم العبوات المشتعلة لإحراق السفينة ، فأصيب بعضهم بحروق(٤) .

وعلى إثر التنافس الدولي على خطوط الملاحة التجارية دخلت عدن أسوأ مراحلها التاريخية حيث تقاذفتها أمواج العثمانيين حيناً والبرتغاليين حيناً آخر، وسعى ولاتها لبذل أقصى جهودهم للمحافظة قدر الإمكان على أن تبقى عدن خارج ميدان المنافسة، لأنها هي وحدها ماتبقى من ملك الطاهريين مع حلول سنة ٩٤٤هـ/١٥٣٧م(٥).

---

١) شهاب ، أضواء ، ص١٥٠ . وذكر سيد مصطفى سالم أن هذه المعاهدة قد تم إبرامها سنة ١٥٢٤م ، لكن فاسكو دي جاما نائب ملك البرتغال في المحيط الهندي رفضها بوصفها غير مجدية مالم تحقق السيطرة الكاملة على عدن ، الأمر الذي قاد سيلفيرا إلى الاعتداء على عدن وضربها بالمدفعية خلال رحلته إلى مصوع سنة ٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م ، ثم أبرم سيلفيرا معاهدة مع عدن سنة ١٥٣٠م بالشروط ذاتها وأضاف إليها بنداً جديداً هو عدم توجه سفن العدنيين إلى جدة . الفتح العثماني ، ص١٢٧ .
٢) شهاب ، أضواء ، ص١٥٠ ؛ سيد مصطفى ، الفتح العثماني ، ص١٢٧ - ١٢٨ .
٣) تم الاستفادة من خبرات السجناء البرتغاليين في صناعة الأسلحة والآلات الحربية . سيد مصطفى ، الفتح العثماني ، ص١٢٨ .
٤) العيدروس ، النور السافر ، ص١٢٣ ؛ بامطرف ، الشهداء ، ص٨٧ – ٨٨ ، ح(١٤٠) .
٥) عيسى بن لطف الله ، روح الروح ،ج١ ، ص٥٨ .

وما من شك أن السلطان عامر (الرابع) بن داود قد نجح إلى حدٍ ما في تغليب مصلحة هذا الثغر، بيد أن استمراره أضحى صعباً مع تنامي قوة نفوذ الدولة العثمانية وشدة سطوتها في مياه اليمن الإقليمية .

وفي هذا الصدد قام سليمان باشا الأرناؤطي العثماني بالاتصال مع أمراء الساحل اليمني مثل أميري عدن والشحر يخبرهم بخروج حملة جديدة لضرب البحرية البرتغالية، ويطالبهما الدخول في طاعة العثمانيين فوافق بدر أبوطويرق أمير الشحر[١]، بينما عمد السلطان عامر (الرابع) بن داود إلى المراوغة والمماطلة، وآثر عدم الرد عليهم[٢].

وغادرت الحملة ميناء السويس في ١٥محرم٩٤٥هـ/١٣يونيو١٥٣٨م وهي مؤلفة من ست وسبعين سفينة حربية[٣] تحمل على متنها أربعة آلاف من جنود الحرس السلطاني وستة عشر ألفاً من أعراق مختلفة ، وكان الغرض الكامن من ورائها احتلال اليمن[٤]، فعرجت على جدة، ثم استقرت في جزيرة كمران ، والغريب في الأمر أن السلطان عامر (الرابع) أرسل إليهم يستنصرهم على غريمه التقليدي الإمام شرف الدين، فأوهمه سليمان باشا بالمساعدة، ثم واصلت الحملة إبحارها حتى وصلت عدن في ٧ربيع الأول للسنة ذاتها/٣ أغسطس١٥٣٨م، فأحسن السلطان عامر استقبالهم وفتح أمامهم أبواب المدينة ليدخلوها، في حين كان سليمان باشا قد حاك نسيج مؤامرته الغادرة بسلطان عدن وحدد أدواتها إذ كلف فرحات الصوباشي وجنوده بالاستيلاء على المدينة عقب دخولهم مباشرة[٥].

وعندما دخل الجند العثمانيون المدينة قاموا بأعمال السلب والنهب، في حين كان السلطان عامر وستة من أتباعه متوجهين إلى سفينة سليمان باشا لاستقباله والاحتفاء به، وما إن علم سليمان الخادم بتمام احتلال جنوده للمدينة حتى غدر بالسلطان عامر (الرابع) بن داود ومن معه وأمر بشنقهم على صاري سفينته وتركهم معلقين لمدة ثلاثة أيام[٦]، واحتل العثمانيون مدينة مدينة عدن بعد خمسة أيام من وصولهم إليها أي في ١٢ ربيع الأول ٩٤٥هـ/٨ أغسطس

---

١) على الرغم من مظهر استقلالية حكم أبو طويرق للشحر إلا أنه كان يدفع لحاكم عدن إتاوة سنوية قدرها خمسة عشر ألف أشرفي ذهباً ، وكميات من القمح ، والتمر ، والأقمشة ، والمواشي يقدر ثمنها بعشرة آلاف أشرفي. بامطرف ، الشهداء ، ص٧٥ ، ح (٩٩) .
٢) سيد مصطفى ، الفتح العثماني ، ص١٥٩ .
٣) وعددها عند المليباري مائة من الغربان والبرشات وغيرها. تحفة المجاهدين، ص٢٧٧.
٤) أباظة ، الحكم العثماني ، ص٢٢ .
٥) النهروالي ، البرق اليماني ، ص٨٠ ؛ عيسى بن لطف الله ، روح الروح ،ج١ ، ص٥٨ - ٥٩ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج٢ ، ص٦٨٤؛ لقمان ، تاريخ عدن ، ص١٢٨ - ١٢٩ ؛ سيد مصطفى ، الفتح العثماني ، ص١٦٠ - ١٦١ ؛ شهاب ، أضواء، ص١٥٨ .
٦) وذكر آخرون عن تردد السلطان عامر (الرابع) بن داود في زيارة سفينة سليمان باشا وأن فرحات وجنوده انقضوا على السلطان عامر وأقاربه وحاشيته وأرسلوهم إلى السفينة مقيدين . يحيى بن الحسين ، غاية الأماني، ج٢، ص٦٨٤ ؛ لقمان ، تاريخ عدن ، ص١٢٩ .

١٥٣٨م[١]، وورد عن سليمان أنه كتب على باب عدن تاريخ فتحه لهذه المدينة ، ثم أرسل إلى السلطان العثماني بأنه افتتحها قهراً ، لكن غدره بالسلطان عامر بن داود شاع في أطراف البلاد ، حتى بلغ مسامع سلاطين بنادر الهند ، فزاد نفورهم منه ، وكان ذلك سبباً لعدم مساعدتهم له على البرتغال[٢] .

ويذكر أن سليمان قد برر فعلته الغادرة بأنها جزاء لرغبة السلطان عامر في تسليم عدن للبرتغاليين[٣]، بيد أن مشهد بشاعتها يميط اللثام عن الحقد الذي أوغر في صدره منذ هزيمته أمام الأمير الشجاع مرجان الظافري سنة ٩٢١هـ/١٥١٥م ومصرع ابن أخته على ساحل صيرة.

وإذا كانت الحرب خدعة كما يقال فالمعروف أن الخدعة تكمن في الخطط العسكرية أو في فنون الحرب المتعددة، وهذا لاينطبق على حالةٍ سلميةٍ كهذه قُتل فيها المستضيف على حين غرة.

لعمري إنها فضيحة مخزية ارتكبتها الدولة العثمانية حين أسندت لهؤلاء المعتوهين قيادة الأسطول الإسلامي للقيام بمهام استرجاع هيبة المسلمين في المحيط الهندي، ويمثلون في الوقت ذاته واجهة السلطان العثماني في بلاد المشرق، فانقادوا لإشباع غرائزهم السادية وارتكبوا جريمة غير أخلاقية، وبعيدة كل البعد عن قيم الإنسانية ، ولاتمت لمواثيق الشرف العسكري بصلة[٤].

ولأن الشيء بالشيء يذكر، وقفت متسائلاً: ألم يكن السلطان الظافر عامر (الثاني) بن عبدالوهاب محقاً في خوفه من أساطيل مصر المملوكية ؟

مامن شك أن السلطان عامر (الثاني) بن عبدالوهاب قد أبدى استعداده للتعاون مع المماليك في ضرب المصالح البرتغالية في بلاد المشرق، غير أنه لم يكن إيجابياً قدر المجهود الحربي الضخم الذي بذلته مصر، وبرر بعض المؤرخين المحدثين تقصير السلطان الظافر بأنه يعود إلى انشغاله بحروبه الداخلية مع خصومه في أكثر من جبهة[٥]، لكن هذا المبرر في تقديري عار عن الصحة ويحط من قدرات السلطان وحنكته السياسية في التعامل مع الأحداث

---

١) سيد مصطفى ، الفتح العثماني ، ص١٦١ .
٢) النهروالي ، البرق اليماني ، ص٨١ .
٣) لقمان ، تاريخ عدن ، ص١٢٩ ؛ أباظة ، الحكم العثماني ، ص٢٢ .
٤) ماذا يمكن أن نسمي دخول العثمانيين إلى عدن وتحت أي مصطلح لغوي هل هو فتحاً؟ بالتأكيد لا ؛ لأن هذا لاينطبق إلا على البلاد غير المسلمة، وماذا عن مصطلح الغزو أو الاحتلال وخصوصاً إذا ما أخذنا بعين الاعتبار ما واجهه العثمانيون من مقاومة خلال تواجدهم في اليمن وحجم الخسائر البشرية والمادية التي تكبدها الطرفين؟! على أن رأيي قد استقر على مصطلح الحملة ويمكن تفسيرها على اتجاهين متضادين فهي إما حملة إغاثة أم حملة سيطرة, وخيراً يراد بها أم شراً .
٥) سيد مصطفى ، الفتح العثماني ، ص٧٢ .

الداخلية والخارجية، فقد كان باستطاعته تقديم كل ما في وسعه للمماليك حتى يكسب ودهم ويعمق صداقته بهم ، ومن ثم يستعين بهم لضرب خصومه المحليين دون عناء أو مشقة وكل ذلك لم يكن ليكلفه كثيراً غير إصدار أوامره السلطانية لحكام الموانئ بتقديم المؤن وغيرها لسفن المماليك.

وعليه، فإنه من المؤكد أن السبب الحقيقي الذي وقف خلف تخاذل السلطان الظافر كان يعود إلى عدم ثقته بهم، إذ يراهم أشبه بالغزاة البرتغاليين مهما اختلفت العقائد والمصالح، وهو الأمر الذي لم يفطن إليه عامر (الرابع) بن داود آخر سلاطين الدولة الطاهرية ، وبهذا الحدث سقطت الدولة الطاهرية عن حكمٍ دام سبعاً وثمانين سنة، وكما تم إعلان قيامها من عدن كانت نهايتها في هذه المدينة أيضاً .

والجدير بالملاحظة مما تقدم ، أن عدن في عصر الطاهريين كانت باباً للسيطرة على اليمن ، كما كانت في الوقت ذاته بمثابة الملجأ الأخير الذي يحرص المغلوب على التمسك به والدفاع عنه والتحصن فيه، بالإضافة إلى أن المدينة كانت مفتاحاً لمعظم إن لم يكن لكل محاولات التوغل الأجنبي في أراضي اليمن .

ثامناً- العوامل التي أدت إلى سقوط الدولة الطاهرية :

تبيّن من خلال استقراء الأحداث التاريخية أن الأسباب التي كمنت وراء سقوط الدولة الطاهرية تعود إلى اشتراك عدد من العوامل المعقدة، التي يمكن تقسيمها على النحو الآتي :

١- العوامل الداخلية:

على الرغم من تسيد المذهب الزيدي في حول صنعاء وشمالها، إلاّ أن ظروف المنطقة المضطربة قد أفرزت خروج أكثر من إمامٍ واحد وفي وقتٍ واحد وكل منهم يدعو لنفسه دون الآخرين مما أدى إلى انفراد كل منهم بحكم جهاته، فأثر ذلك على علاقتهم ببعض بين الحرب والسلام، فلم تحكمهم وحدة المذهب، بل المصالح المادية المختلفة، واللافت للنظر أن هذا الوضع يكاد يكون مشابهاً تماماً لأحوالهم خلال السنوات الأخيرة من عمر الدولة الرسولية، وكأن الأمر يتكرر مع اختلاف التسميات. ومهما يكن من أمر، فوضع اللا استقرار الذي مرت به الزيدية لم يحسن استغلاله بنو طاهر السنيون، حيث ارتضى بعض سلاطينهم المهادنة والتعايش السلمي مع الأئمة، فيما رأى البعض الآخر محاربتهم لفرض السيادة الطاهرية على المناطق الشمالية.

ومامن شك أن السياسة التوسعية التي نهجها السلطان عامر (الثاني) بن عبدالوهاب قد نجحت إلى حدٍ كبير في فرض السيادة الطاهرية على ثلثي اليمن، إلا أن ذلك قد كلّف الخزانة الطاهرية مبالغ طائلة وجهداً حربياً ضخماً ظهرت آثاره السلبية لاحقاً على جبهات القتال الأخرى، فاضطر السلطان عامر (الثاني) آنذاك إلى الاستعانة بأموال الوقف وسط استنكار عدد من الفقهاء[١]، ومع هذا لم يتمكن عامر (الثاني) والسابقون عليه واللاحقون له من حسم صراعهم مع الأئمة بصورة نهائية، لا لقوتهم العسكرية بل لدخول أطراف أخرى مناوئة لحكم الطاهريين لاتقل خطورة عن الأئمة ، الأمر الذي أنهك قدرات الطاهريين وشتت جهودهم الحربية والمادية.

وقد ابتلي الحكام الطاهريون كما ابتلي أسلافهم الرسوليون بنمو واستفحال نزعات التملك بين أفراد الأسرة وتنافسهم على الحكم، إذ خرج على السلطان عبدالوهاب بن داود بنو عمومته كالشيخ يوسف والشيخ إبراهيم أبناء عامر بن طاهر[٢]، كما واجه السلطان عامر (الثاني) بن عبدالوهاب هو الآخر معارضة أخواله ومنهم الشيخ عبدالله والشيخ محمد والشيخ عمر أبناء عامر (الأول) بن طاهر[٣]، ثم انضم إليهم الشيخ عبدالباقي بن محمد بن طاهر[٤]، كما كان لنساء بني طاهر يد طولى في تأجيج النزاع الأسري لاسيما أم الشيخ يوسف بن عامر[٥].

على أن السبب الجوهري الذي وقف خلف النزاع الأسري يعود إلى مبادئ نظام الحكم الوراثي الذي أرساه مؤسسو الدولة الطاهرية بصفته النظام الملائم للتبادل السلمي للحكم، والذي أخذت به أغلب الدول الإسلامية في ذلك الوقت. وعلى الرغم من صلاحية النظام الوراثي الذي شهده ذلك العصر وإسهامه الفعّال في نهضة عدد من الدول وتطورها سياسياً وحضارياً، إلا أن مساوئه كان لها الغلبة العظمى في الانهيار المبكر لعدد من الدول اليمنية ومنها الدولة الطاهرية التي تضررت هي الأخرى بنتائجه المخيبة، إذ أحدث في الأسرة الطاهرية شرخاً عميقاً ظهرت آثاره واضحة في خروج عدد من أبناء الطاهريين لتشكيل جبهات قوية مناوئة للحاكم الطاهري نفسه، وبدأت بوادرها مع تولي السلطان عبدالوهاب بن داود الحكم خلفاً لعمه المجاهد علي بن طاهر الذي ،كما يبدو، لم يكن له ولد يرث الملك من بعده، مما أثار حفيظة أبناء الظافر عامر بن طاهر الذين كانوا يظنون في عطف عمهم المجاهد وصحبته لهم في حله وترحاله ما يفهم

---

١) ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص٢٤٠ .
٢) المصدر نفسه ، ص١٦٠ ، ١٧٦ .
٣) المصدر نفسه ، ص١٨٥ - ١٨٦ .
٤) المصدر نفسه ، ص١٨٩ .
٥) المصدر نفسه ، ص١٩٣ .

منه ضمنياً تمهيد الأمر لهم، وأنه يعمل على تأهيل أحد منهم لخلافته لا سيما بعد أن ولّى أخاهم يوسف بن عامر نائباً عنه على زبيد[١]، مع علمهم بأنه قد عهدها وهو على فراش المرض لابن أخيه عبدالوهاب بن داود الذي تولى أمر صنعاء في حياة عمه سنة ٨٦٦هـ/١٤٦٢م[٢].

وأياً كان الأمر، فقد رأى المخالفون من بني طاهر بعدم شرعية تنصيب عبدالوهاب بن داود ثم ابنه عامر (الثاني)، وصارا في نظرهم وكأنهما مغتصبان للعرش الطاهري، مما أدى إلى المواجهات المسلحة بين الحكام والخارجين عليهم أزهقت فيها الأرواح والأنفس، وزج بالمخالفين من ذوي القربى في سجون الدولة في وقتٍ هم فيه أحوج ما يكونون إلى التوحد ورص الصفوف لمواجهة أطماع المتربصين، غير أن المخالفين لم يفطنوا لذلك حتى مابعد مقتل عامر (الثاني) بن عبدالوهاب، إذ استمروا يناهضون الحكام اللاحقين له حتى صارت الخلاف سمة ملازمة لأي سلطان طاهري، فاستغل أعداؤهم هذه الأوضاع المضطربة وسعوا إلى تعزيز مراكزهم ومدوا نفوذهم إلى الأراضي الطاهرية ومنهم على سبيل الذكر المطهر بن الإمام شرف الدين الذي توسع جنوباً حتى وصل إلى محاصرة مدينة عدن آخر معاقل الطاهريين في عهد آخر سلاطينهم عامر بن داود.

ومن ناحية أخرى ساعدت ثورات القبائل التهامية على السلطان الطاهري في إضعاف الدولة إلى حدٍ كبير، غير أن خروجها المتكرر ،في تقديري، يعود إلى شدة معاناتها من ظلم وتعسف الحكام وجور الولاة ، وغارات حملاتهم العسكرية على الأعراض والأموال دون مراعاة للحقوق والحرمات، الأمر الذي رسخ جذور الكراهية للحكم الطاهري، ثم ظهرت آثار النقمة والسخط الشعبي في مساعدتهم للمماليك للتوغل في أراضي الطاهريين، بيد أن هذا العداء قد تغير في المرحلة التاريخية التي أعقبت مقتل السلطان الظافر عامر (الثاني) إثر تولي السلاطين الضعفاء وصغار السن مقاليد الحكم الطاهري ،وانحسار نفوذهم تدريجياً ، ثم ازدياد نفوذ الأئمة الزيدية جنوباً، حيث تمسك سكان المناطق السهلية ومنهم التهاميون بالطاهريين باعتبارهم يمثلون الامتداد التاريخي للدول السنية، وأضحوا رمزاً لمقاومة السهليين للجبليين، وتجلى ذلك في المؤلفات اليمنية المعاصرة وقتذاك والتي أشار فيها المؤرخون إلى ولاة الطاهريين على أنهم الدولة، فيما أشاروا إلى الأئمة الزيدية بأسمائهم فقط[٣]، كما أصبح بنو طاهر رموز مقاومة السهليين للجبليين النازحين إلى بلادهم، وهذا الوضع ساعد إلى حدٍ ما في بقاء الطاهريين على خريطة اليمن السياسية لفترة أطول، وفي تقديري أن هذا الموقف الذي

---

١) ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص١٥١.
٢) ابن الديبع، قرة العيون،ج ٢، ص١٥٤.
٣) سيد مصطفى ، الفتح العثماني ، ص١٣٦ .

اتخذته القبائل التهامية على الرغم من ايجابياته إلا أنه جاء بعد فوات الأوان، إذ فقدت الدولة الطاهرية جل أسباب البقاء والمقاومة إبان الغزو الخارجي.

العوامل الخارجية:

واجهت الدولة الطاهرية منعطفاً تاريخياً خطيراً في منتصف عمرها السياسي إثر التغيير الشامل الذي أحدثته البحرية البرتغالية على خريطة العالم السياسية والاقتصادية مطلع القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ، تطورت معها مفاهيم الصراعات والنزاعات المحدودة الأهداف إلى مفهوم السياسة الاستعمارية الحديثة المتعددة الأهداف .

فقد حدث في عهد السلطان عامر (الثاني) أن تحولت التجارة الشرقية إلى طريق رأس الرجاء الصالح على يد البرتغاليين، مما أدى إلى نقص في إيرادات الدولة الطاهرية، ومن ثم إلى ضعف حكمهم لليمن، وحاول الطاهريون من جانبهم استعادة نشاطهم التجاري مع الشرق إلا أنهم فشلوا لافتقادهم السفن الضخمة القادرة على منافسة الأسطول البرتغالي.

ومن ناحية أخرى ، أدى تحول التجارة الشرقية إلى قيام الصراع المملوكي البرتغالي في مياه المحيط الهندي، وترتب على ذلك أن قامت مصر المملوكية بإرسال حملة للسيطرة على اليمن كجزء من خططها الوقائية لحماية مصالحها التجارية في البحر الأحمر .

وكان للخارجين عن السلطان الطاهري دور بارز في تذليل الصعاب أمام المماليك وتمكينهم من السيطرة على بلاد بني طاهر في مدة وجيزة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان المماليك أقوى تسليحاً من الطاهريين، فالبندقية التي امتلكتها القوات المملوكية لم تكن وقتذاك معروفة لأهل اليمن، فكان لها أثرها الفعال في إلحاق الهزائم بجيوش الطاهريين ومقتل السلطان الظافر عامر (الثاني) سنة ٩٢٣هـ/١٤١٧م.

ولما تمكن العثمانيون من الاستيلاء على مصر في ٩٢٣هـ/١٥١٧م أيقن المماليك في اليمن أنه لامفر من الاعتراف بسيادة العثمانيين والخضوع لهم ولو اسمياً لضمان استمرار بقائهم في اليمن، ثم وصل بهم الحال لاحقاً إلى فئةٍ من المرتزقة تمتهن القتل والسلب والنهب ، حيث استغلوا حالة الوهن التي أصابت الطاهريين ، ومدوا أيديهم ليغنموا ما كان بحوزتهم من الكنوز والذخائر والممتلكات في منطقة جبن بعد أن اقتصر نفوذ الطاهريين على عدن وضواحيها[١].

وكان ضعف القوة المملوكية في اليمن قد زاد من رغبة العثمانيين في مد نفوذهم الفعلي والمباشر إلى اليمن، كما أنهم أدركوا بعد دخولهم مصر أهمية موقع اليمن المؤثر في صراعهم مع البرتغاليين، وبناءً على تلك المعطيات خرج أسطولهم الحربي لتنفيذ الفرمان العثماني

١) عيسى بن لطف الله ، روح الروح ، ج١ ، ص٤٢ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج٢ ، ص٦٧١ .

وتمكنوا في ١٢ربيع الأول سنة ٩٤٥هـ/٨ أغسطس ١٥٣٨م من الاستيلاء على عدن آخر معاقل الطاهريين تمهيداً للسيطرة على اليمن بأكمله.

الفصل الثاني
النظم الحضارية في مدينة عدن

النظم الحضارية في مدينة عدن

أولاً: النظام القضائي:

١- قاضي القضاة :

قام القضاء في الإسلام بمهمة الفصل في المنازعات بين الأفراد والجماعات وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية، وتعد وظيفة قاضي القضاة أعلى وظائف القضاء، فلا يخرج شيء من الأمور الدينية إلا عنه، ولا يتقدم عليه أحد في مجلس هو حاضره من أرباب السيوف والأقلام[١].

واختيار قاضي القضاة أمر راجع إلى السلطان، وتحكمه اعتبارات معينة وربما منها الشهرة العلمية للقاضي، وهذه الحالة تنطبق على تعيين العلامة الكبير المعمر شيخ الإسلام نجم الدين يوسف المقرى بن يحيى الجبائي الذي تولى وظيفة قاضي الأقضية في اليمن حتى وفاته في مدينة زبيد في ٤ محرم سنة ٩٠٤هـ/١٤٩٩م[٢] ، ومن الحالات التي يندر حدوثها في سلك القضاء الطاهري أن يتم تعيين قاض للأقضية في مدينة بعينها وليس على عموم مناطق الدولة ، وهذه الحالة حدثت في مدينة عدن ، فعندما استولى الطاهريون على مقاليد الحكم سنة ٨٥٨هـ/١٤٥٤م قاموا بتعيين القاضي جمال الدين محمد بن أحمد باحميش على قضاء الأقضية في عدن ، في وقتٍ كان فيه محمد بن مسعود باشكيل قاضياً للمدينة مما أحدث إشكالاً وتعارضاً في الأحكام ، واستمر ذلك الوضع نحو ثلاث سنوات[٣] .

ومن الاعتبارات التي يأخذ بها السلطان وراثة الوظيفة، حيث حرص قضاة القضاة على إعداد أولادهم لممارسة الوظيفة عن طريق مشاركة الولد أباه في العمل أو تعيينه نائباً عنه حتى يشب الابن مؤهلاً للوظيفة، وهذه الحالة وجدناها قد ترسخت في أسرة الناشري، إذ تم تعيين شيخ الإسلام جمال الدين محمد الطيب بن أحمد الناشري (ت شوال ٨٧٣هـ/١٤٦٩م) قاضياً للقضاة[٤]، ثم ولّي بعده ولده شيخ الإسلام عفيف الدين عبدالله بن جمال الدين محمد الناشري (ت ربيع الأول ٨٨٢هـ/١٤٧٧م) في زبيد[٥]، وخلفه من بعده أخوه الإمام بن الإمام بن الإمام شيخ الإسلام قاضي القضاة وجيه الدين عبدالرحمن بن الطيب بن أحمد الناشري (ت ٢٧ ذي الحجة ٨٩٤هـ/ ١٤٨٩م)[٦].

---

١) المقريزي، أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، ج١، مط بولاق، القاهرة، ١٢٧٠هـ، ص٤٠٣.
٢) العيدروس، النور السافر، ص٣٨.
٣) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص٣٣٤.
٤) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص١٤٣.
٥) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٣٢. فيما أرخ ابن الديبع وفاته بسنة ٨٨١هـ. بغية المستفيد، ص١٥٥.
٦) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص١٥٥؛ بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٤٥-٣٦٤٦.

وقد اختص قضاة القضاة بالتحدث في الأحكام الشرعية وتنفيذ قضاياها، والفصل بين الخصوم، والنظر في الأوقاف ، حيث أوكل المنصور عبدالوهاب بن داود النظر والكلام في الوقف بزبيد وأعمالها إلى شيخ الإسلام وجيه الدين عبدالرحمن بن الطيب الناشري، وكان على وظيفته حتى وفاته، ومن تحت نظر وجيه الدين الناشري تم تعيين الشهاب أحمد بن عبدالقادر الشباك المعروف بالدنج نظر الوقف والمساجد والمدارس بزبيد وأعمالها(١) (أي نائباً لقاضي القضاة على الأوقاف)؛ ومن اختصاصات قاضي القضاة تزويج الأيامى بالإضافة إلى تعيين الموظفين القضائيين العاملين تحت قيادته وهم النواب (قضاة الأقاليم والمدن)، والموقعون (كتاب القضاة) (٢)، والشهود(٣)، والأمناء(٤)، فضلاً عن الحاجب والوكيل(٥).

وعادة ما كان يتم عزل نواب قاضي القضاة بمجرد عزله، ولا يعودون إلى وظائفهم حتى إذا تم إعادة قاضي القضاة إلى وظيفته ، بل يتم تعيينهم مجدداً.

واللافت للنظر من خلال تاريخ بني طاهر أن أمر تعيين وعزل النواب لم يكن بيد قاضي القضاة، بل إن أمرهم كان في الغالب يرجع إلى السلطان الطاهري إما يعزلهم أو يبقي عليهم دون الرجوع إلى قاضي القضاة، ومن هنا نلاحظ أن علاقة النواب بقاضي القضاة تكاد تكون ضعيفة وشبه منقطعة، عدا النواب على مدينة زبيد مقر قاضي القضاة، فخلال مرض القاضي عمر بن

---

١) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص١٨٠.

٢) كتاب القضاة أو موقعو الحكم: هم مساعدو القضاة، فكان كاتب القاضي يحضر مجلس القضاء لينسخ أحكام المحاكم لإعلانها على عامة الشعب، وحفظها وتنفيذها، وكان لابد من توافر عدة شروط في كاتب القاضي ومنها: أن يكون عارفاً بمدلولات الألفاظ العامية واللغوية، أي عالماً باللغة، وعارفاً بأحاديث العوام، وما ينطقون به، ودلالة كل لفظ حتى يضعها في موضعها الصحيح كما أرادها ناطقها. السبكي، عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي، معيد النعم ومبيد النقم، تح: محمد علي النجار، ط١، القاهرة، ١٩٤٨م، ص٦٠. وقد أشار بامخرمة إلى أحد كتاب السجلات والمحاضر وهو القاضي عمر بن محمد اليافعي ويدعى أبوبكر الأحوري. انظر: تاريخ ثغر عدن، ج ٢، ص٢٧.

٣) الشهود: هم فريق من الموظفين التابعين للقضاة، ويقوم الشاهد بالشهادة بين الناس فيما لهم وما عليهم، تحملاً عند الأشهاد، وأداء عند التنازع، وكتباً في السجلات، تحفظ به حقوق الناس وأملاكهم وديونهم، وسائر معاملاتهم، ويقومون بمساعدة القاضي في اتخاذ القرار النهائي في أحكامه، ومن شروط هذه الوظيفة: العدالة، والبراءة من الجرح لذلك سمي بالشاهد العدل، ومن شروطها أيضا تعلم الفقه، والخبرة التي تكسب الفرد من الشهود المعلومات الخاصة بالخصوم. ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، المقدمة، ط٥، بيروت، ١٩٨٤م، ص٢٢٤، ٢٢٥.

٤) أمناء الحكم: وهم موظفون تابعون للقضاة، ويقومون بالنظر في أموال المحجور عليهم والنظر في الوصايا لا سيما أموال الأيتام والغائبين. السبكي، معيد النعم، ص٦٢. وبهذا يكون أمين الحكم مشرفاً على كثير من الأموال، بينما قرار التصرف بها كان بيد قاضي القضاة، فكثيراً ما كانت تميل نفوس بعض السلاطين والأمراء إلى أخذ هذه الأموال. البطاوي، حسن أحمد، أهل العمامة في مصر: عصر سلاطين المماليك، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٧٠.

٥) النويري، أحمد بن عبدالوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٦، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٢٥٥؛ القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٤، مط الأميرية، القاهرة، ١٩١٥م، ص٣٤. والوكيل هو من أتباع القضاة، وقد نصب نفسه وكيلاً عن المتقاضين أمام القضاة (وهم يشبهون المحامين في وقتنا الحاضر)، وقد مدحهم قوم فقالوا: إنهم أناس نصبوا أنفسهم لخلاص حقوق الخلق، وذمهم آخرون فقالوا: هم أناس فضل عليهم الفضول فباعوه لغيرهم. السبكي، معيد النعم، ص٦٢؛ ابن بسام، محمد بن احمد، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تح: حسام الدين السامرائي، بغداد، ١٩٦٨م، ص١٧٣.

عبدالمجيد الناشري (ت ٨٨٣هـ/١٤٧٨م) أنابه على قضاء زبيد العلامة تقي الدين حمزة بن عبدالله الناشري، بإذن شيخ الإسلام قاضي القضاة وجيه الدين عبدالرحمن الناشري.

أما في حال مرض قاضي القضاة أو عزله أو وفاته، فعلى الأرجح أن قاضي مدينة زبيد كان يقوم مقامه أو يتم الاستعانة بقاض من أهله إن كان فيهم من هو أهل للقضاء كظاهرة أسرة الناشري[١].

ويمكننا القول إن قضاة الدولة الطاهرية هم من أهل السنة ، وعلى مذهب الشافعية يقضون ويفصلون في الخصومات، ونزر يسير منهم كانوا على مذهب أبي حنيفة النعمان كالقاضي العلامة رضي الدين الصديق بن علي الطيب (ت رمضان ٨٩٣هـ/١٤٨٨م) الذي عُرف بقاضي الحنفية[٢].

وعلى الرغم من قلة أتباع ذلك المذهب إلا أن السلطان الطاهري لم يمانع في تعيين قاضٍ لهم، كما خصصت بعض المدارس الإسلامية جزءاً من إيواناتها لتعليم شئون هذا المذهب[٣].

٢- علاقة القضاة بالسلطان الطاهري :

تباينت العلاقة بين القضاة والسلطان الطاهري بين الصرامة واللين في غالب الأحيان، ونشوء علاقة الود والصداقة بين عدد من القضاة والسلاطين وإن كانت غير مأمونة، إذ لم يكن القضاء مستقلاً عن الدولة آنذاك، مما يجعل السلطان هو المهيمن على شئون القضاء يعزل من يشاء ويعين من يشاء بصفته رأس السلطة ، والقاضي موظف عنده منقاد لأوامره ونواهيه.

وفي المناسبات الرسمية كان يتم دعوتهم لحضور الضيافات التي يقيمها السلطان لكبار ضيوفه، حيث دعا المنصور عبدالوهاب بن داود العلماء والقضاة والأمراء في زبيد لتناول المأدبة التي أقامها على شرف صاحب جازان الشريف أبو الغواير أحمد بن دريب بن خالد[٤].

ومن العلاقات الودية الطيبة التي نشأت بين السلاطين والقضاة، تلك التي كانت بين المجاهد علي بن طاهر والقاضي العلامة أبو الطيب عبدالله بن أحمد بامخرمة (ت ٩٠٣هـ/١٤٩٨م)، إذ يذكر أن المجاهد كان كثير التعظيم له والاغتباط به، والامتثال لأمره، والتأدب معه[٥]، ومن جهة أخرى ، كان المجاهد لايرد شفاعة القاضي شرف الدين إسماعيل بن محمد الأحمر مستوفي مدينة زبيد[٦].

كما كان المجاهد كثير الصحبة للقاضي جمال الدين محمد بن حسين القماط في زياراته العديدة ومنها زيارته إلى تعز في شهر صفر سنة ٨٨٠هـ/١٤٧٥م[٧] ، ولأنه كان وجيهاً بين الناس

---

١) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص١٦٢.
٢) المصدر نفسه ، ص١٨١.
٣) انظر: فيما سيأتي، ص٢٤٧ .
٤) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص١٦٨.
٥) العيدروس، النور السافر، ص٢٠٤، ٢٠٥.
٦) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص١٤٥.
٧) المصدر نفسه ، ص١٥١، ١٥٢.

فقد أضفى شيئاً من مظاهر الشرعية على المنصور عندما دخل معه عدن سنة ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م ليعلن تنصيبه على أمر الطاهريين(١).

ومن المواقف المثيرة للجدل والاستغراب في آن واحد، ما يذكر عن نقض أخوال الظافر عامر بن عبدالوهاب لصلحهم معه، حيث أعقبه مباشرة دخول الشيخ محمد بن عامر إلى تعز ليقبضها، وكان فيها العلامة شمس الدين يوسف المقرى الجبائي، فأمر الناس بالفطر ثالث أيام رمضان ودعا للجهاد ومقاتلة الشيخ محمد ورجاله(٢).

وإذا كان بعض القضاة قد حرصوا على إرضاء السلطان، فإن البعض الآخر لم يكن وضعه مستقراً مع السلطان، ووضعوا غير مرة في محل المتهم وضُربوا وقُيدوا، ويبدو أن السبب في ذلك راجع إلى محاولة السلطان استتراف أموالهم، إما عن طريق المصادرة بعد العزل، وإما عن طريق إعادة بعضها بعد الرضاء عنهم، ففي سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٨م أودع الشيخ يوسف بن عامر قبل خروجه من زبيد أموالاً عند بعض الأشخاص ومنهم القاضي علي بن أحمد الناشري قاضي زبيد آنذاك ، وكان الشيخ يوسف من المعارضين للمنصور عبدالوهاب، فطالب المنصور بهذه الأموال فتم إعادتها له إلا القاضي الناشري الذي أنكر عليه ذلك، فطلب المنصور يمينه فحلف، إذ كان يجوز له ذلك وهو أعلم بجوازه، فكان ذلك سبب سقوطه عند السلطان، فعزله عن القضاء بالقاضي تقي الدين عمر بن عبدالمجيد الناشري (ت٨٨٣هـ/١٤٧٨م)، ثم رضي عنه بعد ذلك، وأعاد له بعض أمواله، وألزمه صحبته، ثم اتصل بصحبة ولده السلطان الظافر عامر (الثاني) ابن عبدالوهاب، فسافر معه، وأنس به، وحصل بينهما اتحاد عظيم، وأحبه الظافر حباً شديداً(٣).

وأحياناً يتم العزل بمبررات مقنعة وواضحة، ففي ربيع الأول سنة ٨٩٣هـ/١٤٨٨م ، عزل السلطان المنصور عبدالوهاب بن داود الفقيه أحمد البجلي قاضي حيس لموجبات أوجبت ذلك، وولى الفقيه عيسى بن محمد الناشري بدلاً منه، ثم رضي عنه ورده إلى وظيفته في شعبان للسنة ذاتها(٤)، وفيها أيضاً قبض السلطان المنصور على القاضي جمال الدين محمد بن المحالبي ، وطلع به إلى تعز مقيداً (٥).

وعموماً، يبدو أن العلاقة بين القضاة والسلطان كانت تتأثر بفترات الاستقرار السياسي التي عادة ما تنعكس على استقرار أوضاع القضاة وطول مدة ولايتهم . وعلى الجانب الآخر كانت ظاهرة

١) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص١٥٩.
٢) المصدر نفسه ، ص١٧٨.
٣) المصدر نفسه ، ص١٦٢. وتكرر الأمر ذاته مع الشيخ إسماعيل الجبرتي سنة ٨٦٥هـ ، حيث اتهم بالتآمر ومكاتبة صاحب جازان وأنه كان يطمعه في البلد، فقبض المجاهد جميع ماتحت يده من أراض الوقف والأملاك السلطانية ، وعاتبه فأنكر، وحلف وهو صادق ، وإنما وشى به بعض أعدائه ، ثم عطف عليه بعد مدة ، ورد إليه بعض ما أخذ منه. ابن الديبع ، قرة العيون ، ج٢ ، ص١٥٣ .
٤) ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص١٨٠.
٥) المصدر نفسه ، ص١٨١.

العزل المتكررة للقضاة ترجع إلى اهتزاز الأوضاع السياسية والاقتصادية التي مرت بها البلاد لا سيما في عهد الظافر عامر بن عبدالوهاب نظراً للتنافس الأوروبي والمملوكي والعثماني على خطوط التجارة العالمية مما أثر في اقتصاد عدن ، وأجبر الظافر غير مرة على اغتصاب الأموال والأوقاف، فأثر ذلك سلباً في وضع القضاة بالعزل والإهانة بعد رفضهم دفع أموال الأيتام له [١].

٣- قضاة مدينة عدن :

كان قيام الدولة الطاهرية سنة ٨٥٨هـ/١٤٥٤م أشبه بثورة على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تدهورت خلال تنافس الرسوليين على الحكم في الخمسين سنة الأخيرة من عمر الدولة الرسولية، وإصلاحاً لهذه الأوضاع قام مؤسسا الدولة الطاهرية بتغييرات شاملة عمت نظم الدولة وعلى وجه الخصوص السلطة التنفيذية والسلطة القضائية.

وقد كان متوقعاً أن تشهد مدينة عدن هي الأخرى تغييراً في جهازها القضائي أسوة بالتغييرات الملموسة في الجانب الإداري والمالي، غير أن ذلك لم يحدث، إذ استمر قاضي عدن الذي عينه الرسوليون يؤدي مهامه حتى ما بعد قيام الدولة الطاهرية، حيث يذكر أن القاضي جمال الدين محمد بن مسعود باشكيل (ت ٨٧٢هـ/١٤٦٨م) تولى قضاء عدن في عهد المسعود وذلك في شهر رمضان سنة ٨٤٧هـ/١٤٤٣م ، ثم عُزل عن وظيفته في ذي القعدة سنة ٨٥١هـ، ثم أعيد للقضاء في رمضان سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٨م، واستمر يؤدي مهامه حتى ما بعد قيام الدولة الطاهرية بثلاث سنوات حين عزله السلطان الظافر عامر بن طاهر سنة ٨٦١هـ/١٤٥٧م [٢]، ولعل سبب تأخير الطاهريين في عزل باشكيل يعود إلى عزوف قضاة عدن عن تولي هذه الوظيفة ،أو أن الأمر قد يعزى إلى أنهم كانوا حينها لم يأمنوا جانب الطاهريين بعد ، فتملكهم الخوف والتردد .

وأفادت رواية أخرى بأن القاضي محمد بن أحمد باحميش قد تولى قضاء عدن من قبل المجاهد علي بن طاهر مرتين أو ثلاثاً وفي كل مرة يتولى نحو السنة في حين كانت وفاته سنة ٨٦١هـ/١٤٥٧م [٣]، ولعل الاضطراب الذي ساد ولاية باحميش مابين الإيقاف تارة والعودة تارةً أخرى قد يعود على الأرجح إلى تعارض أحكامه مع أحكام القاضي باشكيل، حيث أفاد البريهي بأن الطاهريين قد ولوا باحميش القضاء الأكبر أي قضاء الأقضية في عدن وعندها لم يكن باشكيل غير قاضي جزئي ، وكثيراً ما كانا يختلفان ويتشاجران حتى وفاة قاضي القضاة [٤].

---

١) ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص٢٤٠.
٢) ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص١٥٧؛ بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٠٣- ٣٦٠٤.
٣) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٥٩٤-٣٥٩٥؛ الحبشي، مصادر الفكر العربي، ص٢٠٢؛ وأرخ البريهي وفاة باحميش في رمضان سنة ٨٦٢هـ/١٤٥٨م . طبقات صلحاء اليمن ، ص٣٣٥ .
٤) طبقات صلحاء اليمن ، ص٣٣٤-٣٣٥ .

وأياً كان الأمر، فإن الاضطراب الذي حدث في قضاء عدن لا يلغي حقيقة خضرمة القاضي باشكيل بصفته قاضي الدولتين (الرسولية والطاهرية) .

وبعد عزل القاضي باشكيل في أواخر سنة ٨٦١هـ/١٤٥٧م تولى قضاء عدن القاضي العلامة أبو الطيب عبدالله بن أحمد بامخرمة (ت ٩٠٣هـ/١٤٩٨م)، إذ ذكر العيدروس أن السلطان المجاهد علي كان قد تقرب إليه كثيراً، حتى صار مغتبطاً به، ممتثلاً لأمره، منقاداً له، متأدباً معه، ولم يزل به حتى ولاه قضاء عدن على كره منه، وبعد أن اشترط عليه شروطاً وفى له بها فمكث سنتين أو سنة ونصف[١]، فباشر بعفة، وجد واجتهد، فأنصف الضعيف من القوي، ثم خرج من عدن متخفياً متبرماً من القضاء إلى الشحر[٢].

وعقب هروب بامخرمة من القضاء، تم تعيين وجيه الدين عبدالرحمن بن عبدالعليم المخادري في بضع وستين وثمانمائة للهجرة، واستمر على وظيفته حتى توفي في ٢٩ محرم سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٨م[٣]، ثم استلم وظيفته القاضي جمال الدين محمد بن حسين القماط، بناءً على توجيهات المجاهد علي بن طاهر وهو على فراش الموت وذلك في شهر ربيع أول سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٨م[٤].

ولما تولى المنصور عبدالوهاب بن داود السلطنة جدد للقاضي القماط[٥]، واستمر يؤدي مهامه على قضاء عدن حتى عهد الظافر عامر(الثاني) بن عبدالوهاب الذي ما لبث أن عزله في ٩ جمادى الآخرة سنة ٨٩٩هـ/١٤٩٤م[٦]، وولى القاضي شهاب الدين أحمد بن عمر المزجد[٧] (ت٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م) بدلاً منه[٨]، وما هي إلا سبع سنوات قضاها المزجد في وظيفته حتى حتى أحدث الظافر حركة قضائية شملت حواضر الدولة الطاهرية، ففي شهر صفر سنة ٩٠٦هـ وبينما الظافر في لحج جاءه خبر وفاة القاضي محمد بن عبدالسلام الناشري قاضي مدينة زبيد، فقام باستدعاء القاضي عفيف الدين أحمد بن عمر المزجد من مدينة عدن وولاه قضاء زبيد، واستدعى القاضي عبدالعليم بن محمد القماط (ت٩٢٤هـ/١٥١٨م) من تعز وولاه قضاء عدن، ثم جاء بقاضي

---

١) النور السافر، ص٣١، ٢٠٤- ٢٠٥.
٢) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٩٠- ٣٦٩١.
٣) المصدر نفسه والجزء، ص٣٦٣٣-٣٦٣٤.
٤) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص١٥٧؛ بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٣٣-٣٦٣٤، ٣٦٥٥.
٥) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص١٥٧؛ بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٥٦؛ العيدروس، النور السافر، ص٢٠٧.
٦) وفي شهر ربيع الأول للسنة نفسها كانت وفاة الفقيه عيسى بن محمد الناشري قاضي لحج. ابن الديبع، بغية المستفيد، ص٢٠٥.
٧) وهو: أحمد بن عمر بن محمد بن عبدالرحمن ابن العلامة القاضي نجم الدين أبي المحاسن ابن يوسف بن محمد المزجد السبيعي المرادي صفي الدين أبو السرور، ولد بزبيد، وأخذ عن علمائها الأعلام ومشايخ الإسلام، ولازم بها الإمامين عمر المفتي ويوسف المقري المشهورين. الشلي، السناء الباهر ، ص٢٠٧ – ٢٠٩ .
٨) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص ٢٠٧؛ بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٨٣.

لحج بدر الدين حسن بن احمد بن عمر المزجد (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) وولاه قضاء تعز، وولى القاضي أحمد بن عبدالله باحسين الحضرمي قضاء لحج[١].

وفي منتصف شهر ربيع الأول سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م، عُزل القاضي عفيف الدين عبدالعليم ابن محمد بن حسين القماط من قضاء عدن بالقاضي أبي بكر بن أبي القاسم اليافعي الوقيري[٢].

وأفاد ابن الديبع عن حدوث حركة قضائية محدودة في عدن وتعز قام بها الظافر في ٢٧ ربيع الآخر سنة ٩١٥هـ/١٥٠٩م ، وضمت هذه الحركة القاضي محمد بن علي الناشري (ت٩١٧هـ/١٥١١م) الذي كان حينها قاضي عدن، حيث تم فصله بالقاضي أحمد بن أبي بكر بن عمران[٣] قاضي تعز، وتولى قضاء تعز القاضي أبوبكر بن أبي القاسم الوقيري[٤].

وبعد سنة واحدة أمضاها القاضي أحمد بن أبي بكر بن عمران في وظيفته توفي وذلك سنة ٩١٨هـ/١٥١٢م[٥]،ومن المرجح أن القاضي عفيف الدين عبدالله بن عبدالعليم القماط قد تقلد قضاء عدن خلفاً لابن عمران واستمر في وظيفته حتى وفاته سنة ٩٢٤هـ/١٥١٨م[٦].

وعقب هذا التاريخ لم تذكر المصادر التي بين أيدينا من تولى القضاء على مدينة عدن غير واحد هو القاضي الإمام أبو محمد الطيب بن عبدالله بن أحمد بامخرمة (ت٩٤٧هـ/١٥٤٠م) الذي امتحن بقضاء عدن على كبر سنه، وضعف قواه، وكان سبب قبوله هذه الوظيفة سنة ٩٣٤هـ/١٥٢٨م هو إلحاح السلطان، وأنه كان فقيراً كثير العيال [٧].

ونستنتج مما سبق أن وظيفة القضاء في مدينة عدن قد شغلها اثنا عشر قاضياً، منهم سبعة طالهم العزل، فيما توفي أربعة منهم وهم على الوظيفة، وهرب واحد وعزل نفسه عن القضاء، ويرجع السبب في ذلك كما يبدو إلى عدم رضاه عن الأوضاع العامة للدولة، أو وضع عدن بصفة خاصة.

كما تبين أن القاضي جمال الدين محمد بن حسين القماط هو القاضي الذي مكث أطول مدة على هذه الوظيفة، فيما كان القاضي باحميش أقصرهم مدة على ولاية القضاء، كما كان لظاهرة توارث الوظيفة أثر على آل القماط، وآل المزجد، وآل بامخرمة.

---

١) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص٦٩؛ بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٠٤، ٣٧١٨.
٢) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص١١٩.
٣) وهو ابن القاضي رضي الدين أبوبكر بن علي بن عمران الذي تولى قضاء تعز عقب وفاة قاضيها جمال الدين محمد بن داود الوحصي سنة ٨٨٦هـ. بغية المستفيد، ص١٦٦.
٤) الفضل المزيد، ص١٥٨، ١٧٩.
٥) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٣٢.
٦) المصدر نفسه والجزء، ص٣٧٦١.
٧) العيدروس، النور السافر، ص٢٠٤، ٢٠٥؛ الشلي، السناء الباهر، ص٣٥٠؛ الحبشي، مصادر الفكر العربي، ص٥١، ٥٢ ؛ باوزير، سعيد عوض، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، د. م، ١٩٦١م، ص١٤١.

وقد تعزى قرارات العزل التي طالت نحو الثلثين من قضاة عدن إلى ظروف الاضطراب السياسي التي نالت من الدولة في بعض مراحلها ، فضلاً عن الضغوط الخارجية التي أصابت الاقتصاد والتجارة إبان مرحلة حكم الظافر عامر بن عبدالوهاب فما بعد.

٤- نماذج من العقوبات الجزائية:

- في ١٠ ذي القعدة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م أقيم الحد على امرآة سارقة تدعى بنت العكوز، حيث قطعت يدها وذلك بعد أن ثبت أن عقوبات الضرب والسجن والنفي لم تردعها عن ممارسة عادة السرقة، بل تمادت وكثرت جرائمها في كل مكان نفيت إليه[١].

- في ذي الحجة ٩١٦هـ/١٥١٠م حدثت جريمة بشعة في عدن وصفها ابن الديبع[٢] بقوله: " أن امرأة تعرف بزوجة أبي الخير بن خليل، طلبت من امرأة يافعية دلالة تكتري[٣] لها مصاغاً، فلما جاءت به ومعها عجوز أخرى، أطعمتهما حلوى فيها بنج[٤] فتغيرتا ونامتا، فعالجت زوجة ابن خليل وجارية لها العجوز بإدخال الحديد والخوازيق في فرجها ودبرها، حتى ظنتا أن قد ماتت، ثم حملتاها وطرحتاها على مزبلة، فأفاقت العجوز، بعد مضي نصف الليل ووجدت من عرفها وحملها إلى بيتها، ثم خنقت بنت خليل وجاريتها المرأة الدلالة بثوب حتى ماتت، ولما فقدها أهلها سألوا عنها العجوز بعد ثلاثة أيام، فلم تقدر على الكلام وأشارت إليهم أن يحملوها، فحملوها حتى بلغوا بها بيت زوجة ابن خليل، ثم أشارت إليهم أن يهجموا عليها، فوجدوا المقتولة بين يديها، وقد دهنتها بسليط [زيت] وقد تورمت المقتولة، كما أوقدت القاتلة وجاريتها ناراً عظيمة ليحرقا المقتولة فيها، فقبضوا عليها وعلى جاريتها، ودفنوا المقتولة، ثم أقرت زوجة ابن خليل وجاريتها عند الأمير مرجان والناظر ابن الشماع بقتلها، فقيدتا وأودعتا السجن، وروجع السلطان الظافر عامر بن عبدالوهاب في ذلك، وطلع أولياء المقتولة إلى السلطان، فرجع جواب السلطان بالتمكين من القصاص، فدفعتا إلى أولياء المقتولة، فذبحت أخت المقتولة زوجة ابن خليل بيدها، وعفت عن جاريتها".

- في حادثة أخرى أمر فيها السلطان عامر بن عبدالوهاب، بقطع أيدي أربعة أشخاص وأرجلهم من خلاف لزيادة فسادهم في البلاد[٥].

---

١) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص١٠٧.
٢) المصدر نفسه ، ص١٧٦.
٣) تكتري: تعني باللهجة العامية تؤجر، والكراء : التأجير.
٤) البنج: من المواد المخدرة، ويستخدم عادة في مجال الطب (العمليات الجراحية).
٥) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص٢٠٧.

ويتبين من هذه النماذج أن الطاهريين قد اعتمدوا نظام الحبس على ذمة التحقيق، وهذا يتشابه مع المهام التي توكل إلى رجال الشرطة أو النيابة العامة في الوقت الحاضر، ثم جواز إطلاق سراح المتهم في حالة توافر ضمين مسلم يقوم بإحضاره في حال الطلب خلال سير إجراءات القضية[١].

كما يلاحظ أن قرار تنفيذ الحكم النهائي في جل جرائم الحدود يعود إلى السلطان بصفته أعلى سلطة في الدولة، فيما لم تشر المصادر لا من قريب ولا من بعيد إلى وجود القضاة خلال سير إجراءات القضايا الجنائية، وحل محلهم أمراء المدن في استجواب المتهمين وأوامر البحث، والتحري عن الجناة ، فتصدر عنهم قرارات القبض، والحبس، والتقييد، والحجز وغير ذلك، ويتواصلون مباشرة مع السلطان دون الرجوع إلى القضاء.

ولما كانت السجون جزءاً لا يتجزأ من النظم القضائية المتعددة، فقد لوحظ أن الطاهريين قد ورثوا عن الرسوليين جل المباني والمقرات والحصون السيادية لا سيما في عدن وزبيد وتعز ومن ضمنها دور الأدب أو ما تعرف بالسجون أو الحبوس.

ومن جهة أخرى، أبقت الدولة الطاهرية على جل أنواع العقوبات التي جرى تنفيذها عبر عصور الدول اليمنية المستقلة ، ومنها: النفي والتعزير، وتقييد السجناء بالحديد، وكذا الكحل أو سمل العيون[٢] ، وتم ،لأول مرة، تنفيذ عقوبة قطع عراقيب الأرجل ، وخصصت للعبيد الذين ثبت اشتراكهم مع المعارضة في الأعمال المعادية للسلطان[٣] ، وفي حدود القصاص برزت ظاهرة غير مألوفة استأذن فيها الأمير عمر بن عبدالعزيز الحبيشي من السلطان المجاهد في قتل الشيخ إدريس بن محمد الحبيشي ، وزعم بأنه قتل أباه ، فأذن له ، وقتله في عدن سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٨م[٤] ، كما لجأ الطاهريون إلى نظام الرهائن لردع خصومهم عن معاودة الخلاف وشق عصا الطاعة ، فيما اتسمت مرحلة حكم المنصور وابنه عامر(الثاني) ببروز ظاهرة المعتقلين السياسيين ممثلة بأبناء عامر بن طاهر الذين أودعوا سجون الدولة بسبب معارضتهم للحكم.

ثانياً- **النظم الإدارية والمالية :**

١- ولاة مدينة عدن:

عمل سلاطين الدولة الطاهرية على تنظيم إدارة الدولة بتعيين الولاة كنواب لهم على مناطق البلاد، وتلقبوا بالأمراء، وأسندت إليهم مهام عدة منها: الدفاع عنها، وحمايتها من أي عدوان،

---

١) ابن الديبع، بغية المستفيد ، ص٢٠١.
٢) المصدر نفسه ، ص١٩١.
٣) بامخرمة ، قلادة النحر ،ج٣ ، ص٣٦٧٢.
٤) ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص١٦٥ ؛ بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٦٥٥.

وعمارتها، وشق الطرقات وتعبيدها، وحفر الآبار، وبناء السدود والحواجز المائية وقنوات الري، وإصلاح ما تشعث منها .

ولعل أول تعيين أصدره السلطانان المجاهد والظافر كان للأمير علي بن سفيان على مدينة عدن إبان قيام الدولة الطاهرية سنة ٨٥٨هـ/١٤٥٤م، ثم توالت التعيينات السلطانية على المناطق الأخرى كزبيد وصنعاء وتعز وغيرها..

ويحسب للأمير علي بن سفيان تأمين مداخل عدن واتخاذه الاحتياطات الدفاعية المتاحة لصد هجوم أمير الشحر سنة ٨٦١هـ/١٤٥٧م، وأبان عن مقدرة فائقة في التعامل مع ذلك الغزو الذي انتهى بالقبض على أبي دجانة وإيداعه سجن المقرانة[١].

وبعد أن تم إحباط محاولة أبي دجانة لوحظ انتقال الأمير علي بن سفيان لقيادة الحملات العسكرية التي وجهها الطاهريون لضرب خصومهم من القبائل التهامية، واستمر ابن سفيان يؤدي دوره الميداني حتى ما بعد مقتل الظافر عامر بن طاهر سنة ٨٦١هـ/١٤٥٧م، ويذكر أنه في سنة ٨٦٧هـ/١٤٦٣م تولى الشيخ محمد بن داود مناطق تعز وجبلة والتعكر وما والى ذلك نافذ الأمر[٢]، ولعل عماد الدين إدريس قد قصد بقوله: "وماوالى ذلك نافذ الأمر" أن مدينة عدن هي المعنية بذلك، وسواء صح ما ذهبنا إليه أم لا، فإن أمر تكليف الأمير ابن سفيان بمهام عسكرية لم يؤثر في إدارة عدن، إذ رأينا السلطان المجاهد يقوم بالإشراف عليها إلى جانب سلطاته الملكية الواسعة، وذلك من خلال تردده على المدينة والإقامة فيها بين الحين والآخر.

ولما تولى المنصور عبدالوهاب بن داود المُلك الطاهري عيّن على عدن الأمير الشجاع علي بن عمر العنسي وذلك سنة ٨٩٢هـ/١٤٨٧م[٣]، في حين يذكر بامخرمة بأن الشريف عبدالله بن علي بن سفيان (ت ٩١٨هـ/١٥١٢م) وليَ إمرة عدن مراراً في أيام المنصور وفي أيام الظافر عامر (الثاني)، وولي إمرة لحج وأبين وزبيد ، وأن أي موضع تولاه أصلحه ولم شعثه ؛ لأنه كان ذا ملاءة ويسار ، فيدفع ويداري بماله معرة المفسدين[٤] .

وفي عهد الظافر عامر (الثاني) تولى إمارة عدن ابن عمه الأمير محمد بن عبدالملك سنة ٨٩٤هـ/١٤٨٩م فأدى دوراً مميزاً في الدفاع عن عدن خلال تمرد أخوال الظافر، ولعل أبرز مواقفه البطولية التي تحسب له آنذاك ذلك الانتصار الساحق الذي حققه على حساب نظيره المعارض الشيخ عبدالباقي بن محمد بن طاهر في الوقعة التي دارت رحاها على مشارف مدينة عدن سنة ٨٩٤هـ/١٤٨٩م.

---

١) عماد الدين إدريس، روضة الأخبار، ص٦٦.
٢) المصدر نفسه ، ص١٣٩، ١٤٠ .
٣) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٦٨.
٤) المصدر نفسه والجزء ، ص٣٧٠٧ - ٣٧٠٨.

وفي خطوة إدارية مفاجئة، أقدم عليها الظافر عامر(الثاني) سنة ٨٩٥هـ/١٤٩٠م قضت بتعيين الأمير محمد بن عيسى البعداني والياً على عدن إلى جانب ابن عمه، وبهذا التعيين أصبح للمدينة أميران يشتركان معاً في إدارة شئونها، إلا أن مدة البعداني لم تطل إذ توفي في أوائل صفر من السنة ذاتها(١).

ولم يكد الشيخ محمد بن عبدالملك يتنفس الصعداء حتى باشره الظافر بمرسوم ثان قضى بتعيين الأمير مرجان الظافري أميراً إلى جانبه في السنة ذاتها أي ٨٩٥هـ/١٤٩٠م(٢).

والأمير مرجان بن عبدالله الظافري يرجع إلى الأصول الحبشية التي أسلمت في اليمن(٣)، ومن المرجح أنه تدرب وتعلم أسس القيادة والإدارة والتدبير وفنون الحرب وأسرار السياسة في البلاط السلطاني ، وأخذ عن سيده الظافر عامر(الثاني) بن عبدالوهاب الكثير من الخبرات يجهلها غيره من العبيد والقيادات العسكرية في دولة الظافر، وأصبح أكثرهم ولاءً وإخلاصاً له، وبلغ منزلة رفيعة لدى الظافر جعلته ينسب إلى سيده فعرف بمرجان (الظافري) ، إذ لم يعهد للعبيد الأفارقة ألقاب كهذه في ذلك الوقت غير أسماء عامة لا تدل على الأصول القبلية أو المذهبية أو المكانية أو غير ذلك(٤).

وكان الأمير مرجان مشهوراً بالشجاعة والكرم، متصفاً بمحاسن الأوصاف والشيم(٥)، وقال بحرق(٦) عن فضله ووصفه: "الكريم الأمير المؤيد بتوفيق الله تعالى وعنايته، المسدد بحفظ الله ورعايته الذي فتح الله بنور الإيمان عين بصيرته، وطهر عن سوء العقيدة باطن سريرته، وصار معدوداً من الأولياء لموالاته لهم باطناً وظاهراً، وحاز من بين الولاة والحكام من التواضع لله والرفق بالفقراء والمساكين حظاً وافراً"(٧).

وعلى أية حال، هل كانت هذه المميزات التي سقناها سبباً في تعيين الأمير مرجان على عدن في الوقت الذي كان فيه الشيخ محمد بن عبدالملك والياً عليها؟ كما يمكن إضافة استفسار آخر كان قد طرحه الباحث محمد علي موسى عن هذا الأمر متسائلاً عن ضرورات ذلك التعيين؟ وهل كانت

---

١) بامخرمة، قلادة النحر ، ج٣، ص٣٦٧٥.
٢) عبدالعال، بنو رسول وبنو طاهر، ص٢٤٢.
٣) محمد علي موسى، "الهجوم البرتغالي "، ص١٣٣.
٤) والحال نفسها مع النقيب ريحان الظافري أحد عبيد الظافر عامر(الثاني) بن عبدالوهاب، الذي تولى خزائن المقرانة، ثم خازناً لدار السلاح بعدن، وبعدها تولى أمر لحج، ولما وصل إلى مسامع الظافر أنه تزوج عربية وزعم أنه حُر الأصل وليس بمملوك، تم عزله عن لحج، ثم تولى أمر زبيد وعزل عنها، وآخر وظيفة تولاها كانت استخلاص الأموال السلطانية إلى أن توفى سنة ٩٢٠هـ. بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٠٨.
٥) العيدروس، النور السافر، ص١٢٣.
٦) وهو: محمد بن عمر بن مبارك الحميري الشهير ببحرق، ولد سنة ٨٦٩هـ، كان شيخ اللغة والنحو والإعراب في حضرموت، رحل إلى عدن وأخذ التصوف عن الشيخ أبوبكر بن عبدالله العيدروس، وتكررت زياراته في عهد الأمير مرجان الظافري وتقرب منه كثيراً، توفى في شهر شعبان ٩٣٠هـ. الشلي، السناء الباهر، ص٢٠٩– ٢١٣.
٧) العيدروس، النور السافر، ص١٢٣؛بامطرف ،الجامع :جامع شمل أعلام المهاجرين المنتسبين إلى اليمن وقبائلهم،ج٤، دار الهمداني للطباعة والنشر ، عدن ، د.ت ،ص٢١-٢٢ .

لأسباب ترتبط بمسألة توطيد حكم السلطان عامر(الثاني) بشكل عام؟ أم لأسباب تتعلق بخصوصية مدينة عدن ذاتها؟[١]

ورداً على مجمل هذه التساؤلات أقول غير جازم: إنه بالنظر إلى حجم المسئوليات والمهام التي أسندها الظافر للشيخ محمد بن عبدالملك والتي لا شك قد أثقلت كاهله، فعلاوة على إدارة شئون عدن وضواحيها، كثيراً ما كان يكلف من قبل الظافر بالخروج من عدن لقمع ثورات قبائل تهامة[٢] التي لم تهدأ خلال عهود السلاطين الطاهريين بشكل عام، ناهيك عن المهام الثقال التي تولاها نزولاً عند رغبة الظافر عامر(الثاني) والمتمثلة في مقاومة أطماع أخواله بالسلطة[٣]، كانت كفيلة بإقدام الظافر على تعيين الأمير مرجان شريكاً لتخفيف عبء المسئولية عن الشيخ محمد، وهذا ،في تقديري، كان المظهر الرسمي العام لأسباب التعيين، في حين كان ما يبطنه الظافر عامر(الثاني) مغايراً تماماً لذلك، فعلى الرغم من وقوف الشيخ محمد بن عبدالملك إلى جانب الظافر في حربه مع أخواله المنشقين، إلا أن الظافر مع ذلك لم يأمن جانب ابن عمه لإدراكه العميق بواقعية النزاع بينه وبين أخواله والذي لا يخرج عن نطاق التنافس على السلطة ولا شيء غيرها، ولا تبتعد عن كونها حرباً طاهرية خاضعة لتغيير وتبديل المواقف بحسب المصالح والمنافع الذاتية، ولأن الشيخ محمد لا يقل نزعة وخطورة عن غيره من المعارضين الطاهريين كان لابد للظافر من اتخاذ خطوة وقائية تحول دون انفراد ابن عمه بحكم عدن ؛ لأن سقوط هذه المدينة بيد أحد من المعارضين الطاهريين أياً كان اسمه يعني الحكم بزوال دولة الظافر.

وبناءً على السياسية الواقعية التي اتبعها الظافر عامر(الثاني) في تعامله مع الأحداث كان عليه أن يختار شخصاً ليوليه على عدن على أن يكون من أشد رجاله بأساً وأكثرهم إخلاصاً وولاءً له، مع الأخذ بعين الاعتبار استحالة قبول الناس به سلطاناً عليهم شرعاً أم عرفاً فيما إذا سولت له نفسه الطمع بالسلطة على عدن دون الطاهريين، وهنا وقعت عين الظافر على عبده المخلص مرجان الظافري الذي شارك سيده المعارك الضارية حول صنعاء[٤]، ويعرفه عن ظهر قلب، فولاه عدن، وعندها أصبح الأداة الفعّالة في ذب أخطار ابن عمه عن عدن، وأثبتت الأيام اللاحقة حسن سياسة الظافر وصواب حذره من ابن عمه، حيث ذكرت المصادر أنه لما تمكن الظافر من القبض على خاله الشيخ عبدالله بن عامر انكشف الستار عن مؤامرة الإطاحة بالظافر واشترك في حياكتها الشيخ محمد

---

١) "الهجوم البرتغالي" ، ص١٣٣، ح١.
٢) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص١٩٤- ١٩٥، ٢٠٢.
٣) المصدر نفسه ، ص١٩٣.
٤) العيدروس، النور السافر، ص٨٠.

بن عبدالملك مع بعض خدم الظافر وخواصه، فقبض على ابن عمه وأودعه دار الأدب في حصن تعز أواخر سنة ٩٠٥هـ/١٥٠٠م(١).

أما الأمير مرجان فقد ظل وفياً للظافر عامر(الثاني) حتى ما بعد مقتله سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م، والدليل على ذلك موقفه الحازم في فرض تنصيب أحمد بن السلطان عامر (الثاني) بن عبدالوهاب سلطاناً خلفاً لأبيه سنة ٩٢٤هـ/١٥١٨م على الرغم من صغر سنه وسط تحفظ عدد من رجالات بني طاهر.

وعلى العموم، كان القبض على الشيخ محمد بن عبدالملك قد أتاح الفرصة للأمير مرجان لكي يقوي نفوذه في إدارة عدن، وتمكن خلال سنة واحدة من الاستحواذ على كل مفاصل المدينة، وأصبح القابض والمتصرف الأوحد بشئونها.

ولما تنبه السلطان الظافر إلى ذلك، حاول عبثاً كبح جماح نزعات الهيمنة والاستقلالية التي تملكت الأمير مرجان(٢)، فقام في ربيع الأول سنة ٩٠٦هـ/١٥٠١م بتعيين الأمير عمر بن علي بن الشجاع أميراً على عدن إلى جانب مرجان، إلا أن هذا التعيين لم يحد من صلاحيات مرجان التي أرساها لنفسه، وطغت شخصيته التسلطية على شخصية الأمير الجديد الذي بدا قرار تعيينه أشبه بالمظاهر الإدارية الشكلية التي لا تعترف بها الرعية.

وقد ظهرت شخصية الأمير مرجان وبانت أكثر وضوحاً خلال العدوان البرتغالي على عدن، حيث أظهرت تلك المحن وجهاً آخر لشخصية مرجان الإدارية أبانت عن إمكاناته وقدراته الفائقة في إدارة الأزمات الحرجة، وحنكته السياسية في التعامل مع الضغوط الدولية التي تعرضت لها عدن في أصعب وأخطر مراحلها التاريخية، وأثبت، بما لا يدع مجالاً للشك ، بأنه محاور بارع ومفاوض داهية ، وقائد ومخطط في آنٍ واحد ، وفارس عنيد جلد خلال ملحمة الدفاع عن مدينة عدن أمام القرصان البرتغالي افونسو دلبوكيرك ومن بعده لوبوسواريز، فضلاً عن معركة الصمود التي قادها ضد الغزاة المماليك.

إن الانتصارات التي حققها مرجان جعلته أكثر تمسكاً بإمارة عدن حتى صار أمر انتزاعها منه ضرباً من ضروب الوهم والخيال، ففي محاولة تبدو مستفزة عين السلطان الظافر الشيخ عبدالسلام بن معوضة أميراً على عدن إلى جانب مرجان، إذ ذكر بامخرمة(٣) أن المذكور كان أميراً على عدن سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م من قبل السلطان عامر(الثاني) بن عبدالوهاب، وأضاف يقول: " لكن الأمر والنهي والحل والربط بعدن بيد الأمير في هذه الفتن في مدافعة الفرنج والمصريين [يقصد الأمير مرجان] وله في ذلك تأثير عظيم".

١) ابن الديبع، قرة العيون، ج٢، ص٢٠٠- ٢٠١.
٢) المصدر نفسه والجزء، ص٢٠٢؛ بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧١٩.
٣) قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٦٠.

وهذا التأثير العظيم أفقد الأمير الجديد توازنه وأضعف أمره، إذ لم يكن قادراً على إجراء أوامره على مرجان الظافري، فعندما اشتد عنف المماليك خاف الأمير الجديد على بلده في تعز، وإذ ذاك طلب من الأمير مرجان الخروج للدفاع عنها وحمايتها، غير أن مرجان رفض ذلك، مما اضطره للخروج من عدن بنفسه، وحينها ظفر به العقارب[١] بناءً على توجيهات الأمير مرجان وأعادوه إلى عدن، فأودعه السجن ومكث فيه سجيناً حتى أواخر سنة ٩٢٥هـ/١٥١٩م ثم رجع إلى بلاده[٢].

وفي موقف جريء أكد فيه الأمير مرجان حقيقة انفراده بالسلطة ليس على عدن وحدها فحسب، بل على بلاد الطاهريين كلها، وجاء عنه أنه كتب عقب وفاة الظافر مباشرة سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م، وعلى لسان السلطان الظافر موهماً بأنه لا يزال على قيد الحياة إلى السلطان سليم شاه كتاباً أنشأه الأديب الفقيه محمد بن عمر بحرق يشكو فيه أعمال حسين الكردي وسليمان باشا وجندهما وما يتعلق بمظاهر الفساد في اليمن ومارافقه من القتل والسلب والتنكيل وغير ذلك، ولم ينسَ أن يضمن كتابه الاعتذار عن موقفه السلبي تجاه البرتغاليين أي حملة لوبوسواريز، ومسالمته إياهم وتزويدهم بالربابنة[٣]، وذيله بخطوطٍ (تواقيع) لأعيان عدن من الفقهاء والتجار وغيرهم وأرسله مع رسولين هما: الشاذلي والفايشي واتجها إلى الحجاز بحراً ثم إلى مصر ثم إلى تركيا، وهناك تسلم السلطان العثماني منهما الكتاب والهدية ، وبادله بهدية قيمة لم يكتب لمرجان تسلمها[٤].

وفي المرحلة التاريخية التي تلت مقتل الظافر عامر بن عبدالوهاب اشتد التنافس بين الطاهريين على السلطة في وقتٍ كانت فيه دولتهم قد بدأت تفقد نفوذها وتنكمش تدريجياً من جهاتها الشمالية نحو الجنوب، الأمر الذي زاد من قلق الأمير مرجان على مصير حكمه لعدن لا سيما أن هذه المدينة أصبحت محط أنظار المتنافسين ومطلبهم الرئيس الذي يستمدون منه شرعيتهم للحكم، لذا اضطر الأمير مرجان اللجوء إلى سياسة التوازن مع الطاهريين فضلاً عن استخدام أساليب الخداع والمناورات، واضطر غير مرة إلى مباركة اختيار السلطان الطاهري عندما يرى الاتفاق والإجماع عليه من قبل أهل الحل والعقد في المقرانة، وعلى مضض منه يأمر بإقامة الخطبة له على منابر عدن

---

١) العقارب : قبيلة تسكن محافظة لحج وتمتد ديارها من بئر أحمد غرب عدن حتى رأس عمران ومن مدنهم الأخبة والحسوة ورباك . المقحفي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص١٠٩١ .

٢) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣ ، ص٣٧٦٠ – ٣٧٦٣.

٣) ذكر سرجنت أن الأمير مرجان كان على علاقة ودية مع الفرنجة (البرتغاليين) Serjeant .R.B , The Portuguese off The South Arabian Coast, Hadrami Chronicle, Oxford, London, 1963, p, 50.

بيد أن هذا القول عار عن الصحة، فعندما وصل لوبوسواريز إلى عدن كانت المدينة آنذاك منهارة دفاعياً، وليست مستعدة لمقاومة أي هجوم، لذا آثر الأمير مرجان الجنوح لسياسة المهادنة مع سواريز، وعمل بدهاء على إقناعه بالعدول عن مهاجمة المدينة، وأوهمه باستسلام المدينة، وإظهار الولاء والطاعة للبرتغاليين، فغادرها سواريز دون أن يمسها بسوء، غير أنه عندما عاد ثانيةً وجد المدينة قد استكملت تحصيناتها، ورممت دفاعاتها، وباتت قادرة على الصمود أمام الأسطول البرتغالي، وعندها قابله الأمير مرجان بوجه آخر يشع بالثقة بالنفس والتحدي، وفي المقابل كان الأسطول البرتغالي كسيحاً يعاني آلام الهزائم والإخفاقات التي تلقاها على سواحل البحر الأحمر.

٤) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٥٨- ٣٧٥٩.

لإظهار طاعته وانقياده له، ولعل موقفه مع الشيخ محمد بن أحمد بن عامر أنموذج للسياسة الحذرة التي ركن إليها الأمير، فوافق مضطراً للقبول برأي الجماعة على تنصيبه سلطاناً للدولة الطاهرية في ظل وجود منافس آخر هو الشيخ عبدالملك بن محمد بن عبدالملك الذي ما لبث أن استجار بالأمير مرجان، فأجاره وحماه، وكتب الأمير مرجان للسلطان بذلك بكل جرأة(١).

ولما شعر الأمير مرجان بضعف أمر السلطان محمد بن أحمد تجاهله، ولم يعد مبالياً له ينفذ ما يشاء من أوامره ويترك ما يشاء منها، وعندما طلب السلطان دخول عدن، ماطله مرجان وتجاهل كتبه ورسله وحقر من هيبة السلطان وأذل مقامه(٢).

وفي إجراء تعسفي لم يألفه نظام الحكم الطاهري منذ تأسيسه سنة ٨٥٨هـ/١٤٥٤م أقدم الأمير مرجان على خلع السلطان محمد بن أحمد ونصب الشيخ عبدالملك بن محمد بن عبدالملك بن داود بدلاً منه، وأمر خطيب عدن بإقامة الخطبة له، وقد استنكر بامخرمة(٣) قرار الخلع والاستبدال قائلاً أنه جاء: " من غير سبب ولا موجب لذلك، سوى مجرد الهوى"، ولأن هذا القول جاء على لسان أحد أعلام عدن المعاصرين لهذه الأحداث فهذا يوحي بنمو سخط شعبي معارض للأمير مرجان وهو وإن كان غير معلن في وقته إلا أنه كان بداية لنفور وتفرق أهل عدن عن أميرهم بعد أن كانوا سيفه ودرعه في النوازل والمحن، إذ وجدوا أميرهم قد تطاول على أسس وقواعد النظام السياسي الطاهري وألغاه تماماً دون مسوغ شرعي .

وقد تبين موقف أهل عدن من أميرهم الذي لم يعد مرغوباً فيه إبان أحداث الصراع الذي شب بينه وبين السلطان الجديد عبدالملك بن محمد على عدن، حيث يذكر أنه في سنة ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م احتال الأمير مرجان على السلطان عبدالملك وأخرجه من عدن بدعوى محاربة المناوئين له من أهل الجبال، ثم لم يسمح له بالعودة إلى المدينة وظل لمدة من الوقت خارج أسوار عدن ينتظر الإذن بدخولها من الأمير مرجان الذي ماطله وساوفه فتجرع هو الآخر من ذات الكأس التي تجرع منها بالأمس السلطان محمد بن أحمد، وبعد مدة أشار أحد عبيد الأمير إلى مدى الضرر الذي سيلحقه في حال دخوله إلى المدينة طالما كل شيء بيد الأمير كالحصون والعسكر والمال، فرأى أن يدخله للإقامة فيها أياماً، فدخلها السلطان أواخر ربيع الأول سنة ٩٢٧هـ/١٥٢١م وتظاهر له بالترحيب، وأنزله في دار السعادة، وأسكنه في أحد بيوتها السفلى البحرية، وكإجراء احترازي عمل الأمير على شل حركته وتضييق الخناق عليه، فكان لا يدخل أحد على السلطان إلا بموافقته وكأنه المستأذن له على السلطان، في حين كان مراده التجسس لما قد يصدر منهما، فضاق السلطان من ذلك وطلب من الأمير الإذن له بالانتقال إلى دار الزيبق بكل تلطف وانقياد، وأنه متى ما أمره بالخروج من البلد خرج، وبلغ من

---
١) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣ ، ص٣٧٦٣.
٢) المصدر نفسه والجزء ، ص٣٧٦٤.
٣) المصدر نفسه والجزء ، ص٣٧٦٦.

طاعته وخضوعه للأمير أنه كان يحضر كل يوم للغذاء والعشاء عند الأمير، وعند بروز الأمير يأتي إليه من طريق الممشى؛ وفي هذه الأثناء كان السلطان يدبر الأمر مع القيادات العسكرية والجند، ويختلي بهم سراً، وكان يمنيهم الأماني أملاً في كسبهم إلى صفه، ونظراً لقلتهم اشترطوا قيام قبيلة يافع لمساندتهم ؛ لأنهم أكثر أهل المدينة عدداً وعدةً، ولإنجاز شرطهم عمل السلطان على استمالة مشايخ يافع ونقبائهم حتى مالوا معه وتعاهدوا على القيام معه[١].

ولما طلب الأمير مرجان منه مغادرة عدن، تعذر له بقلة الجند والمال، وفي الوقت ذاته فشل الكمين الذي أعده النقيب عبدالله بن عبدالنبي حفيد الأمير لاغتيال السلطان في الجامع أثناء صلاة الجمعة، وعلى إثر هذه الحادثة أعلن السلطان الخروج لمنابذة الأمير، فقام معه التجار والعسكر والعبيد ومعظم أهل الجبال ودارت بين الطرفين معارك شديدة حول دور الإمارة اشتركت فيها البندقية والمدفعية والحجارة وأسفرت عن سقوط عدد من القتلى[٢].

وخلال أيام الاضطراب التي شهدتها مدينة عدن توفي الأمير مرجان الظافري ليلة الإثنين ٢٢ ربيع الآخر سنة ٩٢٧هـ[٣] عن ولاية دامت اثنين وثلاثين عاماً أي منذ ٨٩٥هـ/١٤٩٠م وحتى ٩٢٧هـ/١٥٢١م.

قد يُتهم الأمير مرجان بالأنانية جراء محاولاته الاستقلال بحكم عدن دون الطاهريين ، إلا أنه ،من وجهة نظري، لا يلام في ذلك مهما توسعت حوله دائرة الاستنكار، فالأمير يرى أنه من غير المنصف أن يسلم المدينة لأي فرد من الطاهريين دون مراعاة الحقوق والأولويات التي فرضها الواقع ، إذ لم يعد مرجان ذلك العبد الحبشي الذي لا يملك لنفسه حولاً ولا قوة غير السمع والطاعة لبني طاهر فذاك الزمن ولى ودفن مع مقتل الظافر عامر (الثاني) ، وأضحت التضحيات الجسام التي قدمها الأمير لحماية عدن من براثن الغزاة معياراً حقيقياً يؤكد ويجسد أحقيته بحكمها لا أن يقدمها على طبق من ذهب لكل طاهري طريد ثبت فشله وعجزه عن الدفاع عن بلده المقرانة .

وبوفاة الأمير مرجان تم للسلطان عبدالملك بن محمد بن عبدالملك السيطرة على عدن، فولى عليها أخاه الشيخ أحمد بن محمد بن عبدالملك وذلك في ذي القعدة سنة ٩٢٧هـ/١٥٢١م، واستمر يحكم عدن حتى سنة ٩٣٣هـ/١٥٢٧م، حيث فرّ منها هارباً دون إكراه أو تهديد بعد أن أدرك مقتل أخيه السلطان علي يد المماليك[٤].

---

١) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣ ، ص٣٧٦٨.
٢) المصدر نفسه والجزء، ص٣٧٦٩.
٣) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص٢٤٢.
٤) المصدر نفسه ، ص٢٤٢.

لقد ألقت حادثة هروب الأمير بظلالها على وضع عدن التي شهدت آنذاك أزمة إدارية صعبة، فما من أمير يدبر ويقرر شئونها، وتزامن ذلك مع ازدياد حملات الجيوش العثمانية في بلاد العرب لا سيما الساحلية منها.

وخلال الأزمة التي شهدتها مدينة عدن خلت الساحة السياسية من المشايخ الطاهريين الساعين للملك إلا واحداً كتب له أن يقضي ما تبقى من سني عمره سلطاناً على عدن آخر مراكزهم السياسية والاقتصادية، حيث اهتدى أعيان المدينة واستقر رأيهم على تولية الشيخ عامر بن داود للقيام بالأمر.

وللحق أقول إنه على الرغم من وقوع عدن بين مطرقة العثمانيين وسندان البرتغاليين إلا أن السلطان عامر بن داود قد بذل قصارى جهده في الحفاظ على استقلال عدن، وواجه إزاء موقفه هذا سنوات من الحصار وسلسلة من الأزمات السياسية والحربية البالغة التعقيد انتهت فصولها بمقتله غدراً على يد العثمانيين سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م .

٢- نُظّـــار مدينة عـدن :

الناظر هو من يتولى إدارة الأمور المالية[١]، وقد اختص الناظر بالشئون المالية للسلطان، واحتاج في أعماله إلى مراجعته باستمرار، لذلك كان مقرباً من السلطان أكثر من أي موظف آخر.

ويبدو أن من ضمن أعمال النُظّار كان جمع الأموال عن طريق فرض الضرائب الإضافية (المكوس) والمصادرات متى ما ألمح إليهم السلطان بذلك ، وكان اختيار هؤلاء النظار يعتمد على مدى مهاراتهم في الأعمال الحسابية والتدوين، وعلى أن يكونوا من رجالاتهم الثقاة لإدارة أموالهم بحرص وأمانة.

ويسمى أرفع النظار رئاسة بناظر النظار أو ناظر الدواوين، وهو المتحدث في أمور الحسابات وما يتعلق بها، وهو الذي يأمر شاد الدواوين[٢] بتحصيل الأموال وصرفها في النفقات والكلف، وكان لناظر الدولة مساعدون على رأسهم مستوفي الدولة الذي يشترك في معرفة أصول الأموال ووجوه مصارفها[٣].

كما كان هناك نظار آخرون على الأقاليم وحواضر الدولة ، فضلاً عن الموظفين الصغار الذين يوكل إليهم نظارة شئون السلطان لا سيما قصوره وإسطبلاته وجنده وأوقافه[٤].

---

١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٠ ؛المقريزي، المواعظ، ج٢، ص٢٢٧.

٢) شاد الدواوين أو شد الدواوين ، تعني مفتش الدواوين ، وكلمة شد ترادف كلمة تفتيش ، ويسمى متولي هذه الوظيفة الشاد مضافاً إليها جهة الاختصاص . البطاوي ، أهل العمامة ، ص٣٨ ،ح٢ .

٣) ابن فضل الله العمري، احمد بن يحي، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: أيمن فؤاد سيد، القاهرة، ١٩٨٥هـ، ص٦١؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٩، ٣٠؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٢٤.

٤) تنقسم الأوقاف إلى ثلاثة أقسام: الأولى تعرف بالأحباس: وهي ارض موقوفة على المساجد والزوايا للقيام بمصالحها، وناظرها يعينه السلطان نفسه، والثانية تعرف بالأوقاف الحكمية: وفيها ما حبس من الرباع* على الحرمين وعلى الصدقات، والأسرى، ولطلبة العلم، والفقراء، وناظرها يعينه السلطان أو قاضي القضاة، وتحفظ هذه الأموال تحت يد أمناء الحكم، أما الثالثة فهي الأوقاف الأهلية: وهي التي أوقفها الناس على الجوامع والمدارس، والترب،=

ولما كانت مدينة عدن الرافد الرئيس لخزانة المقرانة، فقد أشارت المصادر إلى أسماء عدد من النظار ومنهم: عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن إسحاق (ت١٩ صفر ٩٠٥هـ/١٥٠٠م)، وكان ثقة مأموناً لم تعلم له خيانة، وتولى نظر ثغر عدن في الدولة المجاهدية ثم المنصورية ثم الظافرية(١)، وخلفه السيد الشريف شمس الدين يوسف بن عمر بن أحمد البزاز (ت ٢٨ ذو القعدة ٩٠٣هـ/١٤٩٨م)(٢)، وظلت نظارة عدن في أسرة البزاز لفترة حيث تولاها بعد يوسف أخوه الشريف عبدالحفيظ بن عمر البزاز(٣)، بعد أن تعرضت دار الصلاح للنقص فمنع من التصرف(٤) ، وفي جمادى الأولى سنة ٩٠٤هـ تولى القضاء جمال الدين محمد بن أحمد العطاب(٥)، ثم عزله الظافر سنة ٩٠٦هـ/١٥٠١م(٦).

وفي سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م كان ناظر عدن الفقيه أبوبكر يحي الشماع (ت ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م)، ففي إشارة عارضة ذكرها بامخرمة عن طبيعة عمله جاء فيها أنه رفض زيادة مرتب شيخ الطوالق على ٢٠٠ دينار، وراجع الظافر بطلب الشيخ، فجاء رد الظافر أن لا يزيده درهماً زائداً على العادة(٧).

وبعد ولاية الفقيه الشماع صمتت المصادر عن ذكر ناظر عدن سوى بامخرمة الذي يفهم منه أن ناظر المدينة ، في الفترة التي اتسمت بالتنافس الطاهري على السلطة وعلى عدن بصفة خاصة، كان النقيب عبدالنبي بن عبدالله صهر الأمير مرجان الظافري، فعندما خرج السلطان أحمد ابن محمد من عدن إلى أهل الجبل كان في صحبته النقيب عبدالنبي الذي كان خلال الرحلة يصرف الأموال دون الرجوع إلى السلطان، ثم استأذن من السلطان بالنزول إلى عدن بعائلته فأذن له، كما أذن السلطان للفقيه على النظاري بالعودة إلى بلده إب، وأذن للشيخ عبدالسلام الحمادي برجوعه إلى بلده،

=وناظرها حسب شرط الواقف،وفي الغالب كان الواقف نفسه هو ناظرها طوال حياته، ثم أولاده من بعده أو من يوليه السلطان. المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٩٥؛ ابن حجر، أحمد بن علي، أبناء الغمر بأنباء العمر، ج١، تح: حسن حبشي، القاهرة، ١٩٦٩، ص٢٧٣؛ محمد محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، ط١، القاهرة، ١٩٨٠م ، ص١١٦؛ البطاوي، أهل العمامة، ص٧٣.

* الرباع: مفردها ربع وهي عدة مساكن علوية يسكنها العامة بأجور شهرية زهيدة تحتها حوانيت ووكالات للتجارة. عاشور ، سعيد عبدالفتاح، العصر المماليكي في مصر والشام، ط١، القاهرة، ١٩٦٥م، ص٤٢٥.

١) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص٥٨، ؛ بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ٣٦٢٧؛ العيدروس، النور السافر، ص٣٩.
٢) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص٥٤.
٣) المصدر نفسه والصفحة ؛ باسنجلة ، العقد الثمين ، ص٢٢ .
٤) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص١١٧٨.
٥) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص٥٤.
٦) المصدر نفسه، ص٦٩- ٧٠.
٧) قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٣٧.

وآنذاك لام الأمير مرجان السلطان أحمد على فسحه للنظار[١]. وقد كان مقر ناظر عدن في الدار المسماة بدار الصلاح ويمارس فيها مهام البيع والشراء[٢].

٣- الاستيفاء:

يدعى من يتولى هذه الوظيفة بالمستوفي، وهو الذي يعمل على مراجعة الحسابات وتنظيمها،وتشترك هذه الوظيفة في طبيعة مهامها مع وظيفة الناظر في معرفة أصول الأموال ووجوه مصارفها.

وقد تقلد وظيفة مستوفي الدولة الطاهرية عدد من القضاة والفقهاء ومنهم القاضي شرف الدين إسماعيل بن محمد الأحمر الذي ولاه المجاهد علي بن طاهر أمور الرعية وجعله مستوفياً في شهر رجب سنة ٨٧٥هـ/١٤٧٠م[٣].

وفي عهد المنصور عبدالوهاب بن داود حدثت فتنة بين الكتاب بالمرافعة فيما بينهم وانقسموا قسمين أحدهما يدعي على الآخر أخذهم من أموال السلطان أشياء مختلفة الأنواع، فتم تأديبهم وعزلهم من وظائفهم، وتم تولية غيرهم على عمالة الديوان، ثم تم استدعاء القاضي شرف الدين أبي القاسم بن محمد الجلاد من عدن وتوليته وظيفة الاستيفاء بزبيد في أوائل ذي القعدة سنة ٨٨٦هـ/١٤٨١م[٤].

وعن استيفاء مدينة عدن لم تذكر المصادر التي بين أيدينا ما يشير إلى وجود هذه الوظيفة، وعلى الأرجح أن ناظر المدينة كان يؤدي مهام المستوفي نظراً لتشابه وترابط المهام الموكلة إليهما.

٤- الضمان:

اتبع الطاهريون نظام الضمان وهو أن يلتزم شخص ما بدفع مبلغ معين ومتفق عليه لقاء جباية الأموال من منطقة معينة، وما زاد على ذلك المبلغ يكون من نصيب الضامن، وقد يكون لتصرف القائمين على جمع الأموال بصورة تعسفية أثر سلبي في قيام التمردات.

ويخفض المبلغ المتفق عليه أحياناً لا سيما عند تعرض البلاد للجفاف والكوارث الطبيعية[٥]،

وعمل في هذا المجال عدد من الرجال منهم عمر العقد الذي تولى ضمان بلاد الطاهريين[٦]، وآخر يدعى محمد بن نوح[٧] .

---

١) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٦٣.
٢) المصدر نفسه والجزء ، ص١١٧٨.
٣) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص١٤٥.
٤) المصدر نفسه، ص١٦٩.
٥) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص٦٦.
٦) المصدر نفسه ، ص٢٠٦.
٧) المصدر نفسه ، ص١٧٧.

وفي حال عجز الضمناء عن الوفاء بما تم الاتفاق عليه فإن مصيرهم الترسيم والسجن حتى يؤدون ما عليهم من المبالغ المتفق عليها، وإلى ذلك أشار ابن الديبع بأن المتخلفين عن دفع أموال الضمان اضطروا إلى بيع بيوتهم ورهنها مقابل إطلاق سراحهم(١).

الجدير بالذكر أن عدن شهدت هذا النظام سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م – قبل قيام الدولة الطاهرية- ومن جملة ما ضمن في ذلك الوقت صهريج المياه الذي بناه بنو زريع في المدينة على طريق الزعفران في سفح الجبل الأحمر، وكان مقدار الضمان ألفاً وثلاثمائة دينار سنوياً(٢)، وفي عصر الدولة الرسولية دخل المملاح ضمن المرافق الاقتصادية المشمولة بنظام الضمان غير أنه لم يُشر إلى مقدار ضمانه السنوي(٣).

٥- الحســـبة :

هي القيام بالإشراف على الشئون العامة من مراقبة الأسعار ومراعاة الآداب العامة(٤)، ويعد القائم بأمور الحسبة أشبه بالقاضي، إلا أن عمله كان يستند إلى الشدة والسرعة في الفصل(٥)، ومن شروط تولية هذه الوظيفة أن يكون القائم بها فقيهاً، وعارفاً بأحكام الشريعة، ومواظباً على السنن، وقد اختص بالمرور في الطرقات والأسواق، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وفقاً لأحكام الشرع، ثم تشعبت أعماله وصار يحمل الناس على المصالح العامة مثل المنع من المضايقات في الطرقات، ومنع الحمالين وأهل السفن من الإكثار في الحمل، وهدم المباني الآيلة للسقوط، ومنع مخالفات المعلمين في الكتاتيب كالمبالغة في ضرب الصبيان، ومراقبة الأسواق وما يجري بها من مكاييل وموازين وغير ذلك(٦).

واختيار المحتسب يرجع إلى السلطان أو الأمير أو القاضي، فقد ذكر ابن الديبع أن القاضي جمال الدين محمد بن عبدالسلام الناشري قاضي زبيد قد قلد أبا القاسم بن أبي بكر المصري أمور الحسبة في المدينة سنة ٩٠٣هـ/١٤٩٨م(٧)، ثم عزله الأمير علي بن عمر العنسي وولى الفقيه يوسف بن أحمد الحوائجي بدلاً منه وذلك سنة ٩٠٤هـ/١٤٩٩م(٨)، ثم تولى هذه الوظيفة حسن بن علي

١) ابن الديبع، الفضل المزيد ، ص١٠٤.
٢) ابن المجاور، المستبصر، ص١٣٢- ١٣٣.
٣) المصدر نفسه والصفحات .
٤) المعجم الوجيز المدرسي، دار الهلال، بيروت، ٢٠٠٧م، ص٢٠٣ .
٥) الماوردي، علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ط١ ، الكويت ، ١٩٨٩م ، ص٦٤، ٧٢ .
٦) ابن بسام، نهاية الرتبة، ص٣١٢؛ ابن خلدون، المقدمة، ص٢٢٥.
٧) الفضل المزيد، ص٣٨- ٣٩.
٨) المصدر نفسه ، ص٥٥.

الترقوقي الدمنهوري، ولما حضرته الوفاة في شهر رمضان سنة ٩٠٦هـ/١٥٠١م، ولى القاضي صفي الدين أحمد بن عمر المزجد وظيفته عثمان بن أبي القاسم الجبيلي[١].

أما الحسبة في مدينة عدن، فالحق أننا لم نجد في مؤلفات ذلك العصر ما يذكر عمن تولى هذه الوظيفة، غير أن المسلم به أنه كان في المدينة من أوكلت إليه مهام الحسبة أسوة بمدينتي زبيد وتعز .

٦- العمـلة والتـداول النقـدي بعـــدن :

أ) العـــمــــلـــــة :

أولى سلاطين بني طاهر اهتماماً كبيراً بضرب السكة بصفتها أحد المظاهر الشرعية للحكم والسيادة؛ فالدعاء للسلطان على المنابر وضرب السكة باسمه هي من ضرورات السيادة والسلطة.

وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن السكة لم تضرب باسم الأخوين المجاهد علي والظافر عامر اللذين أسسا الدولة الطاهرية بل استأثر الظافر عامر بالخطبة والسكة دون أخيه على الرغم من صغر سنه، ويعلل ابن الديبع[٢] ذلك بأنها كانت "برضاء أخيه المجاهد وإيثاره له"، واستمرت كذلك حتى سنة ٨٦٤هـ/١٤٦٠م، ثم ضربت السكة باسم المجاهد علي، فيما ظلت الخطبة للظافر عامر[٣].

وعلى الرغم من اتفاقهما على هذا الأمر إلا أن احترامهما وتقديرهما لبعضهما البعض جعل كلاً منهما يقدم أخاه على نفسه أمام الناس، إذ قال عماد الدين إدريس: "وكان أمرهما واحداً، والسكة والخطبة لهما جميعاً، فمن حضر منهما قدّم الآخر في الخطبة والسكة، ففي عدن يخطب الخطيب باسم الشيخ عامر بن طاهر، وفي زبيد باسم الشيخ علي بن طاهر، وكل أمرهما ونهيهما لا يتفاوت فيهما أحدهما بأمر"[٤].

ولما كان الاقتصاد دائم التأثر بالمتغيرات السياسية الداخلية والإقليمية والدولية، فإن نتائج ذلك التأثير تنعكس بالضرورة على مستوى جودة سك العملة باعتبارها عصب الاقتصاد، واستناداً لهذه القاعدة، فقد اختلفت العملة تبعاً لقوة الدولة الطاهرية أو ضعفها[٥].

وأكدت المعطيات التاريخية والمسكوكات الطاهرية المحفوظة في المتاحف اليمنية بأن السلاطين الطاهريين بعد أن أسسوا دولتهم باشروا بضرب ثلاثة أنواع من النقود وهي: الدنانير الذهبية، والدنانير الفضية، والدراهم الفضية، علاوة على الفلوس النحاسية[٦].

---

١) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص٧٤- ٧٥.
٢) بغية المستفيد، ص١٢٩.
٣) المصدر نفسه والصفحة .
٤) روضة الأخبار، ص٦٣.
٥) بلعفير ، "العملة والتداول النقدي" ، ص٢٥٣-٢٥٤.
٦) انظر: لوحة رقم (١،٢) .

- الدنانير الذهبية:

من المعروف أن الدينار الذهبي استعمل كوحدة نقد أساسية في عهود إسلامية سابقة على عصر الدولة الطاهرية، إلا أن وزنه وعياره كان متذبذباً وغير مستقر، إذ اختلف وزنه من دولة إلى أخرى، ومن عهد إلى آخر تبعاً لمستوى النمو الاقتصادي للدولة، لا سيما أن وزن النقود صار معيار التعامل وليس العد[١].

أما دينار الذهب الذي ضرب في عصر الطاهريين، فالحق أنه لا يمكن تحديد وزنه وعياره، نظراً لعدم التوصل إلى معلومات بهذا الخصوص، ولا يستبعد أن يكون وزنه وعياره قد شهد التذبذب ذاته الذي أصاب نقود عهود الدول اليمنية السابقة عليه، ولا يستبعد أيضا أن يكون الدينار الطاهري أقل وزناً وعياراً من الدينار المملوكي المعروف في اليمن آنذاك[٢] ، وإن كان هو الآخر قد اتسمت صنعته بعدم الثبات في الوزن أو العيار أو السُمك أو القطر[٣].

- الدنانير الفضية:

يأتي الدينار الفضي أو الدينار الدرهم كثاني وحدة نقدية تداولها الناس في عصر الدولة الطاهرية، مع العلم أن التعامل بهذا النوع من النقد يعد ظاهرة جديدة تفردت بها الدولة الطاهرية دون الدول السابقة لها عهداً[٤].

وعلل بلعفير الدوافع التي أجبرت بني طاهر على ضرب الدينار الفضي بأنها ترجع إلى أن ميزانية الدولة الطاهرية كانت تقدر بالدنانير الذهبية، فيما كانت النفقات العامة للدولة تسدد بالدنانير الفضية ؛ لأن قيمتها النقدية أعلى من الدراهم الفضية ؛ كما أنها تحتوي على نسبة عالية من معدن الفضة على عكس الدراهم الفضية الطاهرية كما الأيوبية والمملوكية التي تصل نسبة النحاس فيها إلى النصف[٥].

- الدراهم الفضية:

يعد الدرهم الفضي ثالث وحدة نقدية تم تداولها في عصر الدولة الطاهرية، ويظهر من شكل هذه النقود أنها قد ضُربت بطريقة رديئة ، نظراً لغياب التناسق والإتقان عند أطرافها، فضلاً عن تلف حوافها الرقيقة، ولعل السبب في ذلك يعود إلى عدم توخي الدقة في حفر قوالب السك[٦]، كما تبين أن

---

١) عبدالمنعم ماجد، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، ج٢، ط٣، المكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، ١٩٨٥م، ص١٢٨.
٢) بلعفير، "العملة والتداول النقدي "، ص٢٥٠.
٣) الجابر، النقود العربية، ص٣٤٦.
٤) بلعفير، "العملة والتداول النقدي "، ص٢٥٣.
٥) "العملة والتداول النقدي "، ص,٢٥٣

6) Porter, Ventia, Arecent acquisition of The Tahrid Sultans of The Yemen, Yarmouk Numismatics, Yarmouk University, Vo1.7 , 1415-1995 , p. 22 .

نسبة النحاس في هذه الدراهم عالية قد تصل إلى النصف بدليل أن حالة الدراهم المعروفة رديئة وصدئة[١].

وقد اختلف وزن الدرهم الفضي الطاهري من عهد إلى آخر، فأعلى وزن معروف للدرهم الذي ضربه الظافر عامر(الثاني) بن عبدالوهاب هو (١,٠١غ)، وأقل وزن هو (٠,٧غ)[٢].

وأما دراهم عبدالملك بن محمد بن عبدالملك فيصل أعلى وزن لها إلى (١,٧٠غ) وبلغ أدنى وزن لها (١,٢٥غ)[٣]، وفي عهد عامر(الرابع) بن داود بلغ أعلى وزن للدرهم إلى (١,٥٤غ) وأدنى وزن لها هو (٠,١٤غ)[٤].

وبحسب هذه المعطيات يتبين أن أعلى وزن بلغه الدرهم الفضي الطاهري كان في عهد عبدالملك بن محمد، وقد يرجع ذلك إلى قوة اقتصاد الدولة وصرامة السياسة النقدية في عهده، بينما تدنى عيار معدن الفضة في الدراهم التي ضربت في عهودهم جميعاً[٥].

أما النقص في الوزن الذي صاحب عهدي الظافر عامر(الثاني) بن عبدالوهاب وعامر (الرابع) بن داود فيعود دون أدنى شك إلى توتر الأوضاع الداخلية، فضلاً عن التدخل الخارجي واتساع دائرة هجمات البحرية البرتغالية على المدن والسواحل اليمنية التي ألقت بظلالها على أحوال التجارة[٦].

ولما كانت الفضة في هذا العصر هي نقد البلد[٧]، وهي بالتالي أساس التداول، فقد دأب سلاطين بني طاهر على الحفاظ على السياسة النقدية للدراهم الفضية التي ورثوها عن السلاطين الرسوليين، وإن لم ترق جودتها إلى المستوى الذي بلغته الدراهم الرسولية، ولعل السبب في ذلك يعود إلى الغش الذي أصابها غير مرة في عهد الظافر عامر (الثاني) بن عبدالوهاب، حيث يذكر أنه تم معاقبة شيخ دار الضرب بزبيد سنة ٩٠٥هـ بسبب خيانة ظهرت منه في دراهمه، وغش فاحش[٨]، ومنها أيضاً تلك التغييرات التي أصابت الدراهم السلطانية بزبيد سنة ٩١٦هـ/١٥١٠م وكثر زيفها، وترتب عليها تلفٌ في أموال الناس[٩]، كما تعرضت هذه الدراهم للقص من قبل الصاغة والصيارفة بزبيد سنة ٩١٦هـ/١٥١٠م[١٠].

---

١) بلعفير، "العملة والتداول"، ص٢٥٣.

2) Porter, op, cit, p. 24.

3) Balafir, Mohamed, Trésors et Collections Islamiques des Musées du Yémen, Thèse de Doctorat, Univerité de Paris Sorbonne, 3 tomes, 1994, pp. 658-675.

4) Porter, op. cit, pp. 24-25.

٥) بلعفير، "العملة والتداول"، ص٢٥٣.

٦) المرجع نفسه، ص٢٥٤.

٧) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص,١٦٠

8) Porter, op. cit, p. 22.

٩) الفضل المزيد، ص٦١.

١٠) المصدر نفسه، ص١٦٦، ١٦٧.

وعليه، فإن الغش المتكرر في دار الضرب بزبيد قد أدى إلى عدم استقرار الوزن والعيار، وتسبب بالتالي في انخفاض قيمتها الحقيقية في حركة التداول النقدي لا سيما أمام الدينار الفضة، ولعل أبرز مثال على ذلك ما ترتب على تغيير سكة الدراهم السلطانية في سنة ٩١٦هـ/١٥١٠م من نتائج، فقد بلغت عشر قفال[١] ونصف القفلة من الدراهم باثني عشر دينار دراهم فضة، مع أن وزن الاثني عشر ديناراً هو سبع قفال ونصف القفلة[٢].

وهنا يمكننا القول إن التأرجح في وزن الدرهم الطاهري كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بقوة اقتصاد الدولة أو ضعفه، ومع نهاية دولة بني طاهر أصبح الدينار الفضة الذي كان العملة الوطنية يعادل أربعة دراهم أو ربما عشرة[٣].

ب) **النظام الإداري والفني في دار السكة بعدن:**

تعد السكة من أهم الركائز التي يقوم عليها النظام المالي في الدولة، ولذا حرص سلاطين بني طاهر كأسلافهم على وضع دار السكة بعدن وغيرها من الدور تحت إشراف ورعاية الدولة، فأوكلوا إلى ولاة الأمر في المدن وهم : القاضي والناظر والمحتسب مهمة اختيار عناصر الطاقم الإداري والفني للعمل في دار السكة[٤] ، ومنهم الإداريون الذين يشرفون ويراقبون أداء الفنيين المتخصصين في الضرب والنقش والصب والطرق وغيرها من الأعمال ذات الصلة .

ج) **التداول النقدي في عدن :**

احتفظت مدينة عدن بمكانتها كدار ضرب للنقود منذ أيام الصليحيين[٥]، ثم جدد الأيوبيون هذه هذه الدار على يد المعز إسماعيل بن طغتكين (ت ٥٩٨هـ/١٢٢١م) [٦] ، واستمرت تؤدي دورها الفعال في عهد بني رسول إلى جانب داري الضرب في زبيد وتعز[٧].

وفي عصر الدولة الطاهرية تمكنت دار الضرب في عدن من التفوق على نظيراتها من الدور في كل من زبيد وتعز ، وذلك من حيث جودة السكة ونقاء معدنها ، وهو الأمر الذي فقدته وأهملته دار الضرب في زبيد ، حيث أصيبت سكتها غير مرة بالخلل الناجم عن الغش والتغيير، ويعلل بلعفير أسباب تفوق دار عدن بأنها ترجع إلى حرص القائمين عليها، وعلى سمعة ومكانة عدن كمركز

---

١) القفلة: هي الوازن من الدرهم التام الثقل الذي لا نقص فيه ولا زيف، وعلى هذا الأساس فإن الدرهم هو درهم قفلة أي وازن. الكرملي، الأب أنستانس ماري، النقود العربية وعلم النميات، القاهرة، ١٩٣٩م، ص١٥١، ١٦٢.
٢) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص١٦٦، ١٦٧.

3) Serjeant, op. cit, p. 139.

٤) الطميحي، مسكوكات بني رسول، ص٥١، ٥٢.
٥) عن النقود الصليحية التي ضربت في عهد المكرم أحمد بن علي الصليحي انظر: بلعفير،محمد صالح، "معطيات جديدة عن تاريخ اليمن الإسلامي – دراسة لتاريخ الدولتين الصليحية والزريعية من خلال المسكوكات"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ع(١)، مج١، جامعة عدن، عدن، يونيو ١٩٩٦م، ص٢١.
٦) أسامة أحمد حماد، مظاهر الحضارة الإسلامية في اليمن في العصر الإسلامي : عهد دولتي بني أيوب وبني رسول، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٤٢٥.
٧) خليفة، "طراز المسكوكات الرسولية" ص٢٥؛ الشميري، تاريخ اليمن سياسياً، ص١٣٥-١٤٢.

تجاري عالمي، وهو أمر إذا ماحدث فإنه لن يؤدي إلى زعزعة ثقة التجار بها فحسب، بل سيتسبب في ضياع هيبتها الاقتصادية[١].

ولأن عدن كانت سوقاً حرة يلتقي فيها التجار من بلدان عديدة، كان من الطبيعي أن تعرف تداولاً نقدياً بعملات أخرى إلى جانب العملات الطاهرية خاصة وأن المعاملات المالية لوحدات النقد الأساسية كانت تتم بالوزن وليس بالعد، ومن العملات التي راج التعامل بها هي الدنانير الذهبية الأشرفية المصرية المملوكية[٢]، كما تعامل بها أيضاً السلاطين الطاهريون أنفسهم، ومما يذكر في هذا الصدد أن المجاهد علي كان كثيراً ما تصدق بمئات وآلاف منها في مناسبات عديدة[٣]، وكذلك المنصور عبدالوهاب[٤]، ثم الظافر عامر بن عبدالوهاب[٥].

وخدمة للحركة التجارية الدولية التي كان التجار البنادقة جزءاً منها فلا يستبعد أن عدن عرفت التعامل بالنقود الذهبية الأفرنتية المشخصة[٦]، فقد ذكر ابن الديبع العثور بقرية هقرة (ما بين عدن وموزع) على كنز ذهب شخوصاً مصوراً عليها بسكة لا تشبه سكة الإسلام، وان وزن كل شخص منها ربع أوقية[٧] ذهب[٨]، كما عثر على كنز آخر بمدينة عدن في أساس مسجد غير أنه أصغر من السابق[٩].

وهكذا لم تكن مدينة عدن ميناء ومرسى للسفن ومركزاً تجارياً عالمياً فحسب بل تحولت إلى مدينة للمال والأعمال، وانتشرت في أسواقها حوانيت الصرافة التي كان لها الأثر الكبير في انتعاش التجارة وتسهيل حركة التداول النقدي، فكان التجار يأتون ببضائعهم وبعملات بلدانهم أو بكميات من الذهب والفضة ويتعاملون بها للحصول على العملة الوطنية في عصر الدولة الطاهرية، وعملات أخرى لتسهيل معاملاتهم التجارية والعكس صحيح، سيما والقاعدة النقدية آنذاك قائمة على الوزن لا العد[١٠].

---

١) " العملة والتداول النقدي " ، ص٢٥٩.

٢) يرجع ضرب هذا الدينار إلى السلطان المملوكي الأشرف سيف الدين برسباي (٨٢٥هـ/١٤٢١م - ٨٤١هـ/١٤٣٧م). الجابر، النقود العربية ، ص٣٤٦.

٣) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص١٥٣.

٤) المصدر نفسه، ص١٦٦.

٥) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص١٥٥.

٦) وهي عملة ذهبية عرفت في الشرق باسم (بندقي) أو أفرنتي، وسماها المؤرخون المصريون بالمشخصة لوجود صور القديسين على أحد وجهيها، وصورة دوق البندقية على الوجه الآخر. الجابر، النقود العربية، ص٣٤٦.

٧) الأوقية = ٢،٣١ جرام = ١٠ قفلات ، والقفلة = ١٦ قيراط ، والأوقية الذهب = ٦ مثاقيل وثلثين ، والمثقال = ٢٤ قيراط . انظر:

Serjeant, op.cit , pp. 144-145, 151 .

٨) الفضل المزيد، ص١١٢، ١١٣؛ كان في هذه المنطقة مسجد قد خرب ، فأراد رجل تجديد عمارته سنة ٩١٠هـ/١٥٠٤م، فوجد الحفارون ذلك الكنز في أساسات المسجد العتيقة. العيدروس ، النور السافر ، ص٥٠ .

٩) ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص١١٣ ؛ العيدروس ، النور السافر ، ص٥٠ .

١٠) بلعفير ، "العملة والتداول النقدي" ، ص٢٥٩-٢٦٠.

رابعاً- النظم الإدارية والمالية في الفرضة :

١- النـــظام الإداري :

أ) إدارة العمـــل في الفـــرضة :

عمل حكام الدول اليمنية منذ عصر بني صليح وحتى عصر بني طاهر على تنظيم إدارة الميناء وتطوير مستوى أداء الفرضة بما يخدم مصالح التجارة البحرية بين عدن ومختلف أقطار العالم، والنهوض بها للقيام بدورها الحضاري كوسيط تجاري لا غنى عنه بين تجارتي المشرق والمغرب، الأمر الذي سيعود بالفائدة لخزانة الدولة والانتعاش لاقتصادها المحلي.

وبناءً على ذلك تم تشكيل جهاز إداري وإشرافي لتنظيم وتيسير عمل الفرضة على النحو الآتي :

- الرقيب والناظر:

وقد اختصا بمهام عديدة منها إعطاء الفسوحات أو التراخيص لسفر المسافرين، ومنح رخص الإقامة والدخول للتجارة والمسافرين القادمين إلى عدن، وكذا المراكب الداخلة والمغادرة[١]، ويوقعان على بطاقات السفر للركاب والسفن، ثم يوقع عليها والي المدينة[٢]، كما أضيف للرقيب مهمة أخرى وهي اختيار العبيد المناسبين لخدمة الديوان[٣].

- كتّاب التنجيل:

وهم المختصون بتسجيل البضائع التجارية المعدة للشحن أو التفريغ من المراكب[٤]، فيكتبون ما تعجل إخراجه للمسافرين في أوراق للعامل، وكذلك ما تعجل خروجه من فوة ونحوها، والتي لا تخرج إلا بورقة بعد المقابلة عليها، ووضع ختم الفرضة عليها[٥].

- دفتر الخلاص:

لا يمسكه إلا المشايخ أو نوابهم في حال غيابهم بعذر من مرض أو سفر[٦]، ولعل المراد بالمشايخ أولئك العلماء الشرعيون المتخصصون في فقه المعاملات.

---

١) نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف، ج١، تح: محمد عبدالرحيم جازم، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية ، صنعاء، ٢٠٠٣م، ص٥١١.
٢) سرجنت، ر، ب، مينائي عدن والشحر في العصر الإسلامي، في كتاب : دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي، تر: د. نهي صادق، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية ، صنعاء، ٢٠٠٢م، ص٤٦.
٣) المرجع نفسه والصفحة.
٤) نور المعارف،ج١ ، ص٥١٠.
٥) المصدر نفسه والجزء، ص٥١٢.
٦) المصدر نفسه والجزء، ص٥٠٨.

- مقابلة العشور:

وهي من مهام المشايخ ، يقابلونها بالجرائد، ولا يمسك النائب الجريدة إلا في حال غياب الشيخ بعذر من مرض أو سفر، أو في حال انفصال المقابلة[١].

- المناداة والإملاء:

يقوم المفتشون بالمناداة أو الإملاء، ولا يخصون بها أحداً دون الآخرين، فيكون قولهم (يا مشايخ) إذا أرادوا البدء أو يبدأون دون المناداة (فلان بن فلان كذا وكذا) أي باسم صاحب البضاعة، ويلتزم المفتشون بمراعاة الجميع عند الإملاء، حتى يعلموا أن الذي أملوه قد أثبته الجميع، وما وقف فيه المفتشون بسبب ستمي[٢] وقفوا فيه لسائر الجماعة، وإن طلب منهم إعادة ما يمكن، أعادوه قبل أن يستجدوا عملاً آخر[٣].

- مقابلة الصف:

يقوم بها النواب في حضور أحد المشايخ، وما حصل فيه الخلاف رجع فيه إلى ما اتفق عليه الأكثر من الدفاتر[٤].

- يوم المقابلة:

اليوم الذي تتم فيه مقابلة العشور لا تفتح فيه الفرضة ولا تكتب فيه وصولات على الهلالي ولا غير ذلك، وهو يومُ واحد في الشهر يخصص لذلك الغرض[٥].

- المقابلة على دفتر الخلاص:

"يسمعه الجميع، وإن وجد معهم خلاف وقف له حتى يصلح كل ما عنده، كما يقف للعامل، ولا يسترد المقابلة أو يتحقق الخلاف عنده أو عند غيره، وإذا حدث خلاف في المقابلة دفتر الخلاص في الفرضة يتم الرجوع إلى ما اتفق عليه أكثر الدفاتر، ولا يرجع إلى قول شخص لا أهميه له ولا كران[٦] ولا ينفرد العامل بمشاهدة المرجان والحديد والزجاج والمردود واللؤلؤ والعود وغيره، بل يعرض على الجميع بعد عرضه على العامل، ويثمن ما كان يثمن بوقته ما كانت العين تدركه، ولا يؤخر تثمينه إلى وقت المقابلة"[٧].

---

١) نور المعارف، ج١، ص٥٠٨ .
٢) الستمي: هو الحساب الختامي بعائدات الفرضة من العشور، ويرفع للسلطان بعد توقيع المسئولين عن الفرضة. نور المعارف، ج١ ، ص ٥٠٨، ح(٣٧٠٣).
٣) نور المعارف ، ج١ ، ص٥٠٨ .
٤) المصدر نفسه والجزء والصفحة.
٥) المصدر نفسه والجزء والصفحة.
٦) الكراني: هو كاتب الحسابات، وما زال لفظها متداولاً في عدن حتى الآن على كتاب الحسابات في المصالح الحكومية والخاصة.
٧) نور المعارف، ج١ ، ص٥٠٩.

- دفتر المشتري:

لا يتم شراء أي سلعة إلا بعد عرضها على جميع المشايخ، ولا يعين الناظر ورقة مصروفة به إلى الصندوق إلا بعد توقيع المشايخ عليها(١)، وتتم المقابلة على دفتر المشتري عشية في كل شهر حتى ينقل الحساب منه بصحة واتفاق(٢).

- رفع الحساب والسياقات:

يتم رفع حسابات البيع والشراء إلى الوالي شهرياً، وذلك بعد المقابلة عليه ومذيلة بالتوقيعات، وبهذه الإجراءات يتم غلق الحسابات السنوية بشكل منتظم مُقابل عليه(٣).

- كتاب الصندوق:

يدونون ما استلموه "من أرباب المشترى، وعشور الخيل، والرهون للمراكب الكارمية(٤) للعامل، وينسخون منها نسخة أخرى للعامل الثاني، وينقل منه سائر المشايخ"(٥).

- كاتب المتجر:

وهو الكاتب في المخازن التجارية التابعة للديوان، فيكتب ما وصل إليه للعامل، وينسخها للعامل الثاني وسائر المشايخ ينقلون منه(٦).

- كاتب الوصولات:

يكتب لمشايخ الفرضة كل شهر بشهره عرائض بالرقيق، ليعرف ما سقط بالوفاة، وما تغيب، وما يستحب وما يطلق(٧).

- كتاب الحسابات (الكرانيون):

يكتب الكرانيون كل ما يعاينونه بورقة إلى العامل، كما يكتبون لسائر المشايخ حتى يعين لهم المحسوب(٨).

- أصحاب الباب:

وهم المخولون بالإشراف على الداخل والخارج من الفرضة، ولا يسمحون بخروج أية

---

١) نور المعارف، ج١، ص٥١٠.
٢) المصدر نفسه والجزء ، ص٥١٣.
٣) المصدر نفسه والجزء، ص ٥٠٨- ٥٠٩.
٤) الكارمية أوالكارم اسم أطلق على طائفة أو مجموعة من التجار المشتغلين بتجارة التوابل ، ثم عمم ليطلق على المشتغلين بتجارة الشرق في العصر الإسلامي . قائد حميد عثمان ،"تجارة الكارم ودور مدينة عدن في النشاط التجاري العالمي منذ عهد الزريعيين حتى نهاية حكم بني رسول(٥٣٢-٨٥٨هـ/١١٣٧-١٤٥٤م)" ، مجلة اليمن، ع(٤)، مركز البحوث والدراسات اليمنية، جامعة عدن ، عدن،جماد أول١٤٢٧/مايو٢٠٠٦م ، ص٤٩ .
٥) نور المعارف ، ج١ ، ص ٥١١.
٦) المصدر نفسه والجزء ، ص ٥١٢.
٧) المصدر نفسه والجزء، ص ٥١٤.
٨) المصدر نفسه والجزء ، ص ٥١١.

بضاعة إلا بعد مقابلة أوراق البضاعة مع نسختهم المحفوظة لديهم[١].

- الستمي (كشف الحساب):

بعد إتمام عملية التدوين لكل ما يتم إخراجه من المراكب وعمليتي البيع والشراء، تتم كتابة كل ذلك في مدونة حساب نهائية تسمى (الستمي) وترفع إلى السلطان وعليها ختم العاملين بالفرضة[٢].

ويتضح مما سبق إيراده أن العمل في الفرضة يرتكز على منظومة مشتركة من المشايخ والمشرفين والإداريين والفنيين وغيرهم ، ابتداءً بالناظر فالمحتسب وصولاً إلى الحمالين والمبشرين والناطور وعريف الساحل[٣]، وجميعهم يعملون بطريقة سلسة ومنظمة لتسهيل المعاملات التجارية في ميناء الثغر.

والفرضة كما وصفها ابن المجاور[٤]: "كالمحشر فيه من المناقشة والمحاسبة والوزن والعد"، والعد"، فهي تزدحم بالبضائع والبشر من مختلف الجنسيات وتفضي إلى الجهة التي ترسو فيها السفن التجارية، ويقابلها جبل صيرة، وكانت ذي قبل مفتوحة على البحر إلى أن سوّرها الأمير عثمان الزنجبيلي وجعل عليها ستة أبواب، والسؤال هنا كيف كانت تفتح الفرضة لشحن وتفريغ البضائع؟

ب) **نظـــــام فتـــح الفـرضة وإغلاقها :**

يشرف على النشاط التجاري في الفرضة كل من الوالي والناظر، والأول يحتفظ بمفاتيحها فيما يعهد بالختم الخاص بالفرضة للثاني ؛ ففي الصباح الباكر يأخذ العمال المفاتيح من الوالي ويفتحون الأبواب، حيث تدخل البضائع من الباب المفتوح على الساحل قبل تعشيرها في الفرضة، ثم تعاد المفاتيح للوالي، وهذا يعني حظر استقبال بضائع السفن الواصلة ليلاً، ثم يتم أخذها ثانيةً بعد صلاة العصر لإغلاق الأبواب[٥].

وتحتفظ الفرضة بمجموعة من القواعد والنظم واللوائح للمسافرين، ونظم للبيع والشراء، وللزريبة[٦]، وختم الفرضة، وتوضع جميعها في الخزانة حتى لا يخرج أحد عن الحق[٧].

ج) **الشـحن والتفــريغ في الفــرضة :**

يتضح مما ذكره المؤرخون أن السفن التجارية الضخمة تدخل مياه عدن دون أن تتجاوز حداً معيناً في الميناء حتى لا تتعرض قواعدها للارتطام باليابسة، ثم يخرج إليها المباشرون في القوارب

---

١) نور المعارف، ج١ ، ص ٥٠٩.
٢) سارجنت، مينائي عدن والشحر، ص٤٦.
٣) ابن المجاور، المستبصر، ص١٣٨.
٤) المصدر نفسه ، ص١٢٨.
٥) الحسيني، ملخص الفطن، ق٢٧ ب.
٦) الزريبة: هي مكان واسع خصص لخزن البضائع وحفظ الأمانات، وكل ما لم يستكمل إجراءات خروجه من الفرضة. نور المعارف، ج١ ، ص٥١٤ ،ح٣٧٤٥ .
٧) نور المعارف ، ج١ ، ص٥١٤.

الصغيرة حتى يصلوا إلى الناخوذة، فيسألونه عن الجهة القادم منها، وعن الركاب، ويقوم الموظفون المختصون بكتابة ما يهمهم من البضائع، وآخرون يسجلون أسماء الركاب القادمين، فيما يقف موظفون آخرون في الميناء لنقل البضائع من السفن الواصلة إلى السنابيق ومنها إلى الفرضة كي يتم تعشيرها، كما يوجد موظفون يتولون رقابة الأبواب، وآخرون يحصلون المكوس والضرائب ورسوم الدخول، بينما يباشر بعضهم الدكان[١]، وعلى الجانب الآخر يتولى عمال الصيانة الاهتمام بالسفينة وصيانتها وترميمها، ومنهم من يتولى تزويد السفن الراسية بالمؤن والمياه[٢].

أما بالنسبة إلى عملية تفتيش القادمين من الركاب فبعد الانتهاء من تسجيل محتويات السفينة من البضائع، وأسماء التجار القادمين، ترسو السفينة بجانب جمارك الميناء، فيصعد إليها والي المدينة ويرافقه الكشاف المعني بتفتيش الرجال واحداً واحداً بدقة متناهية تشمل ما عليهم من الملابس والأحزمة والعمائم ومواضع معينة من أجسادهم كالإبط ونحوه، أما النساء فهناك عجوز تفتشهن بذات الأسلوب المتبع في تفتيش الرجال من حيث الدقة والحرص[٣]، ولعل السبب في تشديد إجراءات التفتيش في الميناء يكمن في الحد من عمليات التهريب.

وبعد استكمال إجراءات التفتيش الشخصية للقادمين على ظهر السفينة والتي تستمر ليومٍ واحد، يؤذن لهم بالنزول في اليوم التالي إلى رصيف الميناء[٤].

ومن جهة أخرى، إذا أراد الناخوذة السفر إلى جهة ما أقام علمه برنك (شعار مميز) خاصاً به، ويمكث عدة أيام حتى يعلم الناس والتجار بعزمه على السفر[٥]، وفي هذه الأثناء يسارع الراغبون الراغبون بالمغادرة إلى إجراء معاملات السفر وفقاً للنظم ولوائح السفر المتبعة في الميناء، إذ لا يسمح للمسافر المغادرة ما لم يكن حاملاً لخط جواز (إذن) وكفيل ضامن يكفله في حال ظهر عليه شيء بعد سفره، كأن يكون مديناً بمال لأحد أو مديناً بعشور للفرضة، وعلى أن تكون ورقة الضامن (الضمانة) ممهورة بختم والي المدينة[٦].

أما المسافرون الذين لا يجدون في المدينة من يكفلهم كالغرباء أو غير المعروفين فإن الإجراءات المتخذة تجاههم هي أن يخرج منادٍ ينادي عليه في الأسواق، ويخبر الناس أن فلاناً بن

---

١) الدكان : يبدو أنه متجر السلاطين ، والذي كان يسمى بدار الطويلة، ثم صارت تحمل اسم دار صلاح .
٢) ابن المجاور، المستبصر، ص١٣٨، ١٣٩؛ الحسيني، ملخص الفطن، ق٢٨ أ، ب ؛ سارجنت، مينائي عدن والشحر، ص٤٥.
٣) ابن المجاور، المستبصر، ص ١٣٩.
٤) المصدر نفسه والصفحة.
٥) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ص٥٣.
٦) ابن المجاور، المستبصر، ص ١٤٦.

فلان مسافر، وكل من له دين أو طلب عليه يطالبه، فإن ظهر عليه شيء تأجل سفره، وإن لم يظهر عليه شيء غادر إلى حيث يريد[١].

والواقع أن هذه الجملة من الإجراءات الاحترازية والوقائية تدل على التطور الكبير الذي شهده ميناء عدن في المجالين الاقتصادي والأمني.

د) إسهامات الطاهريين في تطوير ميناء عدن :

- دار البندر:

كان فوق البندر فضاء يجلس عليه الناس ليشاهدوا دخول السفن إلى البندر وخروجها منه، فاتفق أن طلع السلطان المنصور عبدالوهاب بن داود إلى البندر في آخر الموسم ينظر إقلاع المراكب، فرأى تلك الساحة والفضاء فأمر ببناء دار بها للتنزه، فبنيت دار ذات طبقتين[٢]، ويفهم من نص آخر أنها بنيت من حجارة شصنة (كاسرة أمواج البحر) بناها الأولون لمصلحة البندر، لتلافي مخاطر الأمواج التي عادة ما تشتد أيام الأزيب (الرياح الشرقية)، حيث يؤدي ذلك البناء مهام كسر الأمواج العاتية التي تؤذي المراكب الراسية، بيد أن تلك الشصنة قد هدمت، واستخدموا حجارتها لتشييد الدار، فحدث خلل أدى إلى تضرر المراكب من أمواج لم تعهد من قبل، وعندها أدركوا عاقبة ما ارتكبوه، وعالجوا الأمر بردم مكانها بالحجارة وتراب الفوة وغيرها حتى تجبل[٣]، كما يفهم مما جاء عن هذه الدار بأنها لم تكن على الساحل خلف السور البحري، وإنما كانت بلحف جبل صيرة شمالاً[٤].

وبقيت هذه الدار حتى قدوم الحملات البرتغالية التي استولت عليها ونصبوا عليها المدافع، ورموا منها المدينة وألحقوا بها الضرر، فهدمت وبني عوضاً عنها حصن في ثنايا جبل صيرة يحكم على البندر[٥].

- دار الطويلة أو دار صلاح:

بناها ابن الخائن على محاذاة الفرضة من جهة الغرب بينها وبين الفرضة فضاء (ساحة)، وعلى بابها دكتان مسقوفتان يجلس عليهما كتاب الفرضة وكانت قديماً متجراً للملوك، وصارت دار صلاح نسبة إلى صلاح بن علي الطائي أحد تجار عدن وذكر أنه فرّ إلى مليبار أيام الجور الذي حدث في عهد الناصر الرسولي، فاستصفت الدولة أملاكه، وعندما تولى الطاهريون الأمر وتعلقوا بالتجارة جعلوا من تلك الدار متجراً لهم، وزاد فيها السلطان علي بن طاهر زيادة طويلة كانت عبارة

---

١) ابن المجاور، المستبصر، ص١٤٦ .
٢) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن،ج١، ص١٢- ١٣.
٣) المصدر نفسه والجزء، ص١٥- ١٦.
٤) شهاب، عدن فرضة، ص١٩٨.
٥) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج١، ص١٦.

عن مخازن كبار من جهة حقات، وتلتها زيادة أخرى في عهد السلطان عامر (الثاني) بن عبدالوهاب من الجهة الشرقية للدار[١]، وهي مقر مال الوكالة الذي يتم فيه البيع والشراء والمعاملات التجارية الخاصة بالسلطان فسميت بالمتجر السلطاني.

- برج ميناء عدن: أشار ابن الديبع إلى وجود برج يقع بمحاذاة رصيف السفن في صيرة، وجاء ذلك خلال حديثه عن كوارث الأمطار والسيول التي تعرضت لها مدينة عدن سنة ٩١٦هـ، حيث قال: "وسقطت بعدن بيوت حجر كثيرة، وسقط بيت منها على أهله، فهلك منهم تحت الردم خمس نسوة وعبد، وسال بولد يقال له: أبو يوسف البهيسي، فلم يوجد إلا في البحر في البرج الذي ترسي عنده المراكب"[٢]، بيد أن المؤرخين السابقين لابن الديبع عهداً لم يشيروا إلى ذلك البرج على الإطلاق، مما يعني أنه أسس في عصر الدولة الطاهرية للقيام بمهام مراقبة السفن الراسية في الميناء ؛ وهنا يعترضنا استفسار مهم لعله جدير بالبحث والاستقصاء وهو: هل البرج المذكور آنفاً هو ذاته القائم (حالياً) بجوار مصلحة بريد عدن[٣]؟

الحقيقة أنه لا يمكن الجزم في ذلك؛ فهذا الصرح الشامخ كان وما يزال مثار جدل المؤرخين والمشتغلين بعلم الآثار والمهتمين بتراث المدينة ، فتعددت الرؤى والتخمينات، وانقسموا فيما بينهم إلى قسمين:

القسم الأول وهم الأغلبية ومن ذوي الاختصاص ترى بأنه مئذنة (منارة) لمسجد قديم اندثر لسبب أو لآخر مع مرور الزمن، والقسم الآخر وهم الأقلية وجلهم من المهتمين بتراث المدينة من عامة أهل عدن ترى أنه فنار لرصد السفن.

ويتزعم الأغلبية المؤرخ محيرز الذي استند إلى شهود عيان أجانب في العصر الحديث الذين وصفوا هذه المنشأة على أنها مئذنة (منارة) كانت قائمة في زمنهم[٤]، لكنهم في الوقت ذاته لم يشاهدوا المسجد أو أكدوا على وجوده أو لمسوا بقايا آثاره، ولعل أبرز ما قاله محيرز في هذا الصدد:" وتحول هذا المسجد الذي لا زالت منارته باقية بين إستاد الكرة [ملعب الحبيشي] ومصلحة البريد إلى مركز قيادة القوات المحتلة [الانجليز] وسكن لقائدها. أما المسجد فقد اختفى ودفنت اسطوانات أعمدته المزخرفة تحت التراب وكشف عنها"[٥]، واستدل محيرز من كل هذه المعطيات على أن ذلك المسجد

---

١) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج١، ص١١- ١٢.
٢) الفضل المزيد ، ص١٦٩.
٣) تقف هذه المنشأة على قاعدة مضلعة متخذة شكل مخروطي ، ويقدر ارتفاعها بحوالي (٢١م)، وبها سُلم داخلي حلزوني الشكل فيه ٨٦ درجة، العبدلي، هدية الزمن، ص١٣. انظر: لوحة رقم (١١).
٤) أبرز شهود العيان، الهولندي فان دن بروكه في سنة ١٦١٤م، وولستد في سنة ١٨٣٥م، وآخر يدعى ليه شاهد المنارة قبل وبعد الاحتلال البريطاني لعدن سنة ١٨٣٩م. انظر: صيرة ، ص٣٩-٤٠.
٥) صيرة ، ص٤٠.

المسجد هو عينه الذي بنى منارته الملك الظاهر يحيى الرسولي (ت٨٣٥هـ/١٤٣٢م)، مضيفاً بأنه لا يعرف ما "إذا كان هو باني المسجد والمنارة أم أنه بنى المنارة على مسجد كان قائماً"[١].

أما القسم الآخر وهم الأقلية، فيرون أنها فنار لمراقبة ورصد السفن دون أن يستندوا إلى حجج وبراهين تدعم رأيهم، ومع هذا فإننا نميل إلى رأيهم على أنها منشآة مدنية فقط، لكنها في الوقت ذاته ليست فناراً بمفهومه المعروف، بل برج ذو مهام محدودة ومحصورة في إطار الميناء، وذلك استناداً إلى الحجج الآتية:

- لا يعقل أن يتم بناء مسجد ومئذنة في موقع هو في الأساس مجرى السيول المندفعة من أعالي جبال المدينة، ثم من ذا صاحب العين البصيرة في اختيار هذا الموقع بالذات؟! مع الأخذ بعين الاعتبار حرص السلاطين الشديد على تشييد منشآت ضخمة ومتينة لا تتأثر بعوامل الزمن وتقلباتها وذلك لتخليد أسمائهم وأمجادهم ما أمكن.
- كان المسلمون ومازالوا عبر العصور الأكثر حرصاً على بناء المساجد في كل موطن سكنوه على ظهر المعمورة، كما أولوا تلك المنشآت القدسية قسطاً كبيراً من العناية والرعاية بالصيانة والترميم والإصلاحات المختلفة حتى تبقى في أفضل حلتها أجيالاً بعد أجيال، وحفلت المشاهدات اليومية في أرض الإسلام عن تشعث وتهاوي وتهدم الكثير من دور العبادة لأسباب مختلفة كالكوارث الطبيعية أو على يد عناصر انتقامية معادية للإسلام، لكن المسلمين دائماً ما كانوا يواجهون ذلك بالبذل والعطاء وشحذ الهمم لإعادتها أكثر متانة وقوة عن ذي قبل، أو على الأقل إعادتها كما كانت عليه على وجه السرعة بدافع الغيرة العقائدية والاعتزاز بالإسلام، وطمعاً بالأجر والثواب، وبناءً على ذلك ، هل من المعقول أن يتغافل أهل عدن وأمراؤها المتعاقبون عن ذلك المسجد وهو يندثر شيئاً فشيئاً حتى أصبح أثراً بعد عين من دون أن يعز عليهم ذلك؟ قطعاً لا، ما لم تكن هذه المنشأة قد شيدت لخدمة الميناء وتفعيل دوره الرقابي، أو أنه لا يبتعد عن كونه نصباً تذكارياً لفنار تم تشييده في العصر الحديث يجسد مكانة مدينة عدن وأهميتها كميناء عالمي عبر العصور.
- لم تشر المصنفات التاريخية لا من قريب ولا من بعيد إلى تهدم واندثار ذلك المسجد المزعوم وبقاء منارته شامخة دون أن يلحقها أذى ، مع أنه من البديهي أن تكون متانة وقوة بناء المئذنة موازية نسبياً مع بناء المسجد، فكيف إذاً يندثر المسجد وتبقى المنارة مع أنها الأكثر عرضة للتهدم والاندثار بسبب عوامل التعرية لعلوها عن المسجد مع الأخذ بعين الاعتبار أن المسجد عادة ما يحاط بالصيانة والرعاية اليومية أكثر من المئذنة؟ ثم ما جدوى الحرص الشديد على سلامة

---

١) صيرة، ص٤٠.

المنارة والحفاظ عليها مذ أن بنيت وحتى العصر الراهن وإهمال المسجد الذي هو الدار الأصلية لأداء الصلاة ؟

- نظراً لشحة المياه في عدن أُلحقت غالب مساجد المدينة القديمة بآبار تقوم بكفايتها من المياه ، فيما لم يُعثر في هذه المنشأة ما يستدل به عن وجود أثر لبئر أو مصدر آخر لتزويدها بالمياه .
- أما من حيث الطراز المعماري ، فقد جرت العادة أن تكون منافذ خروج صوت المؤذن تقع في الأعلى حيث يقف وعلى مستوى رأسه ، لكن ماهو موجود يخالف ذلك ، حيث صممت المنافذ في الأسفل، مما يعني حبس جزء كبير من الصدى بداخلها ، وهذا الطراز لم يكن مألوفاً في عمارة المآذن آنذاك.
- لعل أهم القرائن التي تؤكد ما ذهبنا إليه هي تلك اللوحة العتيقة التي وثقتها المصادر الأجنبية لهذه المنشأة[١]، فعلى مظهرها الخارجي فقط من الدلائل والبراهين ما يقطع الشك ويزيل الغموض الذي اكتنفها لزمن طويل، وهي توحي وللوهلة الأولى بأنها كانت برجاً تم تشييده لخدمة الميناء، غير أنه قد تعرض لعوامل التعرية وكان أخطرها الملوحة والرطوبة اللتان لم تتلفا ملامحه الخارجية فحسب، بل نخرتا في بناء البرج وخصوصاً قمته التي انهارت وهوت إلى الأرض؛ ومن ناحية أخرى، فأنه من خلال المقارنة بين صورة البرج القديمة وبين مظهره في الوقت الراهن يتبين أن البرج قد نال نصيباً كبيراً من الترميمات والتجديدات والإستحداثات عبر الزمن[٢] بدت واضحة على قمته التي تم تعديلها هندسياً غير مرة لتلافي الضرر الذي لحق بها، وهو ما أثر في تضائل ارتفاعه نسبياً عن ذي قبل، ناهيك عن التغييرات الواضحة على ملامحه الخارجية .

وعموماً ، إن أصبنا فيما ذهبنا إليه أم لا ، فإن أمر هذه المنشأة سيظل عرضة للاجتهادات والتخمينات، حتى يقيض الله من أهل العلم والاختصاص من يحسم الأمر بالأدلة والبراهين الملموسة .

هـ- حـــماية ميـــناء عـــدن :

لم تتحدث المصادر المختلفة عن وجود أساطيل بحرية تقوم بالدفاع وحماية ميناء عدن، على الرغم من مكانته الاقتصادية في تاريخ الدول اليمنية في العصر الإسلامي.

فخلال الحملة المملوكية على عدن لم ترد أية إشارة إلى وجود ما يمكن تسميته بقوى بحرية تحارب وتتعقب الغزاة، كما ظل البرتغاليون في غزوتهم الأولى الفاشلة مسيطرين على الميناء لعدة

---

١) انظر: لوحة رقم (٩).
٢) انظر: لوحة رقم (١٠) .

أيام، وكانوا خلالها يهددونه الجولة بعد الأخرى دون خوف من أسطول يداهمهم سواءً في الميناء أم في عرض البحر، وهذا الأمر يدعو للاستغراب والاستفسار عن المبررات؟

وفي تقديري أن عدن كانت ولا شك تمتلك قوارب حربية صغيرة محدودة التسليح والمدى، ولا ترقى إلى مستوى التسليح الذي زودت به أساطيل المصريين والبرتغاليين الضخمة، ولا يجوز لنا بأي حال من الأحوال أن نطلق عليها مسمى الأسطول الحربي الذي يضم في العادة عدداً من القطع البحرية وبأحجام مختلفة وجاهزية عالية بالوسائل والأسلحة، ففي إشارة عارضة ذكرها بامخرمة في معرض حديثه عن سلسلة أحداث سنة ٨٩٤هـ/١٤٨٩م، يفهم منها ما ذهبنا إليه، فقد ذكر أن الشيخ عبدالباقي بن محمد أخفق في انتزاع عدن من أبناء عمومته بعد أن تم محاصرته فيما بين جبل حديد وباب عدن، وتم القضاء على جنوده بمساعدة القوة العسكرية البحرية التي صادف وجودها في عدن (ربما كانت آنذاك تجوب المياه الإقليمية)، حيث خرج إليهم والي المدينة وهو يومئذٍ الأمير محمد بن عبدالملك في جمع عظيم أغلبهم من عساكر المراكب البحرية لأنه وصل في الموسم، وكان في المرسى جملة من المراكب ، فاستعان بها وبرجالها وسلاح المدفعية[١]، لكن مع هذا كانت تلك المعركة في الواقع برية، وتم تحقيق النصر بواسطة قوة بحرية مسلحة اضطر فيها الأمير إلى نقل أسلحتها براً إلى موقع المعركة عند درب حوش خارج باب عدن.

وهناك إشارة أخرى تبدو أكثر إقناعاً من سابقتها ذكرها المؤرخ نفسه في معرض حديثه عن وصول حملة البرتغاليين إلى ميناء عدن سنة ٩١٩هـ/١٥١٣م وقال فيها: "وكان الساحل مشحوناً من العساكر البحرية، عساكر المراكب"[٢]، مما يعني أن الميناء كان محمياً بقوات بحرية مسلحة لكنها متواضعة العدد والعدة، وأن دخولها إلى عرض البحر لمقارعة أساطيل الغزاة الضخمة يعد انتحاراً.

وأياً كان الأمر، فربما حلت التحصينات والاستحكامات العسكرية المنصوبة على سلسلة الجبال المحيطة بالمدينة، محل الأسطول البحري وبديلاً آمناً للميناء والمدينة في آنٍ واحد.

٢- النـــــظام المـــــالي :

أ) العشـــور في ميـــناء عـــدن :

تعد العشور من أهم مصادر دخل خزانة الطاهريين ومن سبقهم من الأسر الحاكمة في العصر الإسلامي، وهي نسبة معينة تؤخذ نقداً أو عيناً على مختلف المنتجات والبضائع المحلية والمستوردة من خارج قطر اليمن ؛ ففي عدن كانت تؤخذ العشور على البضائع الصادرة والواردة عبر الفرضة وبنسب مختلفة تبعاً لاختلاف مكان المنشأ ونوعية المنتج.

١) قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٧٢.
٢) المصدر نفسه والجزء، ص٣٧٣٥.

ولأن ميناء عدن التجاري صار في نظر الحكام معيناً لا ينضب ورافداً رئيساً لخزانة الدولة، فقد دعت الحاجة لاحقاً إلى استحداث ضرائب أخرى تلبي عطش الحكام لجمع المزيد من الأموال لغرض الإثراء أو لتعزيز مراكزهم السياسية وتمويل المجهود الحربي ، ففي سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٨م تم تأسيس دار الوكالة في عدن على كل بضاعة لم يؤخذ عليها عشور يؤخذ منها زكاة، وقد كان حتى هذه السنة عدد من البضائع معفية من العشور لا سيما المستوردة من مصر مثل: الحنطة، والدقيق، والسكر، والأرز، والصابون، وزيت الزيتون، والزيتون المملح، والعسل إن كان قليلاً وليس للاتجار، والبضائع المستوردة من الهند مثل: المربّى، والمخاد، والمساور، والأنطاع، والأرز، والسمسم، والصابون، والقرنفل، والتمر، والسمك المملح إن كان بلا رأس، والنعال، والماعز، والخرز[١].

وباستحداث عشور دار الوكالة صار يؤخذ خمسة عشورات مرة واحدة: عشور قديم وهو مال الفرضة، وعشور الشواني الذي فرضه طغتكين بن أيوب، ودار الوكالة (من الدينار قيراط)، ودار الزكاة، والدلالة[٢]، وظلت هذه الأبواب الضرائبية قائمة في عصري بني رسول ومن بعدهم عصر بني طاهر دون أن يسقطوا منها ما يذكر.

- عشور البضائع اليمنية التي تدخل الفرضة:

لا يتم استثناء المنتجات الوافدة إلى الفرضة من مناطق اليمن المختلفة من العشور وتعامل أسوة بالبضائع الصادرة والواردة، وإن كانت، في تقديري، بنسبة ضريبية أقل، باعتبارها منتجاً محلياً ينبغي دعمه وتشجيعه، علماً بأن السلطان المجاهد علي بن طاهر قام سنة ٨٦٨هـ/١٤٦٤م بإبطال المكس عن أشياء كثيرة كالليمون، والموز، والعسل، والسمك وغيرها ، وعلى الأرجح أنه عنى بهذه الخطوة تحسين المستوى المعيشي للفرد، وتشجيع المزارعين والصيادين لإنتاج المزيد[٣].

ولما كانت اليمن قد تميزت منذ القدم بالتنوع في منتجاتها، فقد آثرنا إيرادها مستقلة في جدول مع بيان ما تأخذه فرضة عدن من الضرائب كلٌ قرين نوعه[٤].

- عشور الصادرات اليمنية من ميناء عدن :

عشــور تجـارة الفــوة:

وهو نبات عشبي له عروق دقاق طويلة وبذور حمراء، يستخدم على نطاق واسع في صباغة الجلود والأقمشة باللون الأحمر[٥]، وهو من النباتات التي أدخلت زراعتها إلى اليمن في عصر بني

---

١) ابن المجاور، المستبصر، ص١٤٢- ١٤٣.
٢) المصدر نفسه ، ص١٤٣ .
٣) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص١٣٣.
٤) انظر: الجدول رقم (١) .
٥) شهاب، عدن فرضة، ص١٢٢؛ شائف عبده سعيد، "الحياة الاقتصادية في اليمن لدى الجغرافيين العرب في العصور الوسطى"، مجلة دراسات يمنية، ع(٤١)، صنعاء، محرم، صفر، ربيع أول ١٤١١هـ/ يوليو – أغسطس – سبتمبر ١٩٩٠م ، ص١٦٩.

أيوب، ولأن زراعته كانت مربحة بسبب ما تلقاه من رواج في أسواق الهند توسعت زراعته في الجبال على حساب المزروعات الأخرى كالحنطة والشعير وغيرها من الحبوب.

وعلى الرغم من المحاولات الجادة التي قام بها الملك المسعود الأيوبي سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٦م بحظر زراعتها إلا أن جهوده باءت بالفشل، وأصبحت الفوة من أهم المنتجات اليمنية التي يتم تصديرها من ميناء عدن إبان عصر بني رسول(١).

وقد اشتغل الطاهريون بتجارة الفوة مذ كانوا عمالاً لبني رسول وجنوا منها الأرباح الطائلة، ولا يستبعد أنه بعد قيام دولتهم سنة ٨٥٨هـ/١٤٥٤م احتكروا تجارتها بعد أن خلا لهم السوق من المنافسين ، ويزرع في اليمن نوعان من الفوة هما:

الأول فوّة جبلي: يأتي من الجبال وأشهر مناطق زراعته تعز والجند وذي السفال وقيمته ١٢ ديناراً، وعليه من الخرص ٣٠ رطلاً(٢).

والثاني فوّة سهلي: يأتي من تهامة وهو أدنى، وتصل قيمته ١٠ دنانير، وعليه من الخرص ٢٧ رطلاً(٣).

والبهار منها في الجند يستوزن من الضمان بالقبان(٤) ٣٨٠ مصرياً ويخرج منه ٢٠ رطلاً فيصبح ٣٦٠، ويأتي إلى عدن فيوزن ٤٢٠ رطلاً زائد ناقص ؛ لأن البهار يوازي ٤١٠ أرطال، والوافي ٤٣٠ رطلاً، فيحسب كل بهار جبلي نقي ٣٦٠ رطلاً مصرياً، وفي المتجر ٤٢٠ رطلاً بغدادياً(٥).

ويؤخذ على الفوة في عدن بعد الوزن عشور، كل عشرة أبهرة بغدادي كل بهار ٣٠٠ رطل، خُرص عن عشرة أبهرة بهار وستة وثلاثين، العُشر بهار، وخمس العُشر ستة وثلاثين، وكمريات لتعبئة الفوة (أكياس) العشرة ست قطع، وعلى كل قطعة دينار، والميزان ربع، والمنفعة عند البيع الربع، والضمان درهمين(٦).

وبناءً عليه، فإنه يؤخذ على الفوة في عدن عشور وخرص ومنفعة وكمريات والميزان، والضمان، وعليها عشور الوارد، وإذا تم تصديرها بحراً عليها عشور الصادر.

---

١) خليفة، ربيع حامد، "مناسج الطراز الخاصة بمدينة صنعاء"، مجلة الإكليل، ع (٢)، وزارة الثقافة، صنعاء، السنة السادسة، ١٩٨٨م، ص٤٩.
٢) نور المعارف،ج١ ، ص ١٧٩.
٣) المصدر نفسه والجزء والصفحة .
٤) القبان: هو ميزان معروف، توزن به الأشياء الثقيلة، وهو معرّب عن كبان باللغة التركية. المنجد في اللغة والأعلام، ط٢٤، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٣م، ص٦٠٧.
٥) نور المعارف،ج١ ، ص١٧٨- ١٧٩. البغدادي: هو عيار الرطل المتعامل به فيما بين أهل عدن وفرضتها، ويتفاوت عن الرطل المصري بمقدار السبع، فالبهار البغدادي بالمصري = ٢٦٢,٥ رطل، والبهار المصري بالبغدادي = بهار و ٦/٧ ٤٢ رطل. نور المعارف، ج١ ،ص٢٦٥.
٦) نور المعارف،ج١ ، ص١٧٩.

واللافت للنظر وجود ظاهرة الرشوة في ميناء عدن وارتباطها الوثيق مع تجارة الفوة، إذ يذكر أنه يتم أخذ رشوة عن التسعة أبهرة سبعة دنانير وثمن، كل بهار ثلثين وثمن دينار[١].

عشـــور تجــارة الخـــيل :

ازدهرت تجارة الخيل في عدن وراج تصديرها إلى الخارج لا سيما الهند التي كان حكامها يفضلون الخيول اليمنية عن الخيول التي تجلب من هرمز[٢].

وكان للخيل موسم سنوي في عدن يقام فيه مهرجان رياضي يتم فيه استعراض الخيول، ويبدأ بالمرور من أمام دار الطويلة في طريقها إلى حقات حيث تقام الحلقة هناك[٣].

وتكون الأولوية في الشراء للديوان حيث تعرض الخيول الصنعانية[٤] على السلطان وما يختاره منها يكتبه بأوصافه واسم صاحبه، وترسل هذه المعلومات إلى الوالي، وعند خروج الخيل إلى الحلقة في حقات يراقب الوالي الخيول المختارة، وعند عرضها يتوقف الوالي عن المزايدة حتى ينتهي المنادي، ثم يزيد الوالي ٢٥ ديناراً منعاً للمزايدة[٥]، وهذا يبين مدى احتكار أرباب النفوذ على تجارة الخيل.

وأما ما يحدث عقب عملية البيع والشراء فيتفق كل من البائع والمشتري على عين الحرير وسعره، إذ كان يتم الشراء بالمقايضة بالحرير والنقود معاً، ويكتب ورقة بسعر الحرير، وتعريف بخط المحتسب ويتم وضع الحرير في المخزن.

والثمن فيما يشتريه تجار الهند نصفان بعد المائة، مائة تخرج منها عشور الديوان ويقطعها الناخوذة ، والنصف حرير حيث يحتسب المائة تسعين حرير أو دون ذلك[٦].

وعقب انتهاء الحلقة من عملية البيع والشراء تقبض الدولة العشور التي تسلم للديوان، فلا يغادر تجار الهند عدن والميناء إلا بعد دفع العشور، وتسمح الدولة لتجار عدن شراء الخيل وتصديرها إلى الهند لأنهم لا يسافرون إلا بعد دفع العشور، التي تسهم في عمارة البندر، وجرت العادة مع ربابنة السفن ونواخيذها التأخر عن موسم سفرهم إلى حين قدوم المصريين، إذ يبيع الهنود بضائعهم على تجار الكارم ويسلمون العشور للديوان[٧].

---

١) نور المعارف،ج١ ، ص,١٧٧

2) Al-Shamrookh, Nayef Abdullah, The Commerece and Trade of The Rasulids In The Yemen (630-858/1231-1453), Kuwait, 1996, p. 200.

3) Al-Shamrookh, op.cit , p. 200.

٤) تصل الخيول الصنعانية وكذا الفوة إلى عدن في أول يوم من شهر آب/ أغسطس. الديوان المالي المعمور في زمن دولة بني رسول، (مخطوط مصور) عن نسخة الزميل محمد منصور بلعيد، ق ٧٩ أ.

٥) نور المعارف،ج١ ، ص٥٠٥.

٦) المصدر نفسه والجزء ، ص ٥٠٤-٥٠٦.

٧) المصدر نفسه والجزء، ص ٥٠٧ .

- عشـور البضـائع الـواردة إلى ميـناء عــدن :

عشـور البضـائع الـواردة من الحـبشة:

لم يقتصر التبادل التجاري مع إفريقيا على مصر فحسب، بل شمل النشاط التجاري في عدن بلداناً عديدة منها ما يعرف في الوقت الحاضر بدول القرن الأفريقي ولا سيما بلاد الحبشة التي كان يجلب منها الذهب، والعاج، والأقمشة ، والجلود المدبوغة، والأنطاع، والمراقد، والعسل، والزباد، والورس العال، والبغال، والخدم، والعبيد، والجواري وغيرها[١].

وقد حوى كتاب نور المعارف بيانات مفصلة عن تلك البضائع وما يؤخذ عليها من العشور وأجرة نقلها من الحبشة إلى زبيد وعدن، فضلاً عن أسعارها في الحبشة وفي عدن[٢].

ونستخلص من تلك البيانات ما يلي:

- إن سعر الذهب في الحبشة لا يتجاوز ١٢ أوقية فضة (في الحبشة الوقية = ١٠ أواق فضة) ويرتفع سعره في عدن حتى يصل إلى ٣٦ أوقية (في عدن الوقية = ٣٦ وقية فضة)، وفي حال شرائه من قبل الديوان في عدن يحط في العشر الأواق دينار أو دينارين عن سعر السوق، وليس على الذهب خرج لا في عدن ولا في زبيد[٣].
- عشور العاج في عدن على كل بهار ٦ دنانير وأحيانا يؤخذ العُشر من سعر البيع[٤].
- عشور الأنطاع (فرش من جلد مدبوغ) والجيدة منها على الفردة أربعة ونصف[٥].
- تصل قيمة العسل البهار خمس أواق فضة، والضريبة درهمين، وهي تدفع لأحد أصحاب الجاه الأحباش الذين يحمون التجارة ، ويمنع المظالم عن الناس[٦].
- الزباد الذي تصل قيمته ما بين ٢٥ – ٢٧ درهماً، وفي حال احتاجه الديوان نقص دينار عن سعر السوق[٧].
- قيمة العبد الفحل الجيد في الحبشة ٢٠ وقية، والوسط ١٥ و ١٤، أما العبد الدون فهي ١٢ و ١١ و ١٠ أواق[٨].

---

١) انظر: الجداول رقم (٢، ٣، ٤، ٥).
٢) ج١ ، ص٣٦١ – ٣٦٦ .
٣) المصدر نفسه والجزء ، ص٣٦٢ - ٣٦٦ .
٤) المصدر نفسه والجزء ، ص٣٦٥ - ٣٦٦ .
٥) المصدر نفسه والجزء ، ص٣٦٦ .
٦) المصدر نفسه والجزء والصفحة .
٧) المصدر نفسه والجزء، ص ٣٦٦.
٨) المصدر نفسه والجزء ، ص٣٦٣ .

- تصل قيمة الوصيفة الجيدة من الجواري إلى ٢٠ وقية، وأجرة نقلها إلى زبيد ١٠ فيها العشور[١].
- إن السلع الواردة من الحبشة والتي يؤخذ عليها العشور في زبيد تعفى من العشور إذا وصلت إلى عدن[٢].
- يتم شراء السلع الحبشية بالبز (أنواع الأقمشة) مقايضة، فالبضاعة المراد شراؤها تقوم بأواق فضة ويعطى البز بحسبة الأواق[٣].

عشور استيراد وإعادة تصدير البضائع المصرية:

ذكر ابن المجاور عدداً من السلع الواردة من الديار المصرية وهي الحنطة، والدقيق، والسكر، والأرز، والصابون الرقي، والاثنان، والقطارة، وزيت الزيتون، والزيت الحار، والزيتون المملح، وكل ما يتعلق بالنقل، والعسل، على أنها من السلع المعفية من العشور[٤]، فيما حوى كتاب نور المعارف أصنافاً من السلع الوافدة من مصر مع تجار الكارم منها الأقمشة بمختلف أنواعها كالثياب، والبرد، والحلل، والتقانيع، والمقاطع، والملايات، والفوط، والعمائم، والبدلات، والتلاثيم، والمناديل، والأكسية، والملبوسات المختلفة، وأيضاً أصنافاً من البهارات، ومواد التجميل، والأعشاب الطبية والعطرية كالمحلب ،والزعفران، والكحل ،والهدس، والحمر، والتوتيا وغيرها ، وحوى أيضاً أنواعاً من المعادن، والأحجار الكريمة، وأدوات الزينة، مثل الرصاص، والآدن، والزئبق، والمرجان، والزجاج، والكبريت[٥]، فيما كانت بعض البضائع تستورد من مصر إلى عدن ثم يعاد تصديرها ثانية إلى بلاد المشرق وآثرنا إيرادها في جدول خاص بها وتضم هذه القائمة حاصلات الضرائب التي تدخل خزانة الفرضة من هذه العملية المربحة[٦].

عشور البضائع الواردة من الهند:

ورد في كتاب نور المعارف عدد من السلع الهندية المستوردة الخاضعة لضريبة العشور في ميناء عدن كأنواع الملابس والأردية من الثياب والفوط، والعمائم والمناديل المخملية، والجوازي بأنواعه، وكذلك العطور، وأنواع العود والقرنفل، والفوفل، والزنجبيل، والصندل، والعنبر، واللبان، فضلاً عن الأعشاب العطرية والطبية، وأنواع من البهارات، والمعادن كالطباشير والحديد، وما يدخل في أصناف اللؤلؤ والمرجان[٧].

---

١) نور المعارف ، ج١،ص٣٦٣.
٢) المصدر نفسه والجزء ، ص٣٦٢ - ٣٦٣ .
٣) المصدر نفسه والجزء ، ص٣٦١، ٣٦٦ .
٤) المستبصر ، ص١٤٢-١٤٣ .
٥) نور المعارف ، ج١ ،ص٤٧٩-٤٨٤ .
٦) انظر: جدول رقم (٦) .
٧) ج١ ، ص ٤٠٩- ٤٩١؛ انظر: جدول رقم (٧) .

ب) **خــــــزانــة عــــدن** :

لا شك أن السلطانين المجاهد والظافر أبناء عامر قد واجها صعوبات كبيرة ليتمكنا من قبض زمام البلاد، وإعادة الأمور إلى مجراها الطبيعي، بعد أن شارفت على الانهيار أواخر عصر بني رسول، وهذه الصعوبات تكاد تكون تقليدية كالتي تحدث في اليمن عادةً عند انتقال الحكم من أسرة إلى أخرى ، أو من سلطان إلى آخر ، أو عندما تضعف سيطرة السلطة القائمة ويفسد جهازها الإداري والمالي.

لذا كان استعادة عدن دورها الريادي في التجارة العالمية بين الشرق والغرب ليست عملاً هيناً ومن الصعوبة تحقيقه بين ليلة وضحاها، فذلك يتطلب مجهودات وافرة وعملاً شاقاً مع شيء من الصبر لتعود عدن تدريجياً إلى سابق عهدها، ولا يخفى مدى الاهتمام الذي أولاه مؤسسا الدولة الطاهرية لهذه المدينة لا لأن ميناءها يشكل في حد ذاته أحد موارد الدولة الرئيسة فحسب؛ بل لأن الطاهريين أنفسهم كانوا من البيوت التجارية المشهورة بنشاطها في تصدير الفوة وغيرها من السلع عبر ميناء عدن إلى الخارج، فخافا على مصالحهما من استمرار الركود والكساد الذي طال تجارتهما منذ أواخر عصر الرسوليين.

وعلى الأرجح أن علاقاتهما التجارية الخارجية مع تجار بلاد المشرق لا سيما تجار الهند قد أسهمت إلى حدٍ كبير في جذب رؤوس الأموال الخارجية مجدداً، ورفع الحظر التجاري الذي فرضه المجورون على ميناء عدن.

وللدلالة على أهمية عدن واهتمام الطاهريين بها قال عماد الدين إدريس(١): "والملكان أبناء عامر لا يقطعان نزول عدن في كل موسم لسداد الثغر والقيام بما لا غنى لهما عنه من الأمر، فجمعا أموالاً جليلة، وذخائر جميلة، وكل ذلك يأتيانه إلى جبن والمقرانة، وهما يجمعان إليها خزانة بعد خزانة".

بيد أن المصادر التاريخية لم تذكر شيئاً عن حجم المبالغ المرفوعة من خزانة عدن إلى المقرانة، مع أننا لا نستبعد نمو معدلها تدريجياً منذ سنة ٨٥٨هـ/١٤٥٤م حتى وفاة المجاهد سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٨م مقارنةً بآخر خزانة حملت في عهد الظاهر يحيي الرسولي سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٧م، والتي كانت تقدر بلك واحد (مائة ألف دينار).

ولما تولى المنصور عبدالوهاب بن داود السلطنة سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٨م ذكرت المصادر أنه لم يخرج من عدن إلا وهو محملٌ بما وجده في خزانتها إلى المقرانة، ومبلغها من الذهب ينيف عن خمسة لكوك (خمسمائة ألف دينار) ومن نقد البلد الفضة مبلغ جزيل(٢) . ويفهم من ذلك أنه لم ينتظر

---

١) روضة الأخبار، ص٦٣.
٢) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص١٦٠؛ بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ٣٦٥٦.

حتى حلول الموسم الذي يعد أهم موارد خزانة عدن المالية واكتفى بما وجده في خزانتها، ولعله في ذلك كان مضطراً وفي أمس الحاجة إلى الأموال لتثبيت وتدعيم ملكه الذي ورثه عن عمه المجاهد، وربما لو تريث حتى انتهاء الموسم لازداد المبلغ عن ذلك بكثير، فقد جرت العادة أن يكون ميقات حمل الخزانة من عدن في الغالب عقب الموسم مباشرة، ويحملها السلطان بنفسه أو الأمراء أو النظار أو رجال السلطان الثقاة، وتحاط بحراسة مشددة حتى تصل إلى أيدي السلطان أينما كان.

وفي العقد الأول من عهد الظافر عامر(الثاني) بن عبدالوهاب زاد دخل خزانة عدن، حيث يذكر في هذا الصدد أن العفيف بن أحمد بن منصور قدم في شهر شعبان سنة ٩٠٢هـ/١٤٩٧م بخزانة عظيمة من المال من عدن إلى الظافر وهو يومئذٍ في تعز، وفيها من النقدين وقر خمسة وثلاثين جملاً من الذهب والفضة ما عدا العروض[١]، وهنا إذا افترضنا جدلاً بأن كل ثلاثة جمال تحمل لكاً واحداً (مائة ألف دينار) فإن هذا يعني أن مقدار الخزانة ينيف عن أحد عشر لكاً (مليون ومائة ألف دينار) عدا العروض التي تحتوي عادة على هدايا عينية ثمينة من الذهب والفضة والحرير وغيرها، وسواءً صح ما افترضناه أم لا، فإنه من الثابت نمو مدخول ميزانية عدن في هذه الفترة بالذات والتي تعد بحق العقد الذهبي في ولاية حكم الظافر عامر (الثاني)، نظراً للحزم والهمة العالية اللذين أبداهما الظافر تجاه خصومه في الداخل، ثم ازدياد الحركة التجارية والنشاط التجاري في ميناء عدن.

ولا يستبعد أن الدخل الوافر في خزانة عدن قد دفع الظافر عامر(الثاني) إلى استغلالها في تسوية خلافاته مع المعارضين من أخواله، إذ يذكر أن حصن جبن احتضن اتفاق المصالحة وتسوية النزاع القائم بين الطرفين، وتضمنت أهم بنوده أن يعطيهم كل عام أربعين ألف دينار من مال عدن ومن البلاد جبل حرير الشعيب حقناً للدماء[٢].

ومن جهة أخرى كانت جزية اليهود في عدن وغيرها من المناطق ترسل إلى الإمام المؤيد محمد بن الناصر وهي أموال عظيمة، ولعلها كانت تقدم له نظير وقوفه إلى جانب الظافر عامر (الثاني) في بداية عهده، وكذا تركه بلاد ذمار في أيدي عامل الطاهريين وعدها ضمن أملاكهم[٣].

وقد كان مقدار ما يرفع من جزية اليهود القاطنين بعدن للرسوليين ذهباً مائة وتسعة وعشرين مثقالاً ملكياً، والقادمون منهم من جهة البر ستة وسبعون مثقالاً [٤]، وقياساً على ذلك يمكننا القول إن مقدارها في عصر بني طاهر لم يتأثر لسبب أو لآخر فهي النسبة ذاتها، وقد تزيد أو تنقص قليلاً.

بيد أن الارتفاع في معدل نمو دخل خزانة عدن في عهد الظافر عامر(الثاني) بن عبدالوهاب لم يكتب له الاستمرار وسرعان ما تضاءل وانكمش تدريجياً مع ازدياد حدة التنافس بين أساطيل

---

١) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص٣٤.
٢) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص١٨٧؛ بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٧١.
٣) الكبسي، اللطائف السنية، ص١٨٩.
٤) مجهول، الديوان المالي، ق٨٠ ب.

المماليك والبرتغاليين على خطوط الملاحة العالمية ، فلم تتضرر عدن وحدها فحسب، بل تضررت مصالح التجارة العالمية بين الشرق والغرب لغياب الأمن الملاحي في المحيط الهندي.

ومن ناحية أخرى صمتت المصادر عن ذكر مداخيل خزانة عدن منذ أواخر عهد الظافر عامر بن عبدالوهاب حتى سقوط الدولة الطاهرية، وأغلب الظن أنها كانت دون المستوى ؛ نظراً للانهيار المستمر الذي أصاب الحركة التجارية في الميناء والذي دام ربع قرن (٩٢٠هـ-٩٤٥هـ/١٥١٤-١٥٣٨م).

الفصل الثالث
الصناعة والتجارة في عدن

الصناعة والتجارة في عدن

أولاً _ الصناعة في عدن :

دلت الشواهد التاريخية على أن الصناعة قد نالت قسطاً كبيراً من اهتمامات اليمنيين منذ القدم، وبرعوا في الابتكار وخلق الوسائل والأدوات التي تلبي حاجاتهم المعيشية، وخلال المراحل التاريخية أخذت الصناعة بالتطور والتنوع في اختصاصاتها، وساعدها في ذلك توافر المواد الخام من المعادن والنباتات المختلفة الأنواع .

وقد اهتمت الدولة الطاهرية كغيرها من الدول التي سبقتها عهداً بالصناعات المختلفة لتلبي حاجات المجتمع، والاستفادة من عائداتها الاقتصادية في دخل خزانة الدولة، فعملت من جانبها على تشجيع هذا المجال وتوفير المناخ الملائم لقيام صناعة بحسب الإمكانيات المتاحة، كما استقدم الحكام أرباب الصناعات من الأقطار المختلفة وعلى وجه الخصوص من مصر والشام، وعلى الأرجح أنه قد تم الاستفادة منهم في تأسيس وإنشاء صناعات جديدة بدلاً من الاعتماد على استيرادها من الخارج .

وعليه فإن هذه العوامل ساعدت إلى حدٍ كبير في انتعاش الصناعة في مناطق اليمن ومنها عدن التي ولا شك قد استفادت من حركة التصنيع في نشاطها التجاري القائم على التصدير والاستيراد للسلع والمواد الخام.

ومن الصناعات التي وجدت في مدينة عدن إبان العصر الطاهري ما يمكن تصنيفها من حيث الملكية إلى قسمين: الأول هو دور الصناعة التابعة للدولة، والقسم الثاني دور الصناعة الخاصة المملوكة للأفراد أو الجماعات، ونورد أنواع واختصاصات كل منهما فيما يأتي:

١. دور الصناعة التابعة للدولة (١):

أ) صناعة السلاح :

ذكر يحيي بن الحسين في معرض حديثه عن حوادث سنة ٩٢١هـ/١٥١٥م أن قانصوه الغوري أرسل مع الأمير حسين الكردي جيشاً إلى اليمن، فيه مائة نفر مسلح بالبنادق، ولم تكن تعرف في اليمن قبل ذلك، فلهذا هابها أهل ذلك الزمان، وفرق منها جند السلطان، وارتعد منها كل جنان(٢).

ووصف ابن الديبع(٣) البندقية وصفاً دقيقاً قائلاً: "وهو شيء عجيب لا يكاد أحد يقابل أصحابه إلا غُلب، وهو شيء شبه المدفع، إلا أنه أطول منه وأدق، مجوف، ويجعل في جوفه

---

١) وتدخل دار السكة ضمن هذا القسم المملوك للدولة.
٢) غاية الأماني، ج٢، ص٦٤٤.
٣) الفضل المزيد، ص٢٢٤.

قطعة رصاص، كحبة النبق[١]، ويحشى من البارود، ويدفع بنار في فتيله من أسفل البندقية، فلا يصيب أحداً إلا هلك أو كاد، وربما أصابت البندقية شخصاً ونفذت منه إلى آخر فقتلتهما".

بهذا الوصف دخلت البندقية إلى اليمن في فترة حساسة من تاريخه، فكانت دخلة غيرت مساره، وقلبت موازين القوى فيه، فقد كانت من قبل السيوف، والرماح، والنشاب، والزرد، والبيض، والقسي عدة الفارس والمحارب، واشتهرت اليمن بصناعتها لا سيما السيوف التي نسبت إليها، كما أتقن أهل اليمن صناعة المنجنيقات، تلك الآلة الفعالة في دك القلاع والحصون وأسوار المدن وأبوابها[٢] ، وخبر اليمن كل هذه الأسلحة، وبرع في استعمالها ولعله طور بعضها بما يتلاءم وطبيعة أرضه.

ودخل المدفع اليمن، فكان أسهل من المنجنيق، وأكثر فعالية، وأشد نكاية، إلا أنه لا توجد إشارة صريحة إلى تاريخ دخوله إليها، عدا ما يوحي بأن الطاهريين قد ورثوا أربعة مكاحل رتبت على دروب مدينة عدن، موجهة صوب البحر بعد احتلالها مباشرة في منتصف القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، بالإضافة إلى إشارة ابن الديبع خلال وصفه للبندقية والتي يفهم منها أن المدفع كان معروفاً في اليمن.

وعلى الرغم من تفوق المدفع كسلاح في الميدان، إلا أنه أكثر قصوراً عندما يكون مثبتاً إلى قاعدته في الدروب أو القلاع، حيث لا يمكن تحريكه إلى الأمام أو إلى الخلف لإصابة هدفه بدقة، إذ له مدى يصعب على راميه التحكم في زيادته أو نقصانه، فعندما استولى المماليك على قلعة صيرة في عدن، صوبوا المدافع نحو المدينة، وخاف أهلها آنذاك أن تتهدم بيوتهم، ولكن المدافع لم تصب مدينتهم بأذى، فقد نزلت القذائف تحت سفح جبل شمسان بعيداً عنها.

وبناءً على ما تقدم، يبرز استفسار واحد لعله جدير بالبحث والتقصي، وهو هل أصبحت الأسلحة النارية صناعة محلية اضطر اليمنيون إلى صنعها بما في ذلك صب الرصاص؟

في عصر الدولة الرسولية، وجدت دار لصناعة الأسلحة التقليدية، وهي عبارة عن ورشة أو مصنع في ميناء عدن يتبع الدولة ويقوم بإنتاج الأسلحة التي يحتاجها الجيش الرسولي فضلاً عن تطوير البعض منها لا سيما المستوردة من الخارج[٣]، ومن المرجح أن ذلك المصنع ظل قائماً ويؤدي دوره المعتاد في عصر الطاهريين.

ولا يستبعد أن تلك الصناعة قد لامست ذلك التطور الذي شهدته صناعة السلاح في الأقطار الخارجية وفي مصر على وجه الخصوص، نظراً للاتصالات المباشرة بين البلدين

---

١) النبق: هي حبة النوى في ثمرة السدر (العلب).
٢) الأبريقي، حسن بن محمد بن حسين الحباني، الآداب المحققة في معتبرات البندقة، تح ودراسة: عبدالله أحمد محيرز، وزارة الثقافة والإعلام، عدن، ١٩٨٨م ، ص٢٩.
٣) نور المعارف، ج١، ص١٧٥.

وعلاقات التعاون السياسية والحربية والاقتصادية التي ازدادت سخونة في ظل الصراع الشرس على خطوط الملاحة في المحيط الهندي.

وقد تدل الشواهد التاريخية التي ذكرها المؤرخون حول المكاحل أو المدافع المنصوبة على دروب قلعة صيرة في عدن، وكذلك المدافع المثبتة على حصون المقرانة، على إمكانية صناعتها محلياً وبكميات ضئيلة ومحدودة وفقاً لتوفر المواد الخام التي يشكل فيها معدن الحديد النسبة الأعلى ، وهذا المعدن بلا شك كان عماد الصناعات الحربية التقليدية كالسيوف والرماح ونحوهما.

أما عن الصناع والأيدي المهرة فيذكر أن السلطان عامر بن داود (٩٣٣ – ٩٤٥هـ/ ١٥٢٨-١٥٣٨م) قد استفاد من خبرات الأسرى البرتغاليين في مجال صناعة الأسلحة[١].

وعلى أية حال، إن صح ما ذهبنا إليه أم لا ، فإنه من المؤكد أن المصنع كان ينتج ذخيرة المدافع أي صب الرصاص، لزيادة الطلب عليه خلال الحروب التي يتعذر معها استيراده من الخارج.

وفي الفترة اللاحقة لعصر الطاهريين ظهرت عدة أنواع مما عرف بالبندقية العربية تمييزاً لها عن البندقية الرومية المجلوبة من الخارج، واتخذت هذه البنادق عدة تسميات منها: الزبيدية، واليافعية، والشرعبية، والحسنية، والحضرمية، والعولقية، ومنها ما جمع في صناعته ما بين البنادق الرومية وأحد أنواع البنادق العربية[٢].

وقد لحق بالبندقية العربية لقب أبو فتيلة نسبة إلى الفتيل الذي استعمل لإشعال البارود لإطلاق الرصاصة منه، كما لقب حاملوه بأهل الفتيل للسبب ذاته[٣].

ب) **صناعة الخيام والرايات والبيارق :**

وهي من الصناعات الرائجة في عدن، وقد يرجع سبب تبعيتها للدولة إلى أن معظم إنتاجها يتم تصنيعه وفق طلبيات خاصة بالسلطان وجيشه، حيث يستخدم السلاطين الخيام الفخمة أثناء خروجهم لقيادة الجيوش أو للنزهة البرية.

كما ينتج هذا المصنع أصنافاً من الخيام التي يستخدمها العامة في المناسبات المختلفة كالزواج والمآتم والمناسبات الدينية، ومع أنه لا توجد إشارات واضحة عن وجود هذه

---

١) سيد مصطفى، الفتح العثماني، ص١٢٨.
٢) الأبريقي، الآداب المحققة، ص٣٥.
٣) وقد قال الشاعر الشعبي:

لا تسرح إلا في شنف دحان ** وأهل الفتيل ينطبون النـاب

Landburg. Le comte De Landburg, L'Arabie Meridionale, Dathina et Hadramout, Leiden, 1909, p162.

الصناعة في عدن إبان عصر الدولة الطاهرية إلا أنه من الصعب أن نجزم بالقول أنه قد توقف إنتاجها مع نهاية الدولة الرسولية ، ومن المرجح أن هذه الصناعة قد استمرت تؤدي دورها في إنتاج أنواع الخيام، والأجاويق[١]، والتغاطي[٢]، والبيارق (الأعلام)، والبراقع[٣].

ج) **صناعة المراكب :**

ذكر محيرز[٤] أن ميناء عدن قد أحيط بعدد من دور الصناعة، يتم فيها إنشاء المراكب وترميمها مستنداً بذلك إلى تسمية ابن المجاور لميناء صيرة حيث ترسو المراكب بالصناعة، وأن جبل المنظر يشرف على الصناعة[٥]، وأضاف بأن الصناعة مصطلح يقصد به بناء السفن، وقد يجاوز هذا المعنى فيطلق على السفن نفسها[٦].

ومن جهتنا نتفق مع ما ذهب إليه محيرز من قيام دور للصناعة حول ميناء عدن وكذا صيانة السفن وترميمها في المرسى، لكننا نختلف معه في قيام دار لصناعة وإنشاء السفن على رصيف الميناء وذلك لصغر هذه المساحة التي تعج بالازدحام ، إذ إن بناء السفن يحتاج دون أدنى شك إلى مساحة أكبر تكفي لبناء هياكل السفن، واستيعاب كميات الأخشاب والأشرعة وغير ذلك من لوازم هذه الصناعة، لذا فمن المرجح أن هذه الصناعة قد قامت في موقع آخر ملائم على الساحل وليس حول الميناء.

ولعل دار زينة التي ذكرها ابن المجاور قد تكون هي المعنية بالأمر، إذ وصفت بأنها إذا وصلت إليها المراكب من سائر الأقاليم تزين بها؛ لأنها أقرب مسافة إلى عدن[٧]، ويبدو من وجهة نظري أن موقعها في فرضة أبين[٨]، بين شقرة[٩] وأحور، أي على جادة الطريق من عدن إلى شبام حضرموت، وهي عبارة عن جبل يشرف على بحر العرب يسكنه الجحافل فخذ من فخائذ العرب[١٠]، فهذا الموقع الفسيح الذي يقع شرق عدن هو الأقرب للترجيح دون سواه من المواقع الواقعة غرب عدن على الطريق الساحلي إلى المفاليس[١١]، ويعود سبب ترجيحنا

---

١) أجاويق: جمع أجق وهو أصغر من الموكب. نور المعارف،ج١ ، ص١٧٣، ح(١٣٥٥) .
٢) التغاطي: هي السُفر بمقاساتها المختلفة . نور المعارف، ج١، ص١٧٣.
٣) البراقع : جمع برقع، وهي الأعلام العسكرية. نور المعارف،ج١ ، ص١٧٤.
٤) صيرة، ص٧٥.
٥) المستبصر، ص١١٦.
٦) صيرة، ص٧٥.
٧) المستبصر، ص١٤٩.
٨) ورد ذكرها عند ابن المجاور في المستبصر، ص١٣٠.
٩) شقرة: مدينة ساحلية من أعمال أبين، وهي ميناء قديم، ويعتمد أهلها على صيد السمك . المقحفي، معجم البلدان، ج١، ص٨٧٣.
١٠) ابن المجور، المستبصر، ص٢٤٩.
١١) المفاليس: منطقة بنيت في شعب جبل مثلث، وعلى ذروته حصن بناه السلطان سيف الإسلام طغتكين بن أيوب، وتقع على ساحل عدن الغربي بالقرب من منطقتي رأس عمران وقعوة. ابن المجاور، المستبصر، ص١٤٩؛ محيرز، صيرة، ص٧٧.

لذلك الموقع بالذات إلى إمكانية توافر المواد الخام التي تحتاجها هذه الصناعة من إقليم أبين الزراعي ومنها الأخشاب التي تعد عماد هذه الصناعة، ومن ناحية أخرى، فإنه من الملاحظ أن حجم النشاط التجاري الذي يقوم به ميناء عدن مع تجارة الشرق يفوق النشاط مع تجارة الغرب، كما أن السفن التجارية العدنية كانت في الغالب لا تبحر إلا إلى الشرق، ونظراً لندرة الموانئ على الخط الملاحي مع الشرق، تم إقامة دار لصناعة وترميم السفن على ساحل البحر العربي لتقديم خدماتها الإسعافية للمراكب لا سيما العدنية منها، إلى جانب دورها الرئيس في صناعة وبناء المراكب.

وفي هذا الصدد كان لبامطرف[١] رأي آخر نقله عن كتاب بهجة السمر للربان باسباع ذكر فيه أن المعلا[٢] كانت تنافس الشحر في بناء السفن الشراعية، وأن هذه الصناعة كانت بيد الحضارمة على وجه العموم.

كما نقل المؤرخ نفسه عن كتاب زاد الأسفار للمؤلف بامعيبد أن أشهر بنائي السفن بعدن في ذلك الحين كانوا من آل مقطوف وآل حسينون وآل باسكران من الشحر[٣].

وعليه، هل ما ذكره بامطرف عن مصادره الأقرب عهداً لعصر الطاهريين صحيحة أم أن صناعة المراكب في المعلا قامت في الفترة اللاحقة للطاهريين ؟

الحقيقة أن بامطرف لم يكن متوهماً فيما ذكره، وهناك إشارات تاريخية تزكي ما ذهب إليه، حيث يقول كتاب نور المعارف عن تحصيل العشور: "الباب: لا يخرج من صادر إلا ما كان يحمل على الجمال إلى الجهات، وأمان ما كان يحمل في السنابيق في بحر المباه إلى الحجف فتجب فيه العشور والشانه"[٤]، ويفهم من ذلك أن المقصود بذلك الباب هو البَّر (العقبة)، (العقبة)، وأن بعض المراكب كانت ترسو خارج باب عدن البري في مرسى المباه وهو المسمى في تقديري دكة الكباش في الوقت الحاضر، فضلاً عن مرسى آخر في حجيف، وكلاهما يقع في المعلا.

د) الصناعات النسيجية :

اشتهرت اليمن قديماً بصناعة الأقمشة، ولعل رواجها كان خلفه عدة عوامل أهمها: وفرة المواد الخام الأولية التي تنتجها أراضي اليمن كالقطن في تهامة وأبين ولحج، حيث يحصد

---

١) الشهداء السبعة، ص٥٠.

٢) المعلا: حي من أحياء عدن، وتقع إلى الغرب من مدينة عدن، ويتصلان ببعضهما البعض عبر منفذ وحيد وهو باب عدن، ثم عمرت وازدهرت وصارت ميناءً رئيساً إبان الاحتلال البريطاني لعدن سنة ١٨٣٩م، وهي اليوم إحدى مديريات محافظة عدن . للمزيد من التفاصيل عن تاريخ هذه المدينة أنظر: محيرز، العقبة، ص٦٣، ٦٤.

٣) الشهداء السبعة ، ص٩٨، ح(٤٨) .

٤) انظر: ج١، ص٥٠٩ ومايليها.

القطن في تهامة في شهر مايو، والقطن الخام في أبين في شهر ديسمبر، ومع هذا لم يكن القطن المحلي بحاجة إلى دور النسيج في اليمن، بل يستورد القطن المنسوج من الهند والصين، كما يستورد الحرير الذي يدخل مع القطن والصوف في الصناعات النسيجية في عدن[١].

وتنتج هذه المصانع نوعين من المنتوجات، ويسمى الأول بالطراز الخاص أو الشغل المخصوص للحكام ورجالات الدولة، والنوع الآخر يسمى طراز العامة أو الأقمشة الشعبية لعامة الشعب، وتكون هذه المصانع تحت إدارة الدولة، ووجدت في عدن هذه الدار وسميت بدار الديباج[٢].

ومن أهم مناطق إنتاج الأقمشة النسيجية عدن، وصنعاء، وتعز، وزبيد، وهي تنتج أنواعاً مختلفة من الأقمشة، وأشار إليها كتاب نور العارف وتناول أيضاً معالم دار الديباج في عدن ومنتوجاتها القطنية والحريرية ومشتقاتها المختلفة، ووظيفة إنتاج الأقمشة الحريرية وغيرها، ومراحل التصنيع، وتهيئتها للسوق[٣]، كما ذكر المؤرخون أسماء عدد من الأقمشة والمنتوجات النسيجية التي اشتهرت بها عدن منذ القدم مثل: الثياب العدنية، والثياب السعيدية العدنية، والعمائم العدنية، والبرد العدنية، وصناعة الشرب والبرد، وأنواع الخيام والمواكب[٤].

كما كان في مدينة عدن ما يعرف بدار الديباج الخاص بصناعة الحرير، ويعد هذا الدار ضمن المرافق الصناعية التي تشرف عليها الدولة[٥] .

هـ) صناعة الملح :

أنشئ المملاح بالقرب من المكسر[٦] حيث توجد المستنقعات والأراضي السبخة، وتمت الاستفادة من طبيعة هذه الأرض بتبخير الماء المالح المحتقن في برك واسعة لصناعة ملح الطعام من المترسب منه[٧]، ثم يتم تنقيته من الشوائب حتى يصبح جاهزاً للاستهلاك المحلي أو تصديره إلى الخارج.

---

1) Al Shamrookh, op. cit, p. 39

٢) خليفة، "مناسج الطراز"، ص٤٤.

٣) انظر: ج١، ص١٦٩.

٤) السروري، محمد عبده، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة من سنة (٤٢٩هـ/١٠٣٧م) إلى (٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، وزارة الثقافة والسياحة،صنعاء ،١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٤٨٠؛ أسامة حماد، مظاهر الحضارة، ص١١٧، ٣١٦؛ جازم، محمد عبدالرحيم، "دراسة في تراث المنسوجات والملابس"، مجلة الإكليل، ع(١)، وزارة الثقافة، صنعاء، ١٤٢٢هـ/١٩٩٢م، ص١١٦؛ شائف عبده سعيد، "الحياة الاقتصادية"، ص١٧٢.

٥) للمزيد من التفاصيل عن هذه الدار انظر: نور المعارف، ج١، ص١٦٩.

٦) المكسر: يقع إلى الشمال الشرقي من البحر الذي يحيط بعدن، وهو عبارة عن خليج ضيق يربط المدينة بالبر، وأصبح لاحقاً أرضاً سبخة يتعذر المرور عليها إلا بالسنابيق والمراكب الصغيرة، ثم بنيت عليه قنطرة على سبع قواعد لتسهيل مرور الناس والدواب، ويبعد عن جبل حديد بنحو نصف فرسخ (٢ كم تقريباً). ابن المجاور، المستبصر، ص١١٦؛ محيرز، العقبة، ص٦٨.

٧) محيرز، العقبة، ص٧١.

وأفاد ابن المجاور بأن أحد أمراء الغز أيام الأيوبيين، وهو الأتابك سنقر اشتراه غصباً من مالكيه، وبقي منذ القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي ملكاً للدولة[١].

ويميز المؤرخ محيرز[٢] هذا المملاح عن مملاح آخر يقع إلى الشمال منه، وذكر أنه توسع إلى جنوب المكسر في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي/الثالث عشر الهجري، وتم استغلاله من قبل شركات هندية وإيطالية، فبنت عليه طواحين الهواء لضخ الماء، ثم صارت هذه الطواحين أحد معالم عدن المشهورة.

٢. دور الصناعة المملوكة للأفراد أو الجماعات :

أ) صناعة العطور :

تعد عدن من أشهر مدن اليمن وشبه الجزيرة العربية في صناعة العطور[٣]، ويعود السبب في تركز هذه الصناعة في عدن إلى وجود الدهون والنباتات الطبيعية العطرية بأرضها أو على مقربة منها[٤] من لحج وأبين والتهائم ومناطق الجبال، حيث اهتم اليمنيون بزراعة النباتات العطرية كالرياحين، والنرجس، والياسمين، والسوسن والبنفسج، والورد، والحنون، والزعفران، والحناء، والبعيثران، والكاذي[٥]، والورس الذي ذكر أنه في عدن[٦].

وتدخل جميع هذه النباتات في صناعة العطور بالإضافة إلى العنبر الذي يوجد بكثرة في ساحل عدن[٧] وباب المندب إلى المخا[٨]، فضلاً عن استخراج الدهون العطرية من الزعفران والصندل[٩].

ويرجع السبب وراء ازدهار هذه الصناعة ورواجها إلى توافر خامات هذه الصناعة، وكذا الاهتمام والتشجيع الذي حظيت به من قبل حكام الدول اليمنية، حيث يذكر أن المعز الأيوبي قد بنى للعطارين قيسارية جديدة في عدن، نظراً لكثرة المشتغلين بالعطارة[١٠]، واستمر هذا الاهتمام في عهود الرسوليين والطاهريين.

---

١) المستبصر، ص١٤٨.
٢) العقبة، ص٧١.
٣) شائف، "الحياة الاقتصادية"، ص١٧١.
٤) السروري، الحياة السياسية، ص٣٢٦.
٥) شائف، "الحياة الاقتصادية"، ص١٦٩.
٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٩٨. والورس صبغ أصفر يؤتى به من اليمن . عظيم الدين أحمد، منتخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان بن سعيد الحميري، اعتنى بنسخها وتصميمها: عظيم الدين أحمد، ط٣، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص١١٤. وذكر شائف أنه نبات أحمر يعرف في اليمن بالزعفران. "الحياة الاقتصادية"، ص١٧٨.
٧) في سنة ٨٩٢هـ ألقى البحر بساحل أبين العنبر طولها ٢٩ ذراعاً وقيل بل ٣٣ ذراعاً وعرض جبهتها ٦ أذرع ونصف ذراع. ابن الديبع، بغية المستفيد، ص١٧٩.
٨) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٠٤؛ شهاب، أضواء على تاريخ اليمن ، ص٢٢٠.
٩) أسامة حماد، مظاهر الحضارة، ص٣٢٦.
١٠) ابن المجاور، المستبصر، ص١٣٠.

ومن المؤسف أن صناعة العطور في عدن قد اندثرت لسبب أو لآخر، ولم يبق منها غير صناعة البخور الذي تتوارث صناعته بعض الأسر العدنية حتى الآن .

ب) **صناعة الزجاج :**

أدت أعمال التنقيب عن الآثار في مواقع مجاورة لعدن مثل كود مسيلة[١] الذي على الأرجح كان يعرف قديماً باللخبة، وكود قرو[٢] إلى العثور على كثير من قطع الزجاج، والأواني والأساور المنتشرة في هذا الموقع، كما وجدت بقايا الترسبات الترابية والرمادية المترامية وبقايا الجدران، ودلت كل هذه المعطيات على أن هذا الموضع كان في الواقع معملاً لصناعة الزجاج في عدن وتصديره[٣]، وهي في الوقت ذاته تؤكد ما ذكره بامخرمة عن قرية اللخبة التي كان ينقل منها الآجر والزجاج إلى عدن[٤].

وتؤكد وثائق الجنيزة التي ترجع إلى القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي أن الزجاج اللخبي الذي يصدر إلى الهند عبر ميناء عدن كان إنتاجاً محلياً، وصناعته عادية[٥].

وتجدر الإشارة إلى أن اللخبة كانت عامرة أيام المجاهد علي وأخيه الظافر عامر أبناء طاهر، ثم صارت مأوى لقطاع الطرق من الطوالق حتى انتقل أهلها إلى عدن وبعضهم إلى السيلة والوهط[٦]، وحينئذٍ طالها الخراب والاندثار[٧].

ج) **صناعة اللؤلؤ والأحجار الكريمة :**

اشتغل أهل عدن بصناعة اللؤلؤ والأحجار الكريمة وبرعوا في إتقانها إلى حدٍ كبير، حيث يتم استخراج اللؤلؤ في وقت سكون البحر، أوله في شهر أيار/مايو وآخره في أواخر شهر تموز/يوليو، ويتركز وجوده في المدن الساحلية ومنها عدن، وجزيرة كمران، وأجود أنواعه من بطن جابر[٨].

---

١) وهي منطقة زراعية تعرف بجعولة، بالقرب من مدينة الشيخ عثمان من الجهة الشمالية.
٢) يقع شرق مدينة البريقة إحدى مديريات محافظة عدن.
3) Roxani Eleni Margariti, Maritime Trade and Urban Organization In Medieval Aden "Ca 1083–1229", p. 89.
ولمزيد من التفاصيل عن صناعة الزجاج أنظر: محمد علي خميس، "صناعة الزجاج في اليمن"، مجلة يمنت، ع (٢)، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والمتاحف، عدن، ١٩٨٨م، ص٣٩-٤٩.
٤) تاريخ ثغر عدن، ج١، ص٢٢.
٥) محمد علي خميس، "صناعة الزجاج"، ص٣٩؛
Roxani , op. cit, p. 88.
٦) الوهط: من قرى محافظة لحج، وفيها قبر ولي الله الصالح عمر بن علي، ويسكنها فخائذ ممن يدعون انتسابهم لآل البيت.
٧) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج١، ص٢٢.
٨) الديوان المالي، ق ٧٩ أ – ب. ومن الأماكن التي اشتهرت كمغاوص للؤلؤ جزيرتا فرسان ودهلك والمياه القريبة من خور عميرة إلى الغرب من عدن، كما كانت سفن الغوص اليمنية في موسم الغوص تتجاوز المياه الإقليمية لتصل إلى جوار ساحلي إرتيريا والصومال. شهاب، أضواء على تاريخ اليمن، ص٢١١.

وقد ورد في كتاب نور المعارف تفاصيل كثيرة عن أجرة الحكاكين[١]، وأجرة ثقبه، وشكه (نظمه)، وتطرق أيضاً إلى ذكر أنواع من الأحجار الكريمة كاليشم[٢]، والمرجان[٣]، وأجرة صقلها وتشكيلها[٤].

واللؤلؤ والأحجار الكريمة استخدمها اليمنيون رجالاً ونساءً على حدٍ سواء، ورصعت في العقود والأسوار والخواتم وغير ذلك من المصاغ، وفي تطعيم بعض الأدوات واللوازم لا سيما الزينة، وعلى ملابس النساء بطريقة جمالية.

ومازالت النساء حتى الآن يسمين أنواعاً عديدة من الحلي -كجزء من الموروث الشعبي- بأسمائها القديمة ومنها الشماريخ، والعقود التي يدخل اللؤلؤ كمادة أساسية في صنعها، وعادة ما تمتلكها نساء أثرياء القوم، وأزواج الملوك والأمراء ، نظراً لعلو أثمانها، وقد ورد ذكرها في وصية الملكة السيدة بنت أحمد الصليحي[٥]، حيث جاء فيها:"ومنها زوج شماريخ لؤلؤ أيضاً، فيه عشرة خيوط لؤلؤ، وأربعة ألواح ذهب، وست رباعيات ذهب، وخرصا ذهب وثلاثة مناوط، وزن جميع ذلك مائة مثقال ونصف مثقال ... ومنها عقد أيضاً واسطته ياقوتة صفراء، ويليها من جنبيها ياقوتتان زرقاوان ست فرائد ذهب، وفيه أربع بيوت، في كل بيت أربعة خيوط لؤلؤ، عدد اللؤلؤ مائة واحدة وثمان وعشرون لؤلوة، وفي طرفيه خرزتا مرجان حمراوان، وزن الجميع من ذلك تسعة وعشرون مثقالاً ونصف وربع"[٦].

---

١) الحكاكون: جمع حكاك، وهم الحرفيون الذين يقومون بثقب اللؤلؤ وغيره من الأحجار الكريمة، وذلك لتخليصها من الشوائب العالقة بها، وحك الأحجار الكريمة لا يتم إلا بالمحك وهي أحجار منتقاة لهذا الغرض. نور المعارف، ج١، ص١٦٦، ح(١٣٠٢) .

٢) اليشم: بفتح الياء وسكون الشين من الأحجار النفيسة، ويتكون في معادن الفضة، ويجلب من منطقة كاشغر فيما بين الصين ومدينة غزنة، وتصنع منه أوان تجلب من الصين. التيفاشي، أحمد يوسف، الأزهار في جواهر الأحجار، تح: محمد يوسف ومحمد بسيوني خفاجي، ط١، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩م، ص١٩٤-١٩٧.

٣) المرجان لفظ معرب عن اليونانية ، ويطلق على العروق الحُمر التي تطلع من البحر، وتتخذ منها الحلي، وهو متوسط بين عالمي النبات والجماد، ويوجد ببحر الخزر وبحر الأفرنج، ومنه يجلب إلى المشرق واليمن والهند وسائر البلاد. التيفاشي، الأزهار، ص١٧٨-١٨١.

٤) نور المعارف، ج١، ص١٦٦-١٦٨.

٥) السيدة بنت أحمد: هي ابنة أحمد بن جعفر بن موسى الصليحي، ولدت سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٩م، وأمها الرواح بنت الفارع بن موسى، وهي على خلقٍ عال وفضل، قارئة، كاتبة، تحفظ الأخبار والأشعار والتواريخ وأيام العرب، تزوجها المكرم أحمد بن عليٍ بن محمد الصليحي سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٦م، وكان صداقها خراج عدن السنوي، يحمله إليها بنو زريع نواب الصليحيين على عدن، أنجبت علياً، ومحمداً، وفاطمةً، وأم همدان، توفت سنة ٥٣٢هـ/١١٣٨م. عمارة، المفيد، ص١١٣؛ ابن رسول، طرفة الأصحاب، ص١١٩؛ عماد الدين إدريس بن الحسن بن عبدالله بن الأنف، عيون الأخبار وفنون الآثار في ذكر النبي المصطفى المختار وصحبه وآله الأطهار عليهم صلوات الله العزيز الغفار ما أظلم ليل وأشرق نهار، ج٧، (مخطوط مصور) عن المخطوط المحفوظ في المكتبة الشخصية للقاضي إسماعيل بن علي بن الأكوع، ق٩١ أ؛ الجعدي، عمر بن علي بن سمرة، طبقات فقهاء اليمن، تح: فؤاد سيد، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص١٢٣.

٦) عماد الدين إدريس، عيون الأخبار،ج٧، ق ١٧٠؛ حسين الهمداني وحسن سليمان، الصليحيون والحركة الفاطمية، ص٣٢٤-٣٢٩.

د) **صناعة النبيذ :**

تعددت مراكز صناعة النبيذ في اليمن، واشتهرت زبيد وعدن بإنتاج أنواع عديدة منه[١]، حيث ذكر المقدسي[٢] أن في عدن شراباً يفضله الناس على القصب لحلاوته، ولعله نبيذ الزعفران الذي ذكره ابن المجاور والذي يصنع من ماء بئر الزعفران ويورد ماؤها إلى مختلف مناطق اليمن[٣].

وعلى ذكر حلاوة النبيذ ولذة طعمه، فإن هذا الشراب يصبح محرماً في حال تخمره وتعتقه، وهنا يعترضنا استفسار لعله جدير بالإجابة وهو: هل عرفت مدينة عدن هذا النوع من المسكرات أم لا ؟

يمكننا الرد على ذلك بالقول: إنه على الرغم من أن ديننا الحنيف قد حرم شرب الخمر وأمرنا باجتنابه إلا أن صناعته والاتجار به وتعاطيه ظلت ظاهرة وجدت في كل مراحل العصر الإسلامي[٤]، ومنها عصر الدولة الطاهرية، وإن كان في الغالب يحدث في الخفاء، ومحاطاً بالكتمان والسرية.

وقد بين ابن الديبع[٥] موقف الطاهريين ونوابهم من هذه الصناعة في حوادث سنة ٩٠٣هـ/١٤٩٨م، وذكر أن أمير زبيد شمس الدين علي بن شجاع العنسي قد أمر بمهاجمة بيوت الخمارين، وحمل دنان الخمر إلى باب الدار الناصري, فأحضرت، وأهرقت الخمور في رحبة الدار، وضرب الخمارين من الرجال والنساء ونفاهم عن المدينة، وسمرت بيوتهم ودكاكينهم. لكن هذا لا يعني أن هذه الصناعة قد توقف إنتاجها بل توارت عن الأنظار بعيداً عن المجاهرة .

ويبدو أن عدن عرفت هذه الصناعة في عصر الطاهريين كونها ميناءً تجارياً تفد إليه مختلف الجنسيات الأجنبية، وعلى الأرجح أن المشتغلين بهذه الصناعة كانوا من أهل الذمة من اليهود والنصارى، وسواءً أكان الوالي على علم بها أم لا، فإن ذلك دون شك لم يلجم الفقهاء ويثنيهم عن محاربته.

هـ) **الصناعات الحرفية :**

- **صناعة المراوح:** وهي من الصناعات التي تتقنها شريحة صغيرة من العدنيين، وتستخدم في العادة في المناطق الحارة، وهي أنواع منها البسيطة أو العادية من الخوص، قليلة الكلفة، ويستعملها العامة للترويح عن أنفسهم من شدة الحرّ، وأنواع أخرى فاخرة كالمراوح الصينية

---

١) أسامة حماد، مظاهر الحضارة، ص٣٣١.
٢) أحسن التقاسيم، ص٩٨.
٣) المستبصر، ص٢٤٢.
٤) انظر ما جاء في ترجمة الفقيه عبدالله بن الخطيب الأبيني، ص٢٥٤ .
٥) الفضل المزيد، ص٣٩-٤٠.

التي تستورد موادها الخام من الخارج؛ ولأن كلفتها عالية فقد اقتصر استخدامها على الطبقة المترفة من التجار، والولاة وأرباب الرئاسة، وغيرهم.

وقد وصف ابن عبدالمجيد[١] إحدى هذه المراوح التي تصنع في عدن عند حديثه عن ابن الدويدار الذي استولى على عدن أيام الرسوليين بقوله: "وكان على رأسه مملوك من مماليكه، وفي يده مروحة صينية من مراوح عدن بعود قنا في رأس المروحة صور طير فضة بمنقار على حفة منقار الطير محدد يروح على مولانا في أيام الحرّ الشديد".

وأصبحت هذه الحرفة موروثاً شعبياً أصيلاً، تتوارثها الأجيال حتى الوقت الحاضر، وتعددت معها استخدامات الخوص في صناعات متنوعة منها: صناعة بساط المجالس، والسلال، وبساط الولائم، وحافظات المأكولات وخصوصاً الجافة منها، والناشفة، والطاقيات ذوات الحجم الكبير التي شاع استخدامها في سهل تهامة وغيرها.

- **صناعة الخيزران:** وهي من الحرف المشهورة في عدن وعدد من المدن اليمنية، ويتم فيها صناعة أنواع مختلفة من المجامر والمشام، وتحبيل القعايد من أعواد الخيزران، فالقعادة الواحدة كما قيل لا تحتاج إلا لعودٍ واحدٍ من الخيزران[٢].

- **الخرازة:** وهي من الحرف التي اقتصر الاشتغال بها على فئة دنيا من المجتمع، وتقوم بإنتاج وحياكة الصناعات الجلدية كالأحذية والأحزمة، وأنواع أخرى لا غنى لأهل عدن عنها مثل القرب والرواية وغيرها من حافظات المياه[٣].

وترتبط هذه الحرفة في إنتاجها مع حرفة أخرى هي دباغة الجلود التي تركز وجودها في معظم مناطق اليمن منذ القدم[٤].

ثانياً- أسواق عدن التجارية :

إن مركز عدن التجاري المهم جعلها من أقدم أسواق العرب[٥]، ففيها كانت تقام أسواق سنوية، وأخرى موسمية يأتي إليها الناس من كل فج، وإلى جانب هذه وتلك كانت تقام أسواق أسبوعية أسوة بحواضر بلاد العرب.

---

١) بهجة الزمن، ص٣٠٠.
٢) نور المعارف، ج١، ص١٧٠.
٣) المصدر نفسه والجزء والصفحة.
٤) ابن رستة، أبو علي أحمد بن عمر، الأعلاق النفيسة، تح ونشر: دي جويه، ليدن، ١٨٩١م، ص١٢؛ ابن الفقيه الهمداني، أبوبكر أحمد إبراهيم، كتاب البلدان، تح: دي جويه، ليدن، ١٨٨٤م، ص٩٧.
٥) الهمداني، صفة ، ٩٤.

وكان ميقات سوق عدن السنوي يبدأ في أول شهر رمضان وينتهي في العاشر منه[١]. أما الأسواق الموسمية فقد كانت أشبه بالمهرجانات في الوقت الحاضر حيث تقام على ساحل البحر، ويخرج أهل عدن للفرجة عليها[٢]، وفي يوم السبت من كل أسبوع يقام سوق ثالث[٣]، ولعله أصغرها من حيث جموع المتسوقين، وقلة البضائع المعروضة، فيما يقام السوق اليومي في أول الصباح وآخر في المساء ، وذلك بسبب شدة حرارة المدينة[٤] .

وقد بنى ولاة عدن في العصر الإسلامي إلى جوار سور ميناء عدن منشآت ضخمة هي عبارة عن دور، وفرضة، وزرائب، ودكاكين[٥]، وفندق، لخدمة الميناء، والسفن، والتجار، والمسافرين، ويبدو أن هذه المنشآت التي أقيمت في البندر قد شغلت حيزاً كبيراً من واجهة الميناء، ومن خلف السور في اتجاه المدينة.

ومما لا شك فيه، أن تطور النشاط التجاري في ميناء عدن قد ألقى بظلاله على وضع منشآت الأسواق، وتدين عدن في هذا التطور إلى واليها عثمان الزنجبيلي الذي عمل على تعزيز البنية التحتية لخدمة المصالح التجارية، إذ بنى قيصارية، وأسواقاً، ودكاكين، كما ساهم الملك المعز إسماعيل بن طغتكين الأيوبي بتشييد دكاكين، وقيسارية جديدة للعطارين، ووضع لها أبواباً وأقفالاً[٦]، ويفهم من هذا العمل أن التطور والنمو التجاري اللذين شهدتهما عدن إبان حكم الأيوبيين قد أوجد فكرة نشوء الأسواق المتخصصة ببيع وشراء صنف معين من السلع، مما أحدث نقلة نوعية على مستوى تقسيم الأسواق للتمييز فيما بينها، وهذا أدى بالضرورة إلى فرز التجار وأصحاب المهن المختلفة كل على حدة، بحسب نوع البضاعة أو الصنعة التي يشتغل بها.

ومن ناحية أخرى، ساعدت الحركة التجارية التي شهدتها مدينة عدن في عصر الرسوليين على توسع العمران في الأسواق، وقد ظلت قائمة حتى عصر الدولة الطاهرية، وعندها لم يقف الحكام الطاهريون وولاتهم على عدن مكتوفي الأيدي أمام ما تحقق في عهود أسلافهم، بل كانوا امتداداً للنهضة الاقتصادية والتجارية، ومن أهم الأسواق التي كانت عامرة في عدن خلال تلك الفترة ما يأتي:

---

١) الشجاع، اليمن في صدر الإسلام، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٧م، ص٨٨؛ محمد كريم، عدن دراسة في أحوالها، ص٢٧٦.
٢) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ص٥٣.
٣) حسن سليمان محمود، تاريخ اليمن السياسي في العصر الإسلامي، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٦٩م، ص٢٥٧.
٤) حسين محمد ،" هولندا واليمن " ، ص١٢٣.
٥) ابن المجاور، المستبصر، ص١٣٠.
٦) المصدر نفسه والصفحة.

١. **سوق العطارين :**

وهو أقدم سوق ذكرته المصادر التاريخية، وربما يعود ذلك إلى شهرة عدن بصناعة العطور منذ القدم، وقد مرَّ بنا إسهامات الملك المعز في بناء قيصارية خاصة بالعطارين[١].

٢. **سوق الصاغة :**

اختص هذا السوق في بيع وشراء الذهب والفضة وصياغتها، وكذلك المجوهرات، والأحجار الكريمة ونحوها، وكان لليهود باع طويل في هذه التجارة[٢]، ولعل البانيان (طائفة من الهنود) هم الآخرون قد اشتغلوا في هذا النشاط التجاري في فترات متأخرة، نظراً لتحسن مستوى وضعهم المادي والمعيشي.

٣. **سوق الصيارفة**[٣]:

ولأن عدن كانت مدينة المال والأعمال، ويفد إليها التجار والمسافرون من مختلف الجنسيات، كان من الطبيعي أن ينشأ فيها سوق يختص بتغيير وتبادل النقود لتسهيل المعاملات التجارية، وقد يتعدى أمر تغيير النقد بالنقد إلى عرض الذهب والفضة للحصول على ما قيمته نقداً[٤]، لا سيما أن المعاملات المالية لوحدات النقد الأساسية كانت تتم بالوزن وليس بالعد.

٤. **خان البز :**

وهو سوق الأقمشة والبزوز، أوقفه الوالي عثمان الزنجبيلي على مسجده بعدن[٥]، ولعله ولعله ذلك السوق المعروف اليوم بهذا الاسم، وهو الذي يمتد من الطرف الجنوبي للسوق الطويل ويسير شرقاً بمحاذاة السائلة حتى مجمع البنوك.

٥. **سوق الزعفران :**

وهو من أسواق عدن القديمة[٦]، وفيه بئر الزعفران التي وصفها ابن المجاور بحلو مائها[٧]، ومن المرجح أنه ذلك السوق المعروف اليوم بهذا الاسم، ويقع في قلب مدينة عدن.

---

١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٠٠؛ ابن المجاور، المستبصر، ص١٣٠.
٢) ابن المجاور، المستبصر، ص١٣٢؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج١، ص٣؛ أسامة حماد، مظاهر الحضارة الإسلامية، ص٤١١.
٣) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج١، ص٣.
٤) عليان، محمد عبدالفتاح، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في عهد بني رسول، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، ١٩٧٣م، ص١٨٣.
٥) بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج٢ ، ص١٣١ .
٦) محمد أحمد محمد، عدن قبل الإسلام وحتى إعلان الدولة العباسية، دار الثقافة العربية، الشارقة، ودار جامعة عدن، ٢٠٠١م، ص٢٦٣.
٧) المستبصر ، ص١٣١ .

٦. سوق الجواري :

كانت تجلب إليه الجواري للبيع والشراء، وإليه أشار ابن المجاور تحت عنوان صفة بيع الجواري، وبيّن فيه المعاملات التجارية التي تتم بين البائع والمشتري، وأحوال الجواري بين العرض والطلب(١).

٧. سوق الخزف(٢):

وهو سوق اختص بتجارة الخزف والفخار المصنوع من الطين، ويعرض فيه الأواني المصنعة محلياً والمستوردة من الخارج.

٨. سوق الخضار والرطب(٣):

وهو من الأسواق الرئيسة في المدينة، وقد كانت تفد إليه الخضروات والفواكه من أبين ولحج وبعض مناطق اليمن، ولا زالت عدن منذ القدم وحتى الوقت الحاضر تعتمد في غذائها بصفة دائمة على المناطق الزراعية المجاورة لها.

٩. سوق اللحم والدواب :

وهو من الأسواق القديمة(٤) التي تلبي حاجات المجتمع التي لا غنى عنها، وهو ذو علاقة مباشرة بسوق القصب(٥).

١٠. سوق السمك :

لاتوجد إشارات واضحة عن هذا السوق مع أن السمك إدام أهل عدن الرئيس، لكن هذا لايعني عدم وجوده، لاسيما أن عدن مدينة ساحلية تأصلت فيها حرفة الصيد منذ القدم، ومن المحتمل أن قسماً من سوق اللحوم قد خصص للأسماك والأحياء البحرية كما هو الحال في الوقت الحاضر، ولايستبعد أيضاً أن يقام مثل ذلك السوق على الساحل بمحاذاة مرسى قوارب الصيد، نزولاً عند رغبة أهل المدينة الذين يحرصون على شرائه طازجاً.

١١. سوق الخربد :

والخربد في اللغة : هو اللبن الرائب ، الحامض الخاثر(٦)، وهذا يعني أنه كان في

---

١) المستبصر ، ص١٤٥-١٤٦.
٢) المصدر نفسه ، ص١٣٢؛ أسامة حماد، مظاهر الحضارة، ص٤١١.
٣) ابن المجاور، المستبصر، ص١٤٨.
٤) المصدر نفسه ، ص١٤٨.
٥) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص٨٣ .
٦) الفيروز آبادي، مجدالدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، رتبه ووثقه: خليل مأمون شيحا، ط٣، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص٣٥٧ .

المدينة سوق خاص لبيع وشراء الألبان، وقد ذكر بامخرمة[١]هذا السوق في معرض حديثه عن الحريق الذي تعرضت له مدينة عدن سنة ٩١٥هـ/١٥٠٩م، ونفهم منه أنه يقع شرق مسجد جوهر، ويمكن تحديد موقعه حالياً في حافة الشريف تقريباً.

١٢. سوق الفارض[٢] :

ذكر بامخرمة[٣] أنه يقع بالقرب من حافة محمد بن عبدالرحمن باحنان ، ولم يوضح ما كان يباع فيه وما يشترى من السلع .

١٣. سوق الليل :

ذكره الرحالة الإيطالي لودفيكو فارثيما الذي زار عدن سنة ٩٠٧-٩١٤هـ/ ١٥٠٢ – ١٥٠٨م وجاء عنه أنه سوق يعقد بعد غروب الشمس بساعتين تفادياً لحرارة الجوّ الشديد[٤].

ثالثاً- علاقات عدن التجارية مع الموانئ العالمية :

كانت عدن ولفترة طويلة من تاريخ اليمن هي المنفذ البحري الأهم ، ونظراً لموقعها الجغرافي القريب من ملتقى البحرين الأحمر والعرب، بالإضافة إلى طبيعة مينائها الذي يسهل الوصول إليه والإقلاع منه لخلوه من الشعاب المرجانية والصخور الضخمة، ثم حصانة المدينة بسلسلة الجبال التي تشبه الحزام الأمني لدرء المخاطر التي قد تتعرض لها المدينة من جهة البّر، وبهذه المميزات الطبيعية صارت عدن من أهم المدن المؤثرة في حركة التجارية العالمية بين الشرق والغرب، على أنها في الوقت ذاته كانت دائمة التأثر بمتغيرات التجارة العالمية ، وتغيير مساراتها وتقلباتها، فتزدهر حيناً وتضعف حيناً آخر، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كانت مدينة عدن كثيراً ما تتأثر بالأحداث الداخلية التي تجري على الساحة اليمنية بمجمل تناقضاتها السياسية والاجتماعية، ومع هذا وذاك لم يصل التأثير السلبي في غالب الأحوال إلى الحد الذي يشل الحركة التجارية في المدينة شللاً تاماً.

ولما كانت عدن محطة لعبور التجارة من عدة بلدان كالهند، والسند، والصين، وفارس، والعراق، وعُمان، والشام، ومصر، والحجاز، والحبشة فإن ذلك قد فرض على حكام اليمن إقامة علاقات سياسية وتجارية مع حكام تلك الدول، لحماية المصالح التجارية المشتركة، حيث سعى حكام الدول اليمنية في العصر الإسلامي إلى تعزيز علاقاتهم الخارجية بتبادل السفارات والهدايا

---

١) قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٢٩.
٢) لم نجد لكلمة الفارض معنى في معاجم اللغة .
٣) قلادة النحر، ج٣،، ص٣٧١٠ .
٤) أسامة حماد، مظاهر الحضارة، ص٤١١. ولعله ذلك السوق المعروف اليوم بهذا الاسم، والذي يقع بجوار سينما هريكن على الطريق الصاعد إلى الخساف.

وغيرها ابتداءً بالصليحيين، والزريعيين، ثم الأيوبيين، فالرسوليين ومن بعدهم الطاهريون؛ وهذه العلاقات كان لها أثرها الفعّال في زيادة نشاط الحركة التجارية في ميناء عدن، وليس أدل عليه من قول ابن فضل الله العمري[(١)] في وصفه لعدن آنذاك: "وإليها مجمع الرفاق، وموضع سفر الآفاق، يحيط بها الصين، والهند، والسند،والعراق، وعُمان، والبحرين، ومصر، والزنج، والحبشة، ولا يخلو أسبوع بها من عدة تجار وسفن وواردين، وبضائع شتى، ومتاجر منوعة، والمقيم فيها في مكاسب وافرة، وتجائر مربحة، لا يبالي ما يغرمه بالنسبة إلى الفائدة، ولا يفكر في سوء المقام لكثرة الأموال النامية".

وفي عصر الدولة الطاهرية وصفت عدن على لسان أحد الرحالة البرتغاليين المعاصرين للكشوف البرتغالية بأنها: "كانت من أكثر بلدان العالم تجارة، وبأن بها أكثر التجار ثراءً، إذ كانت تفد إليها السفن العديد المختلفة الأنواع والأحجام من جميع البقاع، فكانت هذه السفن تفد إليها من موانئ ساحل أفريقيا الشرقي مثل زيلع[(٢)]، وبربرة، وسفالة[(٣)]، وكلوة[(٤)]، وموزمبيق، وممباسا محملة بالمواد الغذائية وبالوفير من سبائك الذهب والفضة، ومن موانئ ساحل الهند الغربي مثل: ديو، وكاليكوت[(٥)]، أو موانئ جزر الهند الشرقية حتى ملقا"[(٦)]، وأضاف هذا الرحالة واصفاً بضائعها بقوله: "إنه من الصعب معرفة أنواع هذه البضائع أو تقدير أثمانها"[(٧)]، ويفهم من ذلك بأن سلاطين الدولة الطاهرية قد بذلوا جهوداً فائقة مكنتهم من تجاوز العجز الذي أصاب عدن خلال فترات ضعف الدولة الرسولية، كما أن ميناءها لم يفقد مكانته كمركز تجاري عالمي على الرغم من محاولات المجورين في تخطيه إلى موانئ البحر الأحمر، ويعود الفضل في ذلك كله إلى حُسن علاقات الطاهريين الخارجية مع الدول ذات العلاقة بالملاحة التجارية، فعلاوة على كونهم السلطة السياسية للدولة فهم في الوقت ذاته من

---

١) مسالك الأبصار، ص٥٣.

٢) زيلع: جزيرة بين اليمن والحبشة، تطل على البحر الأحمر، وهم مسلمون وأرضهم تعرف بالزيلع، وزيلع قرية على ساحل البحر من ناحية الحبش، الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٦٤؛ المقحفي، معجم البلدان، ج١، ص٧٥٥ .

٣) سفالة: وتسمى سفالة الزنج، وأهلها مسلمون، وأكثر معايشهم من الذهب والحديد، ولباسهم جلود النمور. أبو الفداء، تقويم البلدان، ص١٥٧.

٤) كلوة : مدينة تجارية غنية على شاطئ أفريقيا الشرقي ، كانت تسيطر على موزمبيق في القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي . شهاب ، أضواء على تاريخ اليمن البحري ، ص١٤٤.

٥) كاليكوت : من أعظم موانئ مالابار في ساحل الهند الغربي وأكبرها. شهاب ، أضواء على تاريخ اليمن البحري ، ص١٢٩ .

٦) سيد مصطفى، الفتح العثماني، ص٥٩. وملقا: تقع في طرف شبه جزيرة الملايو، وكانت تتبع مملكة سيام ثم استقلت بفضل قوتها الاقتصادية،وقد دخل إليها العرب ونشروا فيها الإسلام في وقت مبكر، وكانت أهم مراكز العرب التجارية في هذه الجهات .سيد مصطفى ، الفتح العثماني ، ص٨٣ ،ح(٥) .

٧) سيد مصطفى ، الفتح العثماني ، ص٥٩ .

البيوت التجارية المشهورة في اليمن، وتتأثر تجارتهم بما يجري من متغيرات على مسار خطوط الملاحة العالمية.

وكان لوصول السفن القادمة من الهند، وفارس، وزيلع ، ومقديشو، وظفار[١]، وجزيرة قيس[٢] مواسم مشهورة تختلف باختلاف الظروف المناخية لوصولها في موسمين مهمين هما: موسم قدوم تجار الكارم المصريين، وموسم قدوم تجار الهند، وهو الموسم التجاري الكبير[٣].

ويتحكم في قدوم المراكب إلى عدن حركة الرياح الجنوبية الغربية (الكوس) التي تأتي بسفن أقوام الساحل الغربي من البحر الأحمر كتجار الكارم المصريين، والزيالع، وكذلك المقادشة إلى عدن، وتسافر بها من عدن سفن تجار الهند، وموانئ بحر العرب والمحيط الهندي، أما الرياح الشمالية الشرقية المعروفة بـ الأزيب فهي تأتي بسفن الهند إلى عدن في الموسم التجاري الكبير، وتسافر بها من عدن سفن الكارم[٤] إلى بلادها[٥].

وتستفيد من الريح الشمالية الشرقية (الأزيب) مراكب الكجراتي الذين لهم عدة مواسم في الموانئ الجنوبية لشبه جزيرة العرب، حيث تسافر من الهند من ٣٣٠ - ١٤٣ نيروز (٨ أكتوبر – ٢١ مارس أو ٣١ مارس)، وأفضل المواسم للخروج من الهند هو ٩٠ أو ١٠٠ من النيروز (١٠ أو ٢٠ فبراير)؛ لأن هذه الفترة تكون مأمونة من العواصف والأمطار في البحر، أما موسم البنجالي إلى هرمز، وعدن، وجدة فمن ٤٠ – ٧٠ نيروز (٢٢ ديسمبر – ٢١ يناير)، وموسما الملقي (ملقا) وبرم (بورما) إلى هرمز، وعدن، وجدة فهما يوافقان الموسم البنغالي ذاته، وموسم السفر من سومطرة إلى هرمز، وعدن، وجدة من ٢٠ – ٨٠ نيروز (٢ ديسمبر – ٣١ يناير)[٦].

أما جزر الذيب (المالديف) فلها هي الأخرى موسم سفر إلى عدن، وبعض مراسي شبه جزيرة العرب، ويتوافق قدومها من ١ – ١٢٠ نيروز (١٣ نوفمبر – ١ أبريل)[٧].

---

١) ظفار: وهي ظفار الحبوضي، كانت من أعمال اليمن، وأصبحت ضمن أراضي سلطنة عمان. المقحفي، معجم البلدان، ج١، ص٩٧٣.

٢) جزيرة قيس (كيش): تقع في بحر عُمان في الخليج العربي، وهي مرفأ مراكب الهند وبر فارس، وفيها مغاوص اللؤلؤ، وهي مدينة جميلة فيها بساتين وأسواق وخيرات. الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٢٢.

٣) نور المعارف، ج١، ص٤٩٥، ح(٣٦٠٩) .

٤) سفن الكارم أو تجار الكارم : هم الذين يتاجرون بالبهار من الفلفل والقرنفل ونحوها مما يجلب من الهند واليمن . القلقشندي . صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٣٢ .

٥) شهاب، البحار اليمني سليمان بن أحمد المهري مرشد الملاحة العربية في المحيط الهندي، مركز الشرعبي للطباعة والنشر، صنعاء، ٢٠٠٠م، ص١٦-٢١.

٦) شهاب، البحار اليمني ، ص٢١,

٧) المرجع نفسه ، ص٢٢.

وبناءً على ما تقدم، يمكننا القول: إن الكم الهائل من السفن التجارية التي كانت ترسو في ميناء عدن في المواسم المشهورة لم تأتِ بمحض الصدفة ، بل كانت نتاج عامل العلاقات الخارجية الحسنة التي أرساها حكام عدن المتعاقبون ومنهم بنو طاهر بن معوضة.

١. علاقات عدن التجارية مع مصر :

أصبحت مدينة عدن منذ عصر الدولة الصليحية، وعمالهم من بني زريع همزة وصل عالمية بين الشرق والغرب، وساعدها مع غيرها من موانئ اليمن ما كانت تتمتع به اليمن من علاقات سياسية طيبة، وتقارب مذهبي مع حكام مصر الفاطميين على الدفع بالحركة التجارية في البحر الأحمر والمحيط الهندي دفعة قوية(١)، فنشطت في ميناء عدن تجارة العبور، وكثر تبادل البضائع بين البلدين(٢)، وعندما استقل الزريعيون بعدن وأعمالها سنة ٥٣٢هـ/١١٣٨م عملوا على استقرار المدينة والنشاط التجاري بين شمال البحر الأحمر وجنوبه(٣)، ولما سيطر الأيوبيون على اليمن سنة ٥٦٩هـ/١١٧٤م ازداد في عهدهم دور مدينة عدن التجاري، وزاد ما كان يصلها من السفن التجارية كل عام عن الثمانين سفينة، وتبعاً لذلك نشطت الأسواق، والوكالات التجارية، حيث يعود بناء أغلب المرافق التجارية من دور ، ووكالات، وقيساريات (الأسواق المسقوفة) إلى عهدهم، كما اهتموا بتوسيع الفرضة وتحديثها(٤).

وفي عصر الدولة الرسولية تم تسهيل بعض الإجراءات، وألغوا بعض المكوس خلال فترات حكمهم، وتقربوا للتجار، وعلى صعيدٍ آخر، وثق الرسوليون علاقاتهم مع عدد من الدول ومنها مصر ما يلبي مصالحها السياسية والتجارية، وتبادلوا السفارات والهدايا الثمينة، وبلغ مستوى تطور هذه العلاقات حد تأثر اليمن ،بقدر كبير، بنظم ودواوين المماليك ومصطلحاتهم الإدارية والمالية(٥).

أما علاقات الطاهريين بالمماليك فهي أشبه بعلاقاتهم مع أسلافهم الرسوليين ولا تختلف عنها من حيث الاستقرار حيناً والتوتر حيناً آخر، إذ إننا نجدهما قد تبادلا الهدايا الثمينة والسفارات العديدة، وإن كان ذلك لم يحدث في عهود السلاطين الطاهريين الأوائل (المجاهد

---

١) اعتنق حكام الدولة الصليحية (٤٣٩-٥٣٢هـ/١٠٤٨-١١٣٨م) المذهب الإسماعيلي، فحظيت بمساندة ودعم الخلفاء الفاطميين في مصر حتى وفاة السيدة بنت أحمد الصليحي سنة ٥٣٢هـ/١١٣٨م .

٢) اليوزبكي، توفيق، تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المملوكي، جامعة الموصل، دار الكتاب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٧٥م، ص٩٤.

٣) عمارة، المفيد، ص١١٠.

٤) ابن المجاور، المستبصر، ص١٣٠، ١٤٤.

٥) حاول السلطان المملوكي الناصر بن محمد بن قلاوون إرسال حملة تأديبية عقب قطع السلطان المؤيد الرسولي هداياه السنوية للسلطان المملوكي، وفي الوقت ذاته كان المماليك يمارسون ضغطهم على تجار الكارم بالترغيب والترهيب للحيلولة دون تعاملهم مع ميناء عدن، مما أثر في مستوى الإيراد الذي يرفع لبني رسول. قائد حميد عثمان، " تجار الكارم "، ص٦٠.

علي بن طاهر وأخيه الظافر عامر وابن أخيهما المنصور عبدالوهاب)، بل إن ذلك حدث في عهد الظافر عامر (الثاني)، بيد أن هذا لا يعني بالضرورة أن علاقة البلدين كانت منقطعة أو متوترة، إذ كان التبادل التجاري بينهما يسير في ثبات وبمستوى تصاعدي لا سيما في ميناء عدن، كما كانت مدن اليمن آنذاك تستورد من متاجر مصر العديد من منتجاتها المحلية، بالإضافة إلى ما كان يأتي به تجار الكارم من متجر الشمال الأفريقي والغرب الأوروبي(١)، وفي الوقت ذاته كانت اليمن تصدر الكثير من منتجاتها الزراعية لاسيما الفواكه، وكذلك الطيوب، والعطور، والعنبر، والمسك، والزعفران، والعسل، والأدم (الجلود)، فضلاً عن صناعاتها ذات الجودة العالية من الحلي، والسيوف، والخناجر، والثياب اليمنية الفاخرة التي كان يحرص على ارتدائها أغنياء مصر(٢).

وعلى أية حال، فإن السلطان الظافر عامر (الثاني) كثيراً ما تبادل مع نظرائه المماليك في مصر الهدايا والسفارات منها على سبيل المثال لا الحصر ما تم في شهر شوال سنة ٨٩٦هـ/١٤٩١م، حيث قدم الشهاب أحمد بن قيصر على الظافر عامر (الثاني) من الديار المصرية بمرسوم شريف وخلعة شريفة، وسيف، وخاتم، ومروحة، متوجة باسم الخليفة المتوكل على الله عز الدين أبي العز عبدالعزيز بن يعقوب العباسي، فقابله بالإكرام والإنعام، وأجازه بالجوائز العظام(٣)، وأخرى كانت سنة ٩٠٦هـ/١٥٠١م، وفيها وصل رسول السلطان جنبلاط(٤)، بهدية ثمينة للظافر عامر (الثاني) من جملتها فانوس بللور ضخم قدر قامة الإنسان، وصندوقان من بللور وسيوف عظيمة، وأشياء نفيسة(٥).

لكن علاقة الود بين الطاهريين ونظرائهم المماليك لم يكتب لها الاستمرار، وسرعان ما تحولت إلى عداء وقطيعة أثناء دخول البحرية البرتغالية في ميدان المنافسة على تجارة الشرق.

وبعيداً عن مجرى العلاقات السياسية، ذكر أن سفن التجارة المصرية كانت تصل إلى ميناء عدن في موسمين تجاريين، يبدأ الأول مع مطلع شهر نيسان/أبريل، ويستمر حتى بداية الشهر الذي يليه، وهي الفترة التي تغادر فيها سفن التجار الهنود من عدن إلى بلادهم(٦)، فيما يذكر سارجنت(٧) قدوم سفن الكارم إلى عدن في أول نيسان/ أبريل وتستمر حتى العاشر منه، وموسم آخر يمتد من ٣٠ حزيران/يونيو حتى ٢٧ تموز/يوليو، ويغادر المصريون ميناء عدن

---

١) انظر: الجدول رقم (٦).
٢) قائد حميد، " تجار الكارم "، ص٥٧.
٣) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص١٩٨؛ بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٧٨-٣٦٧٩.
٤) السلطان جنبلاط: هو أبو النصر الملك الأشرف جنبلاط بن يشبك، من ملوك الشراكسة بمصر توفى سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٢م. ابن الديبع، الفضل المزيد، ص٧٤، ح(٢).
٥) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص٧٤؛ العيدروس، النور السافر، ص٤٢.
٦) الديوان المالي، ق٧٨ أ.
٧) مينائي عدن والشحر، ص٥٥.

في أيلول/سبتمبر، ويفيد كتاب الديوان المالي المعمور عن موسم آخر لقدوم المصريين يمتد من تشرين الأول/أكتوبر حتى الشهر الذي يليه أي تشرين الثاني/نوفمبر، وهي الفترة التي تسبق قدوم الهنود إلى عدن[1].

ويتبين من ذلك، أن وصول السفن المصرية لا يرتبط بمواسم ثابتة مثل مواسم قدوم السفن الهندية، حيث نجد أن الملاحة الداخلية في البحر الأحمر تؤمن لتجار الكارم الملاحة الدائمة إلى عدن، كما أن قدوم سفن الكارم في أكثر من موسم في العام وفي أوقات مختلفة لا تكون فيها الظروف المناخية مهيأة للملاحة الهندية.

٢. علاقات عدن التجارية مع الهند :

إن العلاقات التجارية بين اليمن والهند بصفة عامة ومع عدن بصفة خاصة موغلة في القدم، وكانت ركيزتها الأساسية مبنية على المصالح الاقتصادية المتبادلة بين البلدين، وما يتعلق بها من شئون حماية خطوط الملاحة، ومعاملة تجار الهند بالمثل أسوة بتعاملهم مع تجار اليمن من حيث الرسوم على البضائع والتسهيلات المختلفة.

وفي بداية العصر الإسلامي لا سيما بعد أن فتح المسلمون مصر انتقل الشريان التجاري من الخليج العربي إلى البحر الأحمر، إلا أن وصول العباسيين إلى الخلافة أعاد الحركة التجارية إلى الخليج العربي، مما أثر سلباً على ميناء عدن[2]، ولكن ذلك الوهن سرعان ما ولّى في منتصف القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وذلك مع ظهور الحركات الاستقلالية عن الخلافة العباسية وقيام الدولة الطولونية، ثم الإخشيدية ومن بعدها الدولة الفاطمية في مصر[3]، إذ شهدت العلاقات التجارية بين عدن والهند نشاطاً ملحوظاً أواخر حكم بني زريع، وخلال حكم الأيوبيين لعدن، لكنه لم يرق إلى المستوى الذي بلغه في منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، حيث استعاد طريق البحر الأحمر نشاطه وازدهرت فيه تجارة العبور، واضمحل ما عداه من الطرق التجارية الأخرى بين الشرق والغرب بسبب استيلاء المغول على بغداد ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، إذ أدى ذلك إلى أفول طرق التجارة البرية بين الصين من جهة، وآسيا الصغرى وموانئ البحر الأسود من جهة أخرى، وقد أشار ماركوبولو إلى ما ترتب على

---

١) ق ٧٨ أ.
٢) الصالح، محمد أمين، "بنو معن ثم آل زريع في عدن"، مجلة المؤرخ العربي، ع(٥)، اتحاد المؤرخين العرب، بغداد، ١٩٨٠م، ص٣٢٨.
٣) المرجع نفسه، ص٣٢٩ .

غزوات المغول من انعدام الأمن في ذلك الطريق، واعتداء اللصوص على القوافل التجارية القادمة من الشرق الأقصى عبر الخليج لزيادة نشاط القرصنة من سكان جزر البحرين(١).

وكان من نتائج ذلك الغزو أن غيرت السفن التجارية مسار حركتها مجدداً إلى الخط الملاحي المحيط الهندي – البحر الأحمر، فعادت عدن إلى سابق عهدها تتصدر الموانئ المطلة على هذا الطريق، وانتعشت بذلك أوضاع اليمن الاقتصادية بما كانت ترفده موانؤها من العائدات الضخمة لأكثر من ثلاثة قرون ونيف، حين كانت عدن أهم مراكز التجارة البحرية خلال تلك الفترة باستثناء فترات محدودة من التاريخ تعود لأسباب سياسية وأمنية أو عالمية، كالخلافات التي كانت تطفو على السطح بين بعض حكام آل رسول وما يترتب عليها من مضاعفة للضرائب لتغطية تكاليف الصراعات الحربية(٢)، ثم بروز ظاهرة التجوير وما أفضت إليه من آثار، ولعل أبرزها حلول ميناء جدة بديلاً عن ميناء عدن، فبالإضافة إلى موقعه على الساحل الشرقي للبحر الأحمر، فهو من الموانئ الأكثر قرباً من الأراضي المقدسة قبلة المسلمين وأكبر أسواقهم التجارية، حيث يقوم ميناء جدة بتصدير ما يصل إليه من البضائع والسلع إلى المناطق القريبة منه في شبه جزيرة العرب، والعراق، وبلاد الشام، وذلك عندما تصبح طرق التجارة الأخرى مهددة بالمخاطر وغير آمنة(٣).

أما عن علاقة عدن مع الهند في عصر الدولة الطاهرية، فإن المصادر التي بين أيدينا لم تشر إلى علاقات حكام الثغر بنظرائهم من حكام ساحل الهند الشرقي وخصوصاً في فترات الاستقرار السياسي والرخاء الاقتصادي اللذين نعمت بهما الدولة الطاهرية لأكثر من ستة عقود، لكن التواصل السياسي بين الطرفين أوضحته مصادر ذلك العصر لاحقاً، وبينت مدى عمق المصالح المشتركة مع بداية الكشوف الجغرافية التي قلبت الأوضاع رأساً على عقب(٤).

وعلى الرغم من قتامة شكل العلاقات السياسية بين عدن والهند، إلا أن مظاهرها الحضارية كانت واضحة وخصوصاً في مجال النشاط التجاري، فهو يظهر وبوضوح ما يدل على أن الحركة التجارية كانت الأكثر نشاطاً مقارنة بحجم التبادل التجاري وعدد السفن اليمنية

---

١) حوراني، جورج فضلو، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى، تر: السيد يعقوب بكر، المكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، ١٩٥٨م، ص١٣٢.

٢) استخدم الرسوليون سياسة الطرح في أواخر أيام حكم الناصر (٨٠٣-٨٢٧هـ/١٤٠١-١٤٢٤م) فكانت تطرح البضائع على التجار بالسعر الذي تحدده السلطة، حيث يتم طرح البهار من التوابل بستين ديناراً على تجار الكارم، بينما سعره الحقيقي أربعون ديناراً، كما كان يتم أخذ الصفر(النحاس) من الكارم بستين ديناراً، ويطرح على أصحاب الحف بثمانين ديناراً، وأعطي أصحاب الفوّة على سعر البهار بأربعة وثمانين ديناراً، ويؤخذ البهار بهاراً وربع، وإذا أعطي يكون بهاراً إلا ربع، الأمر الذي ضيق على التجار وعاد عليهم بالخسارة، ورفع دخل السلطة، فضلاً عن تشجيع المماليك وحكام بلاد الحجاز للتجار ليتجاوزوا الموانئ اليمنية إلى جدة وينبع وزيلع. عليان، الحياة السياسية ، ص٢١٦.

٣) قائد حميد، " تجار الكارم "، ص٤٨.

٤) انظر: فيما سيأتي، ص ١٦١.

التي كانت تقلع من عدن إلى موانئ البحر الأحمر، وهذا ليس بغريب؛ لأن عرب جنوب شبه الجزيرة العربية وخصوصاً اليمنيين وعبر ميناء عدن كانوا الأكثر نشاطاً في التجارة بين المنطقتين، ويعود الفضل لليمنيين في الترويج لمنتجات مالابار الهندية من توابل، وأقمشة، وخشب الصندل، والأنعام وغيرها، ولعلهم أول من استعان بالريح الموسمية للوصول إلى الهند وعودتهم منها.

٣. موسم سفر المراكب من عدن وإليها :

من المهم الإشارة في هذا الصدد إلى أن حركة الريح في المحيط الهندي تتحكم بالمواسم التجارية بين عدن وموانئ سواحل بلاد العرب وأفريقيا، إذ يقسم ساحل بلاد الهند إلى قسمين: القسم الشرقي ويسمى تحت الريح، والقسم الغربي يسمى فوق الريح[١] أي موسم الرياح الجنوبية الجنوبية الغربية والمعروفة بـ(الكوس) التي تحمل المراكب إلى موانئ تحت الريح، وهناك موسمان للملاحة هما:

الموسم الأول ويسمى رأس الريح وهو موسم قصير جداً، ويبدأ مع طلائع الريح في منتصف شهر مايو وينتهي في أول يونيو، ثم تشتد الرياح ويتوقف السفر في بحر الهند من بداية يونيو حتى نهاية شهر أغسطس، وتسمى هذه الفترة بفترة الغلق، ثم الداماني[٢] أو التيرما، وفي هذا الموسم تسافر المراكب من عدن إلى جوزرات (كجرات) وكوشن من ٢١ نيروز (٢١ مارس)، إلا إذا كانت رياح الأزيب قوية في عدن؛ لأن عدن موطن هذه الريح وتكاد لا تنقطع عنها، فمن سافر من عدن في ١٤٠ نيروز (٣٠ مارس) أو ١٥٠ نيروز (١٠ أبريل) ووصل الشحر في ١٧٠ نيروز (٣٠ أبريل) فإنه يستطيع السفر إلى جوزرات وكوشن[٣].

وموسم قدوم مراكب الهند هو الموسم التجاري الكبير فهو يشهد قدوم مراكب النواخيذ الهندية من مدن ساحل الهند الغربي (فوق الريح) أو الشرقي (فوق الريح) إلى موانئ بحر العرب ومنها عدن، ويشهد هذا الموسم خروج هذه المراكب في ١٥ تشرين الأول /أكتوبر، وينتهي موسم خروج هذه المراكب في ٨ آذار/مارس[٤]، ويتوافق موسم خروج مراكب الهند من بلادها مع موسم خروج مراكب الكارم المصرية من عدن إلى بلادها مستفيدة من الرياح الشمالية الشرقية (الأزيب) التي تقلها إلى هناك[٥].

---

١) يقصد بتحت الريح موانئ بنجالة وملقا وسواحل سنغافورة، أما فوق الريح فهي موانئ جوزرات (كجرات) وكوني. شهاب، البحار اليمني، ص١٦، ٢١.
٢) الداماني: وهي ريح الشهر الأخير من موسم الرياح الجنوبية الغربية المعروفة عند البحارة بالكوس. شهاب، الملاحة الفلكية عند العرب، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، ٢٠٠١م، ص١٩-٢٠.
٣) شهاب، البحار اليمني، ص١٧.
٤) ويسمى أول الزمان. الديوان المالي، ق ٧٨ ب.
٥) ويسمى آخر الزمان.الديوان المالي، ق ٧٨ ب؛ شهاب، البحار اليمني، ص٢١.

وقام سارجنت[١] بإيراد تفصيل مواعيد سفر مراكب الهند إلى عدن والعكس على النحو الآتي:

٨ آذار/مارس: أخر سفر من الهند إلى عدن.

١٣ آذار/مارس: إبحار السفن.

٢١ آذار/مارس: أول السفر للديماني من عدن.

١٠ نيسان/أبريل: وصول المصريين والهنود إلى عدن.

٦ أيار/مايو: أول السفر للهنود من عدن.

٤ حزيران/يونيو: أخر وصول للهنود من عدن.

٢٦ حزيران/يونيو: إبحار سفن الهند.

١١ تموز/يوليو: إبحار سفن الهند من عدن.

١٨ آب/أغسطس: أخر سفر للهنود من عدن.

٢٠ آب/أغسطس: سفر السيلانيين والصوماليين من عدن.

٢٤ آب/أغسطس: أول سفر للديماني (السفر الأعظم).

٦ أيلول/سبتمر: آخر سفر للهنود من عدن.

ويشير شهاب إلى أن هناك موسمين لسفر مراكب عدن إلى مراسي الهند الأول من ٢٨٠ نيروز (١٩ أغسطس) أو بعده بقليل، والموسم الآخر من ٢٩١ نيروز (٣٠ أغسطس)[٢].

وخلال إقامة تجار اليمن في الهند فيما بين شهري سبتمبر ونوفمبر تزوجوا وأنجبوا وأسسوا العديد من الأسر، كما جذبت بلاد الهند أفئدة بعضٍ من أهل اليمن، فهاجر إليها عدد من علماء الشرع والمشتغلين بالتدوين التاريخي وغيرهم ممن أنس بهم حكام ساحل الهند الشرقي فرفعوا مكانتهم ومنزلتهم، حتى صاروا من المقربين في البلاط الهندي[٣].

وبناءً على ما تقدم، يتبين أن المراكب تسافر من عدن وإليها طيلة العام عدا شهرين تقريباً، وهذا بحد ذاته جعل عدن من أهم مراكز التجارة العالمية .

---

١) مينائي عدن والشحر، ص٥١.

٢) البحار اليمني، ص٢٠.

٣) ومنهم الفقيه الأديب الباحث المتصوف محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي الشهير ببحرق، ولد بمدينة الشحر، وأخذ عن علمائها وعلماء زبيد ومكة والمدينة المنورة، وولي قضاء الشحر، ثم رحل إلى عدن، وصاحب الشيخ أبا بكر بن عبدالله العيدروس العدني، وبعد وفاة العيدروس رحل إلى الهند، فأكرمه السلطان مظفر، وأقام هناك إلى أن مات في أحمد أباد سنة ٩٣٠هـ/١٥٢٤م. بامطرف، الجامع، مج٤، ص٢١-٢٢.

٤. علاقات عدن التجارية مع شرق أفريقيا :

إن علاقات اليمن مع الساحل الشرقي لأفريقيا وخصوصاً مع الحبشة قديمة قدم الحضارة الإنسانية التي نشأت على أراضيهما، ويعود السبب في ذلك إلى قربهما من بعض جغرافياً، إذ لا يفصلهما عن بعض إلا البحر الأحمر، لذا كان من الطبيعي أن تقام علاقات بينهما، قد تتعدى التأثر بالدم الأفريقي.

ومن المسلم به، أن هجرات سكانية (ديموغرافية) حدثت من أفريقيا إلى شبه الجزيرة العربية عبر باب المندب، كما حدثت هجرات معاكسة من سكان شبه جزيرة العرب إلى أفريقيا لم تتجاوز الشريط الساحلي الغربي، ولم تتوغل إلى عمق أفريقيا(١).

وعلى طول الشريط الساحلي الممتد من مقديشو شمالاً إلى سفالة جنوباً والجزر المجاورة له أنشأ العرب مستوطنات وشيدوا حضارة أدهش مستواها الراقي البرتغاليين عندما شاهدوها لأول مرة، وكان الدور الذي قام به الحضارم في بناء هذه الحضارة قد وصفه شهاب(٢) بقوله: "لم يقم [أي الحضارم] بمثله حتى في وطنهم الأصلي".

ومن المهم الإشارة إلى أن السلاطين الطاهريين قد ساروا على نهج أسلافهم الرسوليين من حيث دعم المقاومة الإسلامية في الحبشة؛ ففي شعبان سنة ٨٧٩هـ/١٤٧٤م جهز المجاهد علي بن طاهر إلى الأمير شمس الدين محمد بن بدلاي بن سعد الدين(٣) مائة وخمسة أفراس من الخيل العربية، ومن السيوف والرماح والدروع شيئاً كثيراً(٤)، ثم أرسل السلطان نفسه معونة أخرى من عدن في جمادى الأولى سنة ٨٨١هـ/١٤٧٦م، ضمت نيفاً وخمسين فرساً كاملة العدة والعتاد(٥)، كما ذكر بامخرمة(٦) أن الفقيه أحمد بن عبدالله بلعس اليافعي (ت ٩١٠هـ) كان سفير اليمن إبان عهدي المجاهد والمنصور، فكثيراً ما أرسله المجاهد إلى ابن سعد الدين محملاً بالمعونات والهدايا من الخيل المسرجة وغيرها، ثم أرسله المنصور للمهمة ذاتها.

أما علاقة السلطان الظافر عامر (الثاني) بابن سعد الدين فقد أشار إليها ابن الديبع(٧) في في سياق حديثه عن خلاف الشيخ عبدالباقي بن محمد بن طاهر ومعارضته للسلطان الظافر

---

١) شهاب، أضواء على تاريخ اليمن البحري، ص٧٨. الفيفي، محمد بن يحيى ، الدولة الرسولية في اليمن – دراسة في أوضاعها السياسية والحضارية ٨٠٣-٨٢٧هـ/١٤٠١-١٤٢٤م ، الدار العربية للموسوعات، بيروت ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م ، ص١٧٩.

٢) أضواء على تاريخ اليمن ، ص٨١.

٣) تولى الأمير شمس الدين الإمارة سنة ٨٧٧هـ وذلك عقب وفاة أخيه إبراهيم الذي لم تدم ولايته سوى سنة وخمسة أشهر . بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ،ص٣٦٠٨ .

٤) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص١٥٠؛ بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٢٩.

٥) ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص١٥٤.

٦) قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٠٢.

٧) بغية المستفيد، ص٢٠٠-٢٠١.

عـامر (الثـاني)، فبعد أن أخفق عبدالباقي فـي إحـراز أي نصـر يـذكر خـرج فـي شـعبان سـنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م متوجهاً إلى بلاد بربرة، ولما وصـل العلـم إلـى مسـامع السـلطان عـامر(الثـاني) أرسل إلى ابن سعد الدين يأمره بالقبض على عبدالباقي وحجزه عنده، فتم القبض عليـه، وخـلال إقامته هناك سنحت له فرصة المشاركة في الجهـاد، وأبـان عن شجاعة ومهـارة فائقـة فـي فنـون القتال أذهلت ابن سعدالدين، فكافأه على ذلك، ومنحه حريـة الرجـوع إلـى اليمن، فعـاد عبدالباقي إلى يافع وأقام بها.

وبهذا الصدد استوقفنا قول ابن الديبع[١]: "وأمره بحفظه عنده ..."، وهو قول لم نجد لـه إلا تفسيراً واحداً وهو: على الأرجح أن سلطـة الظـافر عـامر (الثـاني) قد تجـاوزت حـدود اليمن حتى بلغت أجزاءً من أراضـي الحبشـة، كمـا يفهم من سياق صـيغة الأمـر هذه (ضـمنياً) وكـأن الأمير ابن سعد الدين يخضع ولو إدارياً لسلطة الدولـة الطاهريـة.

واستثنـاءً لحال الأمير ابن سعد الدين، فإن السواحليين قد عاشـوا عيشـة بـذخ وتـرف فـي مدن مزدهرة عظيمة الثـراء جعلت أحد البرتغـاليين الـذين زاروهـا سنة ٩٠٤هـ/١٤٩٩م يطلـق عليها اسم العربية السعيدة، حيث كانوا يقايضون الأقمشة، والحلي، والملح، والتمر، وغيرها من المنتجات التي كانت ترد من اليمن والهند بالسلع المحلية كالذهب، والعاج، والعنبر، والأخشـاب، والشمع، والعسل، وأرز كلوه الذي كان يعشر فـي عدن[٢]، فضـلاً عن تجـارة العبيد التـي لاقت رواجاً واسعاً في بلاد العرب.

ومن جهة أخرى، كان الأفارقة يفدون إلى عدن في مواسم تجارية مشهورة حيث يصـل الزيـالع إلـى عدن فـي مواسم عديدة تصـل إلـى خمسـة مواسم فـي العـام، وشـأنهم فـي ذلك شـأن المقادشة، وقد يعود سبب كثـرة مواسمهم فـي عـدن إلـى قـرب المسـافة بينـهم وبين عـدن، وكـان وصولهم إلى الثغر يوافق الكارمية، ويغادرون عدن في التاسع من تشرين الأول/أكتوبر، ويعود الزيالع مع رياح الشمال[٣]. أما البربر فيغادرون عدن في الثالث من أيلول/سبتمبر[٤].

وتبدأ مواسم وفود المقادشة إلى عدن فـي الرابـع مـن حزيـران/يونيو، وتسـتمر رحلاتهـم طوال العام حتـى كـانون الثـاني/ينـاير مـن السـنة التاليـة، وبـذلك يلتقـون بالمصـريين والهنـود فـي عـدن، ويغادرونـهـا مـع موسـم مغـادرة الهنـود عـدن[٥]، وذكـر سـارجنت مواعيـد أخـرى لقـدوم المقادشة ومغادرتهم عدن وهي على النحو الآتـي:

---

١) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص٢٠٠.
٢) شهاب، أضواء على تاريخ اليمن البحري ، ص٨٣.
٣) سارجنت، مينائي عدن والشحر، ص٤٩.
٤) المرجع نفسه والصفحة.
٥) الديوان المالي، ق ٧٩ أ.

- ٤ حزيران/يونيو: أول سفر للمقادشة من عدن
- ٦ حزيران/يونيو: مغادرة المقادشة عدن.
- ٤ آب/أغسطس: مغادرة المقادشة عدن.
- ٢٦ أيلول/سبتمبر: وصول المقادشة إلى عدن.
- ٣ تشرين الأول/أكتوبر: وصول المقادشة إلى عدن.
- ٢٣ تشرين الثاني/نوفمبر: وصول المقادشة إلى عدن.
- ١٧ كانون الأول/ديسمبر: سفر المقادشة إلى عدن.
- ٣١ كانون الأول/ديسمبر: وصول المقادشة إلى عدن.
- ١ كانون الثاني/يناير: وصول المقادشة إلى عدن[١].

٥. علاقات عدن التجارية مع شبه الجزيرة العربية :

لقد أدركت الدول اليمنية في العصر الإسلامي منذ البداية أهمية موقع اليمن التجاري، فعملوا على الاهتمام بهذه الناحية الاقتصادية المهمة، حيث اهتم ابن زياد مؤسس أول الدول اليمنية بنشر الأمن حول مدينة عدن، فاتجهت السفن التجارية إليها لقربها من موانئ المحيط الهندي بعد أن كانت تفضل الاتجاه إلى موانئ البحر الأحمر لتوفر الأمن هناك[٢]، وارتبطت عدن مع شبه جزيرة العرب عبر الطرق الآتية :

الطرق البرية : حيث مهد الحسين بن سلامة طرق القوافل وتأمينها، وحفر الآبار وأسس المحطات التجارية على طول الطرق التي كانت تبدأ من ميناء الشحر إلى عدن وهناك يتفرع الطريق إلى فرعين أحدهما جبلي ويخترق الهضبة اليمنية ماراً بتعز وإب وذمار وصنعاء وصعدة ومنها إلى مكة، والآخر طريق سهلي وينقسم أيضاً إلى فرعين، أولهما يسير بمحاذاة الساحل ويربط الموانئ اليمنية الممتدة على طول ساحل البحر الأحمر حتى جيزان شمالاً، وثانيهما داخل تهامة ويمر بالمناطق التهامية مثل موزع[٣]، وحيس[٤]، وزبيد، ومور[٥]، ومور[٥]، ثم يلتقي بالطريق الساحلي عند جيزان ومن هناك يواصل الطريق امتداده على الساحل حتى جدة، أو يتجه إلى الداخل حتى مكة[٦]، وعبر هذه الطرق ارتبطت عدن براً مع

---

١) مينائي عدن والشحر، ص٤٩.
٢) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج١، ص٩.
٣) موزع: مدينة قديمة لا زالت عامرة آهلة بالسكان، وتقع في وسط تهامة قريبة من الجبال. الهمداني، صفة، ص٩٥، ح(٤).
٤) حيس: مدينة مشهورة جنوب زبيد بمسافة ٣٥كم، وهي أقدم مدينة تهامية. المقحفي، معجم البلدان، ج١، ص٥٤٦.
٥) مور: هو ميزاب تهامة الأعظم، وشعابه وفروعه كثيرة. الهمداني، صفة ، ص١٣٤، ١٥١.
٦) عمارة، المفيد، ص٧١-٨٠، وتختلف أسماء محطات عبور القوافل عند الهمداني. أنظر: صفة، ص٣٠٤.

شبه جزيرة العرب تصدر إليها ما تحتاجه من المنتجات، وتستورد منها ما يلقى إقبالاً في الأسواق اليمنية.

الطرق البحرية: لم تقتصر علاقات عدن التجارية بشبه جزيرة العرب عبر طرق القوافل البرية القديمة، بل كان بينهما جسر تجاري بحري يرتبط بموانئ البحر الأحمر من جهة، وموانئ الخليج العربي من جهة أخرى، واعتمد هذا النشاط التجاري على مراكب تجار الكارم التي كانت تخوض مياه المحيط عبر خط الملاحة العالمي الممتد من موانئ ساحل الهند الغربي مروراً بمياه بحر العرب ثم خليج عدن فالطرف الشمالي من البحر الأحمر، مما أحدث نقلة نوعية ليس في حركة التجارة فحسب ، بل في تسهيل عملية التواصل الاجتماعي والثقافي والديني، لا سيما أن مراكب الكارم قد اشتغلت أيضاً بنقل الحجيج إلى ميناء جدة لقربه من الأراضي المقدسة (مكة والمدينة).

وكانت مدن اليمن وأسواقها تستورد تمور الحجاز والعراق وما يلقى رواجاً في أسواق اليمن، وكذا بعض أنواع الحلويات ذات الشهرة في الحجاز ، وفي الوقت ذاته كان الكثير من منتجات اليمن وخيراتها الزراعية تصدر إلى شبه جزيرة العرب، ومنها ما كان يجد طريقه من ميناء جدة إلى أسواق الحجاز وخاصة مكة وشرق الجزيرة[١].

وإذا كان التواصل الحضاري بين الشعوب يظل مرهوناً في العادة بمدى عمق العلاقات السياسية التي ينهجها الحكام فيما بينهم، إلا أن وضع أهل اليمن مع شبه جزيرة العرب وبالذات مع أهل مكة والحجاز يظل استثناءً، وحالة فريدة في التواصل الروحي والإنساني لا يتأثر بالخلافات السياسية حتى وإن وصلت إلى حد القطيعة.

ومما يذكر في هذا السياق، أن مكة والحجاز كانتا وبتفويض رسمي من الدولتين الفاطمية ، والأيوبية في مصر واقعتين تحت إشراف سلطات الصليحيين، ثم الأيوبيين، ثم بدأتا تستقلان تدريجياً عن سلطة الرسوليين لتنضويا تحت نفوذ سلطات مصر المملوكية مباشرة، وظلت مكة والحجاز على هذا الحال أثناء حكم الطاهريين، لكن هذا الوضع السياسي لم يمنع سلاطين بني طاهر من إقامة علاقات ودية مع أشراف مكة لا لشيء إنما لمكانتهم الروحية في وجدان اليمنيين بصفة عامة ، إذ يذكر أنه في ١٩ رمضان سنة ٨٦٨هـ/١٤٦٤م قدم الشريف إدريس بن قاسم بن حسن بن عجلان الحسيني ابن عم الشريف محمد بن بركات أمير مكة في جماعة من خواصه على السلطان المجاهد علي بن طاهر بزبيد، فأجزل صلته، وأكرم نزله، ثم توجه إلى السلطان الظافر عامر (الأول) ببلده المقرانة، فقابله بأحسن من ذلك[٢]، كما قدم الشريف أبو الغواير أحمد بن دريب بن خالد صاحب جازان على السلطان المنصور عبدالوهاب

---

١) قائد حميد، " تجار الكارم "، ص٥٧.

٢) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص١٣٤؛ بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦١٩-٣٦٢٠.

بن داود بمدينة زبيد وذلك في ذي القعدة سنة ٨٨٦هـ/١٤٨١م فأحتفل به المنصور، وهيأ له الضيافة العامة والخاصة، وخرج للقائه إلى ظاهر مدينة زبيد في جيوشه وجنده، وعمل له المراسيم المتبعة في استقبال السلاطين والملوك، أظهر المنصور فيها التواضع والبرّ لذرية رسول الله ﷺ ، والقيام بواجب حقهم[١]، كما تبادل كل من السلطان الظافر عامر (الثاني) ونظيره أحمد بن دريب صاحب جازان الهدايا الثمينة، أحدها كانت تحتوي على ستة رؤوس من الخيل الجيدة المكملة كان قد أرسلها أمير جيزان في جمادى الأولى سنة ٨٩٩هـ/١٤٩٤م[٢].

وقد أغفلت المصادر ذكر مواسم قدوم تجار شبه جزيرة العرب إلى عدن عدا الإشارة إلى قدوم الظفاريين والحضارم، والقيسيين[٣]، والهرمزيين[٤] فالحضارم والظفاريون كان قدومهم إلى عدن يوافق قدوم المقادشة أواخر العام، وكان لهم موسمان: الأول يصلون فيه إلى عدن قبل الثالث من شهر أيلول/سبتمبر، ويغادرونها في الشهر ذاته، ويعود الظفاريون في موسم آخر يبدأ في ٢٦ تشرين الأول/أكتوبر[٥]. أما موسم قدوم القيسيين والهرمزيين إلى عدن فإنه يحدث في فترة مبكرة توافق قدوم المراكب الهندية، ويغادرون عدن في ثلاثة مواسم، وذلك في ٢٤ أيار/مايو، وفي ٣ حزيران/يونيو، وآخر سفرهم من عدن في ١٣ أيلول/سبتمبر، ويوافقون في هذا الموسم قدوم أهل بربرة والقلهان الذين يغادرون عدن معهم[٦].

رابعاً- **تجارة بني طاهر** :

إن وفرة الانتاج الزراعي الذي كانت تجود به الأراضي الشاسعة في جهات رداع وجبن والمقرانة قد صنعت لبني طاهر بن معوضة اسماً تجارياً يرقى إلى مصاف البيوت التجارية المشهورة في اليمن، وتجاوز نشاطهم التجاري حدود أسواق اليمن إلى ما هو أبعد من ذلك، إذ توجهت أنظارهم صوب الأسواق الخارجية الأكثر ربحاً وتكسباً، وساعدهم في ذلك زيادة الطلب على محاصيل اليمن الزراعية لا سيما الفوة التي تدخل في الصناعات النسيجية والقطنية.

وقد كانت قوافلهم التجارية تدخل إلى عدن أيام مواسم التجارة المشهورة التي يأتي إليها التجار من مختلف البلدان، وعبر ميناء عدن كان الطاهريون يصدرون الفوة التي تعد أهم

---

١) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص١٦٨.
٢) المصدر نفسه ، ص٢٠٥.
٣) القيسيون: نسبة إلى جزيرة قيس الواقعة في بحر عُمان. وللمزيد من المعلومات انظر: ابن المجاور، المستبصر، ص٢٩٥ وما يليها.
٤) الهرمزيون: نسبة إلى المضيق المعروف بـ(هرمز)، ويقع في مدخل الخليج العربي. وللمزيد من المعلومات انظر: بامطرف، الشهداء السبعة، ص٤٨-٤٩.
٥) سارجنت، مينائي عدن والشحر، ص٤٩.
٦) المصدر نفسه والصفحة .

مصادر ثرائهم آنذاك، الأمر الذي لفت انتباه سلاطين بني رسول وتطلعوا إلى تحقيق الشراكة التجارية والسياسية معهم.

وفي مطلع القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي أصبح الطاهريون وكلاء بني رسول على تجارتهم في عدن وعمالهم على جهات رداع، ثم على لحج، وتمكن الطاهريون عبر الشراكة الرسولية الطاهرية من توسيع نشاطهم التجاري في ميناء عدن، واستغلوا سلطتهم السياسية في إخافة تجار المدينة وتضييق الخناق عليهم ، حيث جاء عن بامخرمة أن تجار عدن كانوا يخشون بني طاهر من قبل استيلائهم على المدينة، وحكى بأن أحد التجار ويدعى محمد بن أحمد باحنان الحضرمي كان يكره استيلاء مشايخ بني طاهر على عدن، وتمنى أن يميته الله قبل أخذهم إياها، وإذا سئل عن ذلك قال:" إذا دخلوا عدن أبطلوا علينا المتجر، وجعلوا عدن زريبة للفوة؛ لأنهم نشأوا على التكسب والتجارة، وعرفوا ما فيها من المصالح، فلا يتركوا ذلك، والسلطان إذا تعلق بالمتجر أبطل متجر التجار، وتعطل عليهم الكسب"(١)، وعقب عليه بامخرمة(٢) قائلاً: "فكان كما تفرس رحمه الله، وأعطاه ما تمنى، فمات سنة ست وخمسين وثمانمائة قبل أخذ بني طاهر عدن بسنتين".

ولما قامت الدولة الطاهرية على أنقاض الدولة الرسولية سنة ٨٥٨هـ/١٤٥٤م على يدي الشيخين المجاهد على بن طاهر وأخيه الظافر عامر، لم يثنهم العمل السياسي والحربي عن الاهتمام بالنشاط التجاري، وكانا حسب قول عماد الدين إدريس(٣): "لا يقطعان نزول عدن في كل موسم لسداد الثغر والقيام بما لا غنى لهما عليه من الأمر، فجمعا أموالاً عظيمة وذخائر جليلة، وكل ذلك يأتيانه إلى جبن والمقرانة، وهما يجمعان إليها خزانة بعد خزانة"، كما اهتما بالحركة التجارية، وتحديث نظم الفرضة ومنشآتها، حيث أبطل السلطان المجاهد علي المكس على أشياء كثيرة كالليمون، والموز، والعسل، والسمك، وتوسيع دار صلاح طولاً وعرضاً وألحقوا بها مخازن عديدة، وبنوا عدداً من المنشآت لخدمة المدينة.

ومنعاً للخلط بين عائدات تجارة الطاهريين الشخصية وبين عائدات الدولة الطاهرية من عدن، نود القول إنه قد تبين من إشارات المؤرخين المتفرقة ما يفيد أنه كان لكل منهما إدارة مالية وإشرافية خاصة ومستقلة ترعى شئونها ومصالحها ، فالدار المسماة بدار صلاح كان مهمتها إدارة شئون تجارة السلطان الشخصية، فهي تبيع وتشتري كوكيلة عنه، حيث كانت جميع السلع والبضائع تعرض على متجر السلطان أولاً، ويقوم السلطان شخصياً بانتقاء ما يريد من

---

١) قلادة النحر، ج٣، ص٣٥٧٩-٣٦٠٢.
٢) المصدر نفسه والجزء والصفحات.
٣) روضة الأخبار، ص٦٣.

المعروضات، ويشتريها الوالي نيابةً عنه بأبخس الأثمان، ثم يقوم التجار بشراء ما تبقى منها، وهذا النظام كان معمولاً به منذ عصر بني رسول، وكان لهذه الدار خازن وناظر يعينه السلطان[١]، وقد مرَّ بنا الحديث عن الأضرار التي لحقت بها إبان غزوات البرتغاليين والمماليك والخراب الذي طال مخازنها المشحونة بالفوة .

أما إيراد الدولة من ضرائب ومكوس ميناء عدن فيشرف على تقنينها وتحصيلها عدد من المشايخ ومن ضمنهم الناظر والمستوفي وغيرهم من الموظفين ذوي الكفاءات في فقه المعاملات الشرعية والمحاسبية، وتخضع لوالي المدينة، ويكون دخل الفرضة خالصاً للدولة.

ويفهم من هذه المعطيات أن السلطان الطاهري كان يحصل على إيرادين مختلفي المصدر، أحدهما من تجارته الخاصة، والآخر من الجبايات التي تفرضها الدولة على أشكال وأنواع التجارة، بيد أنه من الملاحظ أن عدن وحدها كانت ترفع للسلطان إيرادها الموسمي أو السنوي تحت مسمى خزانة عدن بلفظ العموم ودون تمييز أو تفصيل بين الإيرادين ومصدريهما، ولإزالة الالتباس يمكننا القول إن الإيرادين كان يتم دمجهما معاً في خزانة واحدة مضافاً إليها إيرادات الجزية والزكوات السنوية، وترسل إلى السلطان الطاهري دفعة واحدة.

وأياً كان الأمر، فالطاهريون كانوا يمتلكون أسطولاً تجارياً ضخماً يجوب موانئ البلدان المختلفة، وكان السلاطين ينزلون بأنفسهم إلى عدن في مواسم التجارة للإشراف على تجهيز مراكبهم حتى إقلاعها من الميناء[٢]، وهكذا درت التجارة البحرية على الطاهريين أموالاً ضخمة ساهمت في تعزيز وتدعيم أركان دولتهم ، ومكنتم من البقاء والاستمرار على خريطة اليمن السياسية لحين من الزمن، في حين تضرر تجار المدينة، وتعطلت مصالحهم جراء سياسة الاحتكار التي اتبعها الطاهريون في معاملاتهم التجارية، لكنهم مع هذا قبلوا على مضض التعايش مع هذا الوضع على الرغم من قسوته .

ويبدو أن شدة نهم الطاهريين في جمع الأموال كان له أثره الواضح في سياستهم الداخلية، وتخبطهم في صناعة القرار وازدواجيته في بعض الأحيان، إذ يذكر أن الظافر عامر بن طاهر قام بعزل الأمير جياش السنبلي عن الشحر بعد أن ولاه عليها، خوفاً من عصيان السنبلي، ومنع إرسال الخراج لهم[٣]، وبلغ جور الطاهريين منتهاه على يدي السلطان الظافر

---

١) ذكر بامخرمة أن الشريف يوسف بن عمر البزاز (ت ٩٠٣هـ/١٤٩٨م) كان يعمل في دار صلاح وكيلاً في البيع والشراء، وكان سخياً، ويقرض الناس من دار صلاح، ولما نزل الظافر عامر(الثاني) إلى عدن اكتشف العجز الذي لحق بالدار ونقص الإيراد، وبعض أسماء المستدينين، فتم سجن أحدهم وصودرت أمواله، ثم منع البزاز من مباشرة وظيفته. قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٩٣.

٢) انظر: ابن الديبع، بغية المستفيد، ص١٩٥؛ بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٧٧؛ تاريخ ثغر عدن، ج١، ص١٣.

٣) عماد الدين إدريس، روضة الأخبار، ص٦٦.

عامر (الثاني)، فبعد وفاة العفيف عبدالله بن سفيان بتهامة سنة ٩١٨هـ/١٥١٢م، طلب السلطان الظافر من بقية إخوته أن يبيعوه أملاكهم الموجودة في عدن ولحج وزبيد من الأراضي والبساتين والعقارات وغيرها، فوافق بعضهم، ربما خوفاً من بطش السلطان، وباعوا حصصهم بثمن بخس، فيما رفض أخوهم عبدالرحمن أن يبيع حصته بمثل ما باع إخوته، فحاول السلطان عامر(الثاني) الضغط عليه، إلا أنه أبى ولم يرضخ، وعندها مارس السلطان سطوته، واستولى على بعض أملاكه، ثم أخذه معه إلى صنعاء، وهناك مات عبدالرحمن بن سفيان في شهر شوال سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م[١] . والجدير بالذكر أن هؤلاء الإخوة هم أبناء الأمير علي بن سفيان أحد رموز الدولة الطاهرية، وأختهم هي زوج السلطان المنصور عبدالوهاب بن داود أبو الظافر عامر (الثاني)[٢]، غير أن الظافر لم يبال بنتائج تصرفاته لا سيما التي حدثت في العقد الأخير من حكمه لشدة حاجته للأموال لتغطية نفقات صراعاته مع مناوئيه المحليين، بعد أن نضبت مصادر دخل الدولة وجفت منابعها وأهمها ميناء عدن الذي تأثر بأحداث التنافس البرتغالي المملوكي على تجارة الشرق البحرية، ثم خسارتهم الفادحة لأسطولهم البحري الذي دمره البرتغاليون بعد خروجه من الهند سنة ٩١٥هـ/١٥٠٩م، ولم ينج منه غيرمركب واحد وطليعتين[٣]، وفقد مركب سلطاني آخر تم العثور عليه بعد عام على ساحل جزيرة سقطرى، وقد طاله النهب والخراب على أيدي القراصنة البرتغاليين[٤].

ومهما تعددت مصادر الثروات والكنوز التي جناها الطاهريون والتي ضاقت بها خزائنهم في جبن والمقرانة، إلا أنه من المنصف القول إن الطاهريين كان لهم أياد بيضاء أسهمت إلى حدٍ كبيرٍ في بناء المنشآت الدينية والمدنية، وفي إثراء الحركة العلمية، وأنفقوا جزءاً من أموالهم على الصدقات ومساعدة المحتاجين بين الحين والآخر[٥].

خامساً - **سقوط مركز عدن التجاري**:

بعد وفاة افونسو دلبوكيرك في ٩٢١هـ/ديسمبر ١٥١٥م ، اشتد الخطر البرتغالي وبدأ مرحلة جديدة من مراحل تطوره في البحار الشرقية، وقضت مخططاتهم بالعمل على توطيد علاقاتهم مع الحبشة حتى يتسنى لهم إحكام الهيمنة التامة على البحر الأحمر، وإعلان الحرب

---

١) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧١٠.
٢) تزوج السلطان المنصور عبدالوهاب من ابنة الأمير علي بن سفيان سنة ٨٨١هـ/١٤٧٦م. ابن الديبع، بغية المستفيد، ص١٤٣.
٣) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص١٦٢. والطليعتان مثنى طليعة: وهي من السفن السريعة كالطراد . شهاب، أضواء على تاريخ اليمن البحري، ص٢٧٣ .
٤) ابن الديبع، الفضل المزيد ، ص١٦٩.
٥) انظر: فيما سيأتي، ص٢٣٧ ومايليها.

المشتركة على القوى الإسلامية وإغلاق البحر الأحمر والخليج العربي في وجه السفن العربية(١).

وقد كان متوقعاً أن تتوجه أنظار القوات العثمانية صوب البحار الشرقية، غير أن السلطان سليم الأول أحجم عن الدخول في أتون تلك الحرب، أو لعله أجّل الأمر إلى حين فراغه من أحداث أوروبا، فكانت فرصة سانحة استغلها البرتغاليون للانقضاض على موانئ العرب، واستمرت قواتهم في مهاجمة سواحل بلاد العرب، وعلى الساحل الأفريقي للبحر الأحمر، كما نجحوا في إقامة العلاقات المباشرة مع الحبشة بعد أن وصل أول سفير لهم إلى هناك سنة ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م(٢).

ومن جهة أخرى، واصل البرتغاليون عملياتهم العسكرية على ساحل الهند الشرقي. وهاجموا كاليكوت بمائة وخمسين سفينة حربية و تمكنوا بمساعدة مالابار من تدميرها، ثم سرعان ما جاء الرد على يدي السامري(٣) وألحق بهم الهزيمة، وخرَّ قائدهم الدك صريعاً ونحو مائة من أنصاره وذلك في سنة ٩١٥هـ/١٥٠٩م، وفي السنة التالية تمكن البرتغاليون من الاستيلاء على جوة بالهند(٤).

أما الأحداث الجارية في خليج عدن، فعلى الرغم من إخفاق البرتغاليين في السيطرة على عدن إلا أن ذلك لم يثنهم عن تنفيذ مخططاتهم التوسعية في البحر الأحمر، وسيروا حملة كبيرة بقيادة نائب ملك البرتغال في الهند ويدعى (لوبرسكويرا)، ووصلت إلى هذا البحر أوائل سنة ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م ، لكنها هذه المرة لم تهاجم مدينة عدن كما هو متوقع، بل كانت وجهتها جدة ، لكن الرياح المعاكسة حالت دون وصولهم إليها(٥)، وتحركوا من فورهم صوب الساحل الإفريقي لتعزيز علاقات التعاون مع الحبشة(٦).

وهكذا بدأت العلاقات المباشرة بين البرتغال والحبشة على الرغم من الاختلاف المذهبي بين الحبشة الأرثوذكسية والبرتغال الكاثوليكية، وقد أدى هذا الحلف إلى زيادة الخطر البرتغالي

---

١) في سنة ٩١٢هـ/١٥٠٦م سيطر البرتغاليون على جزيرة سقطرى وقتلوا فيها نحو خمسين من أهلها، وبنو فيها حصناً، ثم استولوا على هرمز وهاجموا الشحر وفتكوا بسبعمائة شخص سنة ٩١٣هـ/١٥٠٧م ، وفي سنة ٩١٥هـ/١٥٠٩م عادوا لمحاصرة هرمز وأجبروهم على توقيع معاهدة قضت بدفع الهرمزيين مبلغ عشرة آلاف أشرفي أتاوة سنوية للبرتغال. انظر: شنبل، تاريخ حضرموت، ص٢٢٦-٢٢٧، ٢٤٠؛ باسنجلة، العقد الثمين، ص٣٢؛ بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٣٨.

٢) سيد مصطفى، الفتح العثماني، ص١١٨.

٣) السامري:لفظة كان يعرف بها من يتولى أمور الحكم، ويتقلد المُلك والدولة في بلاد المليبار. المليباري، تحفة المجاهدين، ص١٩٨ح(١) .

٤) شنبل، تاريخ حضرموت، ص٢٤١-٢٤٢، ٢٤٦؛ باسنجلة، العقد الثمين، ص٣٣.

5) Serjeant, op. cit, p. 171.

٦) سيد مصطفى، الفتح العثماني، ص١٢٢.

في البحر الأحمر، وتطويق البلدان العربية من الجهة الجنوبية، وتهديد الأراضي المقدسة تهديداً مباشراً وفعالاً[١].

وبعد سلسلة من الحملات البرتغالية على الموانئ العربية نجح (دي سلفيرا) في إجبار عدن على عقد معاهدة قسرية معهم، ونص أحد بنودها على أن تدفع عدن مبلغاً محدداً من المال للبرتغال. وعلى الرغم من أن هذه المعاهدة قد جسدت مفهوم انتهاك السيادة إلا أنها جنبت عدن نيران المدفعية البرتغالية، وساعدت على تحسين الوضع الاقتصادي في المدينة نوعاً ما، حيث يذكر أن الأسعار قد انخفضت نسبياً في نهاية سنة ٩٢٤هـ/١٥١٨م وبلغ الزبدي ٢٠ ديناراً، في حين بلغ الزبدي الذرة مطلع ذلك العام نحو ٢٧ ديناراً، والبر ٤٠ ديناراً، والأرز أكثر من ذلك، وفي العام التالي وصلت مراكب الهند مشحونة بالطعام، فرخصت الأسعار أقل من ذي قبل وبلغ الزبدي ٦ دنانير[٢]، وهكذا وعلى غير المتوقع استفادت عدن من إبرام هذه المعاهدة في إنقاذ الوضع الاقتصادي المتردي نتيجة الحصار المفروض عليها منذ سنين، وأكتفت بما تحقق لها دون أن تتطلع إلى استعادة مركزها التجاري الذي صار وهماً صعب المنال.

ومن غريب الأمر أن نائب ملك البرتغال في الهند (فاسكو دي جاما) قد رفض التصديق عليها ، واعتبر أن (دي سلفيرا) قد ضيع جهده سدى، مشدداً في الوقت ذاته على ضرورة السيطرة على المراكز التجارية المهمة سيطرة كاملة[٣]، ولعل مفهوم السيطرة الكاملة عند (دي جاما) يقصد بها إحكام السيطرة الفعلية على ميناء عدن وتجميد نشاطه الملاحي نهائياً، ونزولاً عند ذلك قام البرتغاليون بضرب عدن سنة ٩٣١هـ/١٥٢٥م أثناء عبورهم نحو الحبشة.

وفي سنة ٩٣٦هـ/١٥٣٠م نجح (دي سلفيرا) في فرض معاهدة جديدة على عدن، اعترفت بموجبها بسيادة البرتغال عليها، وبدفع أتاوة مالية لهم، وتضمن أحد بنودها السماح للعدنيين بحرية الملاحة شريطة عدم وصولهم إلى جدة[٤].

بيد أن حرية الملاحة التي سمح بها البرتغاليون ليست مجدية لتجارة عدن البحرية ما لم تكن حرية مطلقة ودون قيد أو شرط؛ لأن ذلك الشرط سيحرم عدن من استعادة دورها الحيوي كوسيط تجاري مع الموانئ العربية في البحر الأحمر لا سيما ميناء جدة الذي لم يقتصر التعامل معه على النشاط التجاري فحسب، بل لأهميته في حركة النقل البحري لأفواج الحجيج، لذلك فإن عدم التعامل مع جدة يعني في حقيقته حرمان ميناء عدن مما تبقى له من نشاط منذ أن تحولت

١) سيد مصطفى، الفتح العثماني، ص١٢٤.
٢) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٦١-٣٧٦٢.
3) Kammerer, Albert: La Mer Rouge L'Abyssinie et L'Arabie Dépuis L'antiquité, Tome II, p. 283؛ سيد مصطفى، الفتح العثماني، ص١٢٧
4) Kammerer, op. cit , p. 288.

خطوط الملاحة التجارية باتجاه رأس الرجاء الصالح. أما إذا كان المقصود من وراء تلك المعاهدة إعادة توجيه نشاط الميناء نحو الشرق، فإن الملاحة التجارية في مياه بحر العرب والمحيط الهندي غدت غير آمنة ومحفوفة بالمخاطر بعد أن اشتدت وطأة أعمال القرصنة البرتغالية على السفن التجارية.

وبهذه المعاهدة أصيبت الحركة التجارية في ميناء عدن بالشلل التام، وزاد من وهن ميناء عدن عجزها عن التواصل البحري حتى مع الموانئ القريبة منها مثل ميناء مصوع، وميناء الشحر، فالأول كان التعامل معه أشبه بالمجازفة في ظل غياب الضمانات اللازمة التي تكفل حقوق التجار، والآخر غشيه ما غشيه من غزوات البرتغاليين المتكررة والتي أدت بمجملها إلى السيطرة على المدينة[١].

وعلى أية حال، فقد أثارت تبعات المعاهدة سخط أهل عدن على الحامية التي تركها البرتغاليون في المدينة، وعلى السلطان عامر (الرابع) بن داود الذي لم يفلح في إقناعهم بمبرراته، فاضطر إلى القبض على الحامية البرتغالية، ومكاتبة السلطان العثماني بدخول عدن في طاعته.

وهكذا ظلت عدن تبذل محاولات يائسة من أجل المحافظة على استقلالها، بعد أن فقدت مقوماتها الاقتصادية إثر الحصار البرتغالي ، ثم فقدانها مساندة المناطق الأخرى ، وفي هذه الأثناء قاومت عدن حيناً وخضعت حيناً ثانياً، ثم تقربت حيناً ثالثاً إلى العثمانيين حتى سقطت بايديهم سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م.

صفوة القول، إن تحول التجارة الشرقية في القرن التاسع الهجري/ السادس عشر الميلادي قد أدى إلى ضعف إيرادات الطاهريين إن لم نقل إنه أدى إلى انهيار إحدى دعائم البناء الاقتصادي في اليمن، ورغم ذلك لم يتكيف الطاهريون ومن والاهم من طبقة كبار الملاك والتجار مع الأوضاع الجديدة التي ترتبت على الحصار البحري البرتغالي، فمن الناحية الخارجية، رفض الطاهريون التعاون مع المماليك في صد الغزو البرتغالي؛ لأن هاتين القوتين كانتا من وجهة نظر الطاهريين أشبه ببعض من حيث الأهداف الاستعمارية، ونزعات الهيمنة بقطع النظر عن اختلافهما في اللون والدين، ومن الناحية الداخلية لم يتنازل الطاهريون وأتباعهم عن ثرواتهم الضخمة لمواجهة الانهيار الاقتصادي، وقد مرَّ بنا كيف آلت كنوزهم وثرواتهم غنائم وأسلاباً في أيدي المماليك والزيدية.

---

١) تعرضت الشحر لعدد من الغزوات، كما تعرضت مراكبها للنهب والتدمير والتعقب، ذكرها بامطرف بالتفصيل. انظر: الشهداء، ص٨٤-٨٨.

الفصل الرابع

الحياة الاجتماعية في عدن في عهد الطاهريين

الحياة الاجتماعية في عدن في عهد الطاهريين

أولاً- سكان مدينة عدن:

أدى النمو التدريجي للنشاط التجاري بعدن في العصر الإسلامي إلى تزايد سكانها العرب القادمين إليها من أطراف اليمن وشبه جزيرة العرب، كما قصدها الناس للعمل والتجارة من أهالي مصر والشام والعراق والمغرب وغيرهم، ففي عصر الدولة الزيادية تردد الناس على عدن من الجبال والتهائم، وقصدتها المراكب لأمنها واستقرارها[١].

ولما كانت أبين ولحج من أعمال عدن فقد غلب على أهلها دخول عدن والإقامة فيها فشكلتا عاملاً من عوامل النمو السكاني الذي استوعبته المدينة في ذلك العصر.

وفي عهد الزريعيين الهمدانيين الذين تملكوا عدن من سنة ٥٣٢هـ/١١٣٨م إلى سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م ، ورد أنه بعد انتصار قبيلة همدان[٢] على ملك قيس الذي حاول غزو عدن سنة ٥٣٠هـ / ١١٣٦م أنهم نزلوا من الحصون وسكنوا الوادي، وبنوا الدور الجميلة بالحجر والجص[٣]، ويفهم من ذلك أن الهمدانيين كانوا جزءاً لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي الذي احتضنته عدن آنذاك إن لم يشكلوا الأغلبية، كما شهدت المدينة ازدياداً في عدد السكان وفقاً لازدياد الحركة التجارية، فبنيت الدور والأملاك والأسواق، واستوطنت قبائل أخرى إلى جانب همدان من مذحج وخولان وعنس وجنب[٤].

وكان لقيام دولة بني مهدي بزبيد وما رافقها من القتل والسلب دور في نزوح الكثير من أهالي تهامة إلى عدن[٥]، ومع مرور الزمن عززت بعض الكيانات الاجتماعية تواجدها في المدينة، فما أن انقضى عصر الدولة الرسولية حتى تعمقت جذور أهل تعز وإب والمهرة والحضارم وأهل يافع وغيرهم وتشعبت في المدينة ناهيك عن الدماء الآسيوية والإفريقية التي حاولت الاحتفاظ بهويتها وسط المزيج الاجتماعي الفريد الذي احتضنته عدن.

---

١) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج١، ص٩.
٢) همدان: وهم من كحلان، وينسبون إلى همدان بن زيد بن مالك بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن زيد، ومن همدان خرجت القبيلتان المشهورتان حاشد وبكيل أبناء جشم بن خيران بن نوف بن همدان. الهمداني، الإكليل، ج١، تح: محب الدين الخطيب، مط السلفية، القاهرة، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م، ص١٠ وما يليها؛ كحالة، عمر رضا، معجم قبائل العرب قديمة وحديثة، ج٣، ط٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص١٢٢٥؛ الجرافي ، المقتطف ، ص٣٠.
٣) ابن المجاور، المستبصر، ص١٢٦.
٤) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص٨٨.
٥) الجندي، السلوك، ج١، ص٣٧٢.

وفي عصر الدولة الطاهرية لم يتغير الشكل العام لذلك النسيج الاجتماعي الذي كون سكان مدينة عدن ، وظل محافظاً على تركيبته الاجتماعية التي عهدتها المدينة على امتداد تاريخها الإسلامي.

ثانياً- القوى الاجتماعية التي أثرت على عدن :

١. أهل يافـــــــع:

شهد عصر الدولة الرسولية نزوح أقوام كثيرة من أهل يافع إلى عدن، والتحق بعضهم في صفوف الجندية، وآخرون اشتغلوا بالتجارة وطلب العلم[١]، ونظراً لشدة بأسهم ومراسهم عهد إليهم الرسوليون بحماية عدن، فأحكموا المدينة وتوطنوها شيئاً فشيئاً حتى صاروا رقماً صعباً لا يمكن تجاوزه أو تجاهله ، وبرز أثر ذلك واضحاً في الأزمات السياسية التي شهدتها عدن منذ أواخر عصر الدولة الرسولية حتى نهاية الدولة الطاهرية سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م.

وقد كان الفخدان اليافعيان من آل كلد وآل أحمد في حالة حرب وعداء على الرغم من وحدة الدم والعصب، ويعود سبب ذلك إلى تضارب مصالحهما في الحرب، فانعكس ذلك سلباً على أهل عدن بصفة عامة، إذا امتدت تبعات تلك الصراعات لنهب بيوت التجار والأغراب، ولم ينج منهم إلا من لجأ إلى أعيان يافع ونقبائهم، وأحياناً يأخذ التاجر جماعة منهم بالجامكية[٢] ليعملوا عنده كالحرس الخاص، فيبيتون فوق سطح بيته ومعهم الحجارة يرمون بها من قصد البيت من اللصوص ونحوهم[٣] ، وقد قال بامخرمة عن حال أهل يافع: " وقتل شخص منهم في الحرب فدفنوه قائماً تفاؤلاً منهم بقيام الشر والفتنة، نعوذ بالله من الجهل"[٤]، وهكذا ظل أهل يافع والحرب بينهم سجال حتى قيام الدولة الطاهرية التي استفادت من هذا الوضع المتوتر واستغلته أيما استغلال.

---

١) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص١٠٩-١١٠.
٢) الجامكية: من مصطلحات الدواوين، ومعناها المرتب أو العطاء الذي يناله موظف الدولة. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص٥١.
٣) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٥٨٨-٣٥٨٩.
٤) المصدر نفسه والجزء، ص٣٥٨٩.

وقد رأينا مدى ثقل أهل يافع الاجتماعي والحربي عندما قلبوا موازين القوى في صالح بني طاهر بن معوضة ومكنوهم من السيطرة على عدن في زمن قياسي لا يتجاوز بضع ساعات، ولولا خلاف يافع لما وطأت أقدامهم المدينة وإعلان دولتهم منها على أنقاض الدولة الرسولية.

وبعد أن أفلح آل أحمد في كسب الرهان على حصان الطاهريين تم نفي آل كلد من المدينة لينضموا إلى قوافل المعارضة السياسية لحكم الطاهريين واشتركوا في الكثير من المؤامرات والمواجهات العسكرية التي استنزفت طاقات الدولة عبر تاريخها الطويل، كما اتضح لاحقاً أن قرار النفي الذي طال آل كلد وحدهم لم يحد من حالة الفوضى والاضطراب في موقف آل أحمد من السلطة الطاهرية على الرغم من تحالفهما التاريخي، ولعل أبرز مظاهر تلك الفوضى ما ذكر عن قيام غوغائيين من أهل يافع برمي السلطان المجاهد بالحجارة عقب فراغه من صلاة العيد بحقات سنة ٨٧٥هـ، ولكن المجاهد تعامل معهم بشدة وحزم، ونالوا جزاءهم بين القيد والنفي[١]. أما موقفهم من السلطان الطاهري فقد عبروا عنه في أول سنة لتولي الظافر عامر (الثاني) سدة الحكم، حيث أمر من فوره بمعاقبة نحو ٥٠٠ من أهل يافع بالنفي من عدن لانضمامهم إلى صفوف المعارضة التي يقودها أخواله[٢]، ثم قصدهم سنة ٩٠٣هـ/١٤٩٨م إلى معاقلهم في منطقة يافع، وأوقع بهم الهزيمة حتى تابوا واعتذروا له[٣]، وبعد نحو عشرين سنة سنحت لهم الفرصة للانتقام منه ، فعندما دخل المماليك المقرانة واستباحوها سنة ٩٢٤هـ/١٥١٨م عاد إليها الظافر في غفلة من المماليك ، ثم سرعان ما فرَّ منها خوفاً منهم ، ووصل إلى قرب بلد يافع وطلب منهم بعض حصونهم لتأمين نفسه ، غير أنهم لم يساعدوه ، وقاسى من الذل والجوع والهوان مالم يقاسه إنسان[٤] .

لقد حاول أهل يافع النيل من السلطان الطاهري من داخل عدن ومن خارجها بيد أن الحظ لم يحالفهم، وظلوا يتلقون الضربات الموجعة من الطاهريين ضربة تلو الضربة، حتى حالفهم النجاح في الانقلاب الذي خطط له الشيخ عبدالملك بن محمد للإطاحة بمرجان الظافري أمير عدن سنة ٩٢٧هـ/١٥٢١م[٥].

---

١) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٧٢٦-٣٧٢٧.
٢) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص١٨٦-١٨٧؛ بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٧١.
٣) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص٤٢-٤٣.
٤) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٥٤-٣٧٥٥
٥) المصدر نفسه والجزء ، ص٣٧٦٨-٣٧٦٩.

٢. أهل حضرموت:

وفد الحضارم إلى عدن منذ زمن بعيد ، بيد أن بصماتهم على مدينة عدن بانت أكثر وضوحاً في العصر الإسلامي في المجال التجاري والعلمي والديني، وحفظت لنا مصادر التاريخ أسماء عدد من الأسر المشهورة في ذلك العصر، ولعل أبرزهم آل أبي ذئب وهي من الأسر الحضرمية العريقة وقد أشار إليها الأفضل بأن لهم بقية في مدينة عدن يشتغلون بالتجارة(١)، وآل باراشد الذين اشتهروا بالتجارة إبان حكم الدولة الأيوبية(٢)، وكذا آل أبي حُجر الذين كانوا من الميسورين وذوي الأملاك المشهورين في عدن(٣)، وأيضاً آل كبن(٤)، وآل باشكيل(٥)، وآل عفيف(٦)، وآل باحميش الذين سكنوا حارة البصال(٧)، ثم آل أبي سهل المعروفين المعروفين بآل قشير(٨)، وذكر أنهم سكنوا عدن في أواخر عصر الدولة الرسولية، فضلاً عن آل آل باحنان(٩)، وآل بافضل(١٠) وغيرهم من الحضارم.

وفي عصر الدولة الطاهرية وفدت إلى عدن أسر حضرمية أخرى منهم آل بامخرمة السيبانيين وهم من قرية الهجرين(١١)، وآل بافضل ، كما وفد العلويون(١٢)، وغيرهم من الأسر الحضرمية التي يتعذر علينا ذكرها لضيق المقام.

وقد لوحظ في هذه الحقبة الزمنية ظهور آثار الهوية الحضرمية في ملامح وسمات المجتمع العدني بشكل لافت للنظر، ولا أبالغ إذا قلت : إن الشخصية الحضرمية قد فرضت نفسها على أهل عدن وربما غلبت عليه، وهذا يحملنا على القول تارة أخرى: بأن الحضارم كانوا ظاهرة المجتمع العدني في ذلك الوقت وقد يعود السبب في ذلك إلى زيادة نسلهم في المدينة، ثم مشاركتهم الفعالة في العديد من النشاطات الاجتماعية والتجارية والدينية والعلمية،

---

١) السلطان الأفضل عباس بن علي بن داود الرسولي ، العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية، تح: عبدالواحد عبدالله الخامري، وزارة الثقافة والسياحة،صنعاء ،١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م ، ص٥١٦.
٢) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص١٠٨.
٣) الجندي، السلوك، ج٢، ص٤٢٢-٤٢٣؛ الأهدل، تحفة الزمن، ج٢، ص٣٨٠؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص١٥٨-١٥٩.
٤) البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٣٣١-٣٣٢.
٥) الجندي، السلوك، ج٢، ص٤٣٩؛ البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٣٣٦؛ بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٠٣-٣٦٠٤.
٦) البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٣٣١، ٣٣٤.
٧) المصدر نفسه، ص٣٣٧؛ بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٥٩٤-٣٥٩٥؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص٣٢٨؛ رابضة وباوزير، مدرسة الفاروق النموذجية، ص٣٧.
٨) البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٣٣٠، ح(٧).
٩) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧١٠.
١٠) البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٣٣٦.
١١) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٨٩، ٣٦٩٥، ٣٧٠٣-٣٧٠٤؛ الشلي، السناء الباهر، ص٤٧٠-٤٧٢؛ شنبل، تاريخ حضرموت، ص٢١٥.
١٢) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٠٥-٣٧٠٦.

والأهم من ذلك كله الثقة التي أولاها لهم السلطان الطاهري لاعتلاء رأس الوظائف في أجهزة الدولة المهمة.

وعلى أية حال، فإن الحديث عن أهل حضرموت في عدن إبان عصر الدولة الطاهرية يظل منقوصاً ما لم يشمل الحديث ولو بإيجاز عن آل العيدروس العلويين بصفتهم أهم النماذج الحضرمية التي كان لها بصماتها المشهورة ليس في تاريخ عدن وحدها بل في تاريخ الدولة الطاهرية بصفة عامة، فمن هم إذاً آل العيدروس باعلوي؟

شهدت البصرة في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي الكثير من الاضطرابات والقلاقل والفتن، وتعرضت لتهديد غارات القرامطة أصحاب أبي طاهر الجنابي[١]، وضرب الفساد أطنابه في العراق بشكل عام، وفي غمرة تلك الظروف قرر أحمد بن عيسى بن محمد جد العلويين في حضرموت الهجرة من البصرة إلى حضرموت، فارتحل عنها سنة ٣١٨هـ/٩٣٠م يرافقه ابنه عبيدالله وحفيده بصري وعائلته وأتباعه، فلقب بالمهاجر وعاش في حضرموت حتى وفاته سنة ٣٤٥هـ/٩٥٧م وترك خلفه ابنه عبيد الله بن أحمد الذي نشأ في البصرة[٢] ويقول الشاطري[٣]: "لم يذكر التاريخ اسم صوفي بها قبله، وتلقى علم التصوف من شيوخه أبي طالب المكي، وقرأ عليه كتابه قوت القلوب ، وهو الكتاب الشهير في فن التصوف"، في حين كان المجتمع الحضرمي قبل قدوم المهاجر يسوده المذهب الأباضي إلى جانب السني الشافعي.

وكان من نسله الفقيه المقدم محمد بن علي بن محمد صاحب مرباط العلوي الذي أظهر نبوغاً في شتى العلوم، وكان له اليد الطولى في نشر علم التصوف في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي[٤].

وعلى أية حال، فإن أحمد بن عيسى جد الأشراف آل باعلوي لما قدم إلى حضرموت ابتنى جشير[٥]، ثم انتقل منها إلى الحُسيسة قريب منها، واشترى بها عقارات كثيرة، وبها توفي ودفن في شعبها الشرقي، ثم انتقل ابنه الشيخ عبيدالله إلى سُمل[٦]، وتوفى بها، ثم انتقل أولاده

---

١) هو: الحسن بن بهرام رأس القرامطة ، ظهر في سنة٢٨٦هـ/٨٩٩م بنواحي البصرة ،والتفت حوله الأعراب وغيرهم من الناس ، فقويت شوكته ، وتغلب على الكثير من البلاد ،وأكثرفي الأرض الفساد في عهد الخليفة المعتضد ، وكانت وفاته سنة ٣٠١هـ/٩١٤م . ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل ، البداية والنهاية في التاريخ، مج٦، ج١١،ط١ ، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م ،ص٨١ ،١١٩.

٢) ابن عقيل، عبدالرحمن جعفر، عمر بامخرمة السيباني ٨٨٤-٩٥٢هـ - حياته وتصوفه وشعره، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٣٤.

٣) المرجع نفسه ، ص٣٥.

٤) المرجع نفسه، ص٣٦.

٥) جشير: تعرف ببيت جشيب على نصف مرحلة من تريم. العيدروس، النور السافر، ص٧٤.

٦) سُمل: تبعد عن تريم بنحو ستة أميال (٩,٦كم). العيدروس، النور السافر، ص٧٤.

منها إلى بيت جُبَيْر، فسكنوها مدة، ثم انتقلوا إلى تريم وتوطنوها منذ سنة ٥٦١هـ/١٠٩٠م حتى الوقت الحاضر[١].

ومن نسل الأشراف آل باعلوي الشيخ الولي الصالح أبوبكر بن عبدالله العيدروس[٢] العدني المولود في تريم سنة ٨٥١هـ/١٤٤٧م[٣]، وقيل في أواخر سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٦م[٤]، وعاش منذ ولادته في حضرموت متدرجاً في السلوك والعلم والقيام بمظاهر والده الشيخ عبدالله العيدروس (ت ٨٦٥هـ/١٤٦١م) الذي كان زعيم العلويين وإمامهم في عصره.

وبعد وفاة الشيخ عبدالله لم يستقر ابنه الشيخ أبوبكر في تريم، فقد كان كثير السفر والتنقل بين مناطق حضرموت، وحج مرتين، الأولى سنة ٨٨٠هـ/١٤٧٥م ويبدو أنه تعرف خلالها على محمد بن عتيق حاكم زيلع، والثانية سنة ٨٨٨هـ/١٤٨٣م، وفيها دخل زيلع وحل ضيفاً على حاكمها الذي كان له تعلق كبير بالشيخ، وبعد أيام خرج من زيلع إلى الحديدة ومنها إلى تعز في أوائل سنة ٨٨٩هـ/١٤٨٤م، ووافق دخوله إليها وفاة الشريف سراج الدين عمر بن عبدالرحمن صاحب الحمراء، فانكب الناس على الشيخ العيدروس لتعزيته، كما أرسل إليه علماء عدن وأعيانها بعزمهم الوصول إلى تعز لتعزيته، غير أنه أرسل إليهم بقدومه إلى عدن، فعزم على ذلك ووصل إلى الحوطة[٥]، ثم أرسل من يخبر أهل عدن بقدومه، فخرج أهل عدن لاستقباله، ودخل المدينة في موكب مهيب في ١٣ ربيع الآخر سنة ٨٨٩هـ/١٤٨٤م[٦]، وتقبل التعازي من الناس الذين ما لبثوا أن تعلقوا به وطلبوا منه الإقامة بها، فكان كذلك[٧].

---

١) العيدروس، النور السافر، ص٧٤-٧٥.

٢) هو السيد الشريف أبوبكر العدني بن عبدالله العيدروس بن أبي بكر السكران بن عبدالرحمن السقاف بن محمد مولى الدويلة بن علي العفيف بن علوي بن المقدم محمد بن علي بن محمد صاحب مرباط بن علي خالع قسم بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيدالله بن الإمام المهاجر بن الإمام عيسى بن الإمام محمد بن الإمام العريضي بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين السبط بن الإمام الغالب علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ. المشهور، أبوبكر بن علي، جلاء الهم والحزن بذكر ترجمة صاحب عدن الإمام أبي بكر العدني بن عبدالله العيدروس (٨٥١-٩١٤هـ)، سلسلة أعلام حضرموت (١٣)، ط١، فرع الدراسات وخدمة التراث، أربطة التربية الإسلامية، عدن، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص١٧؛ ولقب العيدروس يعني رئيس أو زعيم الصوفية. بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٥٩٨، ٣٧٠٥.

٣) العيدروس، النور السافر، ص٧٧.

٤) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٠٥-٣٧٠٦.

٥) الحوطة: مدينة كبيرة تقع بين فرعي وادي تبن، وهي تنسب إلى الولي مزاحم الجفار، ولذلك قد يقال لها حوطة الجفارية، وهي (حالياً) عاصمة لحج. المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ج١، ص٥٣٤.

٦) خلّد أهل عدن هذه الذكرى كل عام بإقامة ما يسمى بالزيارة السنوية للعيدروس، وهي مناسبة دخوله إليها، ولهذه الزيارة اهتمام ومظهر كبير في عدن منذ القدم، وصارت إحدى المناسبات الشعبية التي تحظى باهتمام الدولة وأهل المدينة، إلا أن هذه المناسبة كانت سبباً من أسباب الهجمة على المقام والمقابر في ربيع أول ١٤١٥هـ/ سبتمبر ١٩٩٤م، غير أن ذلك لم يثن المناصب آل العيدروس عن إعادة إحياء هذه المناسبة حتى الآن.

٧) العيدروس، النور السافر، ص٧٩؛ شنبل، تاريخ حضرموت، ص١٩٦؛ المشهور، جلاء الهم، ص٢٦-٢٩.

سكن الشيخ أبوبكر العيدروس بمنطقة صيرة قريباً من البحر حتى تم تشييد مسجده سنة ٨٩٠هـ/١٤٨٥م فانتقل إلى جواره واستقر، وتمكن من جذب قلوب الناس، فقد كان غاية في الرأفة والرحمة بالمسلمين جامعاً للأخلاق المحمودة، كما كان كثير الإنفاق والجود(١)، ومما يذكر في هذا الصدد أنه كان يذبح في سماطه كل يوم في رمضان ثلاثين كبشاً، ولذلك بلغت ديونه مائتي ألف دينار، فقضاها عنه الأمير الموفق ناصر الدين عبدالله باحلوان (ت٩١٥هـ/١٥٠٩م) في حياته وقبيل مماته بمدة يسيرة(٢) ، وذكر بامخرمة(٣) أن دين الشيخ أبي أبي بكر كان ينيف عن خمسة عشر ألف أشرفي، وربما أنه كتب إلى السلطان الظافر ليقضيها عنه فقد كان لا يرد له شفاعة ويعتقد فيه اعتقاداً عظيماً، غير أن السلطان لم يفعل، فبلغ ذلك مسامع صهره باحلوان، وسرعان ما أرسل له بالمال الجزيل، وقد لامه بعض خاصته على كثرة إنفاقه فكان يقول لهم:"إن الله وعدني أن لا أخرج من الدنيا إلا وقد أدى عني ديني"(٤)، وحول جود الشيخ أبي بكر وسخائه قال بحرق(٥): "جرى ذكر الإمام العدني بحضرة السلطان العادل عبدالله الكثيري، وكان بعض الحاضرين عرّض بالطعن في الإمام العدني، فزجره السلطان، وقال: أشهد أنه سيد أهل عصره؛ لأن سادة الناس في الدنيا الأسخياء، ولا أعلم على وجه الأرض أكرم منه".

وهكذا عاش الشيخ أبوبكر بن عبدالله العيدروس يصل الأرحام، ويكفل الأيتام، ويحب المساكين، كثير الإنفاق، يحب الصدقة سراً وجهراً، يكرم الوافد، ويغني القاصد حتى وفاته في ١٤ شوال سنة ٩١٤هـ/١٥٠٨م(٦)، وقام مقامه ابنه الشيخ أحمد (المساوى) أتم القيام وواظب على ما كان عليه أبوه من إطعام الطعام، والإحسان للفقراء والأيتام، وكان مجرياً النفقة التامة الوافرة، والكسوة الفاخرة، وكان قائماً بكفاية الفقراء نفقة وكساء صيفاً وشتاءً حتى أن ثمن الكسوة التي اشتراها في آخر ختمته لرمضان صلاها بلغ خمسة آلاف دينار فأكثر(٧)، كما حكي عن الشيخ أحمد: "إن خبز مطبخه إذا ركموه يبلغ إلى سطح الدار ... قال الراوي فعجبت فقلت:

---

١) المشهور، جلاء الهم، ص٣٤.
٢) العيدروس، النور السافر، ص٧٧؛ وذكر شنبل أن باحلوان أرسل للشيخ أبوبكر مبلغاً وقدره مائة وعشرون ألف أشرفي لقضاء دينه. تاريخ حضرموت، ص٢٣٥.
٣) قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٠٦.
٤) العيدروس، النور السافر، ص٧٧.
٥) المشهور ، جلاء الهم ، ص٣٣ عن مواهب القدوس، ص١٣.
٦) العيدروس، النور السافر، ص٧٧؛ شنبل، تاريخ حضرموت، ص٢٣٥؛ وقيل أنه توفي في ذي القعدة ٩١٤هـ/١٥٠٨م. بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٠٦؛ باسنجلة، العقد الثمين، ص٣٢.
٧) العيدروس، النور السافر، ص٩٩.

ما كان بعدن إذ ذاك سائل، قالوا: لا، ما كان في زمن الشيخ أبي بكر وولده الشيخ أحمد يوجد في عدن سائل أصلاً "[١].

وفي ٢٢ محرم سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م توفى الشريف شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بمدينة عدن وكان قد اقام فيها بعد وفاة والده، وأحبه أهلها، وكان ذا جاه عظيم ودنيا واسعة[٢].

وأمام هذه المعطيات لا يسعنا سوى القول: إن عدن في عصر الدولة الطاهرية هي عدن العيدروس، فلكل تاريخ رجال، ولكل رجال سمات وعلامات، ولا غرو إذا تفرد العيدروس عن الأشباه والأمثال في بعض أحواله فقد أحب عدن فأحبه أهلها.

٣. أهل دثينـــــــة :

تعد منطقة دثينة من أقدم مناطق اليمن التاريخية، حيث أشارت إليها المصادر بأنها كانت ضمن الأراضي الواقعة تحت نفوذ دولة أوسان [٣]، غير أن حضورها السياسي والاجتماعي الأكثر تأثيراً على مجريات الأحداث قد ظهر وبوضوح في العصر الإسلامي.

وقد أفادت مصادر ذلك العصر بأن دثينة كانت تشكل كياناً قبلياً مستقلاً تسكنها قبائل الجحافل، وتتخذ من الحافة[٤] حصناً ومقراً لها[٥]، كما وصفت بأنها إحدى القوى الضاربة في مناطق اليمن الجنوبية ولطالما كانت أشبه بالشوكة في ظهر حكام عدن، إذ شكلت غزوات قبائلها بين الحين والآخر تهديداً بالغ الخطورة أقلق سكان مدينة عدن وتجارها.

والجدير بالذكر، أن ذلك التهديد المطبق على عدن وحكامها لم يكن قائماً في كل عصور الدول اليمنية، بل إن بدايته الحقيقية قد انطلقت أواخر عصر الدولة الرسولية واشتدت وطأته في عهود الحكام الطاهريين.

ولعله من المفيد أن نوضح بأن قبائل دثينة قد ظهرت بعدة تسميات يصعب التمييز فيما بينها ، وانضوت كلها تحت اسم عام هو قبائل دثينة ، وأشهر هذه الأسماء الجحافل أحلاف الرسوليين في أوائل عهدهم بالسلطة ، ثم بدأ هذا الاسم يختفي تدريجياً في نهاية الدولة الرسولية ليظهر على الساحة السياسية اسم الطوالق وهم على الأرجح أحد فروعها ، ثم رددت المصادر

---

١) العيدروس، النور السافر، ص٩٩ .
٢) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص٢٢٣.
٣) ذكرت دثينة في نقش النصر الذي خلد مناقب الملك السبأي كرب إل وتر(القرن السابع ق.م).انظر:الجرو، أسمهان سعيد، موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم)، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، أربد، ١٩٩٦م ، ص١٥٩ .
٤) الحافة: قرية تقع في قلب منطقة دثينة، وضمن الأراضي التابعة لقبيلة السعيدي إحدى قبائل دثينة، ويطل عليها جبل شامخ تعلوه آثار قلعة تاريخية قديمة لم تحظ بالدراسة والمسح الآثاري، وهي (حالياً) من قرى مديرية لودر/محافظة أبين.
٥) العيدروس العدني، ديوان محجة السالك، ص٩٤.

اسم قبيلة آل أيوب ويبدو أنهم أيضاً من الجحافل ، غير أن محيرز[١] يرجعهم إلى العجالم ، وهناك قبيلة ثالثة هي الهياثم التي تنحدر من حمير ، ويقال إن جدهم انتقل من المشرق وسكن مع الجحافل فصاروا من جملتهم[٢] ،وبحسب هذه المعطيات فإن قبائل دثينة لاينتمون إلى أصل وعصب واحد ، بل جمعتهم الأرض الواحدة والمصير الواحد .

ومن المهم الإشارة إلى أن أول شرارة أطلقتها قبائل دثينة على الدولة الطاهرية قد بدأت سنة ٨٧١هـ/١٤٦٧م، وكانت بمثابة تنبيه للحكام بوجودها كقوة لا تقل شكيمة عن قبائل تهامة، حيث هجم آل أيوب الجحافل على وادي لحج، وقاموا بنهب الرعارع (من قرى لحج) نهباً شنيعاً، وسبوا الأولاد والنساء، ولما علم السلطان المجاهد علي بن طاهر بذلك خرج مبادراً من زبيد إلى عدن[٣]، ولم يذكر أي خبر عن ردة فعله إزاء ذلك الغزو، ولعله قصد حماية مدينة عدن لأهميتها الاقتصادية.

وبعد هذه الحادثة توقفت هجمات قبائل دثينة على أعمال عدن، ولم تستأنف إلا في عهد الظافر عامر (الثاني)، واتسمت أحداث هذه المرحلة بأنها الأشد عنفاً، والأكثر دموية، ففي صفر سنة ٩٠٦هـ/١٥٠١م قدم على الظافر عامر (الثاني) وهو حينئذ بعدن الأمير الشجاع عمر بن الجبني (ت ٩١٩هـ/١٥١٣م) بما يقرب من مائة أسير من أهل دثينة من ضمنهم كبيرهم الذي يدعى جواس، ورؤوس سبعة من القتلى، وذلك بعد أن حاصرهم الأمير عبدالله بن علي بن سفيان، وضيق عليهم الخناق حتى أدوا فروض الطاعة[٤]، ثم استولى الظافر على بلد الطوالق قهراً في شهر شعبان من السنة ذاتها، حيث حاصرهم نحو ثلاثة أشهر، ورماهم بالمنجنيقات، وقتل منهم عدداً كثيراً حتى طلبوا منه الذمة، فقبل وارتفع عنهم، ثم أمنت الطرق المؤدية إلى مدينة عدن حيناً من الزمن[٥].

وبعد نحو ثلاث سنوات أي سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م ذكرت المصادر أن الطوالق استأنفوا عملياتهم الهجومية وقطعوا الطريق فيما بين عدن وتعز[٦]، لكن سرعان ما تم تأمين الطريق ثانيةً على أيدي القوات الطاهرية حرصاً منها على سلامة السلطان الظافر الذي غادر آنذاك من

---

١) العقبة ، ص١١١ .
٢) المقحفي، معجم البلدان، ج١، ص٢٩٤.
٣) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٢٣.
٤) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص٦٩؛ بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧١٨.
٥) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص٧٣-٧٤؛ بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧١٩؛ شنبل، تاريخ حضرموت، ص٢١٩؛ بافقيه، تاريخ الشحر، ص٤٥.
٦) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص٩٩؛ بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٢٣.

تعز إلى عدن[١]، وعلى إثر ذلك تجمد نشاط أهل دثينة التخريبي وتوقفت غزواتهم حتى مابعد مقتل الظافر.

وقد تبين من مجريات الأحداث أن الظافر تمكن بطريقة أو بأخرى من كسب ود أهل دثينة حتى دخلوا في طاعته، فقد رصد لمشايخهم رواتب شهرية يتسلمونها من ناظر عدن[٢]، وهذا الأمر قد أسهم إلى حدٍ ما في إخماد نزعات دثينة العدائية تجاه الظافر حيناً من الزمن ، ثم عاد الطوالق لنهب لحج بعد أن رفض الظافر زيادة مرتب شيخهم،وتمكنوا من هزيمة أمير لحج وقتلوه ، فاضطر مرجان الظافري الخروج إليهم لمهادنتهم تسكيناً للفتنة[٣] .

ومن ناحية أخرى ، ذكرت المصادر أنه خلال إقامة الظافر بصنعاء سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م، تمكن حيدرة بن مسعود الهيثمي شيخ الهياثم من الفرار من صنعاء إلى دثينة، وأنه أرسل إلى ولده مجرب الذي كان يقيم بوادي لحج أن يتبعه إلى هناك، ثم وثبا معاً على حصن دثينة[٤]، وطردا رتبة السلطان منه، واستوليا عليه[٥]، وهذه الحادثة كانت كما قال بامخرمة: "أول وهن دخل في الدولة"[٦]، وقد تأخذ هذه الحادثة أكثر من تفسير، لعل أحدها أن الشيخ حيدرة الهيثمي كان أسيراً لدى الظافر ورهينة لضمان وقف غزوات أهل دثينة. أما التفسير الآخر فهو : احتمال مشاركة أهل دثينة مع الظافر في حروبه على الجبهات الشمالية وخلال إقامة الظافر بصنعاء أدرك الهيثمي أنه حُشر في حربٍ لا ناقة له فيها ولا جمل، فانتهز فرصة فتور القوات الطاهرية وهرب دون أن يشعر الظافر بذلك؛ وأياً كان الأمر، فإن هذين التفسيرين على الرغم من تضاربهما لا ينفيان في كل الأحوال أن الأوضاع بين الطرفين قد شهدت استقراراً نسبياً لبضع سنين، نعمت عدن وأعمالها خلالها بالأمن والأمان.

وفي شهر محرم سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م ظهر ولأول مرة اسم البدو في مصنفات بامخرمة كدلالة على قبائل دثينة التي لم تعرف آنذاك طعم الاستقرار[٧]، فعندما بلغ الشيخ عبدالملك بن محمد بن عبدالملك بن داود خبر استيلاء المماليك على المقرانة "أرسل للبدو الهياثم وغيرهم أن يصلوا إلى لحج وليحفظوها من الترك [المماليك] ... ولما عزم الشيخ

---

١) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص٩٩.
٢) ذكر بامخرمة أن عمر بن شوايا شيخ الطوالق كان يتقاضى راتباً شهرياً يتسلمه من ناظر عدن. انظر: قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٣٧.
٣) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٣٧.
٤) لعله ذلك الحصن أو القلعة الأثرية التي تعلو الجبل المطل على قرية الحافة عاصمة دثينة.
٥) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٣٧؛ بافقيه، تاريخ الشحر، ص١٠٥.
٦) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٣٧.
٧) ما زال مصطلح اسم البدو على ألسن أهل عدن حتى الآن، ويطلق على كل من ينتمي إلى قبائل أبين وشبوة على الرغم من بلوغهم أسباب الاستقرار والتحضر.

عبدالملك من لحج قدمها البدو في جمع عظيم في مقدمتهم مجرب بن حيدرة بن مسعود"(١)، فلما وصلوا إلى معالي الوادي أرسلوا إلى الدولة الذين بالرعارع، فدخلها البدو ونهبوها، وهتكوا أعراض الناس، وسبوا النساء والأطفال، وفعلوا الفعائل، كما نهبوا بنأ أبة العليا والسفلى(٢)، وسائر قرى لحج، وقصدوا نحو حوطة سفيان(٣) ونهبوها هي الأخرى، ثم هجموا على حوطة بلجفار(٤)، لكن الشيخ عبدالقادر بن أحمد بلجفار صالحهم بالأموال، ثم بادر بالصلح بينهم وبين أمير لحج على أن يعطيهم الأمير مالاً جزيلاً مقابل أمان الناس بالوادي، فكفت أيديهم عن النهب(٥).

وذكر بامخرمة(٦) أيضاً أن أهل دثينة عقب صلحهم مع أمير لحج باشروا بتقاسم قرى لحج فيما بينهم، حيث أقام مجرب شيخ الهياثم ببنأ أبه العليا، وأقام أحمد بن نسر شيخ آل أيوب بالرعارع هو ومن معه، فيما أقام عمر بن شوايا شيخ الطوالق بالحمراء هو ومن معه من الطوالق، فكفوا عن النهب، وأضاف قائلاً:" ولكن كانت أيديهم [أي أيدي أهل دثينة] باسطة، يأخذون ما شاؤوا، وما أهل لحج معهم إلا بمنزلة أهل الذمة في الذلة والهوان"(٧)، ويبدو أن هذه هذه القسمة قد أفضت إلى خراب لحج، وانتقال غالب أهلها إلى حوطة الشيخ بلجفار، وقليل منهم إلى الوهط(٨)، ولم تمس الوهط بأذى احتراماً للشريف عمر بن علي باعلوي (ت٨٩٩هـ/١٤٩٤م) ، وترتب على هذه الحوادث أن قطعت الطرق وغلا الطعام في عدن(٩).

وهكذا كان وادي لحج مسرحاً لعمليات حربية عنيفة ومنافسات ضارية للتحكم على طريق عدن والهيمنة على اقتصادها ، ونتج عن هذه الغزوات تحولات سكانية وهجرات إلى مواقع أخرى ، وانصهرت قبائل دثينة مع غيرها من القبائل كيافع والأصابح والقبائل الصغيرة، وبمعنى آخر كان دور قبائل دثينة في وادي لحج فعالاً في تقرير مصير عدن، ولايمكن لأي دولة أن تستقر بحكم مدينة عدن مالم تأخذ التركيب القبلي بعين الاعتبار.

---

١) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٥٩.
٢) بنأ أبه العليا والسفلى: هما قريتان من قرى لحج، وتعرفان في العصر الحديث بميية، وهي على مسافة نصف ميل (٨٠٠كم) غربي مدينة الحوطة. العبدلي، هدية الزمن، ص٢٣، ٢٥.
٣) حوطة سفيان: من قرى لحج، وتنسب إلى الشيخ سفيان بن عبدالله الأبيني الذي انتقل للإقامة فيها مع ولده علي بن سفيان، وما زالت هذه القرية تحتفظ باسمها حتى الآن. العبدلي، هدية الزمن، ص٢٩.
٤) الشيخ بلجفار من الأولياء المشهورين في لحج، وله مزار سنوي يقام في شهر رجب، وهو من أعظم أعياد البلاد اللحجية. المقحفي، معجم البلدان، ج١، ص٥٣٤.
٥) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٥٩.
٦) المصدر نفسه والجزء، ص٣٧٦٠ ؛ الحمراء: قرية كبيرة في لحج جنوب شرق مدينة الحوطة، يسكنها أهل البان والمحارزة وكان فيها مساكن آل العبدلي قبل انتقالهم إلى الحوطة. العبدلي، هدية الزمن، ص٢٨-٢٩؛ المقحفي، معجم البلدان، ج١، ص٥٠٣.
٧) قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٦٠.
٨) كانت قبائل دثينة لاسيما آل السعيدي يشدون الرحال إلى الوهط سنوياً، وذلك لزيارة قبر الولي الصالح عمر بن علي باعلوي (ت ٨٩٩هـ/١٤٩٤م)، غير أن هذه الزيارة انقطعت في ثمانينيات القرن الماضي.
٩) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٦٠.

أما علاقات قبائل دثينة مع الأمير مرجان الظافري، فقد كانت علاقات مصالح وتبادل المنفعة، ففي سنة ٩٢٦هـ/١٥٢٠م وبناءً على رأي الأمير مرجان تجهز الشيخ أحمد بن محمد بن عامر لحرب المماليك المسيطرين على تعز، وعززه الأمير من عدن بالعسكر والسلاح اللازم، كما خرج من عدن النقيب عبدالنبي (صهر الأمير مرجان) ومعه الهياثم يتقدمهم الشيخ مجرب بن حيدرة، كما خرج معهم الشيخ أحمد بن نسر على رأس آل أيوب، واجتمعوا بالشيخ أحمد بن محمد، وساروا جميعاً لملاقاة المماليك في تعز، وحدثت بينهما معركة شديدة أبانت عن شجاعة وبسالة الشيخ أحمد بن محمد، وأحمد بن نسر شيخ آل أيوب، فتغلبوا على المماليك في جولات المعركة الأولى، ثم دارت عليهم الدوائر ولحقت بهم الهزيمة بسبب تواطؤ النقيب عبدالنبي الذي كان يخفي حقيقة خلافه مع الشيخ أحمد بن محمد ويظهر عكس ذلك، فعندما رأى النصر والظفر قد لاح في الأفق امتعض لذلك، وتوقف عن القتال وأمر جماعته بذلك، ثم تمكن من استمالة شيخ الهياثم إلى صفه وأقنعه بالانسحاب من ميدان المعركة، فاستغل المماليك الأمر وقلبوا موازين المعركة لصالحهم، وتمكنوا من هزيمة الشيخ أحمد بن محمد ومن معه من آل أيوب(١).

وتكمن أهمية هذه المعركة في أنها حسمت الخلاف السياسي بين الشيخ أحمد بن محمد ونظيره الشيخ عبدالملك بن محمد بن عبدالملك على السلطة، فقد كان الأمير مرجان وأهل الجبال ينتظرون خبر انتصار الشيخ أحمد بن محمد ليعترفوا به سلطاناً عليهم، بيد أن النتائج جاءت مخيبة لهم.

كما كشفت إرهاصات هذه الحادثة أن قبائل دثينة كانوا قبل قيام المعركة في عداد سكان عدن لا سيما الهياثم وآل أيوب الذين خرجوا من المدينة مع النقيب عبدالنبي، على أن وضعهم في عدن كان كما يبدو أشبه بحامية المدينة، وإن كانوا يختلفون من حيث التنظيم والمرابطة والثبات في المدينة، وإذا جاز لنا القول فإن أهل دثينة كانوا أشبه بالقوات أو الفرق الخاصة، يستمدون أوامرهم من مشايخهم وليس من الأمير مرجان.

ولأن الثقل القبلي كان ذا أهمية بالغة في الصراعات السياسية، فإن الأمير مرجان حرص عقب المعركة مباشرة على عدم التفريط بآل أيوب، وأرسل إلى شيخهم أحمد بن نسر بالأموال الجزيلة والوعود المغرية للتخلي عن الشيخ أحمد بن محمد(٢)؛ فهل استجاب ابن نسر لدعوة أمير عدن؟

---

١) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٦٣؛ بافقيه، تاريخ الشحر، ص١٤٦.
٢) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٦٥.

الحقيقة أن المصادر لم تجب عن ذلك، لكن مع هذا يمكننا أن نستخلص ذلك من خلال الإجابة عن سؤال آخر كان قد فرض نفسه علينا وهو: لماذا لم يستعن الأمير مرجان بأهل يافع في وقعة تعز الحاسمة؟

يبدو أن الأمير مرجان كان يميل كثيراً إلى قبائل دثينة لشدة اعتقاده بجبروتهم وقدراتهم القتالية التي يمكنه الاستفادة منها في ذب أخطار المتربصين بملك عدن ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ، لم يلتفت إلى أهل يافع ولم يتواصل معهم، غير أنه لم يضع في الحسبان أن أهل دثينة دائمو الحركة والتنقل فيما بين موطنهم وبين لحج وعدن، وإن كانوا يميلون في غالب أوقاتهم إلى الإقامة في لحج أكثر من عدن، على عكس أهل يافع القاطنين في عدن بصفة دائمة، وربما أن يافع قد شعرت بذلك التغير من جانب الأمير وميله المفرط تجاه أهل دثينة، فأسروه في أنفسهم، وتزامنت هذه الأزمة مع تضاؤل شعبية الأمير مرجان في المدينة بسبب انفراده بأمر عدن، وإهاناته المتكررة للمشايخ الطاهريين الذين عجزوا عن استرداد ملكهم المغتصب من بين أنياب وبراثن الأمير، وأفضت كل هذه الظروف المعقدة إلى تحالف أهل يافع مع الشيخ عبدالملك بن محمد للإطاحة بالأمير مرجان في غياب أهل دثينة سنة ٩٢٧هـ/١٥٢١م.

وعلى أية حال، فإن التغيرات المستمرة في شكل وهوية السلطة الطاهرية بات أمراً عادياً في حياة قبائل دثينة؛ لأنها لم تحرص على التعاطي مع الحكام لتسوية أوضاعها بقدر حرصها على مواصلة الغزو لتأمين سبل العيش وبقطع النظر عن اختلاف مصادره، وهذا السلوك الدموي والتخريبي الذي تنهجه دثينة قد يفسر على أنه يخفي أهدافاً سياسية بحتة ترمي إلى حل هذا السلطان أو ذاك أوتطعن في شرعيته كما هو الحال مع الظافر عامر (الثاني) وأخواله المعارضين، بيد أن الحقيقة مخالفة لذلك تماماً فليس خروج دثينة من أرضها إلى لحج وتخوم عدن كان يهدف بالضرورة إلى التعبير عن معارضتهم لسلطان بعينه لسبب أو لآخر، أو أنها كانت تتطلع للحكم أو طلباً للثأر من الطاهريين، بل إن الدافع الرئيس لخروج قبائل دثينة للغزو كان الفقر والفاقة ، وليس أدل عليه مما كان من أمر الشيخ عامر بن داود، فبينما كانت قبائل دثينة كعادتها تحوم حول ضواحي عدن طلباً للفيد والغنيمة وإذا بالشيخ عامر وهو في طريقه إلى عدن قد وقع في شراكهم، وتمكن الطوالق من قتل اثنين أو ثلاثة من أصحابه، وأثخنوه بالجراح حتى سقط مغشياً عليه، وظنوه ميتاً، غير أنه حمل إلى عدن ودخلها ، وذلك

بعد أن خُطب له بها قبل قدومه بنحو شهر[١]، فإن كان الطوالق حينها جادين في طلب الطاهريين لسبب أو لآخر لاجتزوا رأس الشيخ عامر ودخلوا به أرضهم فوق رمح من رماحهم، إلا أنهم كما يبدو قد اكتفوا بما غنموه من الشيخ وأصحابه.

وهكذا كانت قبائل دثينة في عصر الدولة الطاهرية تعتمد على الغزو كضرورة لضمان البقاء في وقتٍ حبست عنهم صدقات السلاطين وأعيان الدولة، واستبدلتها بإرسال الحملات والجيوش الجرارة للحصار وسفك الدماء[٢].

٤. العقـــــارب:

هم من القبائل المحيطة بمدينة عدن، ويسكنون رباك وما جاورها حتى لحج[٣]، وكان لهم دور فعال في الأحداث الحربية التي شهدتها عدن إبان غزو المماليك، ومما يذكر في هذا الصدد أنه بعد أن تجرع سليمان الكردي مرارة الهزيمة على أسوار مدينة عدن سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م عرج على رباك للتزود بالماء فوقع في فخ عساكر العقارب ومني بالهزيمة الثانية، حيث تمكنوا من محاصرة قواته، وقاتلوهم حتى منعوا عنهم الماء، وانسحب من نجا منهم إلى السفن يجرون أذيال الهزيمة[٤].

ونظراً لأهمية موطنهم الذي لا يفصله عن مدينة عدن غير البحر، فقد سعى الأمير مرجان والي عدن، إلى تعزيز علاقته بهم، وذلك للاستفادة منهم كعيون ترصد القادمين إلى عدن والمغادرين منها، فضلاً عن قدراتهم القتالية التي تشكل طوقاً أمنياً للمدينة لا يقل كفاءة عن تحصينات عدن الدفاعية.

وانطلاقاً من قاعدة المصالح المتبادلة بين الطرفين اتفق الأمير مرجان مع صلاح العقربي شيخ العقارب على القبض على الأمير عبدالسلام بن معوضة الحمادي الذي كان وقتها يزاحم الأمير مرجان على كرسي ولاية عدن، وفي مقابل ذلك أباح لهم الأمير مرجان ما يغنمونه من هذه المهمة من الأموال والغنائم وغيرها، فكان له ولهم ما أرادوا، وظفروا بالأمير عبدالسلام الهارب إلى بلاده ومن كان معه من إخوته وحراسته، وأعادوه للأمير مرجان فأودعه السجن حتى أواخر سنة ٩٢٥هـ/ ١٥١٩م[٥].

---

١) بافقيه، تاريخ الشحر، ص١٨٥-١٨٦.

٢) وقد تمكن الطوالق في العصر الحديث بقيادة زعيمهم علي بن سليمان من الاستيلاء على عدن وانتزاعها من العثمانيين في جمادى الأولى سنة٩٥٤هـ/١٥٤٧م ،وسيطروا على المدينة وضواحيها نحو سنة ،ثم استعادها العثمانيون بجيش جرار قدم من مصر يقوده الأمير بيري الرومي فتمكن من قتل محمد بن علي بن سليمان الطولقي صاحب عدن في منتصف صفر سنة٩٥٥هـ/١٥٤٨م. باسنجلة،العقد الثمين ،ص٩٤،٩٧-٩٨ .

٣) وهم بنو عقارب بن ربيعة بن سعد بن خولان بن الحاف بن قضاعه بن مالك بن حمير . العبدلي، هدية الزمن، ص٥٨.

٤) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٥٠.

٥) المصدر نفسه والجزء، ص٣٧٦٠-٣٧٦١.

ثالثاً- التركيبة الاجتماعية في مدينة عدن:

اختلفت معايير التقسيم الاجتماعي اختلافاً بيناً عند الباحثين، فمنهم من أخذ بالمعايير الطبقية الصرفة، وآخرون اعتمدوا على المعايير الشرائحية كالسلالة، والقرابة، والمهنة، وفي تقديري أن سكان عدن ينضوون في إطار نظام اجتماعي (هرم اجتماعي) من نوع خاص انطلاقاً من طبيعة المدينة وهويتها التجارية البحتة، انقسم فيها السكان إلى جماعات متميزة (شرائح)، وقام هذا التمايز على أساس عامل الدور، والوظيفة الاجتماعية سواء أكانت اقتصادية أم سياسية أم روحية (ثقافية)، واستبعدت عوامل الوراثة والدين والنسب.

وقد تم استثناء العبيد؛ لأنهم كانوا مجموعة صغيرة، ولم يتميزوا بوظيفة أو دور اجتماعي، ولذلك لا يمكن تصنيفهم كشريحة اجتماعية، كما تم استبعاد اليهود، والنصارى، والفرس والهنود (البانيان) والطوائف الشيعية الأخرى من حيث صفتهم الدينية والمذهبية فقط، على أنه تم إدراجهم بحسب الوظيفة ضمن شريحة التجار، ومن جهة أخرى، تم استبعاد مشايخ ونقباء القبائل من هرم عدن الاجتماعي؛ لأنهم هنا أي في المدينة ليسوا أكثر من مجرد تسمية فقدت في سياق التطور التاريخي محتواها وتأثيرها الأصلي، وهو ذلك الدور المؤثر والواسع الصلاحيات في القرى عنها في المدن.

وبناءً على ذلك، فإنه أمكن تقسيم سكان مدينة عدن إلى طبقتين متميزتين، وكل طبقة منها تضم عدداً من الفئات والشرائح الاجتماعية المتقاربة إلى حدٍ ما من حيث الدخل، والمستوى المعيشي، والمكانة، وهاتان الطبقتان هما:

١. الطبقة الخاصة:

وتتكون من الولاة (الأمراء)، وكبار الموظفين: كالقضاة والنظّار، وكذا الأشراف (السادة)، والعلماء، والفقهاء، وكبار التجار.

ومع أنه يتعذر الحديث عن كل هذه الفئات والشرائح الاجتماعية كل على حدة، فقد آثرنا إعطاء لمحة موجزة عن ثلاثة نماذج نظراً لضيق المقام، وتجنباً للتكرار:

أ) فئة القضاة:

يطلق لقب القاضي في الأصل على كل من تلقى تأهيلاً في علوم الدين وبخاصة في الشريعة الإسلامية، واللغة وآدابها المختلفة، وهذه الثقافة تؤهل صاحبها لممارسة مهنة القضاء، وتولي المناصب الإدارية في الدولة كالنظارة والحسبة، والاستيفاء، والاشتغال بالتدريس.

وتعلق وجود القضاة كفئة اجتماعية بالدور الوظيفي الذي اختصت به في البنية الاجتماعية، ويتحدد هذا الدور بتأدية الوظائف السياسية والإدارية والمالية بصفتهم موظفين في

أجهزة الدولة ومستشارين للحكام، وتأدية الوظائف الروحية في المجتمع من خلال حفظ وإنتاج ونشر المعرفة بصفتهم علماء ومدرسين، فضلاً عن تأدية الوظائف الحقوقية مثل: الحفاظ على مبادئ الشريعة الإسلامية وتطبيقها.

ب) فئة الأشراف (السادة):

الشائع أن نسب السادة يتصل بالرسول الكريم ﷺ من زواج ابنته فاطمة بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان السادة دائمي الحرص على نقاوة نسبهم عن طريق الكفاءة أي تفضيل الزواج الداخلي فيما بينهم، وكذا حظر زواج الإناث منهم من أفراد لا ينتمون لشريحة السادة.

وقد حظي السادة بمكانة رفيعة في المجتمع العدني ولدى السلطة، ولعل ما كان يعزز مكانتهم واقع أن بعض عائلاتهم كانت تعتبر مرجعاً في قضايا الدين والشريعة، وأن كثيراً من علماء وأدباء ومصلحي اليمن عموماً نبتوا من بين أفرادها، ومما ساعد السادة على الاحتفاظ بمكانتهم هو الدور الذي كانوا يقومون به كمحكمين في النزاعات الاجتماعية والسياسية[١]، وأهلهم لذلك وضعهم كطرف محايد بحكم عدم انتسابهم إلى التكوينات القبلية المحلية، وقد ساعدهم هذا الدور على ممارسة سلطتهم السياسية إلى جانب سلطتهم الروحية.

ومن مظاهر تميز السادة هو الاحترام العام من بقية السكان نحوهم وذلك من خلال أسلوب النداء، والمخاطبة، والتحية، وتقديم السيد في الكلام، والمصافحة، والأكل، فيما ميز السادة أنفسهم عن طريق اللبس، والعمائم، وحافظ نظام الزواج الداخلي على وضعهم كفئة مستقلة، كما عزفوا كقاعدة عن الاشتغال في المجالات الإنتاجية، واعتمدوا على ما يتقاضونه من الهبات التي يتحصلون عليها من الحكام والولاة، وشيئاً يسيراً من الأهالي.

ج) فئة التجـار:

وهم المشتغلون بالتجارة كمهنة أساسية يحصلون فيها على دخلهم الرئيس، والوظيفة التي أداها التجار هي وظيفة اقتصادية تتمثل في أداء دور الوسيط في تبادل المنتجات بين المناطق، ومع الخارج (مصدرون، مستوردون، وكلاء تجاريون)، ومهنة التجارة كانت مهنة مفتوحة يستطيع أن يمارسها كل من توفرت لديه الإمكانيات لذلك، وقد مارسها الحكام الطاهريون، والأمراء، وكبار الموظفين بغرض تأمين مصدر إضافي للدخل كمهنة أساسية.

لم تعترف التجارة الحرة التي ألفتها عدن منذ القدم بالهوية (الجنسية) أو الدين أو المذهب كمعيار للاشتغال بهذه المهنة، فقد مارسها اليهود، والفرس والهنود (البانيان) والطوائف الشيعية المختلفة بالإضافة إلى أهل السنة الشافعيين، وذكرت المصادر بعضاً من أسماء التجار

---

١) عن الأشراف (السادة) آل العيدروس باعلوي انظر: فيما سبق، ص١٦٩.

منهم: الجمال محمد بن عبدالسلام الجبرتي أحد تجار عدن المشهورين (ت٩١١هـ) [١]، والخواجا عفيف الدين عبدالله بن بدر هلال (ت٩١٦هـ) [٢]، وشاهبندر عدن العماد بن زين الدين (ت٩١٧هـ) [٣]، والتاجر المشهور بأبي الليل، والتاجر أحمد الدملوي، والحوائجي، وإسماعيل بن عبدالأول الناشري[٤]، وفي الوقت ذاته عرفت عائلات توارثت الاشتغال بالتجارة كابراً عن كابر ومنها عائلة محمد بن أحمد باحنان الذي كان من مشاهير التجار في عدن، وسميت حارة بأسرها باسمها، وبعد وفاته سنة ٨٥٦هـ، واصل أولاده من بعده هذه المهنة[٥].

والواضح أن التمييز بين التجار كان يتم في الأساس على الفارق في رؤوس الأموال، وحجم النشاط التجاري، وقد يرى أهل عدن في ذلك الوقت أن معيار ذلك التمييز قائم على ما يمتلكونه من القوارب والسفن، وعلى ما يبدو أن مكانة التاجر في مدينة عدن تأتي بعد مكانة القضاة والسادة (الأشراف).

وباستثناء الاتصال مع فئة الأخدام كانت علاقات الزواج مفتوحة بين أفراد هذه الفئة والفئات الأخرى على الأقل من الناحية النظرية، أما من الناحية الواقعية فكان الزواج يفضل فيما بين العائلات التجارية نفسها أو مع من ينتمون إلى نفس أصولهم أو عصبهم حتى وإن كانوا ليسوا بتجار.

٢. الطبقة العامة:

ويتمثلون في الرعايا من أرباب الصناعات والمهن التقليدية التي عرفت منذ أمدٍ بعيد كالحدادة، والنجارة، وصناعة الأسلحة، وصناعة النسيج، وصناعة الحُلي، وصيد الأحياء البحرية، والجند أو العسكر، ومن يؤدون خدمات عرفت تقليدياً بالحلاقة، والحجامة، والجزارة، وتأتي فئة الأخدام في أدنى السلم الاجتماعي.

والغالب أن الزواج كان يتم داخل كل مجموعة مهنية (نساجين، حدادين، جزارين، حلاقين)، وتتوارث هذه الجماعات وضعها في المهنة والمكانة والمركز، ويتعلق وجود هذه الشريحة بالدور المناط بها وهو إنتاج السلع الاستهلاكية لمجمل الشرائح الاجتماعية، وتقديم الخدمات المختلفة لها.

وقد آثرنا هنا إعطاء لمحة موجزة عن نموذجين من هذه الجماعات، ودورها في المجتمع وهما:

---

١) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص٢١٢.
٢) المصدر نفسه، ص١٧٥.
٣) المصدر نفسه، ص١٧٩.
٤) المصدر نفسه، ص٩٣؛ بافقيه، تاريخ الشحر، ص٦١؛ العيدروس، النور السافر، ص٤٨.
٥) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٥٧٨-٣٥٧٩.

أ) فئة الصيادين:

وهم من أقدم سكان عدن، ويشكلون نسبة كبيرة من السكان، وقد أشار ابن بطوطة إلى ذلك وذكر أن سكان عدن ما بين تجار وحمالين وصيادين للسمك[١]، وإلى جانب صيد السمك على شواطئ المدينة وفي بحرها، نشط الصيادون في البحث عن العنبر، واستخراج اللؤلؤ والمرجان من باطن البحر، إذ عرفت عدن بأنها أحد مناطق مغاوص اللؤلؤ.

كانت مساكن الصيادين مما يلي البحر[٢]، وعلى الأرجح أنهم كانوا الفئة الأكثر قبولاً لمختلف الشرائح الاجتماعية من حيث الاتصال والمخالطة، وربما يعزو السبب في ذلك إلى ميل وارتباط أهل عدن بالبحر، وتطبعهم بعادات وتقاليد السواحليين (سكان ساحل أفريقيا الشرقي)، ومع هذا وذاك لم يتعد اتصال فئة الصيادين بمختلف الشرائح إلى حد الزواج، فالشائع أن الزواج عندهم لم يتجاوز إطار الفئة نفسها.

ب) فئة الأخدام:

وهم ينحدرون من أصول إفريقية[٣]، وتعد الجماعة الوحيدة من السكان التي تتصف بكل مميزات الطائفة من حيث الزواج المطلق، وضيق ومحدودية قنوات الاتصال الأخرى مع بقية الشرائح كالمخالطة في الأكل، والمجاورة في السكن، وفي الهرم الاجتماعي يحتل الأخدام المكانة الأخيرة، ومن المرجح أن العبيد كانوا أرفع مكانة منهم، ويحظون بمعاملة أفضل، ولعل عبيد الحكام الطاهريين خير دليل على ذلك وأبرزهم مرجان الظافري الذي ترقى حتى صار أمير عدن وأشهر ولاة الطاهريين في عصره .

امتهن الأخدام أعمال النظافة في المدينة، واشتغلوا كحمالين في الميناء والأسواق التجارية، والخدمة في الولائم، ونقل الرسائل وغير ذلك، ونادراً ما كان يجوز لهم ممارسة مهن أخرى كالحلاقة، والجزارة، والاشتغال بالتجارة الصغيرة، إلا أنه تبين ظهور حالات شاذة عرفها أهل عدن إبان حكم الرسوليين أصبح فيها الأخدام من ذوي الشأن والرفعة مثل: سالم بن عبدالله الهندي الذي كان والده من الحمالين، فاشتغل بالعلم ورأس وساد، وأصبح من خيار القضاة وفضلاء أهل عدن، وكان قد استضاف ابن بطوطة عند دخوله عدن سنة

١) مهذب رحلة ابن بطوطة، ص١٩٥.
٢) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج١، ص٩؛ محمد أحمد، عدن قبيل الإسلام، ص١٢٣.
٣) المقصود بالأخدام هنا ذوو البشرة السوداء وليس بالخدم المجلوبين من بلاد الهند والسند كالغلمان الديبوليين ونحوهم.

٧٣٠هـ/١٣٣٠م[١]، كما كان إقبال الدوري (ت٧٢٢هـ/١٣٢٢م) ينتمي إلى الأخدام ثم صار من ميسوري أهل عدن وامتلك عدداً كثيراً من العبيد[٢].

ومع أن الأخدام يتميزون ببعض العادات الخاصة عن السكان العرب، إلا أنهم لا يشكلون أي كيان متميز في المجتمع، وسكنوا في أحياء خاصة في المدينة، ونادراً ما كانوا يحسنون القراءة والكتابة.

١) ابن بطوطة، مهذب رحلة ابن بطوطة، ص١٩٥.
٢) الجندي، السلوك، ج٢، ص٤٤٠.

رابعاً - تعداد عدن السكاني :

وصل انخفاض معدل النمو السكاني في مدينة عدن في أواخر عصر الدولة الرسولية بنسبة ٧٠%، حيث بلغ تعدادهم ٢٦٠٠ نسمة تقريباً، وذلك بسبب وباء الطاعون الذي اجتاحها سنة ٨٣٨هـ/١٤٤٥م(١)، إلا أن مستوى الانخفاض المفاجئ الذي طرأ على معدل النمو قد تغير دون أدنى شك في عصر الدولة الطاهرية وعادت مؤشرات ذلك المعدل إلى التصاعد التدريجي بعد أن استردت المدينة عافيتها .

وقد ذكر ابن حميد الكندي(٢) إحدى الإحصائيات النادرة التي قلما اهتمت بها المصادر الأخرى بأن العثمانيين قاموا بإجراء إحصائيات لعدن سنة ٩٤٧هـ/١٥٤٠م أي بعد سنتين من انتزاعها من أيدي الطاهريين وجاء فيها أن عدد ديار أهل عدن ألف دار، ونحو مائة دار للديوان، وعدد دكاكينها ألف ومائتا دكان. وتكمن أهمية هذه الإحصائية في أنها لا تعبر عن وضع المدينة الذي يظهر وبجلاء نشاطها التجاري الذي تميزت به عبر تاريخها الطويل فحسب، بل في مدى الاستفادة منها في تقريب وتقدير التعداد السكاني الذي بلغته عدن في نهاية عصر الدولة الطاهرية.

فإذا ما افترضنا جدلاً بأن كل دار يسكنها خمسة أفراد كمعدل وسطي فإن حصيلة ذلك هو خمسة آلاف نسمة (٥ × ١٠٠٠ = ٥٠٠٠)، مضافاً إليها ألف ومائتا عامل من رعاة الدكاكين أو المحلات التجارية أي بمعدل عامل واحد فقط لكل دكان، فإن مجموع ذلك هو ستة آلاف ومائتا نسمة (٥٠٠٠ + ١٢٠٠ = ٦٢٠٠)، أما دور الديوان السلطاني التي قدرت بنحو مائة فبالتأكيد أنها لم تكن خالية من المقيمين كالحراسات والقائمين على خدمات أمير المدينة وحاشيته وضيوفه، وربما أن عددهم لا يقل عن المائة وبهذا يصبح العدد (١٠٠ + ٦٢٠٠ = ٦٣٠٠).

لكن هذه النتيجة ليست الإجمالي النهائي لعدد السكان، فكما يبدو أن تلك الإحصائية قد شملت الدور الحجرية فقط، ولم تشمل حارات الطبقات الفقيرة من سكان أكواخ الخوص وجلهم من الصيادين والأصول الأفريقية التي استوطنت المدينة منذ زمن بعيد، ويمكن تقدير عددهم بنحو ألف نسمة كحدٍ أدنى، وعند إضافته إلى العدد السابق فإن مجموعهما هو سبعة آلاف وثلاثمائة (١٠٠٠ + ٦٣٠٠ = ٧٣٠٠) ، وهذه هي الحصيلة النهائية التقريبية لعدد سكان عدن

---

١) انظر : بلعيد، عدن في عهد الدولة الرسولية، ص١٥٠ .
٢) العدة المفيدة، مج١، ص١٨٩.

من المستقرين عدا المتجولين والمقيمين في الفنادق[١] من خارج المدينة، وهذه الحصيلة لاتبتعد كثيراً عما قدره الرحالة لودفيكو فارثيما سنة ٩١٠هـ/١٥٠٤م إذ ذكر بأن عدد سكان مدينة عدن فيما بين خمسة إلى ستة آلاف نسمة[٢].

خامساً- العوامل التي أثرت على النمو السكاني في مدينة عدن:

تأثر النمو السكاني لمدينة عدن في عصر الدولة الطاهرية بعدد من العوامل الرئيسة، كان لبعضها عظيم الأثر في ارتفاع عدد السكان في المدينة وأخرى تسببت في انخفاضه، كما اشتركت هذه العوامل بالتناوب في تذبذب معدل النمو بين الارتفاع حيناً والانخفاض حيناً آخر، وذلك لارتباطها الوثيق بالأحداث الداخلية التي شهدتها عدن خلال ذلك العصر، ويمكن إيراد هذه العوامل على النحو الآتي:

١. العامل السياسي: لعل أهم حدث اجتماعي شهدته مدينة عدن مع مطلع قيام الدولة الرسولية كان الطرد أو النفي القسري لآل كلد اليافعيين من عدن، وهو شرط وضعه آل أحمد على الطاهريين نظير تمكينهم من المدينة، فأحدث ذلك الطرد الجماعي خللاً واضحاً في معدل النمو السكاني، وتراجع على أثره التعداد العام لسكان المدينة .

٢. الهجرة الداخلية والهجرة الخارجية: ما من شك أن زيادة النشاط التجاري التدريجي الذي شهدته عدن منذ قيام الدولة الطاهرية سنة ٨٥٨هـ/١٤٥٤م حتى منتصف عهد السلطان الظافر عامر (الثاني) قد جذب رؤوس الأموال من مختلف مناطق اليمن وخارجها لتحط رحالها في المدينة طمعاً في الإقامة والاستقرار، ثم نزوح العمالة اليمنية وأخرى من القرن الأفريقي لالتماس أسباب الرزق، فكانت هذه الهجرات عاملاً رئيساً في ارتفاع معدل التعداد السكاني في المدينة.

٣. الأمن والاستقرار: كان ولا يزال الأمن والاستقرار الاجتماعي على علاقة وثيقة بأحوال السلطة السياسية في كل زمان ومكان، فإن استقر الحكم نعمت الرعية بالأمن والسكينة العامة، وإن اضطرب اختلت أحوالهم وتهددتهم الأخطار من الداخل ومن الخارج، وعلى أساس هذه القاعدة لوحظ ارتفاع النمو السكاني في مدينة عدن فيما بين فترة تأسيس الدولة الطاهرية وحتى

---

١) ذكر بامخرمة أن التاجر الحضرمي محمد أحمد باحنان قد أنشأ بعدن مدرسة في سوق الخزف وأوقف على مصالحها فندقاً بعدن، وهذا يفيد أن المدينة قد عرفت الفندقة بصفتها إحدى أنواع وأشكال التجارة، ومستفيدة من الزوار الأغراب من العرب والعجم الذين يفدون إلى المدينة من الخارج ويقيمون فيها بشكل مؤقت. قلادة النحر، ج٣، ص٣٥٧٨-٣٥٧٩.

٢) السقاف، حمود محمد جعفر، " تاريخ المباني في عدن"، مجلة المنارة، ع(٣)، اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، عدن، يناير ١٩٨٩م، ص٥٦.

مقتل الظافر عامر (الثاني) وهي المرحلة التي فرضت فيها السلطة هيبتها على كل الأراضي الواقعة تحت نفوذها، وعلى الرغم من نشوء جبهة المعارضة السياسية وظهورها العلني في عهدي المنصور وابنه الظافر، إلا أن ذلك لم يؤثر على سكان عدن في ذلك الوقت قدر تأثير المرحلة التي أعقبت مقتل الظافر عامر (الثاني) والتي اتسمت بنزاع الطاهريين على السلطة، فقد أفسحت تلك الصراعات للقوى القبلية مجالاً واسعاً لممارسة أعمالها التخريبية وإشاعة الفوضى دون وازع أو رادع، ولعل قبائل دثينة كانت إحدى تلك القوى القبلية المستغلة ذلك الوضع السياسي المتدهور ، حيث بثت الرعب والقلق في نفوس أهل عدن جراء أعمال التقطع والنهب على الطرق المؤدية إلى عدن، وغدا السفر منها إلى المناطق الشمالية غير مأمون وأشبه بالمجازفة.

٤. الأمراض والأوبئة: كان للجانب الصحي في عصر الطاهريين دور مؤثر في تأرجح معدل النمو السكاني في مدينة عدن إلى حدٍ ما، إلا أنه لم يبلغ ذلك التأثير الذي بلغه في عصر الرسوليين من حيث ظهور الأوبئة الخبيثة والمستعصية وتفشيها في المدينة كالطاعون الذي حصد آلاف الأرواح، على أن هذا لا يدل على اهتمام الحكام الطاهريين بالأحوال الصحية للفرد والمجتمع أكثر من أسلافهم الرسوليين فالإمكانيات ووسائل محاربة الأوبئة هي ذاتها في العصرين متواضعة وبدائية، والمجتمع هو نفسه محافظ تحكمه العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية، ولم يطرأ عليه أي تغيير.

وكيفما كان الأمر، فقد ابتلى الله تعالى أهل عدن وزبيد ونواحيهما والجبال بمرض يعرف بالسمندلة سنة ٩٠٨هـ/١٥٠٢م ، وهو ريح يأخذ بالمفاصل والأعضاء، ويمنع الحركة ثلاثة أيام، ويكون مصحوباً بالحُمّى، ثم يزول وهو سليم[١]، ثم اجتاح مدينة عدن وباء آخر سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م استدعى صعود الخطباء على المنابر للدعاء والتضرع لكشف ما حل بالناس من الحبوب الجلدية التي عرفت آنذاك بالنار الفارسي، والتي تفشت في بلاد اليمن منذ سنة ٩٠٦هـ/١٥٠١م فما بعدها، حتى حرجت منه الصدور وضاقت به النفوس[٢].

٥. الحرائق: تعرضت مدينة عدن في عصر الطاهريين لعدد من الحرائق أسفرت عن تلف الكثير من الأموال والدور وغيرها، ففي منتصف صفر سنة ٩٠٨هـ/١٥٠٢م احترق جانب عظيم من المدينة، وكانت أول شراراته قد بدأت مع منتصف الليل ثم تصاعدت النيران وامتدت إلى قريب الفجر، مما أسفر عن تلف الكثير من دور التجار، كأبي الليل[٣]، وأحمد بن عبدالسلام

---

١) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص٩٨؛ بافقيه، تاريخ الشحر، ص٦٢؛ العيدروس، النور السافر، ص٤٩.

٢) العيدروس، النور السافر، ص٥٠.وحبوب النار الفارسي: هي نفخات ممتلئة ماءً رقيقاً تخرج بعد حكة ولهيب. ابن الديبع، الفضل المزيد، ص١٠٦، ح(٧) .

٣) من تجار عدن المشهورين، وله مسجد سمي باسمه في الطرف الجنوبي من حارة الزعفران.

الجبرتـي[١]، وأحمد الدملوي[٢]، والحـوائجي، وإسماعيل بن عبدالأول الناشـري[٣]، وجزء من السوق الكبير إلى بيت باشكيل، ثم طالت النيران حارة اليهود، ثم قضت على حارة الحبوش بأسرها، وأحدقت النـار بالمدرسـة السفيانية، وتلفت أموال جليلـة، وقيل إنـه بلـغ عدد البيوت المحترقة تسعمائة بيت[٤].وبعد ست سنوات اندلع حريق ثـان فـي المدينـة أحدث ضـرراً بجزء كبير من المدرسة السفيانية، وامتدت النيران حتى حارة اليهود وما جاورها، ولقي ما لا يقل عن عشرين نفساً حتفهم، ومن البيوت والأموال ما لا يحصى[٥].

ولعل الحريق الثالث الذي شب في المدينة كان أشدهم دماراً وأوسعهم امتداداً وانتشاراً في أحياء عدن، حيث بدأ من قرب قريـة الشيخ أبـي بكـر (العيدروس)، وامتد شرقاً إلـى مسجد مسعود كبير محمد، ومظلة باشكيل الكبيرة[٦]، ووصل إلـى الشيخ جوهر فـي الجهة القبليـة، ثم إلى مسجد ابن حقس، وحـارة المقادشـة، ثـم رجع شرقاً إلـى سوق الخربذ؛ لأنـه صـادف رياحاً شمالية شديدة[٧].

كما انفرد شنبل[٨] بذكر حريق آخر حدث في مدينة عدن سنة ٩١٦هـ/١٥١٠م ، وأسفر وأسفر عن إتلاف ألف وخمسمائة بيت، بيد أن هذا العدد فيما يبدو مبالغ فيه، فالمؤرخ لـم يشـاهد ذلك عياناً وإنما اعتمد على السماع، كما أن بامخرمة لم يشر إلـى هذا الحدث بتاتـاً مـع أنـه كـان موجوداً بالمدينة في ذلك الوقت.

ويمكن استخلاص الأسباب التـي أدت إلـى معظـم هذه الحرائـق علـى أنها تعود بدرجـة أساسـية إلـى سـرعة اشـتعال الخـوص الـذي كـان عمـاد البنـاء فـي حـارات الحبـوش والمقادشـة والطبقـات الفقيـرة غيـر القـادرة علـى البنـاء بالأحجـار، كمـا كـان تجـاور حـارات المدينـة وقربهـا الشديد من بعضها البعض عاملاً مساعداً في سرعة انتشار النار وانتقالها من منطقـة إلـى أخـرى بسهولـة حتـى غطت معظم أجزاء المدينـة.

ومن المهم الإشارة في هذا الصدد إلى أن عدن لم تكـن وحدها ضـحية البنـاء بـالخوص، فقد كانت مدينة زبيد هي الأخرى فريسة لعدد من الحرائق بسبب استخدام أهلها الخـوص علـى نطاق واسع، وذلك لقلة كلفته في البناء، لكن السلطان المجاهد علي بن طـاهر تنبـه إلـى خطـورة

---

١) يبدو من اسمه أنه من تجار تهامة المقيمين في عدن.
٢) يبدو من اسمه أنه من تجار الدملوة المقيمين في عدن.
٣) مـن تجـار تهامـة المشـهورين، وآل الناشـري مـن بيـوت العلـم والقضـاء فـي زبيـد، وكـانوا مـن رجـالات الطاهريين، وتبوأوا وظائف مهمة في أجهزة الدولة الطاهرية الإدارية والقضائية.
٤) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص٩٣؛ بافقيه، تاريخ الشحر، ص٦١؛ العيدروس، النور السافر، ص٤٧.
٥) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص١٤٦؛ ذكر العيدروس وفاة ثلاثين نفساً، انظر: النور السافر، ص٨٥.
٦) لعلها إحدى المظلات التي كانت مجلساً للعلم، ويتبادلون تحتها الحديث وجلسات السمر في الهواء الطلق.
٧) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٢٩.
٨) تاريخ حضرموت، ص٢٤٥.

الأمر وأصدر مرسوماً يحظر البناء بالخوص، واستمر نافذاً لثلاث سنوات، ثم عادوا إلى استخدامه سنة ٨٧٥هـ/١٤٧٠م بعد أن تشفع لهم القاضي شرف الدين إسماعيل بن محمد الأحمر لدى المجاهد[١].

٦. حصار مدينة عدن: تعرضت عدن خلال عصر الطاهريين لسلسلة من الهجمات والغزوات الضارية، أبانت عن بسالة أهلها، وكفاءة تحصينات المدينة الدفاعية التي وأدت أحلام الغزاة ومخططاتهم الاستعمارية، لكن الفشل في اقتحام المدينة عنوة كان دائماً ما يفضي إلى محاصرتها من البحر أو من البرّ.

فقد أدى الحصار البحري المتكرر الذي فرضته البحرية البرتغالية على المدينة إلى عزلتها عن العالم الخارجي وإصابة مينائها التجاري بشلل تام، فعانى أهل عدن نقصاً حاداً في المؤن الأساسية التي كانت غالباً ما تستوردها من الخارج، لذا كانت سنوات الحصار البحري من أقسى وأصعب الفترات التي مر بها أهل عدن. أما من البرّ فقد تعرضت المدينة لأسوأ حصار عرفته في تاريخها الطويل، وكان على يد الأمير التركي مصطفى بيرم في ذي الحجة سنة ٩٣٥هـ/١٥٢٩م فبعد أن استنفد كافة المحاولات لاقتحام المدينة لجأ إلى حصارها لبضعة أشهر، وكادت تحدث كارثة إنسانية حقيقية بسبب طول فترة الحصار وشدة إحكامه من جهة البرّ، مما أدى إلى حدوث مجاعة شديدة في المدينة، فأكلوا الكلاب والقطط والجلود، وهلك منهم عدد كثير.

٧. الرياح والأمطار[٢]: ذكر بامخرمة في معرض حديثه عن حوادث سنة ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م عن عن حدوث موجة غلاء عمت مناطق اليمن مثل: زبيد، وعدن، والجبال، وصنعاء، ثم بلغ الغلاء ذروته في عدن إلى أن صار قيمة الزبدي الذرة أربعة دنانير، والمكيال العدني ثلاثين ديناراً، وعلى إثر ذلك أمر القاضي جمال الدين محمد بن حسين القماط الناس بالاستسقاء، وصيام ثلاثة أيام، على أن يخرجوا إلى حقات صبيحة اليوم الرابع وهم صائمون ، كما أمرهم بالتوبة والخروج من المظالم، فنفذوا أوامره، وأدوا صلاة الاستسقاء في ميدان حقات، وبعدها خطب فيهم الخطيب خطبة بليغة، ثم مكثوا أياماً صابرين يرجون الفرج الذي لم يأذن به الله إلا بعد أن عادوا ثانية للاستسقاء في حقات، وتنفيذاً لأوامر القاضي القماط أخرج تجار المدينة الصدقات،

---

١) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص١٤٥.

٢) يبلغ مستوى المتوسط السنوي للأمطار التي تسقط على عدن (٤٨,١ملم)، فيما توجد فترات قصيرة من سنة إلى ثلاث سنوات يسقط فيها المطر في المعدل، وهذا الوضع الجاف والمتميز بالفجائية والتذبذب في سقوط الأمطار بكثافة هو ما يؤدي إلى إحداث الفيضانات والانجرافات والدورات المتعاقبة للكوارث البشرية والمادية. قادري، عبدالباقي، "الجوانب الجيورمورفولوجية والمناخية لبناء صهاريج عدن ومسألة تموينات المياه للمدينة : دراسة في الجغرافيا التاريخية "، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، مج٣، ع(٥)، جامعة عدن، عدن ، يناير – يونيو ٢٠٠٠م، ص٩٢-٩٣.

ومدت الموائد لإطعام الفقراء، فجاءت رحمة الله وانهمرت الأمطار الغزيرة على عدن، وأدت غزارة الأمطار في لحج وزبيد إلى سيول عظيمة، وانخفضت بسببها أسعار الطعام، حتى بلغ المكيال بعدن عشرين ديناراً ثم انخفض تدريجياً إلى ثمانية عشر ديناراً، ثم خمسة عشر ديناراً فضة، وتابع انخفاضه حتى صار المكيال العدني ستة دنانير(١).

وفي سنة ٨٩٢هـ/١٤٨٧م ، سقطت أمطار غزيرة على عدن، وتلتها رياح شديدة، وتحطم بسببها مركبان ببندر عدن أحدهما لسلطان كنباية (بلد في الهند) فأتلف ما فيه من البضائع، وهلك أغلب من كان عليه من الركاب(٢)، واستمر هبوب الرياح على عدن حتى دمر ثلاثة عشر مركباً في مرسى الميناء(٣).

ومُطرت عدن في موسم سقوط الأمطار كرتين في سنة واحدة هي سنة ٩١٦هـ/ ١٥١٠م، وكانت المطرة الثانية هي الأشد انهماراً وغزارةً، ولم تقتصر على عدن وحدها كالأولى، بل شملت أعمال عدن كلحج وأبين والسيلة ، واستمر هطول الأمطار من منتصف الليل إلى عصر اليوم التالي، فامتلأت الصهاريج كلها حتى تفجرت، وفاضت المياه حتى سالت إلى البحر، وتملك الناس الخوف والفزع ، وتهدمت بيوت حجرية كثيرة، وهلكت خمس نساء وعبد تحت الأنقاض(٤)، وفي لحج وأبين كان المطر أشد من عدن، وانهارت بسببه بيوت كثيرة، فيما جرفت السيول الكثير من المواشي كالإبل والبقر والأغنام، وتلف الزرع، وسقيت كل الأراضي حتى فاض الماء وسال إلى البحر(٥).

ولعله من المفيد أن نتوقف عند هذه الحادثة لا لكونها حدثاً تاريخياً عارضاً فحسب، بل لأنها قدمت لنا وصفاً مهماً للجوانب العمرانية في عدن وأعمالها في عهد السلطان الظافر عامر (الثاني) ولعل أهمها صهاريج عدن، وهي التي بناها القدماء في سفح جبل التعكر من جهته الجنوبية الغربية لحفظ مياه الأمطار، والتخفيف من اندفاعها الشديد نحو المدينة(٦)، وما جاء في هذه الحادثة من وصف أظهر وبوضوح قِدم الصهاريج وتشعثها ، ومن ضمنها الصهريج المستدير الذي بناه السلطان الظافر عامر(الثاني) بن عبدالوهاب سنة ٩٠٥هـ/١٥٠٠م ، والواقع خارج دائرة الصهاريج الأخرى(٧) ، وما التصدع في بنيانها ، وتفجرها (تهدمها) إلا دليل على

---

١) قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٥٨-٣٦٥٩.
٢) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص١٧٩؛ بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٦٨.
٣) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص١٨١؛ بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٦٩.
٤) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص١٦٤، ١٦٩؛ العيدروس، النور السافر، ص٨٧-٨٨.
٥) المصدر نفسه والصفحة؛ العيدروس، النور السافر، ص٨٨.
٦) للمزيد من المعلومات عن صهاريج عدن انظر: محيرز، صهاريج عدن، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والمتاحف، عدن، ١٩٨٧م .
٧) يعرف هذا الصهريج بصهريج بلاي فير. المشهور، جلاء الهم ، ص١٢؛ انظر: لوحة رقم (١٣،١٤) . ويخالف محيرز ذلك مشيراً إلى أن الصهريج الذي شيده عامر (الثاني) يقع في المباه . العقبة ، ص١٢٨ .

أنها كانت دون المستوى المطلوب الذي أنشئت من أجله، ومن ناحية أخرى، لوحظ أن الزراعة وأعمال الري في كل من أبين ولحج لم تحظيا برعاية الحكام الطاهريين مع أن الظافر عامر (الثاني) كانت له انجازات وأيادٍ بيضاء في مجال تشييد السدود وشق القنوات في بعض المناطق الزراعية، إلا أن ذلك الاهتمام كان مفقوداً في أعمال عدن رغم حاجتها لمياه الأمطار التي كانت دائماً ما تجد طريقها إلى البحر.

٨. المـــــــاء: تعجب الناس منذ القدم بمدينة عدن وأدهشتهم أن يعيش الناس فوق صخرة لا زرع فيها ولا ضرع ولا ماء فيها ولا كلأ، وكيف سيعيش أهلها إن هي حوصرت وقطع عنها الماء؟!

والواقع أن تاريخ عدن هو تاريخ الماء، فمدينة كهذه محصورة بين الجبال لابد وأن تتعرض لكارثة شحة المياه إن ضرب عليها الحصار لزمن طويل، لذلك كان ولا يزال تأمين الماء هم كل السلطات التي حكمت المدينة، ولتلافي الأمر بنيت الصهاريج في وديان المدينة كالطويلة، والخساف، والعيدروس، وسفح جبل المنصوري[١]، فضلاً عن حفر الآبار التي تزدحم بها المدينة، وجلب الماء من الأحسية[٢] على ظهور الجمال، وشقت القنوات وتمت حمايتها.

وعلى الرغم من اختلاف الوسائل لجلب الماء منذ القدم وحتى العصر الراهن، إلا أن المدينة لا زالت تسقى عبر باب عدن البري (العقبة) وهو الباب الذي أسمته المصادر باب السقايين[٣]، مضيفين إلى مهامه العديدة بعداً اقتصادياً مهماً هو تموين المدينة بالماء، ولم يعولوا على الآبار العديدة المنتشرة في المدينة؛ لأنها لا تكفي السكان، كما أنها أكثر عرضة للنضوب في مواسم شح المطر .

---

١) جبل المنصوري : هو من الأسماء التي أُطلقت على جبل الخضراء، ويدعى أيضاً جبل الدروب ، يحيط بالمدينة من الجهة الشمالية ، ويفصل بينه وبين جبل التعكر باب عدن، ويشرف جزء منه على المباه، وقد بنيت عليه عدد من الدروب الدفاعية أبرزها درب حوش. محيرز، صيرة، ص٣٨-٥٠.

٢) الإحسية: جمع إحساء، وحسي، وحسوة، وهو مصطلح جغرافي لمواضع قريبة من الساحل غالباً ما تتجمع فيها مياه الأمطار والسيول في قيعانها الصخرية تحت رمال تمنع تبخره، وتتميز بكثرة العيون والآبار، وتوجد في الساحل المقابل لشبه جزيرة عدن، وفي حوض وادي لحج عدة حسوات أشهرها الموقع المعروف (حالياً) بالحسوة التي لا زالت عامرة في منتصف الطريق بين عدن والبريقة، وأخرى قرب المكسر تعرف بحسوة السيد حسن، كما تمتلئ منطقة العماد بالمياه السطحية (إحساء) اعتمدت عليها عدن في تموين المياه. محيرز، العقبة، ص١٠٣.

٣) محيرز ، العقبة ، ص١٢٧ . انظر: صورة رقم (٢، ٣) .

وقد ذكر الهمداني أن عدن كانت تعتمد على الحيق[1] كمصدر رئيس لتموين أحياء المدينة بالماء[2]، ولا يبدو أن هذا الوضع قد تغير في عصور بني زريع، وبني أيوب، وبني رسول من حيث التموين من خارج المدينة على ظهور الجمال.

بيد أن ذلك الوضع قد تغير كثيراً في عصر الدولة الطاهرية وصار لعدن نظام متكامل لجلب الماء أكثر أماناً وأسهل تحكماً من السابق، فقد تمت الإشارة إلى قناة يبدأ مسارها في مكان ما في البر[3] تمر بمحاذاة المكسر وصولاً إلى التلاج حيث تصب في صهريج حجري ضخم، ثم يأتي دور الجمال التي تنقله على ظهورها إلى داخل المدينة[4].

ويعود الفضل في بناء هذا المشروع الحيوي إلى السلطان الظافر عامر (الثاني) الذي قال عنه ابن الديبع[5]:" وهو الذي أجرى التلاج إلى ظاهر مدينة عدن من أماكن بعيدة، وانفق في ذلك أموالاً عديدة"، وهذه العبارة تكفي لإثبات أن الظافر أنشأ قناة إلى التلاج وهو الاسم الذي ربما اتخذه الصهريج بحسب موقعه في (التلاج) من أماكن بعيدة، وليس إلى بناء الصهريج ذاته الذي ربما كان موجوداً من قبل، ينقل إليه الماء بالجمال قبل إنشاء القناة[6].

ومن جهة أخرى ذكر محيرز أنه كان تحت باب عدن صهريج آخر ضخم يفصل بينه وبين خزان التلاج مسافة ربع فرسخ (١كم) ، مشيراً إلى أنها المسافة ذاتها التي حددها بامخرمة بين المباه وجبل حديد[7]، ولافتاً في الوقت ذاته إلى أن مصدراً برتغالياً يعود إلى سنة ١٥٣٠م قد أكد صحة وجود ذلك الخزان، إذ ذكر ذلك المصدر أنه كان فيما بين ١٥٠٠ – ٢٠٠٠ جمل يومياً تصب في صهريج تحت باب عدن أسماه بباب الماء، فإذا وصلت القوافل في النهار، فإن الجمال تنقل الماء مباشرة إلى المدينة. أما في الليل فتصبه في هذا الصهريج؛ لأن باب عدن لا يفتح أبداً في الليل[8].

---

١) الحيق: المنطقة التي تتصف بكثرة السيول والآبار السطحية، والحيق يحوي إحسية. محيرز، العقبة، ص١٠٥-١٠٧.
٢) صفة، ص٩٤.
٣) وصف هينز القناة بعد ثلاثة قرون في تقريره المشهور بأنها تبدأ من (أمحيط) وتنتهي في خزان داخل (درب الحريبي)، وتمون عدة برك تبعد عن بعضها البعض بمسافات معينة، وحدد طولها بـ ١٦٠٣٢٠ ياردة (١٦٠٣متر) تتجه إلى الشمال الغربي وارتفاعها ٥ أقدام (١,٥١متر) وعرضها ٤,٥ قدم (١,٣٦متر)، وهي مبنية من الآجر والحجار، ومجرى الماء في القناة نحو ١٠ بوصات (٢٥,٤سم) في عمق ١٦ بوصة (٤٠,٦٤سم). محيرز، العقبة، ص١٢٨ عن Haines, p. 145.
٤) محيرز، العقبة، ص١٢٨.
٥) الفضل المزيد، ص٢٤٠.
٦) محيرز، العقبة، ص١٢٨.
٧) المرجع نفسه، ص١٢٩-١٣٠.
٨) المرجع نفسه ، ص١٣٠.

ولعل ابن الديبع[١] قد قصد ذلك الصهريج خلال تعداده مآثر الظافر عامر (الثاني) في عدن حيث قال:" ومسجد بداخل مدينة عدن، وآخر بالمباه بظاهر باب البر منها، وصهريج عظيم بها، لم يسبق إلى مثله". وهذا يعني أن الظافر قد بنى صهريجاً ثانياً تحت باب عدن كلف خزانة الطاهريين أموالاً جزيلة.

وبناءً على هذه المعطيات يمكننا القول: إنه لم يتبق آنذاك سوى الربط بين هذين الصهريجين بقناة أخرى لتصبح العملية أكثر سهولة في إمداد المدينة بالماء، فهل تحقق ذلك؟ جاء في أحد المصادر الأجنبية المعاصرة للطاهريين ما يفيد عن ارتباط هذين الصهريجين ببعضهما البعض بواسطة أنابيب بعبارة نصها:" ولا يوجد في داخل المدينة [عدن] أي ماء بتاتاً، ولكن توجد بناية ضخمة خارج البوابة التي تعبر الناس فيها نحو البرّ، وإلى هذه البناية يصب الماء عبر أنابيب تمتد من جبل على مسافة يفصله عن الصهريج سهل واسع"[٢]، مما يعني أنه قد تم رفع صهريج التلاج إلى مستوى يسمح بانسياب الماء إلى صهريج الظافر تحت باب عدن، وهذا يبدو أقصى تطور أمكن الوصول إليه بحسب الإمكانيات المتاحة في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي.

ولعله من المفيد الإشارة إلى أن كمية الماء الواردة إلى المدينة تعكس حجم معدل النمو السكاني فيها، حيث تراوح عدد الجمال التي كانت ترد باب عدن محملة بالماء ما بين ١٥٠٠-٢٠٠٠ يومياً خلال تلك الفترة، بينما بلغ عددها في سنة ١٨٧٤م نحو ٧١٩١٠ جملاً في السنة[٣]، وذلك بمعدل دون المائتي جمل يومياً، أي عشر عددها قبل نحو ثلاثة قرون ونصف، مما يدل على كثافة السكان وازدهار المدينة في عصر الدولة الطاهرية.

سادساً- **التخطيط العمراني لمدينة عدن :**

١. حارات مدينة عدن:

لقد مرت مدينة عدن في العصر الحديث والمعاصر بسلسلة من التغيرات والاستحداثات شملت التخطيط العام للمدينة ، حيث تم تقسيمها إلى وحدات ذات شوارع مستقيمة ومتوازية ولها أسواق منفصلة ومتخصصة وغير ذلك من التحديثات العصرية التي كانت أشبه بإعادة بناء للمدينة عما كانت عليه في العصر الإسلامي ، فقد كان التقسيم آنذاك منسوباً إلى أعلام وأعيان

---

١) الفضل المزيد، ص٢٣٩.

2) Barbosa.D :A Description of the Cost of Eastl Africa Malabar in the beginning of the Sixteen Century , Translated by: Henry .E , J . Stanley , p. 54

٣) محيرز، العقبة، ص١٣١.

ذلك الزمان، فسميت الحارات بأسمائهم كدلالة على مقرات سكنهم وقبورهم، وبعض الحارات نسبت إلى الحرف أو المهن، وأخرى للأعراق والطوائف التي سكنت المدينة، على أن التمركز السكاني كان يمتد من سفح جبل الخضراء طولاً وعرضاً حتى باب عدن، فيما تميزت المناطق المتاخمة للميناء بازدحامها الشديد أكثر من غيرها لاسيما

حارة القطيع[١]، فضلاً عن طرف المدينة مما يلي الساحل والقريب منه[٢]. ويمكننا تتبع حارات المدينة من خلال ما تبقى من مسميات يندر أن تتغير إلا قليلاً والاعتماد على المواقع التي يستدل من أوصافها على أسماء ما يجاورها كالجبال والأودية وأضرحة الأولياء والمساجد التي قليلاً ما تغيرت، إذ لا زالت كثير من الحارات محتفظة بأسمائها القديمة كحارة الزعفران، وحسين، واليهود، والهنود، والقطيع، والخساف، والعيدروس، كما كانت بعض تلك الحارات قريبة من بعضها البعض لا سيما التي تتوسط المدينة عدا حارة الخساف البعيدة إلى حدٍ ما، ولعل حوادث الحرائق التي كانت تشب في المدينة بين الحين والآخر أوثق الدلائل على قرب المساحات بين حارات المدينة، ويمكن إيراد أهم حارات مدينة عدن في عصر بني طاهر على النحو الآتي:

أ) حارات العرب:

- حارة أبان:

سميت بهذا الاسم نسبة إلى المسجد[٣] الذي شيده أبان بن عثمان بن عفان ﷺ (ت١٠٥هـ/٧٢٤م)، وهي أقصى ما سكنه أهل عدن في شمال المدينة مما يلي السائلة[٤].

- حارة باحنان:

ذكر بامخرمة[٥] بأنها تقع بالقرب من سوق الفارض، وقد سميت كذلك نسبة إلى التاجر محمد أحمد باحنان أحد تجار عدن المشهورين (ت٨٥٦هـ/١٤٥٢م)، وذكر أنه استفاد من هروب التجار من عدن في عهد الناصر الرسولي، فاشترى منهم جملة من العقار من الدور والفنادق والدكاكين بعدن وتعز، وجملة من الأراضي بوادي لحج وهي التي عاد نفعها على أولاده من بعده[٦]، وعلى الأرجح أن باحنان قد سكن هذه الحارة، أو أن جملة العقارات التي اشتراها كانت في هذه الحارة، أو للسببين معاً، وأياً كان الأمر، فإننا لم نتمكن بعد من تحديد موقعها على وجه الدقة بسبب اندثار المعالم وتجدد الأسماء عبر الزمن.

---

١) محمد كريم، "مجتمع عدن في عهد بني زريع وبني أيوب"، مجلة كليات التربية، ع(٦)، عدن، أغسطس ٢٠٠٤م، ص١٢.
٢) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج١، ص٩.
٣) تم هدم مسجد أبان القديم وبني عوضاً عنه مسجد جديد أكثر اتساعاً افتتح في ٣٠ مايو ١٩٩٧م.
٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٠٣.
٥) قلادة النحر، ج٣، ص٣٧١٠.
٦) المصدر نفسه والجزء، ص٣٥٧٨-٣٥٧٩.

- حارة[١] البصال:

سميت بهذا الاسم نسبة إلى الفقيه أبي عبدالله محمد بن أحمد الذهيبي الشهير بالبصّال (ت٧٤٥هـ/١٣٤٤م)، وفيها تقع المدرسة الياقوتية التي شيدت في عصر الرسوليين، وتقع في الوقت الحاضر بشارع الملك سليمان أحد الشوارع الأكثر ازدحاماً في المدينة.

- حارة جوهر:

وهي من حارات عدن القديمة، وسميت كذلك نسبة إلى مسجد وتربة الشيخ جوهر العدني أحد رموز الصوفية في عصر الدولة الرسولية[٢]، وتعرف أيضاً في الوقت الحاضر بحارة القاضي.

- حارة حسين:

تقع فيما بين سائلة الخساف وسائلة الطويلة[٣]، وسميت كذلك نسبة إلى الفقيه حسين بن صديق الأهدل، (ت٩٠٤هـ/١٤٩٩م) [٤]، ولا زالت تحتفظ باسمها في الوقت الحاضر.

- حارة العيدروس:

عندما وصل الشيخ أبوبكر العيدروس إلى عدن قادماً من تريم كان غالب سكان المدينة يتوطنون المنطقة المتاخمة لساحل صيرة، في حين كانت المنطقة التي تليها حتى سفح جبل شمسان قفراً، فحطت رحال العيدروس عليها، ولذا فهي تعد في تقديري آخر الحارات المستحدثة في عصر الطاهريين ، وقد أشار إليها بامخرمة في معرض حديثه عن الحريق الذي شب في مدينة عدن سنة ٩١٥هـ/١٥٠٩م ، ووصفها بقرية الشيخ أبي بكر (العيدروس) [٥]، ربما ربما لبعدها وانفصالها عن مركز المدينة بعض الشيء، ولا زالت ذرية العيدروس تسكن هذا الحي في جوار الضريح والمسجد وهو المعروف بشعب العيدروس في الوقت الحاضر.

- حارة القطيع:

وهي من الحارات القديمة، وبها المقبرة المشهورة بالقطيع وتقع تحت جبل شمسان في محاذاة طرفه الشرقي، وجزؤها القريب من الساحل يسمّى المرسابة، وكان محطة القوافل لنقل البضائع والناس من البندر إلى مناطق اليمن[٦].

---

١) ورد في مصنفات كل من ابن الديبع وبامخرمة اسم (الحافة) ويقصد بها الحارة، واسم الحافة لا يزال يتداول على ألسن أهل عدن حتى الآن.
٢) يعد ضريح الشيخ جوهر المتوفي في أواخر القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، وهو من أقدم الأضرحة ، ومازال قائماً إلى يومنا هذا.
٣) وكانت تسمى قديماً بحي الشاذلية. محيرز، صهاريج عدن ، ص٣٢.
٤) بافقيه، تاريخ الشحر، ص٣١.
٥) قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٢٩.
٦) محيرز، صيرة، ص٤٧.

ب) حارات الجاليات والطوائف الدينية:

أدى التسامح العرقي والديني في عدن عبر العصور إلى استقرار شرائح كثيرة من الأقليات والطوائف المختلفة، وشكلوا مع عرب ومسلمي مدينة عدن نسيجاً اجتماعياً متجانساً مع احتفاظ كل منهم بعاداته وتقاليده الخاصة، وانطلاقاً من رغبة التميز التي كانت كثيراً ما تتملك الأقليات والطوائف للشعور بالاستقلالية نوعاً ما سكنوا في حارات مخصوصة نسبت إليهم منها:

- حارة اليهود:

هاجرت عدد من الأسر اليهودية من حوض البحر الأبيض المتوسط، والعراق، وإيران، والمغرب العربي إلى مدينة عدن منذ زمن طويل[١]، ومنحهم وضعهم الديني كأهل ذمة[٢] كامل الحقوق الشرعية التي أقرها حكام عدن في العصر الإسلامي، حيث خصصوا لأنفسهم حارة نسبت إليهم وكان لهم كنسهم ومدارسهم، ومحكمة عبرية تقضي في خصوماتهم، وزعيم ديني ولوه شئون دينهم ودنياهم[٣].

ومن الملاحظ أن المصادر قد أغفلت الحديث عن أهل الذمة بشكل عام مما جعل الخوض في استقراء تاريخهم الطويل يبدو أكثر صعوبة، وقد يعود السبب الذي دفع المؤرخين إلى إهمال أخبارهم إما تعصباً، وإما لقلة تعدادهم السكاني ليس في عدن فحسب، بل في جميع مناطق اليمن، لكن مع هذا وذاك يمكننا أن نستشف مما هو متوفر من المعلومات بأن اليهود قد مارسوا حرياتهم الاجتماعية داخل إطار الحياة العامة للمجتمع ككل، وإن كانت هذه الحريات، في تقديري، تخضع من حين لآخر لبعض القيود التي كانت تفرض لسبب أو لآخر كالتمييز بالملابس، وحظر ركوب الخيل، وعدم المبالغة في بناء الدور العالية وغيرها من القيود التي فرضتها أحكام الشريعة الإسلامية[٤].

إلا أن ذلك لم يمنع اليهود من أداء دورهم في المجتمع، والمشاركة الايجابية في الحياة العامة يتأثرون بأحداثها ومجريات الأمور فيها، ويؤثرون فيها بقدر ما تسمح ظروفهم وأحوالهم

---

١) محمد كريم، "مجتمع عدن "، ص٢٥؛ Roxani. E,op, cit, p. 30.

٢) أهل الذمة: اصطلاح عرفه الفقه الإسلامي، ويطلق على من يجوز عقد الذمة معهم، وهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، كما اعتبر المجوس أهل ذمة وأخذت منهم الجزية ، حيث يذكر أن عمر بن الخطاب ﷺ كان قد توقف عن أخذها منهم حتى شهد عبدالرحمن بن عوف أن الرسول ﷺ أخذها من مجوس هجر، فأخذها عمر منهم. أنظر: ابن قيم الجوزية،شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر،أحكام أهل الذمة، ج١، نشره: صبحي الصالح ، دمشق ،١٩٦١م ، ص١-١٠. ومعنى الذمة التزام، تقرير (توطين) أهل الكتاب في ديار الإسلام، وحمايتهم مقابل الجزية، ففي قوله تعالى: ﴿حتى يعطوا الجزية﴾، وجعلها غاية ما يطلب منهم لقاء ذلك. الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٣٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج٨، ص٢٣٤-٢٣٥؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٣، ص٣٥٦-٣٥٧.

٣) الجندي، السلوك، ج٢، ص٢٥؛Roxani. E, op, cit, pp 30 – 31.

٤) للمزيد من التفاصيل عن شروط عقد الذمة وأقسامها انظر: الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٣٨-١٣٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج٨، ص٢٣٨-٢٣٩.

الاجتماعية، حيث يذكر أن يهود عدن قد اشتغلوا بالتجارة لا سيما صياغة الذهب والفضة والحلي في سوق الصاغة[١]، كما نشطوا في التجارة وقاموا بدور الوكلاء التجاريين لتجار الهند ومصر[٢]، على أن ذلك النشاط التجاري المتميز لم يبرز إلا منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[٣].

أما عن علاقاتهم الخارجية، فقد ذكر أنهم كانوا على علاقات اجتماعية ودينية وتجارية مع الطائفة اليهودية في مصر، كما كان زعيمهم الروحي في عدن على علاقة وطيدة بزعيم الطائفة اليهودية بمصر[٤]، ثم سعى زعيمهم في عدن والهند إلى تعزيز علاقاته بكبار قادة الدولة الإسلامية حتى صارت أكثر تميزاً في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي[٥].

ولعل أبرز الأسر اليهودية التي اشتهرت بعدن في ذلك الوقت أسرة مضمون اليهودي، ومضمون بن داود، وإبراهيم بن بيجو (ياجو)، وحلفون بن ناثينال الدمياطي (أبو أيوب سعيد الدمياطي)، وأبو زكري كوهين السجلماسي[٦].

وقد استفادت طائفة اليهود في عدن من وضعها الاجتماعي والديني فضلاً عن التسامح الاجتماعي الذي أبداه سكان المدينة، مما ساعدهم على تطوير نشاطهم التجاري، وتمكنوا في عصر الدولة الرسولية من العمل ضمن تجار الكارم[٧].

أما في عصر الدولة الطاهرية فإننا لم نجد في المصادر ما إذا كان ليهود عدن مشاركات اجتماعية أو سياسية في الأحداث التي مرت بها المدينة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر التكافل الاجتماعي الذي حدث إبان الأزمات الاقتصادية التي شهدها سكان المدينة جراء موجات الغلاء ، والحصار البحري والبري، ومن ناحية أخرى لم يتبين موقفهم من العدوان الخارجي الذي تعرضت له عدن في عهد السلطان الظافر عامر (الثاني) ومن جاء بعده من السلاطين، وإن كانوا شرعاً في حل من حمل السلاح للدفاع عن المدينة، كما أنه لم يتبين موقفهم من الصراعات الطاهرية الطاهرية على السلطة، ثم موقفهم من المعارضة في الداخل عدا

---

١) ابن المجاور، المستبصر، ص٣٢؛ السروري، الحياة السياسية، ص٦٥٦-٦٥٧ ؛ ومن واقع سجل الرحالة فان دن بروكه المؤرخة في ١٠ سبتمبر١٦١٤م ، أن عدد الطائفة اليهودية بعدن كان كبيراً جداً ، ويعيش معظمهم من تقطير العرق والمشروبات الكحولية المتنوعة ،بالإضافة إلى تعاملهم بالربا بين أوساط الناس ، والبعض الآخر منهم كانوا فاحشي الثراء . حسين محمد،" هولندا واليمن" ، ص١٢٣ .
٢) محمد كريم، "مجتمع عدن"، ص٢٥.

3) Roxani. E, op, cit, p. 29

٤) العسيري، محمد بن علي، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي، دار المدني، جدة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٢٩٤.

5) Roxani. E, op, cit, pp. 30 – 31

٦) محمد كريم، "مجتمع عدن"، ص٢٥.
٧) أبرزهم التاجر ووكيل تجارة الكارم في عدن مضمون بن حسين بن ينور، ومن ورثه في مهنة التجارة من أبنائه وأحفاده وأقاربه. جوايتاين، التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تح وتعريب: عطية القوصي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٠م، ص٢٦٠، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٥.

ثورة[١] يهودي بيحان[٢] على السلطة الطاهرية، فكيف حدثت هذه الثورة؟ وما علاقة يهود عدن بها؟

ذكرت المصادر أن يهودياً في بيحان قد خرج على السلطان الظافر عامر (الثاني)، وأعلن الخلاف، ووصف بأنه كان ناقضاً للعهد، وناكثاً للأيمان، يطعن في دين الإسلام، ويتطاول على المسلمين، وتبعه الكثير من اليهود لا سيما من كان قد أسلم ثم ارتد وعاد ليهوديته، كما آوى إليه عدداً من القتلة، ومن خالف على السلطان من المسلمين، فتوجه إليه السلطان الظافر في شهر صفر سنة ٩٠٥هـ/١٥٠٠م منطلقاً من المقرانة على رأس قواته العسكرية موهماً بأنه في رحلة صيد، ويتقدمه عدد من الأمراء الذين تجاوزوا مدينة بيحان ووقفوا عند ربعها الأخير غير المأهول بالسكان، ثم فارقهم السلطان ودخل المدينة، ولما علم اليهودي بذلك تنحى مع من كان معه وانسحبوا إلى الجهة الخالية من السكان دون أن يعلموا بأن جزءاً من القوات الطاهرية كانت تنتظرهم في هذا الموقع، فألقي القبض عليه ومن معه من الأولاد والأموال والدواب بعد معركة عنيفة ، كما تم لهم القبض على قاتل ابن مخارش[٣] أحد مناصري السلطان الظافر عامر (الثاني) [٤].

ويتبين من معطيات هذه الحادثة بأنها كانت تعبر بطريقة أو بأخرى عن مقاومة شريحة كبيرة من يهود اليمن، ربما لشعورهم بالدونية واستفحال الاضطهاد الاجتماعي تجاههم، مع أن هذا عار عن الصحة فالإسلام دين التسامح وهم في ذمة المسلمين، لذا وجدوا في بُعد مدينة بيحان عن حواضر الطاهريين ما يجعلها مركزاً ملائماً لحشد أكثر عدد ممكن من أطياف الخارجين عن الحكم الطاهري، بيد أن السلطان الظافر تنبه لذلك واستشعر خطورة الأمر في حال امتداده إلى مناطق أخرى واتساع دائرة المعارضة مما يجعل مهمة إخمادها لاحقاً أكثر صعوبة، لذلك قام بإعداد خطة محكمة لتطويق هذه الفتنة، كما كان شديد الحرص على القبض

١) ليس المقصود بكلمة ثورة في هذه الدراسة ما تحمله الكلمة من معنى ومضمون يتفقان ومفاهيمنا المعاصرة، أي أن استخدامنا لهذه الكلمة في هذه الدراسة هو استخدام تاريخي بحت، وبعبارة أخرى فإن استخدامنا لكلمة ثورة في هذا المقام جاء تماشياً مع استخدام كتاب تلك العصور ومؤرخيها في اليمن من فعل ثار فلان، كقول عمارة:"ثار الصليحي"، المفيد، ص٨٨، كما أنها لم تكن على درجة من النضج الثوري بحيث تشكل حركة ذات أهداف واضحة ومحددة ومرسومة تهدف إلى تغيير أرضية الواقع اليمني آنذاك، فضلاً عن أن التشكيل الثوري بخلاياه ومبادئه وأهدافه ووسائله التنفيذية لم يكن معروفاً، ولا يمكن أن يوصف به ذلك المجتمع القبلي.

٢) بيحان: وادٍ مشهور في قاع فسيح يمتد من شمال البيضاء إلى أطراف رملة السبعتين، ويشكل مع أعماله مديرية من مديريات محافظة شبوة وعاصمتها مدينة العليا، وفيه عدد من المناطق الأثرية أهمها: جبل ريدان، وهجر بن حميد، وهجر كحلان، وخرائب مدينة تمنع عاصمة دولة قتبان. المقحفي، معجم البلدان، ج١، ص٢٠٨.

٣) ابن مخارش هو ابن صاحب الجوف، وقد قتل في مخيم السلطان الظافر عامر (الثاني) في رداع، ولم يعثر على قاتله، وجد ابن مخارش هو علي بن محمد بن مخارش من أتباع الإمام الناصر صاحب صنعاء،وقد قتل في معركة مع جند السلطان المجاهد علي بن طاهر بذمار سنة ٨٦٤هـ. انظر: بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧١٦-٣٧١٧؛ يحي بن الحسين، غاية الأماني، ج٢، ص٥٨٩.

٤) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص٥٨-٥٩.

على رموزها داخل المدينة، وقد يعود سبب الإخفاق الذي منيت به ثورة اليهودي إلى أنه لم يجد قوى سياسية مساندة وداعمة له من الداخل أو من الخارج عدا قلة قليلة من المعارضة التي تتظاهر بتبرمها من الأوضاع وتبطن حقيقة مشاعرها تجاه اليهود بصفة عامة.

أما عن علاقة الطائفة اليهودية بعدن بهذا الحدث فما من شك أنهم راقبوا تطوراته ونتائجه، غير أنهم لم يبدوا تعاطفهم إزاء ذلك علناً؛ لأن وضعهم الاجتماعي والتجاري في مدينة عدن لم يسمح لهم بالمجاهرة التي قد يفقدون معها ما وصلوا إليه من الثراء، كما أن حاراتهم ليست بمنأى عن أيادي أهل عدن المسلمين، وقد تعرضت غير مرة للحرائق التي كانت تشب في أحياء المدينة من حين إلى آخر بسبب اتصالها وقربها الشديد من الحارات الأخرى.

وعلى أية حال، فإن تلك القلاقل والاضطرابات ذات الطابع الدموي والتي أثارتها عناصر مضطهدة في بيحان كانت حركة عنيفة ذات غرض انتقائي محدود.

- حارة الهنود (البانيان):

البانيان طائفة من الهنود الهندوس، ويطلق عليهم البراهمة أو البانيان، ويظهر أنهم أسسوا حياً تجارياً في عدن سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤م[١]، حيث اشتغلوا بالتجارة والصناعة، وازدادوا ثراء وسكنوا البيوت الجيدة[٢]، وخالطهم سكان من طوائف أخرى كالخراسانيين،فقد ذكر بامخرمة أنه وجد في كتاب ما يفيد أن أبي الحسن علي بن علي الجويني الخراساني قد ملّك ابنته عائشة داراً صغيراً بحافة البانيان[٣]، وتشغل هذه الحارة موقعاً متميزاً في السوق، نظراً للسمة التجارية البحتة لهذه الطائفة ، كما استفادوا من التسامح الاجتماعي والديني فبنوا المعابد لممارسة شعائرهم وطقوسهم الدينية[٤].

- حارة الدناكل أو الديالكة:

وهم من سكان القرن الأفريقي (جيبوتي) وينتمون إلى قبيلة العفار[٥]، كما ذكر بأنهم من قبائل الصومال، وعرفت السهول المتناثرة حول نهر عواض باسم سهول الدناكل[٦]، ولعل العلاقات التجارية الجيدة التي حدثت بين عدن وزيلع كانت سبباً في نزوح جماعات كبيرة للاستقرار في عدن، ونظراً لسوء أحوالهم المادية سكنوا أكواخ الخوص في حارة قديمة نسبت إليهم.

---

١) سالم علي سعيد، "لهجة عدن"، مجلة اليمن، ع(٢)، مركز البحوث والدراسات اليمنية، جامعة عدن، عدن، السنة الثانية، ١٩٩٠م، ص٩٧.
٢) حسين محمد، "هولندا واليمن "، ص١٢٣.
٣) تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص١٥٥.
٤) يوجد لهم معبد في شارع حسن علي ما زال قائماً حتى الآن ، انظر: لوحة رقم(١٩) .
٥) رجب محمد عبدالحليم، العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة في العصور الوسطى، دار النهضة ومط جامعة القاهرة، الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص١٤-١٦.
٦) المرجع نفسه والصفحات.

- حارة الحبوش:

ساهم التقارب الجغرافي بين اليمن والحبشة في حدوث هجرات متبادلة بين المنطقتين منذ القدم، وقد أوردت مصادر العصر الطاهري عدداً من الشخصيات والأسر اليمنية التي هاجرت إلى الحبشة وتحديداً إلى برّ سعد الدين منها على سبيل المثال لا الحصر الأشراف آل باعلوي، حيث ذكر شنبل أن الطاعون الذي حدث في برّ سعد الدين سنة ٨٩٥هـ/١٤٩٠م قد حصد أرواح خلق كبير من العرب بينهم شخصيات شهيرة من الأشراف آل باعلوي[١]، ثم حدث طاعون آخر سنة ٩١٧هـ/١٥١١م، ولعله الأكثر فتكاً بالأرواح، حيث لقي ما لا يقل عن عشرين نفساً من آل أبي علوي حتفهم غير النساء والأطفال[٢].

كما كانت مدينة عدن مقصداً لهجرات الحبوش المتكررة، حتى أنهم أسسوا حارة نسبت إليهم ذكرها المؤرخون في بعض الحوادث والكوارث التي تعرضت لها عدن مطلع القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، ومنها ذلك الحريق الذي اندلع سنة ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م والذي قضى على هذه الحارة بأسرها[٣]، وقد تبين من هذه الحادثة أن البيوت كانت مبنية من الخوص مما جعلها هدفاً سريع المحق والتلف.

والجدير بالذكر أن جُل الطائفة الحبشية كانت ،في تقديري، على الديانة المسيحية (الأرثوذكس) إلا أن المصادر لم تذكر شيئاً عن كنائسهم في عدن خلال العصر الطاهري، أما أحوالهم المعيشية فالظاهر أن هذه الطائفة كانت فقيرة جداً، وقد أشار إليهم بامخرمة إشارة عارضة في معرض حديثه عن غزو أبي دجانة لعدن، وذكر أن الأمير أبن سفيان قد رتب على حصن القفل رتبة من البرابر والحبوش لمنع قوات أبي دجانة من الزحف على المدينة من هذا الموقع[٤]، وعلى الأرجح أن هؤلاء الأفارقة كانوا من عبيد الطاهريين الملتحقين في صفوف حامية عدن.

- حارة المقادشة:

ذكر ابن المجاور غير مرة عن أحوال البربر وتاريخهم في استيطان مدينة عدن، كما أسهب أيضاً في وصف نسائهم وسلوكهن، وأخلاقهن وغير ذلك[٥]، وهذا يدل على أنه كان لهم في المدينة حارة خصصوها لأنفسهم تدعى حارة البرابر، بيد أن هذه الحارة كما يبدو قد تغير اسمها مع مرور الزمن حتى صارت تعرف بحارة المقادشة في عصر الدولة الطاهرية، حيث

---

١) تاريخ حضرموت، ص٢٠٨.
٢) شنبل، تاريخ حضرموت ، ص٢٤٧.
٣) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص٩٣؛ العيدروس، النور السافر، ص٤٨؛ بافقيه، تاريخ الشحر، ص٦١.
٤) قلادة النحر، ج٣، ص٣٦١٢.
٥) المستبصر، ص١١٧.

ذكرتها مصادر ذلك العصر في وقائع عدة لعل أهمها حريق مدينة عدن الذي اندلع سنة ٩١٥هـ/١٥٠٩م، وكانت ضمن الأحياء السكنية التي طالتها النيران[١]، ومساكنهم كالحبوش أكواخ من الخوص توحي بتدني مستواهم المادي.

٢- بيوت عدن وقصورها وحصونها:

أ) بيوت أهل عدن:

أشارت المصادر إلى أن أهل عدن قديماً قد سكنوا الحصون على قمم الجبال، ثم نزلوا للسكن في الوادي[٢]، وأثبتت الدراسات الآثارية لجزيرة صيرة ما يفيد أنها كموقع أثري قديم كان مأهولاً بالسكان منذ القرن السادس والخامس (ق.م)[٣]، وقد ذكر ابن المجاور[٤] أن حكام عدن قد اتخذوا من رؤوس الجبال سكناً لهم كالخضراء، والمنظر، والتعكر، في حين سكن عامة الناس بطن المدينة.

وقديماً استخدم أهل عدن الأخشاب وأغصان النخيل في بناء منازلهم على نطاق واسع، حيث قال بامخرمة[٥]:" وغالب بيوت أهلها الخوص لعزة الحجر عندهم"، كما تم استخدام القصب ليس في بناء الدور فحسب، بل في بناء سور عدن البحري إلى جانب الطين الذي كان يجلب من أبين ووادي تبن[٦].

ومن ناحية أخرى، استخدمت الطبقات الخاصة كالحكام والأمراء والتجار، الحجر والآجر والجص في بناء دورهم وقصورهم، ولعل بني زريع كانوا السباقين في بناء مساكنهم بالحجر والجص[٧]، على أن تاريخ استخدام الحجر كمادة بناء في عدن يعود بالتأكيد إلى ما قبل عصر بني زريع، حيث تم استخدامه في بناء الصهاريج، وكانت هذه الأحجار تجلب من محاجر أبين حتى قدوم أبي الحسن علي بن الضحاك الكوفي إلى عدن في عصر الدولة الزريعية فأنشأ مقلاعاً لقلع الحجر، وسخر العبيد لقلع الحجارة، والإماء لنقلها على ظهورهن إلى المدينة، ثم تبعته الناس[٨]، وعلى الأرجح أن موقع ذلك المقلاع كان في منطقة الخساف[٩].

---

١) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٢٩ .
٢) ابن المجاور، المستبصر، ص١٢٠؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج١، ص٤٥
٣) رابضة، معالم عدن، ص٨.
٤) المستبصر، ص١١٦.
٥) تاريخ ثغر عدن، ج١، ص٩؛ ج٢، ص١٥١.
٦) ابن المجاور، المستبصر، ص١١٧؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج١، ص٣٧.
٧) ابن المجاور، المستبصر، ص١٢٦؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج١، ص٤٥.
٨) ابن المجاور، المستبصر، ص١٢٦؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج١، ص٥٥.
٩) لا يوجد في عدن (كريتر) مقلاع غير واحد يقع في أقصى وادي الخساف، ولا يزال يستخدم (حالياً)، وقد وصفت أحجاره بأنها من أجود الأحجار في محافظة عدن، ويستخدمها العامة والخاصة في البناء ورصف الطرقات والجسور.

وفي عصر الدولة الرسولية استمر البناء في عدن بالحجارة والآجر والجص والخشب وأضيف إليها الملح، ووصفت بأنها كانت عبارة عن دور مربعة الشكل تتكون من طبقتين، خصصت السفلى كمخازن والعليا للمجالس(١)، وحيطانها سميكة(٢) وبحورها صغيرة(٣)، وتم إضافة مادة البوميس(٤) في البناء إلى جانب الأحجار والآجر والملح لتكون أكثر متانة ومقاومة لعوامل التعرية، فضلاً عن إضفاء الرونق الجمالي على مظهرها الخارجي(٥).

وتطورت الهندسة المعمارية في عدن حتى بلغت درجة متميزة في عصر الدولة الطاهرية، وقد وصفها العيدروس في معرض حديثه عن سيرة الشيخ أحمد بن أبي بكر العيدروس(٦) بقوله:" ودور أهل عدن عالية جداً، بحيث إنها تكون على ثلاثة قصور غالباً"، وعلى الأرجح أن الطابقين الثاني والثالث قد خصصا للمجالس والمعيشة والنوم، واستفاد بعض التجار من سطوح منازلهم كمقر للحراسة الأمنية لحمايتهم وأموالهم من اللصوص ونحوهم، فقد ذكر بامخرمة أنه عندما كانت تضطرب أوضاع عدن الأمنية وتشتد الفتن يضطر كثير من التجار إلى تجنيد عدد من أهل يافع لحمايتهم بالجامكية، ويقيمون على سطوح دورهم، ويرمون من يقترب منها بالحجارة(٧)، إذ يتعذر على أهل عدن بناء الدور المحاطة بالأسوار العالية وذلك وذلك لضيق المساحة بين الدار والأخرى المجاورة لها . أما الطابق الأول (الأرضي) فقد خصص في الغالب للمطابخ والحظائر والمخازن، وربما دفع ازدياد نشاط الحركة التجارية بالبعض إلى تحويلها إلى محلات تجارية، وهذا الأمر تفسره تلك الإحصائية التي قام بها العثمانيون للمدينة سنة ٩٤٧هـ/١٥٤٠م، حيث ورد فيها أنه بلغ عدد دور أهل عدن ألف دار، ودكاكينها ألف ومائتي دكان(٨) مما يجعل لكل دار ما يعادل دكان وخمس، ثم إنه من غير المعقول أن يبنى هذا الكم الهائل من الدكاكين وكل واحدٍ منها مستقل عن الآخر ودون أن تعلوه طوابق سكنية ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لم تشهد عدن آنذاك التوسع المعماري الأفقي إلا في الفترات اللاحقة لعصر الطاهريين، لذلك يمكننا القول إن التطور في البناء المعماري كان رأسياً ويتركز حول الميناء ومقابلاً له.

---

١) ابن المجاور، المستبصر، ص١٣٧؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج١، ص٤٥.
٢) كلما كان الجدار سميكاً صار أكثر مقاومة للرطوبة والحرارة، وهذا يتناسب مع طبيعة عدن المناخية.
٣) مبارك صالح محمد وغانم وديع أحمد وحنشور أحمد، "سمات وملامح العمارة التقليدية في مدينة عدن"، مجلة جامعة عدن الطبيعية والتطبيقية، مج٥، ع(٢)، جامعة عدن، عدن، سبتمبر ٢٠٠١م، ص٣١٤-٣٢٠.
٤) البوميس: إحدى مواد البناء تشبه الجبس، والحارة المسماة (حالياً) بالبوميس تقع في الموقع ذاته الذي كانت تستخرج منه هذه المونة، وسميت نسبة إليها.
٥) مبارك وغانم وحنشور، "سمات وملامح العمارة"، ص٣٢٥.
٦) النور السافر، ص٩٩.
٧) قلادة النحر، ج٣، ص٣٥٨٨-٣٥٨٩.
٨) الكندي، العدة المفيدة، مج١، ص١٨٩.

وإذا كان هذا هو حال دور أهل عدن في المنطقة التي يمكن أن نسميها بالحي التجاري المجاور للميناء، فإنه كان خلفها أحياء فقيرة تعتمد على الخشب والخوص في بناء أكواخها، وجلها للأفارقة والصيادين ودونهم من الفئات الاجتماعية.

ب) قصور عدن وحصونها:

ذكر المقدسي[١] بأن عدن بلد جليل كثير القصور، وأن التجار يسكنون القصور الفخمة، وهذا ليس بغريب؛ لأن الأمر مرتبط بالناحية المادية وحب الترف والتميز عن الغير، وهو أمر فرضته طبيعة عدن كمركز تجاري عالمي تكونت فيه طبقة خاصة من الأغنياء وأصحاب رؤوس الأموال لم يطب لها المقام في المدينة إلا بسكن القصور والدور الفخمة التي عادة ما كانت تشيد بعيدة نسبياً عن دور العامة.

وكيفما كان الأمر، فكل القصور التي عمرها تجار عدن في العصر الإسلامي اندثرت وأصبحت أثراً بعد عين، وذلك بسبب عوامل الزمن والاستحداثات المتعاقبة على مخططات المدينة المعمارية في الفترات اللاحقة، لكن هذا لا يعني خلو عدن من آثار القرون الأولى إذ مازال بعضٍ منها شاهداً على مكانة المدينة عبر العصور التاريخية ودورها الحضاري المتميز بين مدن الموانئ العالمية.

وعلى الرغم من الإشارات المقتضبة التي حوتها مصادر العصر الإسلامي عن الجانب المعماري في عدن، إلا أنه يمكن الاستدلال من تلك المعلومات المتفرقة عن بعض ملامح ومعالم القصور والحصون ذات الصلة بالأحداث السياسية والحربية التي شهدتها عدن في عصرها الإسلامي، وغالبها كان ملكاً لحكام عدن أو جرى مصادرتها لسبب أو لآخر وأصبحت معدودة من أملاك سلطة المدينة السياسية، على أن الرحالة (دي فارثيما) قد أشار خلال زيارته لعدن سنة ٩١٠هـ/١٥٠٤م إلى خمسة منها كانت تطل على المدينة[٢]، ولعلها مايمكن إيرادها على النحو الآتي:

- دار المنظر:

يقع على جبل المنظر المقابل لجزيرة صيرة[٣]، ويرجع بناؤها إلى المعز إسماعيل بن طغتكين بن أيوب[٤]، في حين ينفي بامخرمة[٥] ذلك ويعيدها إلى آل زريع الذين سكنوا المنظر

---

١) أحسن التقاسيم، ص٥٨.
٢) ابن المجاور، المستبصر، ص١٢١.
٣) رابضة، معالم عدن، ص٨٤-٨٥.
٤) ابن المجاور، المستبصر، ص١١١، ١٢٧؛ وذكر الجندي أن دار المنظر كانت قائمة في زمن بني زريع. السلوك، ج٢، ص٥٠٣.
٥) تاريخ ثغر عدن، ج١، ص١٢.

قبل استيلاء الأيوبيين عليها، ويبدو من استقراء الروايتين أن الأيوبيين جددوا عمارة هذه الدار بعد أن سكنها الزريعيون، بينما يعود زمن تشييدها على الأرجح إلى ما قبل عهديهما.

وكما اختلف في زمن بناء دار المنظر، اختلف كذلك في موقعها، حيث يرى محيرز[١] ما يخالف ما هو شائع بين الناس من أن ذلك التل الصغير المقابل لصيرة هو موقع دار المنظر، موضحاً عدم إمكانية إقامة القصور على هذه التلة، مضيفاً في الوقت ذاته أن هذه التلة كانت جزءاً من جبل حقات قبل أن يفصلهما باب حقات، كما أشار إلى أن دار المنظر قد شيدت على جبل حقات، وقد بنيت على أنقاضها عدد من القصور والدور الفخمة في العصور اللاحقة، ولعل محيرز كان محقاً فيما ذهب إليه، فقد سماها ابن حاتم[٢] بقصر حقات، وظلت عبر العصور مقر إقامة الحكام والسلاطين كلما نزلوا لتفقد أوضاع عدن ومباشرة شئونها.

- دار السعادة:

اختلفت المصادر في تحديد فترة بناء هذه الدار، حيث يرى ابن المجاور[٣] أن بانيها هو طغتكين بن أيوب، وحاول بامخرمة[٤] التوفيق بين هذه الرواية ورأيه الشخصي فأرجعها إلى بني الخطباء إحدى البيوت التجارية المصرية التي توطنت عدن وتديرتها إبان حكم الأشرف ابن الأفضل الرسولي، ثم تملكها طغتكين بن أيوب، ثم جددها المجاهد الرسولي في منتصف القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، وهنا وقع بامخرمة في خطأ تاريخي من حيث التسلسل الزمني، فكيف تملكها طغتكين وقد بنيت لاحقاً في عصر الرسوليين الذين ورثوا ملك الأيوبيين في اليمن؟!

وعلى أية حال، فقد كانت دار الإمارة في عدن، ومقام الحكام ونزل ملوك اليمن، ووصفت المصادر حسن بنائها وروعة تخطيطها ومنظرها[٥]، كما أنها تضم دوراً عدة منها دار الكوكب[٦]، ودار أخرى تعرف بدار الزيبق، والأخيرة ورد عنها أنها كانت محل إقامة الشيخ عبدالملك بن محمد بن عبدالملك خلال وجوده في عدن إبان عهد الأمير مرجان، وكان الشيخ

---

١) صيرة ، ص٣٤.
٢) السمط الغالي، ص٢٦٩.
٣) ابن المجاور، المستبصر، ص١١١.
٤) ذكر بامخرمة مراحل بناء دار الكوكب في قصة هي أشبه بقصة عمرو بن هند مع سنمار باني قصر الخورنق، وجاء فيها أنه عندما قيل للمجاهد الرسولي أنك تموت مشرفاً على البحر، أمر ببناء دار تشرف على البحر، وكان موته بها،إذ زاد في المفرش البحري وما فوقه، فأصبحت داراً مثلثة الشكل عجيبة البناء،= =ولما فرغ الباني من عمارتها خاف السلطان أن يبني لغيره مثلها، فأمر بقطع يده، فقال الباني: إن ذهبت يدي أشير بصفة البناء، فأمر السلطان بسمل عينيه. تاريخ ثغر عدن، ج١، ص١١.
٥) مجهول، تاريخ الدولة الرسولية، ص٦٣؛ بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن،ج١،ص١١؛قلادة النحر،ج٣، ص٣٧٦٨ .
٦) مجهول، تاريخ الدولة الرسولية، ص٦٣.

قبلها قد سكن في أحد بيوت دار السعادة العليا، ثم نقله الأمير إلى هذه الدار لدواع أمنية[١]. وهنا يتضح أن دار السعادة كانت تتكون من عدة طوابق وعدة دور منها ما يشرف على البحر وأخرى دون ذلك، وتتصل ببعضها البعض عبر ممشى رئيس، فحين كان يقدم الأمير مرجان إلى دار السعادة يبرز إليه الشيخ عبدالملك من ذلك الممشى مبدياً ترحيبه بمضيفه الأمير[٢].

- حصن التعكر:

يقع على جبل التعكر (شمسان)، وهو من حصون عدن القديمة وأكثرها أهمية، فهو يتحكم في الدخول والخروج من المدينة من جهة البرّ عبر باب عدن (العقبة)، ويرجع بناؤه إلى عصر بني معن حكام عدن وأعمالها، ثم صار مقر العباس بن المكرم[٣].

ويظهر أن شرعية من يملك مدينة عدن لا تقع ولا تتوثق إلا في حال السيطرة على حصن التعكر، فعقب أن تمكن السلطانان المجاهد وأخوه الظافر من الاستيلاء على عدن في ٢٣ شعبان سنة ٨٥٨هـ/١٤٥٤م لم يبارحاها إلا بعد أن أسقطا هذا الحصن المنيع في ذي القعدة من السنة ذاتها أي بعد نحو أربعة أشهر من دخولهما عدن.

- حصن الخضراء:

يقع على جبل الخضراء أو مايسمى بجبل المنصوري الذي يشرف على ساحل أبين، حيث قال ابن الديبع[٤] في معرض حديثه عن حملة المماليك لغزو عدن:"فنزلوا [المماليك] بساحل أبين تحت حصن الخضراء"، ويمكن تحديده بدقة بأنه ذلك الجبل الممتد من محطة بترول العاقل حتى محكمة عدن، وبحكم موقعه المهم على ساحل البحر فقد أسندت إليه مهام أخرى لعل أبرزها التحكم بالتجارة البحرية، ورصد السفن القادمة إلى الميناء والمغادرة منها .

كما كان حصن الخضراء في عصر بني زريع مقراً لإقامة المسعود بن المكرم[٥]، ثم فتحه الشيخ بلال بن جرير المحمدي سنة ٥٤٥هـ/١١٥٠م[٦].

- حصن القفل:

وهو من الحصون التي بنيت في عصر الطاهريين، إذ يذكر أن الموقع الذي بني عليه هذا الحصن كان المنفذ الرئيس الذي رسم على أساسه أبو دجانه مخططه للاستيلاء على عدن، وعقب فشل ذلك المخطط أدرك ولاة عدن أهمية هذا الموقع المهم الذي يمكن أن يشكل تهديداً

---

١) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٦٨.
٢) المصدر نفسه والجزء والصفحة.
٣) السقاف ، "تاريخ المباني في عدن" ، ص٥٦ .
٤) الفضل المزيد، ص٢٣٠.
٥) ابن المجاور، المستبصر، ص١٢١.
٦) المصدر نفسه والصفحة.

مباشراً للمدينة، فبنوا حصناً سمي بالقفل[١]؛ لأنه كان كالقفل على المدينة، ورتبوا عليه الرتبة من الجند لحماية المدينة، ويمكن تحديد موقعه على وجه التقريب فوق إحدى الثنايا المنخفضة من جبل الخضراء والمطلة على ساحل أبين، فعلى هذا الساحل جنحت سفينة أبي دجانة ، وتم القبض عليه ومن كان معه من آل كلد اليافعيين.

ولعله من المفيد الإشارة إلى أن الباحثين قد اختلفوا في تحديد مواقع تلك الدور والقصور والحصون بسبب اختلاف تسميات غالب الجبال من عصر إلى آخر ، فأين العر من التعكر وجبل شمسان، وأين المنصوري من الخضراء وجبل حديد، وأين المنظر من البنديرة وجبل حقات؟ ما من شك أن الإجابة عن ذلك تكمن في التغيير المستمر الذي يطرأ على هذا الموقع أو ذاك في كل عصر من عصور الدول اليمنية التي حكمت عدن، وهي أسماء يمكن حصرها فيما بين مؤلفات عمارة اليمني ومروراً بابن المجاور والجندي والخزرجي ثم ابن الديبع وبامخرمة السيباني، وتكمن أهمية هذه القصور والحصون في أن بعضاً منها كان مركزاً للثكنات العسكرية لحماية المدينة من الغزو الخارجي، ومنها ما أدى إلى جانب وظائفه الرئيسة مهام مراقبة السفن الراسية، وحركة السفن التي تمخر عباب البحر، وأخرى خصصت لسكن الحكام والولاة ودور للضيافة.

٣- مقابر أهل عدن:

حملت مدافن الموتى في عدن عدداً من التسميات منها: المقبرة، والمجنة، والتربة، والحياط (المحاطة بالأسوار حيطاناً كانت أم سياجاً)، وعلى أن اسم المقبرة كان ولا يزال الأكثر شيوعاً واستخداماً لعامة الناس بخلاف الترب والحياط التي عادة ما خصصت لأعيان المدينة وكبرائها وعلمائها وفقهائها ونحوهم، كما خصصت بعضها كمدافن لوفيات الأسرة الواحدة بعينها، وقد تشاركها أسر أخرى بداعي القرابة والنسب وغير ذلك من الروابط الاجتماعية.

ولعله من المهم الإشارة إلى أن أهل عدن عموماً كانوا يدفنون موتاهم في المقابر العامة، ولم يعرفوا دفن موتاهم في المساجد أو المدارس أو الأربطة إلا في فترة متأخرة من عصر الدولة الرسولية، وذلك بعد أن تأثروا بما هو جار في حواضر الرسوليين كتعز وزبيد[٢]، حيث صارت الأربطة مدفناً لأصحابها والقائمين عليها، ومنها على سبيل المثال لا الحصر رباط الشيخ عبدالله العراقي في الخساف أسفل جبل التعكر والذي صار قبراً لصاحبه[٣]، وعلى شاكلته

---

١) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦١٢.
٢) المعلم، أحمد حسن، القبورية في اليمن: نشأتها وآثارها وموقف العلماء ومنها، مركز الكلمة الطيبة للبحوث والدراسات اليمنية، صنعاء، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٢٨٢.
٣) البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٣٣٠.

عدد كثير من الأولياء والصالحين. ويمكن إيراد أشهر مقابر وترب مدينة عدن على النحو الآتي:

أ) مقبرة القطيع:

تقع في جنوب شرق مدينة عدن، وفي الحارة المعروفة بالقطيع، وقد كانت ومازالت المقبرة الرئيسة لدفن موتى أهل المدينة عامتهم وخاصتهم، ثم صارت للعامة منذ منتصف القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي حتى نهاية الدولة الطاهرية وربما حتى ما بعدها، إذ اعتزلها علية القوم ولجأوا إلى الترب، رغبة في التميز أسوة بأقرانهم في تعز وزبيد، وليس أدل عليه من تلك التراجم التي دونتها المصادر عن مشاهير علماء عدن المدفونين في القطيع بأن غالبهم كانوا من أهل القرن السابع ومطلع القرن الثامن الهجريين فقط، ومنهم محمد بن أسعد العنسي قاضي عدن الذي دفن في القطيع سنة ٦٦١هـ/١٢٦٣م(١)، وأبو الحسن علي بن محمد بن حجر المتوفي سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م(٢)، وكذا أبوبكر بن محمد بن الفقيه أحمد الجنيد المتوفي سنة ٦٨٨هـ/١٢٨٩م(٣).

ب) مقبرة البزارين:

تقع في حارة البصال، وغالب من دفنوا فيها من أهل القرن الثامن والتاسع الهجريين/الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، ثم عرفت بمقبرة البصّال نسبة إلى أبي عبدالله محمد بن أحمد الذهيبي الشهير بالبصال والمتوفي سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م(٤)، ويبدو أنها قد قسمت إلى عدة حياط وترب منها: تربة القاضي عمر الصفار وفيها قبر البصال من جهة القبلة(٥)، بالإضافة إلى جماعة من أفاضل العلماء وأكابر الأولياء كالفقيه عمر بن علي بن عفيف، وتلميذه الفقيه محمد بن أحمد بن عبدالله باحميش (ت٨٦١هـ/١٤٥٧م) (٦)، والقاضي جمال الدين باحميش (ت٨٦٢هـ/١٤٥٨م) (٧)، والقاضي محمد بن عيسى اليافعي وولداه عمر وعلي وغيرهم(٨)، وتربة أخرى تدعى تربة بافضل، ودفن فيها الشيخ العالم أبو عبدالله محمد بن أحمد علي بافضل (ت٩٠٣هـ/١٤٩٨م) (٩).

---

١) الجندي، السلوك، ج١، ص٥٠٦؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج١، ص١٢٣.
٢) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص١٩٥.
٣) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج١، ص٢١٥؛ انظر : لوحة رقم (١٧) .
٤) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص١٩٨.
٥) المصدر نفسه والجزء والصفحة.
٦) المصدر نفسه والجزء، ص١٩٩.
٧) البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٣٣٥.
٨) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص١٩٩.
٩) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٩٣.

ج) تربة الشيخ جوهر:

من أكبر الترب المشهورة، دفن فيها عدد من أفاضل علماء عدن، وسميت كذلك نسبة إلى الشيخ جوهر بن عبدالله العدني المدفون فيها (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، وهو عبد عتيق عاش متسبباً في الخان بعدن، واشتغل بتجارة القماش ، وكان معروفاً بالنزاهة والأمانة حسن المعاملة[١] ، وقد كانت هذه التربة من قبل رباطاً ثم صارت تربة له بعد مماته، ثم بني حولها مسجد نسب إلى اسمه، ولعل أشهر من دفن فيها: ركن الدين أحمد بن حسن بن شينا (ت٨١٦هـ/١٤١٣م) [٢]، والقاضي محمد بن سعيد بن كبن (ت٨٤٢هـ/١٤٣٨م) [٣]، والشريف يوسف بن عمر البزاز الزبيدي وكيل دار صلاح في عهد الدولة الطاهرية[٤]، ومن آل باشكيل القاضي جمال الدين محمد بن مسعود ، ومحمد بن عبدالرحمن بن القاضي محمد بن مسعود أبو شكيل (ت٩٠٢هـ/١٤٩٧م) [٥]، ومن آل بامخرمة السيباني أبو الطيب عبدالله بن أحمد بامخرمة[٦]، وابنه المؤرخ المشهور الطيب عبدالله بامخرمة (ت٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م)[٧] ، ودفن بها بها كذلك قاضي عدن عفيف الدين عبدالله بن عبدالعليم القماط سنة ٩٢٤هـ/١٥١٨م[٨].

د) تربة الشاذلية[٩]:

تقع في حارة حسين وهي في الأصل رباط، ثم صارت تربة إلى جوار الرباط، ودفن فيها الشريف حسين بن الصديق بن حسين الأهدل سنة ٩٠٣هـ/١٤٩٨م[١٠]، فعرفت مذ ذاك الوقت بتربة الأهدل.

هـ) تربة العيدروس:

تقع في حارة العيدروس بجوار مسجد أو قبة الشريف أبي بكر العيدروس، وهي من الترب التي ماتزال تستخدم حتى الوقت الحاضر حيث خصصت للموتى من ذرية آل العيدروس.

كما ذكرت المصادر عدداً من الترب منها: تربة الشيخ عبدالله بن عبداللطيف العراقي وتقع في الخساف، وكانت قبل ذلك رباطاً وزاوية يستجير بها الضعفاء، وممن استجار بها

---

١) المشهور ، جلاء الهم ، ص٩١.
٢) البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٣٢٨.
٣) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٥٧١.
٤) المصدر نفسه والجزء، ص٣٦٩٣.
٥) المصدر نفسه والجزء، ص٣٦٨٨، ٣٦٩١.
٦) المصدر نفسه والجزء، ص٣٦٩١.
٧) العيدروس، النور السافر، ص٢٠٤.
٨) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ٣٧٦١-٣٧٦٢.
٩) عن الشاذلية انظر: فيما سيأتي، ص٢٣١ .
١٠) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٩٢.

الشريف الأمير علي بن سفيان إبان تمهيده لأمر مشايخ بني طاهر للاستيلاء على عدن، حيث كان يدخل المدينة تارة علناً ومتخفياً تارة أخرى، ويفسد العسكر بالمال، ولما علموا بمقصده خاف أن يُقبض عليه ويؤذوه فاستجار بها حتى خرج من عدن سالماً[١]، وكذلك تربة أبي البطال البطال نسبة إلى الشيخ أبي عبدالله محمد بن عبدالله بي أبي البطال الصديقي[٢]، وتربة ابن قيدار قيدار التي تنسب إلى علي بن أحمد بن قيدار القريضي[٣].

وهناك ترب أخرى منها تربة الشيخ محمد باشعبة الحضرمي، وقد دفن بها القاضي وجيه الدين عبدالرحمن بن عبدالعليم المخادري (ت٨٨٣هـ/١٤٧٨م) [٤] .

و) مقابر أهل الذمة :

سكن عدن عدد من الجاليات الأجنبية منذ أمدٍ بعيد كاليهود، والمسيحيين والفرس والهنود (البانيان)، إلا أن المصادر لم تذكر شيئاً عن مدافنهم وعاداتهم في دفن الموتى ومراسيمهم الجنائزية، على أنه من الثابت أنه كان لديهم مدافن خاصة ومستقلة عن مدافن المسلمين، فقد وجدت آثار مقبرة لليهود بمحاذاة طريق الصهاريج في موقع يعرف حالياً بالمهلكة، ولم يبق من آثارها غير الباب[٥].

أما الفرس الزرادشتون من المجوس، فقد كان لهم معبد أسفل الجبل المعروف بجبل الفرس (يقع غرب المدينة)، وفي أعلاه كانوا يتركون موتاهم على أسياخ الحديد عرضة للطيور الجارحة والضواري[٦]، ويظهر من بقايا العظام والأسياخ المتناثرة في ذلك الموقع أن طقوس الفرس الجنائزية ظلت تمارس إلى عهدٍ قريب.

أما الهنود الهندوس (البانيان) فقد كانوا يحرقون موتاهم بحسب عقائدهم وطقوسهم الجنائزية، غير أنه لا يعرف الموقع الخاص بدفن رفات موتاهم على وجه التحديد، وإن كانوا إلى عهدٍ قريب يتعهدون موقعاً قريباً من حقات[٧].

---

١) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٠٥-٣٦٠٦.
٢) الشرجي، أبو العباس أحمد بن عبداللطيف، طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، دار المناهل، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٢٨٢-٢٨٣.
٣) الجندي، السلوك، ج١، ص٢٢٥؛ المعلم، القبورية، ص٣٨٢.
٤) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٦٣٣.
٥) محيرز، صهاريج عدن، ص٣٤.
٦) عمشوش، عدن في كتابات الرحالة الفرنسيين، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، ٢٠٠٣م، ص١٦.
٧) انظر: لوحة رقم (١٨).

سابعاً- عادات أهل عدن وتقاليدهم الاجتماعية والدينية:

أشارت المصادر إلى عدد من العادات والتقاليد والأعراف والاحتفالات التي شكلت نمط حياة سكان عدن وتفاعلهم مع الأمور الحياتية المختلفة والتي ارتبطت بشكل واضح بقيم وسلوكيات ومبادئ الدين الإسلامي الحنيف، فضلاً عن تأثرها بمظاهر وألوان وثقافات الجاليات الأجنبية التي توطنت عدن عبر العصور المختلفة، وكذا تأثرها برواسب العادات والتقاليد اليمنية القديمة لا سيما ذات الصلة بشئون البحر والبحارة، ويمكن إيراد هذه العادات والتقاليد على النحو الآتي:

١- العادات والتقاليد الاجتماعية:

لا شك أن عادات وتقاليد أهل عدن الاجتماعية تتشابه إلى حدٍ كبير مع مناطق اليمن والحجاز، ولم تتميز عدن عن غيرها إلا في عدد قليل من العادات التي تتسم بالخصوصية النابعة من التأثير المتبادل بين مكونات المجتمع العدني المتعدد الأعراق والطوائف والمذاهب الدينية، ناهيك عن تأثير طبيعة موقع المدينة الساحلي على أفرادها وتطبعهم بعادات السواحليين وأهالي مدن الموانئ، وهنا نوجز ما تميز من هذه العادات ونترك ما تشابه منها منعاً للتكرار وهي كالآتي:

أ) أضحية المراكب:

تعد أضحية المراكب من عادات الجاهلية التي توارثها أهل عدن حتى العصر الإسلامي، حيث جرت العادة إذا تأخر قدوم المراكب إلى عدن في الموسم، يحضر أهالي عدن سبعة رؤوس من البقر إلى جبل صيرة عند قبل غروب الشمس، وتمكث هناك حتى منتصف الليل، ثم يعودون بستة رؤوس ويبقون على واحدة منها ويضحى بها في صباح اليوم التالي، فتقدم السفن إلى الميناء وتلاحق بعضها بعضاً(١)، وهذه العادة تشبه إلى حدٍ ما بما يعرف بأضحية النيل أو عروس النيل عند قدماء المصريين، وقد استمرت هذه العادة في عصر بني زريع، ثم أبطلها الأيوبيون لاحقاً(٢).

ب) استقبال المراكب:

ذكر ابن المجاور عن عادة استقبال المراكب أنه عندما يرى الناطور من أعلى الجبل الأخضر مركباً ما ينادي بأعلى صوته: هيريا، على أنه لا يستطيع التثبت من ذلك إلا عند طلوع الشمس وغروبها، ففي هذا الوقت تقع أشعة الشمس على وجه البحر وتساعد على وضوح الرؤية ، ويتثبت من ذلك من خلال عود يضعه أمامه ويقيس عليه ما رآه في البحر، فإن كان

---

١) ابن المجاور، المستبصر، ص١١٤.
٢) المصدر نفسه والصفحة.

طيراً أو غيره زال يميناً أو شمالاً أو يرتفع أو يهبط، وإن كان ما في البحر مستقيماً على العود تحقق له أنه مركب (سفينة)، وعندها يشير إلى صاحبه وهو ينادي: ياهيريا، ثم يشير صاحبه إلى رفيقه فإلى الجراب الذي بدوره يحمل الخبر إلى والي المدينة، ثم يخرج من عنده إلى مشايخ الفرضة، وبعدهم ينادي بأعلى صوته من على ذروة الجبل: هيريا، هيريا، هيريا، وإذا سمعه عامة الناس صعد كل منهم جبلاً أو سطحاً، فإن كان ما ذكره صحيحاً يعطى له من كل مركب دينار من الفرضة، وإن كان كاذباً يضرب عشرة عصي (أسواط)، ويباشر موظفو الفرضة بإجراءاتهم كحصر أسماء الركاب والبضائع والتفتيش وغيرها ولا ينزلون من المركب إلا وقد حصروا كل ما فيه، ثم يتوجهون بما كتبوه إلى الوالي، وبعد خروجهم من عنده يدورون في المدينة يبشرون أهل من وصل بجمع الشمل ويأخذ كلٌ بشارته(١).

ج) الفولة:

وهي من عادات الفرح والسرور وتقام احتفاءً بعودة المرء سالماً من السفر، أو في مناسبات الولادة أو الختان، وفيها تقدم الحلويات أو النقود للأطفال أو تنثر عليهم(٢)، ولازالت هذه العادة مستمرة حتى العصر الراهن .

وهناك فولة يقوم بها البحارة عند قدومهم إلى عدن، فعندما يقترب المركب من جزيرة سقطرى أو جبل كدمل، يأخذون قدراً ويصنعون له ما يشبه الشراع والدفة وجميع أجزاء المركب، ثم يضعون فيه شيئاً من أصناف الطعام الموجود في المركب وملح ورماد ثم يلقون به في البحر، ويقال لهذا العمل الفولة، لاعتقادهم أن المركب لا يصل سالماً ما لم يعمل أصحابه الفولة(٣).

وكان لأهل عدن عادات قديمة وأخرى تعود للعصر الإسلامي اختفى غالبها مع مرور الزمن منها: حفرة الأسد وهي بركة ماء في رباك، كان الناس يحجون إليها في سالف الدهر من أبين ولحج وما حولهما من القرى في أول شهر رجب(٤).

د) احتفالات الزواج:

بعد إجراء الخطبة ودفع المهر للعروس يقام الزواج، وتستمر مراسمه ثلاثة أيام ويخصص اليوم الأول لدعوة أهل العروس وأقاربها من النساء للذهاب إلى الحمام (الغسل)، وبعد عودتها إلى دارها تقام الولائم لضيافة أهل العريس، وفي اليوم الثاني يكون النقش

---

١) ابن المجاور، المستبصر ، ص١٣٨-١٣٩.
٢) شهاب، أضواء على تاريخ اليمن البحري ، ص٢٩٤.
٣) ابن المجاور، المستبصر، ص١١٤؛ شهاب، أضواء على تاريخ اليمن البحري ، ص٢٩٣.
٤) ابن المجاور، المستبصر، ص١٠٥.

(الحناء)، حيث جرت العادة عند الرجال والنساء التزين بتخضيب أيديهم وأرجلهم بالحناء[١]، ويتم الغناء والإنشاد، وفي اليوم الثالث تقام احتفالات الزفاف، وتحضر المواكب التي يجتمع فيها الناس للاحتفال والسمر وتقديم الطرح في يوم الزواج.

والطرح من العادات الاجتماعية الحسنة، حيث يقدم المدعوون للعرس كلٌ على قدر حاله من رجالٍ ونساء بطرح مبلغ من المال للعريس والعروس، فما كان مع الرجال يقدم للعريس، وما مع النساء يقدم للعروس، ويكتب أهل العريس ذلك في قرطاس ويدون أمام كل اسم المبلغ الذي طرحه[٢]، ويظل الطرح ديناً على العروسين عليهما سداده بالقدر ذاته أو يزيد عنه في مناسبة مماثلة[٣]، ويساعد الطرح أهل العريس في تكاليف الزواج أو فتح باب الرزق كفتح محل تجاري لإعالة الأسرة[٤].

وكانت تستدعى فرقة الفناجرة الشهيرة في عدن لإحياء هذا الاحتفال، وقد كان صيتها في المدينة سبباً في استدعائها غير مرة إلى زبيد لإحياء الاحتفالات السلطانية منها مناسبة ولادة تاج الدين عبدالوهاب بن عامر بن عبدالوهاب سنة ٩٠٠هـ/١٤٩٥م، حيث قدم الفناجرة من عدن إلى زبيد وعددهم ينيف على أربعين ،وكان السلطان الظافر عامر (الثاني) قد أرسلهم ليتحف بهم أهل زبيد بألعابهم العجيبة والغريبة[٥].

٢- العادات والتقاليد الدينية:

أ) عادات المسلمين وتقاليد الدينية:

- الاحتفال بشهر رمضان: تتجسد مظاهر الاحتفال بشهر رمضان لدى أهل عدن باستقباله قبل يومين من قدومه[٦]، وذلك لرؤية هلال الشهر والتثبت من صيامه، وتتجلى مظاهر الاحتفال بهذه المناسبة بنصب التعاليق والزينات على أسطح المنازل، وضرب الطبول والدفوف عند دخوله، ويجتمع الأهالي عقب صلاة العشاء والتراويح ويقرأون الذكر والقصائد إلى آخر الليل ودخول وقت السحور، ويستمر ذلك طوال شهر رمضان[٧]، ويتميز رمضان بظهور المسحراتي الذي ينادي آخر الليل في أحياء المدينة لإيقاظ الناس للسحور[٨].

---

١) ابن المجاور، المستبصر ، ص٧.
٢) المصدر نفسه ، ص٧، ٨٦؛ أسامه أحمد، مظاهر الحضارة، ص٤٨٥-٤٨٦.
٣) أسامة أحمد، مظاهر الحضارة، ص٤٨٦؛ شائف عبده، "الحياة الاجتماعية"، ص٦١.
٤) ابن المجاور، المستبصر، ص٧.
٥) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص٢١٥.
٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٠٠.
٧) المصدر نفسه والصفحة ؛ أسامة أحمد، مظاهر الحضارة، ص٤٩١.
٨) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٠٠؛ أسامة أحمد، مظاهر الحضارة، ص٤٩١.

- **الاحتفال بالعيدين:** يستعد أهل عدن للاحتفال بالعيدين، ففي أواخر شهر رمضان، وفي العشر من ذي الحجة، يقوم الأهالي بشراء كسوة العيد، والسلع الغذائية والحلويات، فضلاً عن الأضحية (في عيد الأضحى) والحلويات، ويخرجون زكاة الفطر، وزكاة المال، وتوزع على الفقراء والمحتاجين، وتخرج الأهالي إلى مصلى العيد لأداء الصلاة مع والي المدينة أو السلطان في حال وافق العيد وجوده، وتقام الصلاة في ميدان حقات، فيما يقام سماط العيد تحت المنظر السلطاني على ساحل حقات، ثم يعودون إلى منازلهم لذبح الأضاحي، ويقومون بتبادل الزيارة والمعايدة مع الجيران والأقارب، وتستمر الاحتفالات بعيد الفطر نحو ثلاثة أيام، وأربعة أيام في عيد الأضحى وهي المعروفة بيوم النحر وأيام التشريق الثلاثة.

ولعل عادة خروج أهل عدن إلى ميدان حقات لأداء الصلاة قد توقفت إثر الحادثة التي تعرض لها السلطان المجاهد علي بن طاهر سنة ٨٧٥هـ/١٤٧٠م ، ففي عيد الفطر للسنة ذاتها خرج المجاهد لأداء صلاة العيد في حقات كما جرت العادة، فتمركز عدد من غوغائيي آل يافع على جبل حقات للتفرج على دخول السلطان، ولما فرغ من الخطبة وسار للدخول إلى المدينة رماه أحد المتفرجين من جبل حقات بحجر، ثم تمادوا في شغبهم مع اقتراب السلطان من الباب وانهمرت عليه وعلى عسكره الحجارة، وقيل إنه أصيب في رأسه، غير أن السلطان نال منهم عقب فراغه من السماط(١)، وقال بامخرمة(٢):" ومن ذلك اليوم لم تصل صلاة العيد إلا بالجامع المبارك [جامع عدن]، إلا زمن الأمير مرجان، فخرج مرة أو مرتين إلى حقات لصلاة العيد"، وأضاف بامخرمة(٣) :"إن القاضي شهاب الدين المزجد رحمه الله أراد مرة الخروج إلى حقات لصلاة العيد، فأشار عليه القاضي عبدالعزيز إسحاق الناظر بالثغر إذ ذاك بالترك خشية وقوع فتنة بالبلد، فترك ذلك"، ويبدو أن السلاطين اللاحقين للمجاهد قد عزفوا عن ذلك، فقد وافق عيد الفطر سنة ٨٩٥هـ/١٤٩٠م وجود السلطان الظافر عامر (الثاني) في عدن(٤)، ولم يذكر عنه أنه أنه خرج للصلاة في ميدان حقات.

- **الاحتفال بالمولد النبوي:** ويقام هذا الاحتفال عادة في ١٢ ربيع الأول من كل عام وذلك بمناسبة مولده ﷺ ، والظاهر أن احتفال أهل عدن بهذه المناسبة يعود إلى عصر بني زريع الموالين للفاطميين بمصر(٥)، وكان أهل عدن يخرجون إلى رباك ومعهم علماء المدينة

---

١) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٢٦.
٢) المصدر نفسه والجزء والصفحة.
٣) المصدر نفسه والجزء، ص٣٦٢٦-٣٦٢٧.
٤) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص١٩٥.
٥) تعود بدايات الاحتفال بالمولد النبوي الشريف إلى القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي على أيدي خلفاء مصر الفاطميين. الفوزان، صالح، كتاب التوحيد، هيئة كبار العلماء، المملكة العربية السعودية، د. ت، ص١١٦.

وفضلاؤها كالشيخ قاسم بن محمد العراقي، والشريف عمر بن عبدالرحمن باعلوي، والفقيه محمد بافضل، والشريف سعيد، ومعهم عدد من السادة (الأشراف)، وهؤلاء كانوا من علماء عدن وفضلائها في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي[١]، ومن مظاهر هذا الاحتفال قراءة نسب الرسول ﷺ وشمائله ومناقبه ومعجزاته، وسيرته الكريمة، ويجتمعون لذكر الله وقراءة القرآن الكريم والصلاة على الرسول ﷺ ، ويطعمون الطعام للفقراء والمساكين[٢].

أما احتفال السلاطين الطاهريين بهذه المناسبة، فاللافت للنظر أن ميقاتها لم يوافق وجود أي منهم في مدينة عدن، في حين أشارت المصادر إلى مظاهر احتفالاتهم بهذه المناسبة في مدينة زبيد، حيث ذكر أن السلطان المنصور عبدالوهاب قد أقام سماطاً معظماً في الدار الكبرى في العاشر من ربيع الأول سنة ٨٩٠هـ/١٤٨٥م ، وحشد إليه أعيان المدينة، وأمر بقراءة المولد في مدرسته، وحضر ليلة الحادي عشر منه، وكان القارئ قاضي زبيد محمد بن عبدالسلام الناشري، وحضر القراءة السلطان نفسه، وقاضي القضاة شيخ الإسلام عبدالرحمن بن الطيب الناشري[٣]. أما السلطان الظافر عامر (الثاني) فيذكر عنه أنه في الخامس عشر من شهر ربيع الأول سنة ٩٠٠هـ/١٤٩٥م اشترى برقع الكعبة المشرفة من تركة هارون وكيل وقف الحرم المكي، وأمر بتعليقه على باب محراب الجامع الذي أنشأ عمارته بزبيد، وأمر بقراءة المولد فيه، وعمل للناس بركة عظيمة ملئت من السكر الأبيض المذاب بالماء المطيب بالمسك والماورد، وكان السقاة يدورون بذلك ويسقون العامة والخاصة، وحضر لسماع المولد بنفسه[٤].

- **الاحتفال بقدوم الحاج:** وهي من العادات التي يقيمها أهل عدن نحو من حج لأول مرة[٥]، إيماناً منهم بأنه قد غسل من ذنوبه، وإن كان من أهل الرئاسة أو المكانة، كأن يكون السلطان أو الوالي أو من التجار، فيقيم له التجار أو النظار احتفالاً خاصاً، وينظمون له المدارية أو الأراجيح[٦]، وتسمى أيضاً الشجمات[٧]، فيتوسطها ويحضرها جمع من الناس احتفالاً بالحاج وتهنئته بالعودة سالماً غانماً، ويدعو من أقام الأرجوحة الشعراء وأعيان المدينة، ويكافئ الشعراء على قصائدهم التي قيلت في الحاج وصاحب الأرجوحة[٨].

---

١) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج١، ص٢١.
٢) لا زالت عادة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف مستمرة حتى الوقت الحاضر، وزاد على ذلك أن بعض مساجد عدن تحيي المولد كل يوم خميس عقب صلاة المغرب.
٣) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٦٥.
٤) المصدر نفسه والجزء ، ص٣٦٨٤-٣٦٨٥.
٥) الجندي، السلوك، ج١، ص٥١٠-٥١١؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص٢٤٥.
٦) وهي عبارة عن حلقات تلقى فيها الأناشيد الشعرية التي تنظم في مدح من أقامها وفيمن أقيمت له. عليان، الدولة الرسولية، ص٢٣٩؛ شائف عبده، "الحياة الاجتماعية"، ص٥٧.
٧) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢،ص٢٤٥.
٨) الجندي، السلوك، ج٢، ص٤٢٦؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص٢٤٥؛ أسامة أحمد، مظاهر الحضارة، ص٤٩٨-٤٩٩.

- الاحتفال بختم القرآن وكتب الأحاديث الشريفة ومؤلفات كبار العلماء: جرت العادة أن يتم الاحتفال بختم القرآن الكريم في المساجد للحفظة من الطلاب والأطفال، وختم القرآن في رمضان، وفيها يقوم من ختم القرآن بتوزيع الصدقات على الفقراء والمساكين ولعل أبرز مثال على ذلك ما قام به الشريف أحمد بن أبوبكر بن عبدالله العيدروس عقب ختمه للقرآن[١]، كما كان يقام الاحتفال بختم صحيحي البخاري ومسلم، ثم تطور الأمر عند علماء وفقهاء الصوفية بالاحتفال بختم بعض الكتب المميزة ككتاب إحياء علوم الدين للغزالي، والتنبيه وغيرها من الكتب، فيقيمون الولائم لتلاميذهم ويدعون إليها جمعاً من الناس[٢].

كما كان بعض أهل عدن يقصدون المقابر والترب للزيارة والتبرك، وشاعت هذه العادة في عصر الدولة الطاهرية بشكل ملحوظ لشدة اعتقادهم بالأولياء والصالحين ، مع أن مشروعيتها لا تخرج من كونها زيارة للاتعاظ والتذكير بالآخرة.

وعلى صعيد آخر، لم تذكر المصادر التاريخية أي شيء عن قيام الاحتفالات ليلة الأول من شهر محرم بمناسبة رأس السنة الهجرية، ولعل بداية الاحتفاء بها قد حدث لاحقا في التاريخ الحديث والمعاصر على غرار احتفاء اليهود والنصارى.

ب) عادات اليهود وتقاليدهم الدينية:

قسمت المصادر العربية أعياد وتقاليد اليهود إلى قسمين[٣]: الأعياد والتقاليد الشرعية وعددها خمسة، وهي ما نطقت به التوراة، ونوردها على النحو الآتي:

- عيد رأس السنة: واسمه العبري (رأس هيشا) وبالعبرية الحديثة (روش هشاناه) [٤]، وهو بمثابة عيد الأضحى عندهم، ويحل موعده في أول شهر تشري[٥]، ويعتبر هذا العيد أيضاً عيد عتق وحرية عند اليهود لخلاصهم من فرعون، وقد أسماه المقريزي عيد البشارة[٦] أي البشارة بالعتق والحرية.

- عيد صوماريا أو الكبور: وهو يوم الغفران أو الكفارة عند اليهود، كما أنه الصوم الكبير لديهم، وعقوبة من لا يصومه في شريعتهم القتل، وقد عرف هذا العيد أيضاً باسم العاشور، ويبدأ

---

١) العيدروس، النور السافر، ص٩٩ .

٢) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٠٨ .

٣) القلقشندي، صبح الاعشىء، ج٢، ص٤٢٦-٤٢٨؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٤٧١ وما يليها؛ النويري، نهاية الأرب، ج١، ص١٨٧-١٨٩.

٤) ظاظا، حسن، الفكر الديني الإسرائيلي – أطواره ومذاهبه، القاهرة، ١٩٧١م، ص٢٠١.

٥) يعتبر شهر تشري سابع شهور السنة من الوجهة الشرعية، على الرغم أن المتعارف عليه بين اليهود أنه أول شهور السنة العبرية، والسبب في هذا التحوير أن خروج بني إسرائيل من مصر كان في شهر نيسان= =الذي أُمروا فيه بعيد الفصح ومن ثم يعتبر شهر نيسان بداية العام شرعاً، وأشهر السنة العبرية في التقويم القمري هي: تشري، محشوان، كسلا، طابات، شباط، آذار، نيسان، أيار، سيوان، تموز، آب، أيلول. انظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٤٧١؛ ظاظا، الفكر الديني، ص١٩٤-١٩٨.

٦) المقريزي ، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٤٧١.

صيامهم مع غروب شمس التاسع من شهر تشري وينتهي بغروبها في اليوم التالي، وقد اشترط اليهود رؤية ثلاثة كواكب عند الغروب لجواز الإفطار[١]، ويعتقد اليهود أن هذا الصوم هو تمام الأربعين الثالثة التي صامها موسى عليه السلام، ويزعمون أن الله يغفر لهم فيه جميع ذنوبهم سوى الزنا بالمحصنة، وظلم الرجل لأخيه، وإنكار ربوبية الله تعالى[٢]، ويرى بعض الباحثين أن هذا العيد الذي يرجع إلى عصور العبرانيين الأولى مرتبط باصول الشريعة اليهودية التي قررت يوماً في العام لحساب الذات، وأن اليهود من طول ما عانوه من اضطهاد على طول تاريخهم جعلوا هذا اليوم يوماً لنقض مواثيقهم، وأكل الديون التي عليهم لغير اليهود، مما أوجد معارضة بعض فقهاء اليهود في العصر الحديث[٣].

- **عيد المظلة أو عيد الظلل:** ويحتفلون به في الخامس عشر من شهر تشري وهو سبعة أيام، وفي هذا العيد يجلس اليهود تحت ظلال سعف النخيل الأخضر وأغصان الزيتون وغيرها من الأشجار التي يتناثر ورقها على الأرض تذكاراً للغمام الذي أظلم به الله تعالى في التيه، وينفرد القراؤون (إحدى الفرق اليهودية) بصوم الرابع والعشرين من هذا الشهر وهو صوم جدليا الذي جعله الربانيون (إحدى الفرق اليهودية) في ثالثه، وهذا العيد يرجع إلى أصول زراعية ورعوية استناداً إلى اسم هذا العيد بالعبرية حج أسيف أي عيد التخزين[٤].

- **عيد الفطيرة:** وسمي أيضاً بعيد الفصح في الخامس عشر من شهر نيسان اليهودي، وقد اختلفت الفرق اليهودية حول مدة الاحتفال به فيما بين الستة والثمانية أيام، وفي أثناء هذه الأيام ينظف اليهود بيوتهم من خبز الخمير، ولا يأكلون سوى الفطير احتفالاً بذكرى نجاتهم من فرعون وخروجهم إلى الصحراء حيث يأكلون الخبز والفطير ويحيون حياة البداوة، ويعتبر هذا العيد أيضاً من أعياد التضحية ومواسم الحج لدى اليهود، فمنهم من يحج إلى بيت المقدس، ويضحون على الصخرة المقدسة، وآخرون يحجون إلى جبل جرزيم بنواحي نابلس، ويضحون على صخرته[٥].

- **عيد الأسابيع:** ويسمى أيضاً عيد العنصرة أو عيد الخطاب، وهي الأسابيع التي أنزل فيها الله الفرائض على بني إسرائيل متضمنة الوصايا العشر المنسوبة إلى نبي الله موسى (عليه السلام)، ويحل موعد هذا اليوم في السادس من شهر سيوان في ذكرى مخاطبة الله تعالى لشيوخهم مع

---

١) المصدر نفسه والجزء، ص٤٧٢.
٢) القلشندي، صبح الأعشىء، ج٢، ص٤٢٦-٤٢٨؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٤٧٢؛ النويري، نهاية الأرب، ج١، ص١٨٧-١٨٨.
٣) ظاظا، الفكر الديني، ص١٠٢-١٠٣؛ قاسم عبده قاسم، أهل الذمة في مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية المماليك : دراسة وثائقية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص١١٧.
٤) ظاظا، الفكر الديني، ص٢٠٣-٢٠٥.
٥) ظاظا، الفكر الديني ، ص٢١٨-٢٢٠.

موسى على جبل طور سيناء على ما يزعمون، ولهذا العيد اسم عبري هو عشرتا بمعنى الاجتماع[١].

وكان لليهود أعياد محدثة بخلاف أعيادهم الشرعية أشهرها عيد الفوز، وهو بالعبرية البوريم، وموعده السنوي في الثالث عشر من آذار حتى الخامس عشر منه، ويختم باحتفال صاخب (كرنفال) اتسم بمظاهر اللهو والخلاعة حتى أطلق عليه العرب اسم المساخرة أو عيد المسخرة[٢].

وثاني هذه الأعياد المستحدثة هو عيد الحنكة أو الحانوكة وهو ثمانية أيام تبدأ في ليلة الخامس والعشرين من شهر كسلا ، ويعني الاسم العبري الحنكة أو الحانوكة التنظيف؛ لأنهم نظفوا فيه الهيكل من تماثيل آلهة البطالمة، وفيه تضاء الأنوار أسبوعاً، ويتبادلون فيه الهدايا لا سيما مع الأطفال[٣]

ولم تذكر المصادر ما إذا كان يهود عدن يحتفلون بهذه الأعياد علناً أم لا، على أنه من المرجح أن الاحتفاء بها أو ببعضٍ منها كان جارياً ولكن بصورة سرية، خوفاً من سخط المسلمين عليهم .

ثامناً- أزياء أهل عدن وملابسهم:

ما من شك أن أزياء أهل عدن وملابسهم تختلف في شكلها وطرازها ومظهرها الخارجي من فئة اجتماعية إلى أخرى، فلكل من الأمراء، والقضاة، والسادة، والطوائف المذهبية والأعجمية زي خاص بهم يميزهم عن غيرهم، ولا تتشابه في الطراز والشكل العام غير ملابس العامة، ومن جهة أخرى تكاد تكون نوعية قماش الملابس في الغالب من خامة واحدة أو أكثر ويتحكم في نوعيتها مناخ عدن الذي عادة ما يكون حاراً رطباً في الصيف معتدلاً في الشتاء، لذا فلباسهم لا يتغير ولا يستبدل طوال فصول السنة، فيلبسون الخفيف من الثياب[٤] من القطن والكتان[٥]، إزاراً كان أو ما أحاط مع القميص، وأحياناً دون قميص من شدة الحرّ[٦] أو النصافي

١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٤٢٦-٤٢٨؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٤٧٣.
٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٤٢٦-٤٢٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج١، ص١٨٩؛ ظاظا، الفكر الديني، ص٢٠٧-٢١٢؛ قاسم عبده، أهل الذمة، ص١١٨-١١٩.
٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٤٢٦-٤٢٨؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٤٧٢؛ النويري، نهاية الأرب، ج١، ص١٧٨؛ ظاظا، الفكر الديني، ص٢٠٥-٢٠٧.
٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٠٥.
٥) المصدر نفسه، ص٩٥-٩٦؛ ابن المجاور، المستبصر، ص١٣٦.
٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٩٩.

النصافي إذ يتحزم بنصفه ويرمي بما فضل منها[١]، كما أنهم يلبسون العمائم الملساء، ويعتم الفرس والأجانب بذؤابة يتم غرزها في العمامة مرتين[٢] ، ويضعون على أكتافهم كراي مصُلى أو منديلاً مطرزاً[٣] أو الملحفة[٤].

وتلبس نساء عدن التلاثيم والبراقع[٥] عند خروجهن من بيوتهن، وتطول ثيابهن حتى تلامس الأرض بطول قامة أو أكثر[٦]، كما تتزين النساء بالحجل أو الخلخال ويسمى عند العجم مشجة والدملج[٧]، فضلاً عن الحلي والعقود والأساور من الذهب والفضة.

تاسعاً: **الوضع الاجتماعي للمرأة في عدن:**

لم تهتم المصادر التاريخية بإعطاء صورة متكاملة لأوضاع المرأة في اليمن عامة وعدن خاصة خلال العصر الإسلامي عدا بعض الإشارات المتناثرة التي ذكرها المؤرخون بصورة عابرة، ومع هذا يمكن أن يستشف منها بأن وضعها كأنثى لا يختلف كثيراً عن أوضاع نظيراتها في الدول الإسلامية، وتم معاملتها وفقاً للأحكام الشرعية بمالها من الحقوق وما عليها من الواجبات، وأتيحت الفرصة لبعضهن لنيل قسطٍ من التعليم الذاتي كالقراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم.

أما من حيث دور المرأة العدنية في المجال الاقتصادي الإنتاجي فقد ذكر أنهن ساهمن وبإيجابية في دخل الأسرة بعمل القفاع[٨]، بيد أن هذا الدور الفعال لم تقم به نساء عدن بصفة عامة، بل كان محصوراً على نساء الطبقة العامة الأكثر احتياجاً لمصادر الدخل، كما تكشف حادثة مقتل إحدى نساء المدينة على يد أخرى كانت تمتهن تأجير المصاغ سنة ٩٠٠هـ[٩]، ما يفيد عن ممارسة البعض منهن العمل التجاري وإن كان في نطاق محدود، ولم يذكر عن بلوغ إحداهن مراتب تجار عدن المشهورين آنذاك، على أن بعض نساء هؤلاء التجار وأشباههم من

١) ابن المجاور، المستبصر، ص٦.
٢) فرضت معظم البلاد الإسلامية على أهل الذمة لبس زي مختلف يميزهم عن المسلمين.
٣) ابن المجاور، المستبصر، ص٦.
٤) حسين محمد سعيد، "اليمن وهولندا من رحلة فن بروكة إلى كوبر نيكوس براور"، مجلة المنار، ع(٦)، اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين ، عدن، ١٩٩٠م، ص١٢٢.
٥) ابن المجاور، المستبصر، ص١٣٦.
٦) المصدر نفسه والصفحة.
٧) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٩٩.
٨) ابن المجاور، المستبصر، ص١٣٧؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج١، ص٥٥.
٩) انظر: فيما سبق، ص٩٤ ومايليها .

علية القوم كن يبقين في بيوتهن ، ويحرسهن الطواشي أوالخصي، ويقوم على خدمتهن الغلمان والخدم ، فيما كانت النساء الأخريات الفقيرات ينزلن إلى الشوارع[١].

وتلتزم حرائر النساء بالحجاب، وترفل ثيابهن على الأرض بطول قامة أو أكثر[٢]، وقد تمت الإشارة إلى أنواع التقانيع والأحجبة والتلاثيم التي تلبسها النساء[٣]، كما كانت بعض النساء النساء يتبرجن ويكشفن عن وجوههن وأخريات لا يكشفن[٤].

وقد تمتعت نساء عدن بكامل حقوقهن الشرعية، فمن حيث النكاح كنَّ لا يمتنعن عن التزوج بالغرباء أسوة بنساء زبيد، فإذا رحل الزوج عن عدن فإن زوجته تبقى في المدينة تنتظر عودته، وتسعى للعمل لكسب قوتها وقوت عيالها ، إذ إن فرصة الحصول على عمل كانت متاحة في مدينة تجارية كعدن[٥]، في حين كفل لها الشرع الحصول على الطلاق في حال طالت طالت غيبته[٦].

ومن ناحية أخرى، كانت الجواري المجلوبات من الهند أو الحبشة أشبه بالبضاعة، إذ وجد بعدن سوق للنخاسة، تباع فيه الجواري والعبيد ويتم فحصهم وتقليبهم كالبضاعة التي تشترى[٧] .

وعموماً، كان لموقع عدن الجغرافي أثره الواضح في تشكيل وتصنيف هوية سكانها عبر العصور التاريخية، حيث كانت خيرات سواحلها سبباً في توطن أفراد وجماعات احترفوا الصيد ومغاوص المعادن (اللؤلؤ)، وسكنوا أكواخ الخوص ردحاً من الزمن تقدمت خلاله المعرفة والعلوم الحضارية وصارت عدن مركزاً تجارياً عالمياً ، وقصدته نواخيذ البحر من كل أصقاع المعمورة، وفي الوقت ذاته أدرك أهل اليمن ما في هذه المدينة من المصالح فتوافدوا إليها من كل المناطق، وعجت المدينة بأجناس مختلفة الألسن والأعراق والألوان، فاستحال على أبنائها الصيادين الاحتفاظ بهويتهم ونقاء عرقهم وأصالتهم، ولم يمتلكوا غير خيار الاندماج، فاندمجوا في هذه التركيبة الاجتماعية الجديدة، وشكل ذلك الخليط نسيجاً اجتماعياً متجانساً ، وادعى أفراده انتسابه وانتماءه لعدن، في حين طمست وسحقت هوية أهلها الصيادين الذين تفرقت نطفهم وذابت في خليط المجتمع العدني الجديد. ولما صار التراث قضية مهمة حضارية لتحديد هوية الشعوب، فإنه يمكن القول: إن الحركة السكانية (الديموغرافية) التي احتضنتها عدن

---

١) حسين محمد، "هولندا واليمن"، ص١٢٣.
٢) المرجع نفسه والصفحة .
٣) انظر: جدول رقم (٦) .
٤) السروري، الحياة السياسية، ص١٨٩.
٥) عليان، الدولة الرسولية، ص٢٤٢.
٦) المرجع نفسه والصفحة.
٧) ابن المجاور، المستبصر، ص١٤٥.

خلال مراحلها التاريخية قد تعذر معها وعلى كل ذي عقل أن يفند أو ينتقي طائفة ما من ذلك المزيج الاجتماعي ويقر لها بـ(العدننة) دون الطوائف الأخرى، وأكاد أجزم أنه متى ما حدثت تلك المحاولة فهي لا تبتعد عن كونها وهماً وضرباً من ضروب الخيال؛ لأن عدن ليست قرية نائية في شعاب الجبال أو أطراف الصحراء تستوطنها قبيلة ما تحتفظ بنقاء نسلها وكيانها الاجتماعي، بل هي مدينة حضرية كانت وما زالت مركزاً للتجارة البحرية العالمية، ودائمة التأثر بالدماء المتعددة شأنها شأن معظم مدن السواحل ومراكز التجارة العالمية.

الفصل الخامس
الحياة الدينية والعلمية والأدبية بعدن
في عهد الطاهريين

الحياة الدينية والعلمية والأدبية بعدن في عصر الدولة الطاهرية

أولاً- الحياة الدينية في عدن :

يعتبر الدين وتعاليمه وأوامره ونواهيه من أقوى العوامل تأثيراً في حياة المجتمع، وعلى ذلك لم يكن الدين بمعزل عن الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فقد كان قادة الأمة الحقيقيون هم من علماء الإسلام ممثلين برجال العلم والقضاة على مختلف مذاهبهم.

وقد دفع الوازع الديني أفراد المجتمع لا سيما الميسورين منهم إلى الإكثار من المؤسسات الدينية والتعليمية تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى، فبادر أهل الخير إلى وقف الأوقاف من مبانٍ وأراض وغيرها، وساعدهم على ذلك كثرة الأموال التي تدفقت على البلاد في تلك الفترة، وفي المقابل كان سلاطين الدولة الطاهرية على قدرٍ من التقوى والورع، فشمس الدين المجاهد علي بن طاهر كان صواماً قواماً تالياً للقرآن الكريم عن ظهر قلب، ويحضر مجالس الحديث التي تقام في الجامع، كما كان الظافر عامر (الثاني) شديد الالتفات إلى العلماء، شافعياً سنياً(١)، وكذلك السلطان عامر بن داود الذي ذكر عنه أنه كان يعظم الشرع الشريف، ولا يخرج عن حكمه، ويوقر من وفد إليه من العلماء ويكرمه لعلمه(٢)، ومن جهة أخرى، حرص السلاطين الطاهريون على إقامة الاحتفالات الدينية في شهر رمضان بمناسبة ختم القرآن الكريم،فضلاً عن الاحتفال بمولد النبي ﷺ، والاحتفال بوصول الكتب والمصنفات النفيسة في علوم الشرع.

وعلى الرغم من تعدد المذاهب في اليمن عموماً كالمذاهب السنية، والمذهب الزيدي، والمذهب الإسماعيلي، إلا أن سلاطين الدولة الطاهرية لم يجبروا الناس على الدخول في مذهب بعينه، فعندما استولوا على صنعاء وما جاورها من مناطق النفوذ الزيدي، لم يذكر أنهم أجبروا أهلها على ترك المذهب الزيدي قهراً، وعلى الأرجح أن الطاهريين قد اكتفوا بإقامة الخطبة لهم على المنابر، ولعل الحالة الاستثناء التي جوبهت بالقوة المفرطة قد حدثت مع ظهور عالم وداعية الإسماعيلية سليمان بن حسن الذي كان يروج لمذهبه في مدينة تعز، حيث أمر السلطان الظافر عامر (الثاني) بإتلاف كتبه وإيداعه السجن، بسبب تكلمه بأمور الغيبيات، ثم أطلق سراحه شريطة عدم تكراره ذلك(٣)، على أن ظاهرة هذا العصر تمثلت بانتشار الصوفية وتمتعها بمساندة الحكام وتشجيعهم لها على الرغم من تناقضهما معاً في ممارسة الحياة العامة بين الترف والبذخ والدعوة للزهد والقناعة، ويمكن إيجاز آثار هذه المذاهب والاتجاهات الدينية على مدينة عدن باستثناء معتقدات أهل الذمة على النحو الآتي:

---

١) النهروالي، البرق اليماني، ص١٦.
٢) المصدر نفسه، ص٨٠.
٣) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص٣٦-٣٧ .

١- المذاهب الدينية في عدن:

أ) المذاهب السنية:

من المذاهب السنية التي عرفها أهل عدن المذهب الشافعي، وينسب هذا إلى أبي عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي المولود سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م في غزة وقيل بعسقلان من أرض فلسطين، والمتوفي في مصر سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م ، وقد أخذ العلم من كبار العلماء والفقهاء ومنهم الإمام مالك(١) ، ومن تلامذته الإمام أحمد بن حنبل(٢) الذي ظل يدعو له في صلاته نحواً من أربعين سنة(٣)، وصلة الشافعي باليمن بدأت منذ تولى القضاء في نجران(٤)، بيد أن ظهور مذهبه في اليمن يعود إلى مطلع القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي(٥)، في المعافر(٦) والجند(٧) وصنعاء شمالاً، وعدن وحضرموت جنوباً(٨).

ومن المذاهب التي عرفها أهل عدن أيضاً المذهب الحنفي الذي ينسب إلى النعمان بن ثابت التيمي (ولد سنة ٨٠هـ/٧٠٠م)، فقيه العراق وعالمها، وأقدم أئمة الإسلام الأربعة وفاة؛ لأنه أدرك عصر الصحابة(٩)، إلا أن هذا المذهب لم ينتشر كثيراً كالمذهب الشافعي على الرغم من أن قسماً من المدرسة المنصورية قد تم تخصيصه لتدريس أصول هذا المذهب(١٠)، وقد يعود ذلك إلى وسطية الشافعي بين المذاهب،(١١)، كما مثل بعض العلماء عاملاً مساعداً في انتشار هذا المذهب أبرزهم الإمام القاسم بن محمد عبدالله الجمحي السهفني (ت٤٣٧هـ/١٠٤٦م) حيث قام

---

١) هو: مالك بن أنس بن مالك بن عامر بن عمرو بن الحارث بن غيلان بن حشد بن عمرو بن الحارث ، أحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة ،ومناقبه أكثر من أن تحصى، توفى سنة ١٧٩هـ/٧٩٦م ، وعمره ٨٥ سنة ، ودفن في البقيع .ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٥ ، ج١٠ ، ص١٧٠ .

٢) هو: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبدالله بن حيان بن عبدالله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان ، عاش حياته ورعاً زاهداً عن الدنيا امتحن في عهود المأمون ثم المعتصم ثم الواثق، وحبس طويلاً وضرب وهدد بالقتل، وذلك بسبب ما أثاره المعتزلة في مسألة خلق القرآن، ومخالفته لقولهم ومن قال بقولهم من الخلفاء العباسيين،وكانت ولادته في بغداد سنة١٦٤هـ/٧٨١م ، وتوفى سنة ٢٤١هـ/٨٥٦م . ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٥ ، ج١٠ ، ص٣٢٠-٣٣٨ .

٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٥ ، ج١٠ ، ص٢٤٨-٢٥٠ .

٤) الجعدي، طبقات فقهاء اليمن، ص١٣٧؛ أيمن فؤاد سيد، تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٤١،٧٢.

٥) الجندي، السلوك، ج١، ص١٥٠-١٥١.

٦) المعافر: هي ما يعرف الآن بتعز.

٧) الجند: مدينة مشهورة تبعد عن تعز بمسافة ١٧ كم، وكانت قديماً مدينة اليمن الأولى بعد صنعاء وإحدى أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، إلا أنه لحق بها الخراب وصارت قرية صغيرة فيها جامعها الأثري ومنارته السامقة، وقد بناه الصحابي الجليل معاذ بن جبل ﷺ في السنة الثامنة للهجرة/٦٣٠م، وجدد بناءه الحسين بن سلامة، ثم حكام بني رسول وبني طاهر. المقحفي، معجم البلدان، ج١، ص٣٥٩.

٨) الدجيلي، محمد رضا حسين، الحياة الفكرية في اليمن في القرن السادس الهجري، منشورات دراسات الخليج، جامعة البصرة، البصرة، ١٩٨٥م، ص١٢١.

٩) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٥ ،ج١٠ ،ص١٠٤-١٠٥ .

١٠) انظر فيماسيأتي، ص٢٦٠ .

١١) أيمن فؤاد، تاريخ المذاهب، ص٥٦، ٥٨.

بنشر المذهب الشافعي في سهفنة (قرب الجند)، وصنعاء، وعدن[١]، والإمام عبدالملك بن محمد بن أبي ميسرة اليافعي (ت٤٩٣هـ/١١٠٠م)[٢].

وبناءً على هذه المعطيات التاريخية يمكن القول: إن المذهب الشافعي قد انتشر انتشاراً واسعاً في غالب مناطق اليمن لا سيما الأسفل منه وحضرموت عدا صعدة وبعض أعمال صنعاء، ولما كان المذهب الشافعي هو المذهب الرسمي لأكثر الدول اليمنية في العصر الإسلامي، فقد كان بحد ذاته عاملاً رئيساً في نجاحها في حكم اليمن لفترات طويلة لا سيما في المناطق الجنوبية والغربية.

ب) **الإسماعيلية والإثناعشرية:**

وهما من مذاهب الإمامية المتعددة الاتجاهات والنزعات، وكان منشؤها في العراق الذي هو مبعث الأفكار ومعترك الآراء، ثم أفرخت وترعرعت بالكوفة مهد التشيع، ومنها انتشرت إلى اليمن والشام وإفريقيا[٣](تونس حالياً).

وسميت الإسماعيلية بهذا الاسم لانتسابهم إلى الإمام إسماعيل الابن الأكبر للإمام جعفر الصادق، وتلتقي الإسماعيلية الإمامية الإثنا عشرية في الأئمة: علي بن أبي طالب ﷺ وابنه الحسن ثم الحسين، وعلي بن الحسين زين العابدين، ثم ابنه محمد بن علي الباقر، فابنه جعفر الصادق[٤]، وفي جعفر الصادق افترقت الشيعة إلى فرقتين هما:

الفرقة الأولى: الإمامية الإسماعيلية وهي تجمع على إثبات الإمامة في إسماعيل بن جعفر الصادق وهو الابن الأكبر، مع أن المؤرخين قد أجمعوا على موته في حياة أبيه، لذا رأى أتباعه أن تظل الإمامة في الأعقاب ونقلوها إلى حفيده محمد بن إسماعيل حتى وصلت إلى عبيدالله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب[٥] .

والفرقة الثانية: الإمامية الموسوية، وقد عُرفوا لاحقاً بالإثنى عشرية ، ويجعلون الإمام بعد جعفر الصادق ولده موسى الكاظم، ثم علي الذي بايعه المأمون، ثم الجواد محمد، ثم علي الهادي، ثم الحسن العسكري، ثم محمد الكاظم بن الحسن العسكري وهو الثاني عشر من أئمتهم، وهو الحجة والإمام المنتظر والقائم، فقد دخل السرداب في سامرا وأمه تنظر إليه

---

١) الجندي، السلوك، ج١، ص٢٢٨-٢٣٠، ٢٥٦؛ أيمن فؤاد، تاريخ المذاهب، ص٥٩-٦٠.

٢) الجعدي، طبقات فقهاء اليمن، ص٨٨؛ الجندي، السلوك، ص٢٧٨-٢٧٩؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص١٢-١٢٧.

٣) الحمادي، محمد بن مالك بن أبي القبائل، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، تح: محمد بن علي الأكوع، ط١، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٤) الحمادي ، كشف أسرار الباطنية، ص٢٣ .

٥) الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد، الملل والنحل، ج١، تح: أمير علي مهنا وعلي حسين فاعور، ط٦، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص٢٦ .

وعمره يومئذٍ تسع سنين وقيل غير ذلك سنة ٢٧٥هـ/٨٨٩م[١]، بينما الإمامية الإسماعيلية لم تسم الإمام المنتظر، وادعت بأنه مستور، وموجود بين ظهرانيهم، وقالوا لن تخلو الأرض أبداً من إمام حي قائم، إما ظاهر موجود، وإما باطن مستور، فإذا كان ظاهراً جاز أن يكون حجته مستور، وإذا كان الإمام مستوراً فلابد أن يكون حجته ودعاته ظاهرين[٢].

وأياً كان الاختلاف، فقد توج الإسماعيليون دعوتهم بإقامة الدولة الفاطمية في المغرب سنة ٢٩٧هـ/٩١٠م، ثم انتقلوا إلى مصر ، وارتبط ظهور الدعوة الفاطمية في اليمن بشخصية الحسن بن فرح بن حوشب الكوفي المعروف بـ(منصور اليمن)، وبشخصية علي بن الفضل الجيشاني[٣]، اللذين وصلا إلى اليمن أوائل سنة ٢٦٨هـ/٨٨٢م، وتمكنا فعلياً من بسط نفوذهما على أجزاء واسعة من أراضي اليمن، واتسع نشاط الإسماعيلية وتمكنوا من إرسال دعاتهم إلى خارج حدود اليمن، وكان أبرز دعاتهم هو أبو عبدالله الشيعي الذي تم إرساله إلى شمال إفريقيا، وأخذ على عاتقه تأسيس دولة فاطمية في المغرب[٤].

وبعد وفاة ابن الفضل وابن حوشب، اختفت الدعوة الإسماعيلية عن الأنظار ولجأت إلى الدعوة السرية، وتناقلها الدعاة الواحد تلو الآخر حتى وصلت إلى علي بن محمد الصليحي الذي تمكن من لم شمل الإسماعيلية وأسس دولته في اليمن (٤٣٩هـ/١٠٤٨م – ٥٣٢هـ/١١٣٨م) ، ومثل قيامها مرحلة جديدة في تاريخ الحركة الإسماعيلية في اليمن تحت إشراف مصر الفاطمية[٥].

وفي أواخر عهد الملكة سيدة بنت أحمد الصليحي انشقت الحركة الإسماعيلية إلى فرقتين: فرقة تدعو إلى إمامة الطيب بن الآمر، وهؤلاء هم الصليحيون، وفرقة أخرى تدعو إلى

---

١) الحمادي، كشف أسرار الباطنية، ص٢٣.
٢) المصدر نفسه ، ص٢٣-٢٤.
٣) علي بن الفضل: هو علي بن الفضل الجدني الخنفري، والجدني نسبة إلى ذي جدن قيلٌ من أقيال حمير. الهمداني، الإكليل، ج٢، تح: محمد بن علي الأكوع، ط٣، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٦م، ص٢٩٢؛ وهو من عرب يقال لهم جيشان ينسبون إلى ذي جدن، وكان أول أمره إثني عشري المذهب، وحج إلى مكة، ثم خرج منها مع حجيج العراق قاصداً قبر الحسين، وبينما هو ملازم للقبر تعرف على ميمون القداح، ثم اتفقا على أن يكون داعياً له ولولده عبيد في اليمن. الحمادي، كشف أسرار الباطنية، ص٨١ وما يليها؛ أما ابن حوشب فهو أبو القاسم الحسن بن فرح بن حوشب بن زادان الكوفي وسمي بمنصور اليمن، وينسب إلى ولد مسلم بن عقيل بي أبي طالب ﷺ، وهو إثناعشري المذهب أيضاً، وتعرف على ميمون القداح وأفصح له بأمر الدعوة، فصار من دعاته الذين يدعون إلى ولده عبيد. الحمادي، كشف أسار الباطنية، ص٨٢؛ وللمزيد من معرفة قصة خروجهما إلى اليمن أنظر: القاضي النعمان بن محمد، رسالة افتتاح الدعوة (رساله في ظهور الدعوة العبيدية الفاطمية)، تح: وداد القاضي، ط٢، دار المنتظر، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص٣٢-٤٢.
٤) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص١٥٦؛ حسين الهمداني وحسن سليمان، الصليحيون ، ص٢٧.
٥) أيمن فؤاد، تاريخ المذاهب، ص٩٧-٩٩.

إمامة الخليفة الحافظ عبدالمجيد، وتبناه بنو زريع حكام عدن وأعمالها[١]؛ ثم قضي على الدعوة الإسماعيلية على يد الأيوبيين الذين دخلوا اليمن سنة ٥٦٩هـ/١١٧٤م، وتقلص عدد أتباع الإسماعيلية عبر عصور الدول السنية ابتداءً بالدولة الأيوبية، ثم الرسولية، فالطاهرية، وعلى الرغم من نزوح غالبية أتباع الإسماعيلية إلى الهند والسند ونجران وغيرهما من البلاد فراراً من المذابح التي أقامها لهم الأئمة الزيدية والتي كان آخرها سنة ٩٣١هـ/ ١٥٢٥م على يد الإمام شرف الدين وابنه المطهر[٢]، إلا أنه من الواضح بقاء أعداد منهم في نطاق محدود كحراز وهمدان، وكذلك في عدن التي كانت بمنأى عن الزيدية، فلطالما كانت هذه المدينة عبر تاريخها الطويل الملاذ الآمن لكل المذاهب والفرق والنحل والأطياف الدينية يهوداً كانوا أو نصارى أو مجوساً.

وقد أطلق أهل عدن على أتباع الإسماعيلية اسم البهرة[٣]، وفي القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي انقسمت طائفة البهرة إلى فرقتين: فرقة البهرة الداودية وتنسب إلى الداعي قطب شاه برهان الدين (ت١٠٢١هـ/١٦١٢م) ومركز دعوتها في مدينة مومباي الهندية، والفرقة الأخرى هي البهرة السليمانية وتنسب إلى الداعي سليمان بن حسن الذي اعترف به في الهند كداعية سنة ١٠٠٥هـ/١٥٩٧م.

ومن ناحية أخرى، أطلق أهل عدن اسم الخوجة على طائفة الإثني عشرية الجعفرية، وعلى الرغم من قلة أتباع طائفتي الإسماعيلية والإثني عشرية في مدينة عدن إلا أنهما كانتا جزءاً لا يتجزأ من نسيجها الاجتماعي، بيد أن مؤرخي ذلك العصر أي عصر الدولة الطاهرية لم يذكروا عن آثارهم شيئاً، ومع هذا فمن المرجح أن تينك الطائفتين كان لهما مشاركة فعالة في المجال الاقتصادي فالمشهور عنهم مذ ذاك الوقت وحتى العصر الراهن بأنهم من بيوت التجارة ووكلائها في عدن، وما من شك أنهم تمتعوا بالحرية ذاتها التي نعم بها غيرهم من الأقليات كممارسة الشعائر والطقوس الدينية، فضلاً عن الاحتفال بالأعياد الخاصة بهم ولكن في نطاق محدود، واللافت للنظر من تاريخهم الاجتماعي في عدن حرصهم الشديد على المحافظة على

---

١) للمزيد من التفاصيل انظر: بلعفير،"العلاقات المذهبية بين اليمن ومصر الفاطمية في عصر الدولتين الصليحية والزريعية: دراسة للمصادر المكتوبة والأثرية" ، مجلة اليمن، ع(٢٥)،مركز البحوث والدراسات اليمنية، جامعة عدن ،عدن ،جماد أول١٤٢٨هـ/مايو٢٠٠٧م، ص١٢٥ ومايليها .

٢) الحمادي، كشف أسرار الباطنية، ص٢٥.

٣) البهرة: بضم الباء أصلها هندوكي، وتعني التجارة في لغة أهل كجرات بالهند، وسبب التسمية يرجع إلى الذين دعوا أهل الهند إلى المذهب الإسماعيلي وكانوا تجاراً، وهم منتشرون في بلاد العرب وعددهم نحو مليوني نسمة، ويوجد ٣٠٠,٠٠٠ يعيشون في باكستان وبريطانيا، وسيلان وكذلك تنزانيا وكينيا.

هويتهم ووحدتهم كاقتصار الزواج في إطار الطائفة ذاتها، والتكافل الاجتماعي الذي تميزوا به، ثم سرية أفكار معتقداتهم وغيرها من الخفايا التي يمنع على أفراد هذه الطوائف الإباحة بها[١].

ج) **الصوفية**:

حمل معنى التصوف عدداً من التعريفات المتباينة، غير أن مجملها تدل على الزهد في أمور الدنيا، فابن الجوزية (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م) ينسبها إلى رجل يقال له صوفة واسمه الغوث بن مر، عاش في الجاهلية، فيما يذهب البيروني إلى أن الصوفية مشتقة من كلمة سوفيا اليونانية التي تعني الحكمة[٢]، وهي حركة أو اتجاه ديني ويعني العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والعزوف عن مظاهر الدنيا وزينتها ومغرياتها، والزهد عما يقبل عليه الناس من لذة ومال وجاه، والتفرغ للعبادة، وهي الصفات التي تميز بها الرسول ﷺ وصحبه، وعندما أقبل الناس على الدنيا منذ القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي فما بعده أطلق اسم الصوفية على المقبلين على العبادة[٣]، كما تميز الصوفية بلباس الصوف عن غيرهم من عامة الناس، ولذلك أطلق عليهم اسم الصوفية[٤]، ويرى كلود كاهن[٥] أن الصوفية نسبت إلى المسلمين الذي سلكوا الزهد في الحياة وصفاء السريرة في مقابل الثراء الفاحش لبعض الطبقات الاجتماعية، وما وصلت إليه من تفسخ أخلاقي بعد وصولها إلى الحكم.

ويعد المحاسبي العراقي وذو النون المصري من أبرز أعلام الصوفية[٦]، وخير من كتب عن طرق الصوفية القشيري[٧] في كتابه (الرسالة) والسهروردي[٨] في كتابه (عوارف

---

١) يوجد في عدن (كريتر/مديرية صيرة) مسجدان أحدهما للبهرة يقع في شارع الشيخ عبدالله، انظر: لوحة رقم (٢٠)، وقد زاره القاضي إسماعيل الأكوع سنة ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م وقال عنه: "وهو مسجد جميل، وماؤه عذب، وألفينا فيه شيخ البهرة الأستاذ خير الله النصيري من النصيرية...". الحمادي، كشف أسرار الباطنية، ص٢٨؛أما المسجد الآخر فهو للإثني عشرية الجعفرية تزينه القباب والمنارات ذات الطراز المعماري الفريد، واسمه مسجد الحسيني، ويقع على الطريق الرئيس المؤدي إلى حي العيدروس.انظر: لوحة رقم (٢١).

٢) الموسوعة الميسرة في الأديان ، ص٣٤١.

٣) ابن خلدون، المقدمة، ص٣٩٨.

٤) المصدر نفسه والصفحة.

٥) تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطورية العثمانية، نقله إلى العربية: بدر الدين القاسم، ط٢، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٧م، ص١٨٣.

٦) كلود كاهن، تاريخ العرب، ص١٨٣.

٧) هو عبدالكريم بن هوزان بن عبدالمطلب بن طلحة أبو القاسم القشيري، وأمه من بني سليم ،قرأ الأدب والعربية وصحب الشيخ أبا علي الدقاق ،وأخذ الفقه عن أبي بكر بن محمد الطوسي والكلام عن أبي بكر بن فورك ،وصنف الكثير وله التفسير والرسالة التي ترجم فيها جماعة من الصالحين،وكانت وفاته في نيسابور سنة٤٦٥هـ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٦، ج١٢ ، ص١٠٦ .

٨) هو عمر بن محمد بن عبدالله بن محمد بن محمد بن حمويه،واسمه عبدالله البكري البغدادي،شهاب الدين أبو حفص السهروردي ، شيخ الصوفية ببغداد،ومن كبار الصالحين وسادات المسلمين،توفى سنة٦٣٠هـ . ابن كثير، البداية والنهاية ، مج٧ ، ج١٣ ، ص١٢٩ .

المعارف)، فيما بيّن الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين) سننهم ومصطلحاتهم وآدابهم حتى أصبح علم التصوف مذ ذاك الوقت علماً مدوناً[(١)].

وقد واجهت الصوفية معارضة أهل السنة والشيعة في بعض أفكارهم التي عبر عنها الحلاج في كتابه الشهير (أنا الحق) الذي أثار حفيظة الدولة العباسية، وعلى أثره أدين وصلب سنة ٣١٠هـ/٩٢٣م، وتأثرت اليمن كغيرها من بلاد الإسلام بالصوفية غير أن التصوف مرّ بها بعدة مراحل حتى اكتمل تطوره في القرن العاشر الهجري/السادس عشر ميلادي، ولم يتميز التصوف في اليمن إلا بعد أن أصبح له مصطلحاته وشعائره التي تميز بها أصحابه عن سائر أهل المذاهب وذلك في القرنين السادس والسابع الهجريين/الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين[(٢)]، وفي القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي اكتملت مقومات التصوف، ولم يعد الصوفية متأثرين بعبادات زملائهم من الفقهاء ومنهم: سلطان العارفين أحمد بن عمر الزريعي العقيلي (ت٧٠٤هـ/١٣٠٥م)، وعبدالله بن أسعد اليافعي (ت٧٦٨هـ/١٣٦٧م) وهو الوحيد الذي ذاعت شهرته خارج اليمن وانتشرت مؤلفاته في مصر والشام ومكة، وقد عاش في عدن وانتقل إلى مكة ثم ارتحل إلى مصر والشام، ولذا مثل هذا القرن نضوج التصوف في اليمن واكتمال مذهبه النظري والعملي[(٣)].

ومثل القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي مرحلة مهمة في تاريخ الصوفية حيث ازداد فيه نفوذ رجاله سياسياً واجتماعياً ودينياً، وأبرزهم إسماعيل بن أبي بكر الجبرتي (ت٨٠٦هـ/١٤٠٤م) الذي كان شيخ الصوفية في عصره، وعبدالله بن أبي بكر الناشري (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، ويعد القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي آخر المراحل التي بلغها التصوف في تطوره، وبعدها طغت عليه العوامل المتناقضة فيزدهر حيناً ويأخذ بالضعف حيناً آخر، ولعل حالة الازدهار التي شهدها قد ظهرت جلية في جماعة من صوفية حضرموت معقل الصوفية وأكثرها نشاطاً، ومنهم الشريف الشيخ أبوبكر بن عبدالله العيدروس الذي كان من أكابر الأولياء وأشهرهم على الإطلاق[(٤)].

الجدير بالإشارة في هذا الصدد أن التصوف قد ارتبط بعلاقة وثيقة مع المذاهب السنية، إذ لم يظهر أو ينتشر إلا تحت ظلال الدول السنية، وغالباً ما كان الملوك والسلاطين ينظرون إلى رجال الصوفية كمصدر بركة وإمداد خفي لحكمهم، فهم الطرف الآمن والأكثر مرونة في التعاطي مع الأحداث، بالإضافة إلى أن منهجهم تغلب عليه حالة السلم والروحانية وينأى عن

---

١) ابن خلدون، المقدمة، ص٣٩٩.
٢) الحبشي، الصوفية، ص١٦.
٣) المرجع نفسه ، ص١٨.
٤) الحبشي، الصوفية ، ص١٩.

التشدد والتصادم والمواجهة، وكان من عاداتهم التحبب إلى السلطة وإيراد الأحاديث والروايات في فضائلهم.

ففي عصر الدولة الرسولية استغل المتصوفة توجه السلاطين لإحياء النهضة العلمية والفكرية، وتشجيعهم للعلماء، وتقربوا إليهم بقدرٍ سمح لبعضهم بإقامة علاقات وطيدة مع بعض السلاطين، كما اقتفى معاصرو الطاهريين ذات النهج الذي سار عليه أسلافهم من الصوفية ونشأت بين الطرفين علاقات حسنة، إذ نجد السلطان الظافر عامر (الثاني) قد قرب إليه الشيخ أبابكر العيدروس، وأعانه بالأموال والخلع النفيسة، وكانت بينهما مراسلات منها ما حوت طلباً للظافر من العيدروس بأن يدعو له بفتح وصاب وغيرها من المعاقل، وكان العيدروس قد بشره بفتح صنعاء وبلاد يافع ودثينة، ونظم في السلطان قصائد كثيرة عبرت مضامينها عن الولاء المطلق الذي يكنه الشيخ العيدروس للظافر[١] . وعلى خلفية هذه العلاقة تعلق الأمير مرجان والي عدن بالشيخ أبي بكر ومن خلفه في المشيخة من آل العيدروس، والحال ذاته كان مع السلطان عامر بن داود الذي كثيراً ما استعان بهم في أوقات الشدة والأزمات السياسية والحربية التي تعرضت لها عدن في عهده، بيد أن هذه العلاقات المتينة التي ربطت السلطة الطاهرية بآل العيدروس لم تكن الوحيدة على مستوى رجالات الصوفية فقد أقام الطاهريون علاقات واسعة مع علماء الصوفية، وأوكلوا لهم إدارة أجهزة الدولة كالقضاء والنظر والأوقاف وغير ذلك، ولعل أبرزهم آل الناشري، والمقريء والمزجد، وباحميش ، وباشكيل وبافضل ، وبامخرمة وغيرهم من أعلام الصوفية في ذلك الوقت.

وعلى أية حال، كان الرعيل الأول من الصوفية قد اختلطوا بالمجتمع وتلمسوا همومه حتى أصبحوا ذلك الصوت الذي يعبر عن قضايا الناس أمام السلطة، ومنهم الصوفي الشيخ أحمد بن علوان، ثم جاء جيل من الصوفية انحدروا إلى الهاوية وكان همهم التنعم باللذات متناسين ما يدعو إليه التصوف، فامتهنوا التزلف والرياء والنفاق للحكام، إذ لا يكاد يظهر حاكم سني إلا وترافقه حاشية من الأولياء والزهاد يجندهم للدعاء له واستمالة قلوب العامة إليه[٢].

ومع هذا فإنه من المنصف القول: إن بعض أعلام الصوفية قد أسهموا وبفعالية في كسب ود العامة والخاصة من خلال بث روح الإخاء والتكافل الاجتماعي، بل وتوجيه طاقاته لمواجهة الأزمات السياسية والاقتصادية، لكن هذا الدور الريادي تم تشويهه من قبل أتباع الصوفية، إذ نجدهم قد غالوا إلى حدٍ كبير في تقديس شيوخهم، وأحاطوهم بهالات الروحانية والعظمة، فنسبوا إليهم العديد من الكرامات والقدرات الخارقة التي انطلت على جهلة الناس، ثم

---

١) انظر: فيما سيأتي، ص٢٨١ ومايليها .
٢) الحبشي، الصوفية، ص٣٩.

تطور الأمر إلى عدم الاكتفاء بإضفاء تلك الكرامات إلى شيوخهم فحسب ، بل أخذ يتقرب إلى ضريحه بعد موته، ويعتبره من المزارات المقدسة، ثم الانجراف إلى الاستغاثة به والنحر عند قبره ليقضي له حوائجه، أما متأخروهم ممن ادعوا الصوفية فقد كانوا وصمة عار على الصوفية، إذ حولوا تصوفهم إلى نوع من الدروشة والشعوذة للتكسب (والعياذ بالله).

- طرق التصوف:

الطريقةً لغةً:طريق القوم أمثالهم وخيارهم، يقال هذا رجل طريقة قومه وهؤلاء طريقة قومهم، وطرائق قومهم أيضاً للرجال الأشراف، ومنه قوله تعالى:﴿ كُنّا طرائِقَ قِدَدا﴾[١] ،أي كنا طرائق مختلفة أهواؤنا ، وطريقة الرجل مذهبه، ويقال مازال فلان على طريقة واحدة أي حالة واحدة [٢].

والطريقة اصطلاحاً: يراد بها مايوصل إلى المقصد آمناً سالكه على نفسه ، وأن السالك يفارق ذميم الحال ليصل إلى حميد المآل ولايتسنى له ذلك مادام واقفاً عند كل خلقٍ ذميم ووصفٍ لئيم ، ولذا فهو يسير في الطريق المؤدية للكمال ، ومن هنا جاء لفظ طريق أو طريقة، ومنه قوله تعالى:﴿وألو استقاموا على الطّريقةِ لأسقيناهُم مّآءً غَدَقا﴾[٣]،أي لو استقام القاسطون على طريق الحق والاستقامة لأسقيناهم بالاستقامة ماءً غدقا[٤]، وتعني الطريقة عند الصوفية أيضاً أنها وضعت لكيفية تهذيب القلوب وتصفيتها من الرذائل وتحليتها بالفضائل لتتهيأ بذلك لمعرفة الحق تعالى المعرفة الحقيقية[٥].

وقد انتشرت في بلاد الإسلام عدد من الفرق وتأثرت بها اليمن كغيرها من الأقطار منها: الطريقة القادرية، والشاذلية، والمغربية، والرفاعية، والسهروردية، والنقشبندية، بيد أن ما وجد منها في مدينة عدن خلال العصر الطاهري ما يأتي:

الطريقة القادرية:

وتنسب إلى الشيخ عبدالقادر بن موسى الجيلاني (ت٥٦١هـ/١١٦٦م) وغالب أهل اليمن ينتمون إلى القادرية عدا السادة الأشراف آل باعلوي وآل العمودي ، والشيخ جوهر العدني ، ومن أبرز أتباع هذه الطريقة الشيخ الرحلة العالم العلامة برهان الدين إبراهيم بن محمد باهرمز (ت٨٧٥هـ/١٤٧٠م)، والشيخ إسماعيل الجبرتي وغيرهما، وقد دخلت اليمن على يدي الشيخ

---

١) سورة الجن ، الآية(١١).
٢) الرازي ، محمد بن أبي بكر ، مختار الصحاح ، دار الحديث، القاهرة ،١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ، ص٢١٨-٢١٩.
٣) سورة الجن، الآية(١٦).
٤) القطعاني ، أحمد ، الحجج المؤتاة في الرد على صاحب كتاب إلى التصوف ياعباد الله ، مكتبة الجندي، القاهرة ، ٢٠٠٦م ، ص١١٩
٥) القطعاني، الحجج المؤتاة ، ص١١٩.

علي بن عبدالرحمن الحداد والشيخ عبدالله بن حسن الأسدي[١]. وأخذت بالانتشار منذ مطلع القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، وقد ذكر اليافعي بأن مشايخ اليمن يرجعون في لبس الخرقة إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني[٢].

ومن أوائل مشايخ هذه الطريقة في مدينة عدن الشيخ جمال الدين محمد الذهيبي المعروف بالبصّال، والشيخ مسعود الجاوي الذي أخذها من عبدالله بن أسعد اليافعي في عدن سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م، حيث ألبسه خرقة التصوف في خليج ضراس[٣]، وممن لبس الخرقة الجبرتي[٤]، والإمام جمال الدين محمد بن أحمد فضل على يد شيخه القاضي جمال الدين محمد بن مسعود باشكيل عن شيخه محمد بن سعيد كبن، كما لبسها الشيخ أبوبكر بن عبدالله العيدروس على يد جمال الدين محمد بن أحمد فضل سنة٨٨٧هـ/١٤٨٢م وثانية على يد الشيخ إبراهيم بن محمد باهرمز في شبام حضرموت سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م[٥] .

الطريقة الرفاعية:

تنسب إلى الشيخ أحمد بن علي الرفاعي (ت٥٧٨هـ/١١٨٢م)، وكان انتقالها إلى اليمن على يد الشيخ عمر بن عبدالرحمن بن حسان القدسي (ت٦٨٨هـ/١٢٨٩م) الذي أخذ الخرقة عن حفيد الرفاعي، وبعد أن استكمل دراسته أمره بدخول اليمن لنشر هذه الطريقة[٦]، ويظهر أنها دخلت عدن في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي أو أواخره؛ لأن أبابكر بن عراف الغيلاني وهو من أتباع هذه الطريقة كان قد اجتمع بالجندي في عدن أواخر القرن السابع أو أوائل القرن الثامن الهجريين/الرابع عشر الميلادي، وذكر أن له رباطاً ويده في التحكيم للشيخ أحمد الرفاعي[٧]، كما ورد عند بامخرمة أن الشيخ أحمد بن أبي بكر الرنبول الأبيني قد تصوف تصوف وأخذ الخرقة عن أتباع الشيخ الرفاعي، وله في عدن رباط[٨].

الطريقة الشاذلية:

تنسب إلى الشيخ أبي الحسن علي بن عبدالله الحسيني الشاذلي (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، وقد انتقلت إلى اليمن على يد الشيخ علي بن عمر بن دعسين الشاذلي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)[٩]، وقد

---

١) العيدروس العدني، أبوبكر بن عبدالله بن أبي بكر باعلوي ، الجزء اللطيف في التحكيم الشريف، ط٢ ، مط مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م، ص١٩-٢٠ ؛ الحبشي، الصوفية، ص٣٤.
٢) مرآة الجنان، ج٤، ص٣٢٧.
٣) المصدر نفسه والجزء، ص٣,٩؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص١٠٩-١١٠؛ الحنكي، "عبدالله بن أسعد اليافعي"، ص٨٠-٨١. وخليج ضراس: هو ما يعرف عند أهل عدن (حالياً) بـ:أبو الوادي.
٤) السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص٢٥٠-٢٥٢.
٥) العيدرروس العدني ، الجزء اللطيف ، ص٢٠ ، ٢٢.
٦) الحبشي، الصوفية ، ص٣٦.
٧) الجندي، السلوك، ج٢، ص٤٥٥.
٨) تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص٢٦-٢٧.
٩) الحبشي، الصوفية، ص٣٥.

ذكر أن الشيخ حسن الأهدل (ت٨٣١هـ/١٤٢٨م) قد وفد إلى عدن وسكن في رباط الشاذلي، مما يعني أن هذه الطريقة قد دخلت المدينة قبل القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، ويفهم من ذلك أيضاً بأن مشايخ آل الأهدل المدفونين في رباط الشاذلية كانوا من أتباع هذه الطريقة وهم من أهل القرنين التاسع والعاشر الهجريين/الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين ،وممن لبس هذه الخرقة الشيخ أبوبكر العيدروس على يد شيخه جمال الدين الدهماني(١)، وقد يدل لبس العيدروس أكثر من خرقة على أن مشايخ الصوفية كانت تتوسم فيه ذلك الرمز القادر على حمل لواء التصوف في ذلك العصر.

الطريقة العلوية :

وهي طريقة السادة العلويين، وذلك لقول الشيخ العيدروس(٢):" ولنا طريق أخرى من طريق أهل البيت، وهي أحب إليّ من خصلتين لأنها تمحضت ذكر الآباء رضي الله عنهم ونفع بهم" ، ويذكر أبوبكر العيدروس أنه لبس الخرقة على يدي والده عبدالله الذي لبسها عن جده أبي بكر السكران وهكذا حتى يصل سندها إلى الفقيه محمد بن علي مقدم التربة بتريم وهو جد آل باعلوي، والذي منه يتشعب نسبهم ، ثم يصلها إلى عيسى بن محمد ، ثم محمد العريضي ، ثم والده جعفر الصادق، ثم محمد الباقر، ثم علي زين العابدين ، ثم الحسين بن علي ، فعلي بن أبي طالب(٣) .

- شعائر الصوفية:

- مشيخة الصوفية:

للصوفية هيكل تنظيمي لا يتعدى فيه الفرد مكانه المخصص له، وهو يبدأ بالشيخ الذي يتبوأ أعلى درجة في السلم التنظيمي، ثم يليه الخواص من جلسائه، فالمريدون من الطلبة والأتباع، ويتم ترشيح شيخ الصوفية من قبل كبار الصوفية، حيث يتم تنصيبه وإلباسه العمامة أمام تلامذته، وهنا يقول كبير الصوفية لهم: "نصبته عليكم شيخاً"(٤)، وقد يوصي الشيخ لأحد تلامذته بالمشيخة من بعده، وربما تتقيد بشرطٍ ما كالذي حدث مع الشيخ جوهر بن عبدالله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، إذ اشترط شيخه سعد الحداد نزول طائر على رأس من يتولى هذا المنصب، وتحقق هذا الشرط في شخص جوهر(٥)، وقد يكون تولي المشيخة وراثياً، كأن يخلف

---

١) العيدرروس العدني ، الجزء اللطيف ، ص٢٤ .
٢) المصدر نفسه ، ص٢٥ .
٣) المصدر نفسه ، ص٢٥-٢٦ .
٤) المصدر نفسه، ص٢٩ .
٥) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص٣٩ .

الابن أباه، أو يخلف الأخ أخاه الأكبر سناً على أن ينهض المستخلف بجميع الأعمال التي كان يقوم بها سلفه، وهؤلاء من يطلق عليهم في العصر الراهن بالمناصب[١].

- الأربطة والزوايا:

الأربطة مفردها رباط وهي مشتقة من المرابطة في هذه الدار لمجاهدة النفس على الطاعة وهجر الدنيا والانقطاع للعبادة[٢]. والزوايا مفردها زاوية، وهي مشتقة من الانفراد في ركن المسجد للاعتكاف والتعبد، ثم تطورت ليصبح لها أبنية مستقلة عن المسجد يقيم فيها الصوفية وتلاميذهم والأغراب، وهي في الغالب موضع للشيخ ينقطع فيه للعبادة مع مريديه[٣]، وأدت هذه المنشآت وظائفها التعليمية ومهام تدريس المريدين كثيراً من العلوم الشرعية، ناهيك عن الترقي في مدارج التصوف، وقد انتشر في مدينة عدن خلال العصر الطاهري عدد من الأربطة والزوايا وهي كما يأتي:

رباط وزاوية الشيخ جوهر:

في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي أسس الشيخ سعد الحداد رباطاً آلت فيه المشيخة والتدريس إلى تلميذه جوهر بن عبدالله بعد أن توافرت فيه الشروط التي أوصى بها شيخه الحداد قبل وفاته، وفي القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي أخذ الشيخ جوهر زاوية له بجوار الرباط[٤]، وقد ظل هذا الرباط قائماً في عهد الطاهريين، وجاء ذكره أكثر من مرة في حوادث هذا العصر، وموقعهما فيما يعرف (حالياً) بحارة جوهر.

رباط أبي الغيث:

وهذا الرباط ينسب إلى أبي الحسن علي بن أبي الغيث بن أحمد بن الحسن عاش في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، وقد أوقف له أرضاً بوادي لحج لكفاية الشيخ القائم فيه[٥]، وظل يؤدي وظيفته في عصر الدولة الطاهرية إذ ذكر أنه كان بيد ورثة الشيخ فاضل الغيثي[٦]، غير أن موقعه لا يعرف على وجه الدقة.

---

١) الحبشي، الصوفية، ص٢٦.
٢) العبادي، عبدالله قائد حسن، الحياة العلمية في مدينة زبيد في عهد الدولة الرسولية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص٢١٢.
٣) المرجع نفسه ، ص٢١٢.
٤) الجندي، السلوك، ج٢، ص٤٦٥-٤٦٦؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص٦٥-٦٦؛ الحبشي، مصادر الفكر، ص٤٢١.
٥) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص١٥٦.
٦) المصدر نفسه والجزء، ص٢١

رباط الشاذلية:

ورد ذكره في معرض ترجمة الفقيه حسن بن عبدالرحمن الأهدل وزميله أحمد الهاشمي اللذين دخلا عدن واستقرا بها بإذن شيخهما علي بن عمر صاحب المخا(١)، وسكنا في عدن في رباط الشاذلية، فقد كانت الأربطة مأوى وسكناً للأغراب، واشتغلا بالعبادة ومطالعة كتب التصوف، ويعد حسن الأهدل من أتباع طريقة الشاذلية ، وتخرج بها على شيخه علي بن عمر (ت٨٣١هـ/١٤٢٨م) ودفن بهذا الرباط، ثم قام مقامه أخوه أبو القاسم حتى وفاته سنة ٨٤٨هـ/١٤٤٤م ودفن إلى جوار أخيه، ثم قدم إلى عدن الشيخ بدر الدين حسين الصديق الأهدل (ت٩٠٣هـ/١٤٩٨م) ودفن إلى جوارهما في الرباط(٢).

رباط وزاوية العراقي:

ينسب إلى الشيخ سراج الدين عبداللطيف بن أحمد العراقي (ت٨٠٩هـ/١٤٠٦م)، وقد دفن في رباطه(٣)، ويقع في منطقة الخساف تحت جبل التعكر(٤)، وقد أقيم عليه المسجد المعروف باسمه، ولما كانت الزوايا ملجأً آمناً للمستضعفين لها حرمتها فقد لجأ الشريف علي بن سفيان إلى زاوية عبدالله بن عبداللطيف خائفاً بعد أن شاع عنه في المدينة أنه يعمل على تمهيد أمر استيلاء مشايخ بني طاهر على الحكم إبان عهد المسعود الرسولي(٥).

رباط العيدروس:

يعود تأسيسه إلى الأمير مرجان الظافري ، وذلك من باب التعظيم والتقدير لشيخه أبي بكر العيدروس، وهذا الرباط هو الوحيد الذي لا زال قائماً ويؤدي رسالته الدينية في مدينة عدن حتى العصر الراهن.

- خرقة التصوف:

يعد لباس الخرقة من العادات الأصيلة للصوفية، وهي من البدايات الأولية لطالب التصوف(٦)، والخرقة تتكون في الغالب من طاقية أو قميص أو عمامة أو طيلسان أو غير

---

١) المخا: بندر على ساحل البحر الأحمر غربي تعز ، تبعد عنها نحو ثلاث مراحل ، وهي فرضة بلاد تعز. الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، مج٢ ، ص٦٩٤ .

٢) باسنجلة، العقد الثمين، ص٢٢.

٣) البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٣٢٩-٣٣٠؛ أمين باوزير، حلقات القرآن الكريم ومجالس العلم في مساجد عدن، ط٢ ، مركز عبادي للطباعة والنشر ، صنعاء،٢٠٠٥م ، ١١٩-١٢٠؛ محمد زكريا، مساجد اليمن – نشأتها – تطورها التاريخي – خصائصها، مركز عبادي للطباعة والنشر، صنعاء، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص١٢.

٤) ينسب الرباط إلى الشيخ عبداللطيف العراقي. أما الزاوية فهي للشيخ عفيف الدين عبدالله بن الشيخ عبداللطيف العراقي، ولعل الابن قد دفن إلى جوار أبيه تحت حصن التعكر مما يلي البّر، والمسمى برباط العراقي والمقام عليه (حالياً) المسجد المنسوب إليه. أنظر: البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٣٣٠.

٥) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٠٦.

٦) العيدروس العدني، الجزء اللطيف، ص٨.

ذلك[١]، وتم تقسيم الخرقة من حيث مدلولها الصوفي إلى ثلاثة أنواع: الأولى: خرقة الإرادة، والثانية: خرقة التبرك، والثالثة: خرقة التشبه[٢].

ويتم إلباس الشيخ مريده في حفل بهيج يقيمه أتباع الصوفية ويحضره عدد من المشايخ والعلماء، وذكر الشيخ العيدروس[٣] أنه لبسها من أبيه عبدالله بن أبي بكر سنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦١م، وآخر خرقة لبسها كانت على يد الشيخ الفقيه الرحلة العالم العلامة برهان الدين إبراهيم بن محمد باهرمز (ت٨٧٥هـ/١٤٧٠م) [٤] وذلك سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م في شبام في محفل عظيم حضره جملة من المشايخ والعلماء.

ويأتي التحكيم عقب الإلباس مباشرة، وهو أن يقوم الشيخ بتحكيم تلميذه وتلقينه[٥] الذكر، الذكر، والتحكيم عبارة عن إشعار التلميذ شيخه بموافقته على الدراسة عليه، ومن صور التحكيم أن يضع المتحكم يده في يد الشيخ ثم يقرأ الفاتحة وآية من آيات الرجاء الواردة في القرآن، ويقول الشيخ بعد ذلك رضيت بي شيخاً ومؤدباً يدعوك إلى ما دعاه الله ورسوله ﷺ، فيقول التلميذ رضيت[٦].

والسماع عند الصوفية كان أول أمره عبارة عن تجمعات للصوفية تتلى خلالها عدد من الأذكار يرددها التلاميذ بصوت واحد مرتل، ثم تطور وأدخلت عليه القصائد المنظومة، ثم أدخلت عليه الآلات الموسيقية كالناي والطبل حتى تحول إلى غناء وموسيقى ورقص[٧].

---

١) العيدروس العدني، الجزء اللطيف، ص٢٧.

٢) المصدر نفسه، ص١١.

٣) المصدر نفسه، ص١٦-١٧، ١٩-٢٠.

٤) باهرمز: يرجع باعقيل آل باهرمز إلى الأصول الفارسية وذلك من ظاهر الاسم بعد حذف (با) الكنية الحضرمية، ومشيراً في الوقت ذاته إلى أن هذه العائلة لا يكاد يكون لها أثر يذكر في الحياة الاجتماعية الحضرمية قبل القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي ، وعندما استقروا في حضرموت ساهموا وبفعالية في نشر التصوف الذي يحمل الفكر الإيراني القديم الداعي إلى فكرة الولي (المخلص المنتظر). عمر بامخرمة، ص٤٤-٥١؛ ويعارضه محمد بن أحمد الشاطري في تقديمه لذات الكتاب (ص١٥) وأعاد نسبهم إلى قريش بحسب ما قرأه في كتاب (مخطوط) له نسخة محفوظة في مكتبة الأحقاف بتريم؛ ويرجح الباحث رأي الشاطري مضيفاً في الوقت ذاته بأن بعض قرى ومدن محافظتي أبين وشبوة تدين لمشائخ آل باهرمز في نشرهم للعلم والمعرفة والتفقه في علوم الشرع ، ولاتزال لهم ذرية تسكن حضرموت ، وشبوة ، وفي مدن وقرى أبين ، وعدن، وطائفة من مشائخهم تشتغل بالقضاء والأوقاف.

٥) التلقين: هو أن يضع الشيخ يده في يد المريد، ويأمره بسماع الذكر معه مع تغميض العينين، ثم يقول بعده، ثم يقول الشيخ عقب الاستغفار والدعاء: لا إله إلا الله ثلاثاً، فيقول المريد كما قال الشيخ. العيدروس العدني، الجزء اللطيف، ص١٤.

٦) العيدروس العدني، الجزء اللطيف، ص١٣.

٧) الحبشي، الصوفية، ص٣١. كما كان السماع يقام لإحياء المناسبات العائلية بقصد إدخال السرور عليهم، وتطور السماع حتى صار نوعاً من أنواع الترفيه، ومن الناس من يذوب في السماع وينفعل به حتى يؤدي ذلك إلى الوفاة، ومنهم من يرمي بنفسه من مكان مرتفع أثناء السماع . الحبشي، الصوفية، ص٣٢-٣٣.

٢- الإفتاء في عدن:

لم تعرف الدولة الطاهرية والدول التي سبقتها ما يعرف بدار الإفتاء كمؤسسة دينية رسمية مستقلة يقع عليها مدار الفتوى في البلاد، وتتولى إصدار الفتاوى بكل ما يتصل بحياة الناس وتوجهات السلطة، بل اشتهر في معظم مناطق اليمن عدد من العلماء والفقهاء بالإفتاء في المسائل الشرعية، وعلى ذلك قصدتهم العامة والخاصة لبيان ما أشكل عليهم في شئون دينهم ودنياهم، فضلاً عن طلاب العلم الذين كثيراً ما كانوا يلجأون إليهم لحل ما استصعب عليهم من المسائل، وكذا حكام وأمراء وأعيان الدولة.

والحال ذاته كان في عدن، حيث اشتهر فيها جملة من العلماء والفقهاء في مجال الإفتاء بمذاهب أهل السنة أبرزهم الإمام العلامة القاضي عبدالله بن أحمد بن علي بن أحمد بن إبراهيم بامخرمة الحميري السيباني المولود في الهجرين (بلد في حضرموت) سنة ٨٣٣هـ/ ١٤٣٠م ، فقد وصف بأنه كان مفتي مدينة عدن ومدرسها، وهو العمدة الذي يرجع إلى قوله وفتواه في زمان مشايخه(١)، وقال عنه العلامة عفيف الدين عبدالله بن عبسين: "إني لا أخاف ولا أهاب أحداً من العلماء إلا الفقيه عبدالله بامخرمة، فإني أكاد أرعد من هيبته، وكان الملوك في زمانه يخضعون له ويخافونه"(٢)، وقال عنه العيدروس: "ورأيت بخط الفقيه عبدالله بن الحاج فضل رحمه الله في آخر جواب له على مسألة اختلف فيها فقهاء عصره ما لفظه: وقد أفتى بذلك سيدنا وشيخنا الفقيه العلامة عبدالله بن أحمد مخرمة رحمه الله، وأخذه من مقتضى كلام الأصحاب وهو أحق من أن يقلد"(٣)، وقد كانت وفاته بعدن في شهر محرم سنة ٩٠٣هـ/ ١٤٩٨م ، ودفن قرب شيخه باشكيل داخل قبة الشيخ جوهر في القبر الذي دفن به شيخ مشايخ الإسلام مفتي اليمن القاضي جمال الدين محمد بن سعيد كبن(٤).

ومنهم شيخ الإسلام الفقيه المنور المتفق على جلالة قدره علماً وعملاً وورعاً جمال الدين مفتي المسلمين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالله بن محمد الشهير بابن علي بافضل السعدي نسبة إلى سعد العشيرة، ولد بتريم سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٧م ، وقد اشتغل بالتدريس والفتوى بعدن وبغيرها من البلاد، وكان هو وصاحبه العلامة عفيف الدين أبو الطيب عبدالله بن أحمد بامخرمة عمدتي الفتوى بعدن، وكان بينهما من الود والتناصف ما هو مشهور(٥)، وذات مرة

---

١) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص٣٨؛ بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٨٩-٣٦٩٠؛ العيدروس، النور السافر، ص٣٠.
٢) العيدروس، النور السافر، ص٣١.
٣) المصدر نفسه ، ص٣٢.
٤) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٩٠؛ العيدروس، النور السافر، ص٣٠.
٥) ابن الديبع،الفضل المزيد، ص٤٦؛ بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٩٣؛ شنبل، تاريخ حضرموت، ص٢١٥؛ باسنجلة، العقد الثمين، ص٢٢؛ العيدروس، النور السافر، ص٢٤.

سُئل عبدالله بامخرمة: "أي أعلم أنت أم الفقيه محمد؟ فقال: أنا أعلم منه، وهو أورع مني أو قال: أدين مني"[1]، وكانت وفاته في شوال سنة ٩٠٣هـ/١٤٩٨م بعدن، ودفن بالتربة المعروفة بحافة البصّال[2].

وممن تولى الإفتاء في عدن الشيخ العلامة محمد بن عمر باقضام بامخرمة (ت٩٥١هـ/١٥٤٤م)، وقد أخذ عن العلامة محمد أحمد بافضل والعلامة عبدالله بن أحمد بامخرمة ثم عن العلامة أحمد المزجد والقاضي محمد حسين القماط، وجد في الفقه حتى فاق أقرانه وصار بعدن عقب موت إماميها المشار إليه، وقصده الناس بالفتاوى من كل البلاد، إلا أن العلامة عبدالله بن عمر بامخرمة قال عنه: "لكنه كان يتساهل في الفتاوى، ويترك المراجعة لا سيما أواخر عمره، فاختلفت أجوبته، وتناقضت فتاويه"[3]، وقد ذكرنا ما كان من أمره مع السلطان عامر بن داود الذي استماله وقربه إليه ليفتي له بما يوافق أغراضه الفاسدة ، وعقب زوال دولة الطاهريين ترك الناس فتاويه[4].

كما اشتهر بالإفتاء العلامة عبدالله بن عمر بن عبدالله بن أحمد بامخرمة مفتي اليمن وعلامة الزمن، أخذ عن والده عمر وعمه القاضي الطيب، وصفي الدين أحمد المزجد، والحافظ عبدالرحمن بن الديبع وغيرهم، وأتقن جملة من العلوم العقلية والنقلية، وأجازه أكثر مشايخه في الإفتاء والتدريس، وكان العلماء لا يفتون والعلامة عبدالله بين ظهرانيهم، ومما يذكر في هذا الصدد أن العلامة عبدالرحمن بن زياد وصلت إليه أسئلة من أهل عدن يرجون منه الإفتاء فيها، فاعتذر لهم، وقال: لا أكتب عليها وعندكم الشيخ عبدالله[5]، وكانت وفاته بعدن سنة ٩٧١هـ/١٥٦٤م، ودفن بمشهد جوهر إلى جوار جده عبدالله والقاضي محمد سعيد كبن[6].

ثانياً – الحـــــياة العلمـــــية:

غني عن البيان ما شهدته عدن في عصر سلاطين بني طاهر من اهتمام بالدين والعلم والعاملين عليه، فقد أكثر سلاطين وأمراء بني طاهر من بناء المدارس والجوامع والمساجد ودور الصوفية من زوايا وأربطة، وحظيت الأقدم منها عهداً بالترميم والتوسعة، وأوقفوا على

---

١) العيدروس، النور السافر، ص٣١.
٢) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٩٣؛ شنبل، تاريخ حضرموت، ص٢١٥؛ باسنجلة، العقد الثمين، ص٢٢.
٣) الشلي، السناء الباهر، ص٣٦٨.
٤) المصدر نفسه ، ص٣٦٩.
٥) المصدر نفسه ، ص٤٧١-٤٧٢.
٦) المصدر نفسه ، ص٤٨٦.

هذه المؤسسات الأوقاف الجليلة التي تدر عائداً يحافظ على استمرار عطاء المؤسسة، وقام العلماء بتولي هذه الوظائف من تدريس وإمامة، وخطابة وغيرها.

كما حرص السلاطين الطاهريون كأسلافهم الرسوليين على تقليد مماليك مصر في اقتناء الكتب والمصنفات القيمة ومتابعة كل جديد في ميادين المعرفة في الأقطار الإسلامية[١]، ووضعوها في متناول أيدي العلماء والطلاب للنهل من علومها، والاستفادة منها في تنوير المجتمع، ومما يذكر في هذا الصدد أن السلطان المجاهد علي حصل سنة ٨٧٩هـ/١٤٧٤م على جملة من الكتب النفيسة، فجمع النساخ عنده والمقابلين حتى يتمكن من توزيعها على أقاليم الدولة بهدف تعميم الفائدة[٢]، وفي سنة ٩٠٠هـ/١٤٩٥م قدم على السلطان الظافر عامر (الثاني) وهو حينئذ بزبيد كتاب الخادم للزركشي (ت٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م) ويقال أنه أوسع كتاب ألف في المذهب الشافعي، وقد اشتراه الظافر من مكة بتسعين ديناراً ذهباً، وهو في أربعة عشر مجلداً، وكل مجلد خمسة وعشرون كراساً خماسيات، فحصل منه جملة نسخ أرسل بواحدة منها إلى مدينة عدن إلى الشيخ جمال الدين أبي الفضل[٣]، كما اشترى الظافر في السنة التالية كتاب فتح الباري لشرح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني، اشتراه من مكة بمائة وخمسين أشرفياً[٤]، وقد تجلى مدى الحرص الشديد بهذه المصنفات القيمة عندما فقد الجزء الأول من خادم العزيز والروضة للزركشي من خزانة الجامع الظافري بزبيد، ثم وجدوه وقد طرح في إحدى الآبار مقطعاً قطعاً صغاراً، فتم إخراجه دون أن يعرف الفاعل، وعندها أمر الظافر عامر (الثاني) ناظر الجامع بأن يبدل ذلك، ثم بلغ الظافر خبر فقدان الجزء التاسع من فتح الباري لشرح البخاري من الخزانة السلطانية، فأمر بإبداله من مال نفسه، فامتثل الناظر لذلك[٥]، وكل هذا ليس ليس بغريب عن السلطان الظافر فقد كان شديد الالتفات إلى العلماء وإلى جمع الكتب العلمية، وقد وفد إليه العلماء من الحرمين ومصر والشام وغيرها، فأكرمهم وأحسن إليهم[٦].

كما اقتفى سلاطين الدولة الطاهرية أثر أسلافهم الحكام في تشجيع العلماء والمتعلمين بهدف نشر العملية التعليمية في مختلف أنحاء الدولة، وذلك من خلال إنفاقهم على الفقراء والأيتام والأرامل وطلاب العلم، فيما حدد بعض الولاة لهذه الفئات المستضعفة رواتب شهرية من خزانة الدولة، وأوقف بعضهم جزءاً كبيراً من أملاكهم لرعاية هذه الفئة بنظر العلماء

---

١) أيمن فؤاد سيد، مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، المعهد العلمي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٤م، ص١٣٥.
٢) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص١٥١؛ بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٣٠.
٣) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص٢١٣-٢١٤؛ بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٨٥.
٤) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص٢٧؛ العيدروس، النور السافر، ص١٧.
٥) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص٤١.
٦) الشلي ، السناء الباهر ، ص١٦٤ ؛ النهروالي، البرق اليماني، ص١٦.

والفقهاء، ومن جهة أخرى ، أولى الطاهريون عناية خاصة بالعلماء، فخصصوا لهم مصادر للرزق من خلال الأوقاف حتى لا يشغلهم ذلك عن نشر العلم بين أفراد المجتمع، بل وامتدت صدقاتهم إلى خارج البلاد ، فقد كان السلطان المجاهد ينفق على فقراء مكة ألف درهم سنوياً، فضلاً عن الإنفاق المتواصل على طلاب العلم، وقضاء ديون العلماء في خارج اليمن[١]، كما كان السلطان عامر (الرابع) بن داود كريماً جواداً، محسناً إلى الناس، ويوقر من يفد إليه من العلماء ويكرمه لعلمه[٢]، وقد خصص لكل من علماء الجامع الأزهر وعلماء الحرمين راتباً سنوياً من حب ونقد[٣] .

وعلى صعيد آخر، اعتمد سلاطين بني طاهر على العلماء في أجهزة الدولة وأوكلوا إليهم الوظائف المهمة في الإمارة والقضاء والنظارة وغيرها، وعلى الرغم من أهمية هذه الوظائف وجسامة مسئولياتها، إلا أنها لم تثنهم عن واجب أداء رسالتهم السامية في نشر المعرفة بين أوساط المجتمع.

١- مساجد عدن ومدارسها ودورها في الحياة العلمية:

قام بوظيفة التدريس فريق من العلماء والفقهاء في شتى العلوم وبخاصة الدينية مثل التفسير، والفقه، والحديث وغيرها من العلوم الشرعية، وقد انتشرت المنشآت الدينية والتعليمية بعدن خلال العصر الإسلامي على نحو يلبي حاجة السكان في تحقيق واستمرار العملية التعليمية، بيد أنها لم تكن قاصرة على المدارس فحسب، بل قامت الجوامع والمساجد ودور الصوفية بدور المدرسة، ويمكن عرض الصروح الدينية والعلمية التي كانت قائمة في مدينة عدن إبان فترة حكم الطاهريين على النحو الآتي:

أ) مساجد عدن :

شكلت المساجد في مدينة عدن المدرسة الأولى لتعليم مبادئ الدين الإسلامي وعلوم الشرع المختلفة، بالإضافة إلى علوم اللغة وما يتعلق بها من قراءة وكتابة وغير ذلك، بهدف غرس الجانب الإيماني الروحي، والقيم الإسلامية الحميدة، وتهذيب الخلق والفضيلة، ناهيك عن قيم العلم والتعلم التي تعد أسمى الأهداف التي أولتها المساجد عناية خاصة خلال العصر الإسلامي وحتى الآن.

---

١) الأكوع، المدارس الإسلامية، ص٣٢٧؛ المشرقي، التعليم، ص١٠٠.
٢) النهروالي، البرق اليماني، ص٨٠.
٣) الشلي ، السناء الباهر، ص٣٣٨.

ولعل آخر إحصائية لمساجد عدن في التاريخ الإسلامي تلك التي أوردها الكندي في حوادث سنة ٩٤٧هـ/١٥٤٠م ، فقد ذكر أن المشرف العثماني على أوقاف وديوان عدن قام بإحصاء دور ودكاكين ومساجد المدينة، فبلغ عدد مساجدها نحو مائة وبضعة عشر مسجداً[١]،

وعلى الرغم من أن هذا الرقم يبدو للوهلة الأولى مبالغاً فيه، ويدعو للشك، إلا أنه لا ينبغي لنا أن ننفيه نفياً قاطعاً ما لم نعثر على مصدر آخر يدحض ذلك ، وبحسب المعطيات التاريخية فإن الشك القائم حول ذلك العدد له ما يبرره لا سيما أن المصادر المتاحة لدينا قد ذكرت منها نحو الثلث ويمكن إيرادها فيما سيأتي:

- جامع عدن:

على الرغم من غياب المعلومات الدقيقة التي تحدد بداية دخول أهل عدن في الإسلام، إلا أنه من المؤكد أنهم قد دخلوا فيه طوعاً بطريقة أو بأخرى قبل وفاة رسول الله ﷺ أسوة بأخوتهم من أهل اليمن، ومن المرجح أيضاً أن أهل عدن قد شرعوا في بناء جامع لهم على غرار جامع صنعاء الذي بني في بستان باذان[٢] في نهاية العقد الأول من القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، وهناك رواية لانعلم مدى صحتها تذكر أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد خطب على منبر عدن[٣]، كما أشار ابن المجاور[٤] إلى أن تمويل بنائه كان من قطعة عنبر كبيرة وجدها أهل عدن، وبثمنها بنوا جامع عدن في طرف البلد، وفي عهد الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز (٩٩ – ١٠١هـ/٧١٨-٧٢٠م) تم تجديد هذا الجامع ونسب إلى اسمه، وفي عهد بني زياد جدد الحسين بن سلامة عمارته[٥]، وقد كان فيه منبر جميل نسبه بامخرمة[٦] إلى الداعي عمران بن محمد بن سبأ ووصفه بقوله: " وهو منبر له حلاوة في النفس وطلاوة في العين"، ثم جدده السلطان المجاهد الرسولي وخط عليه اسمه[٧]، وجاءت صفة جامع عدن كما وجدها بامخرمة ممهورة بخط قاضي عدن جمال الدين باشكيل: " طول جامع عدن من الباب

---

١) العدة المفيدة، مج١، ص١٧٩؛ بلغ عدد المساجد في عدن (كريتر/مديرية صيرة) حتى عام ١٤٣١هـ/٢٠٠٩م ما يزيد عن ٤٥ مسجداً.

٢) باذان: هو باذان بن ساسان، كان عامل فارس على اليمن حتى جاء الإسلام، فكان أول من أسلم من ملوك العجم من الأبناء*، وأول أمير على اليمن في الإسلام. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٣١٨. *والأبناء: هم أبناء الجنود الفرس الذين استوطنوا اليمن في القرن السادس الميلادي بعد أن طردوا منها الأحباش في عهد سيف بن ذي يزن، وحكموها وتزوجوا منها، ولهم ذرية في قريتي (الفرس) بوادي رجام والأبناء بوادي السر من مديرية بني حشيش وفي خولان الطيال وبيت بوس وبني بهلول. المقحفي، معجم البلدان، ج١، ص١٨

٣) الوصابي، وجيه الدين عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن الحبيشي، تاريخ وصاب المسمى: الاعتبار في التواريخ والآثار، تح: عبدالله محمد الحبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٧٩م، ص١٨.

٤) المستبصر، ص١٢٨.

٥) عمارة، المفيد، ص٧٢؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص٣٩.

٦) تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص١٢٨.

٧) المصدر نفسه والجزء والصفحة .

الشرقي إلى الباب الغربي ١٣٥ ذراعاً باليد [٤٥متراً] [١]، وعرضه من الباب القبلي إلى الباب الحقاتي ١٠٧ أذرعة [٣٥,٦٦متر]" [٢]، وعلى الرغم من دقة هذا الوصف إلا أنه لا يعرف موقعه على وجه التحديد، على أن المؤرخ محيرز قد حصر موقعه في منطقة القطيع[٣]، وهذا الموقع ،من وجهة نظري، الأقرب إلى الصواب ، مع ميلنا الشديد إلى إثبات أن جامع عدن هو المسجد المعروف (حالياً) بالعسقلاني المنسوب إلى ابن حجر العسقلاني، فمصادر العصر الطاهري لم تذكر قط مسجد العسقلاني على الإطلاق، ولعل الشيخ العسقلاني الذي دخل عدن مرتين إحداهما سنة ٨٠٠هـ/١٣٩٨م والأخرى سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٢م [٤] قد أقام في جامع عدن، فهو الموقع اللائق بهامة علمية كهامة شيخ الإسلام ابن حجر للاجتماع بعلماء عدن وفضلائها[٥]، ثم عُرف واشتهر هذا الجامع بالعسقلاني، إذ لا يعقل اندثار صرح ديني وتعليمي يمثل جامع المدينة الرئيس في غفلة من أهلها، ومن المرجح أن جامع عدن قد تغير اسمه إلى العسقلاني، فمساحة هذا المسجد واتساعه وضخامة بنائه عن أقرانه من المساجد دلائل تزيد من تأكيد ما ذهبت إليه.

- مسجد أبان:

ينسب هذا المسجد إلى أبان بن عثمان بن عفان ﷺ ، كان من فقهاء التابعين وعلمائهم، وقد أصابه الفالج قبل وفاته بسنة في المدينة المنورة سنة ١٠٥هـ/٧٢٤م[٦]، وبما أن جامع عدن لم يترك خلفه آثار، فإن مسجد أبان كان يعد في تقديري أقدم الآثار الإسلامية في مدينة عدن إلى عهدٍ قريب، حيث حظي بالتجديدات والترميمات المتوالية خلال تاريخه الطويل، وفي ١٤١٨هـ/١٩٩٧م طمست معالم المسجد بعد أن تم هدمه وبني مكانه مسجد حديث.

وقد ذكر المقدسي[٧] أن هذا المسجد يقع خلف البلد، وإليه قدم الإمام أحمد بن حنبل للأخذ عن إبراهيم بن الحكم بن أبان بعد سنة ١٧٠هـ/٧٨٧م[٨]، وعلى الأرجح أن إبراهيم وأباه الحكم قد دفنا شمال محراب المسجد، ولا صحة لما يشاع عن دفن أبان مكانهما، وفي القرن

---

١) ذكر الماوردي أن طول الفرسخ =١٢٠٠٠ ذراع ، وبما أن الفرسخ =٤كم ، فهذا يعني أن ١٢٠٠٠÷٤٠٠٠متر = ٣ ذراع = ١متر . الأحكام السلطانية ، ص٢٨ .
٢) النسبة إلى المواضع، ص٤١٧.
٣) صيرة ، ص٤١-٤٢.
٤) السخاوي، الجواهر والدرر، ج٢، ص١٤٨.
٥) محمد زكريا، مساجد اليمن، ص١١.
٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٥ ، ج٩ ، ص ٢٢١ ؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص١.
٧) أحسن التقاسيم، ص١٠٣.
٨) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص١٣.

السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي كان إمام المسجد فقيهاً يدعى أبو فضل،ولم يُذكر عن سيرته أي شيء غير أنه ظل كذلك حتى تقدم به السن[١].

- مسجد الشجرة:

من مساجد عدن القديمة والمشهورة، وفيه أقام الفقيه إسماعيل بن عبدالملك بن سعود الدينوري البغدادي، فدرس به علمي الحديث والسيرة[٢]، وربما نسب إليه إلى جانب شهرته بالشجرة، وقد أم به المقرئ يوسف الصدائي ثم ولده على في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وفي القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي كان الفقيه على بن أحمد بن داود بن سليمان العامري (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م) يدخل على أخيه ناظر عدن ويقف في هذا المسجد ويدرس فيه ، وقد تفقه به جماعة من أهل عدن ولحج[٣].

وذكر أحد مصادر رابضة أنه كان يسمع بهذا المسجد حتى أربعينيات القرن الماضي[٤]، فيما يرى محمد زكريا أنه مسجد خدابخش[٥]، وهو المعروف حالياً بمسجد الشنقيطي.

- مسجد السوق صاحب المنارة:

تمت الإشارة إليه في معرض ترجمة الفقيه سبأ بن عمر أبو محمد الدمتي الذي رتب في هذا المسجد، وكان يقرأ فيه علوم القرآن والحديث[٦]، وقد ذكر رابضة أنه يقع قريباً من سوق الخضار والفواكه (حالياً) وأنه إلى جانب مسجد العيدروس كانا قائمين في زمن دخول الانجليز إلى عدن سنة ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م، وقد بدا له أنه المسجد المعروف بمسجد المشدلي (العجل)[٧].

(العجل)[٧].

- مسجد عبدالله بن الخطيب:

نسبة إلى الفقيه عبدالله بن الخطيب الأبيني الذي دخل عدن في القرن السابع الهجري/الثاني عشر الميلادي، وسكن مسجداً بناحية جرام الشوك[٨]، وصار يعرف به، وكان موقعه إلى جوار بيوت يصنع فيها المسكرات، فأنكر الفقيه عليهم ذلك، بل وكسر آنيتهم حتى

---

١) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن،ج٢، ص١٠٨-١٠٩.
٢) المصدر نفسه والجزء، ص٢٠-٢١.
٣) الجندي، السلوك، ج٢، ص٤٤٣؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص١٣٤.
٤) مدرسة الفاروق النموذجية بين الماضي والحاضر، قريش للطباعة والنشر، عدن، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص١٩.
٥) مساجد اليمن، ص١١.
٦) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج٢، ص٢٤١؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص٨٩.
٧) معالم تاريخ عدن، ص٤٣.
٨) جرام الشوك هو الاسم القديم لوادي الخساف في أعلى المدينة. محيرز، العقبة، ص٥٤.

شكوه إلى محمد بن ميكائيل حاكم مدينة عدن[١]، وخلفه في التدريس عمر بن الظفاري صاحب أبو حفص وهو من أهل عدن، وحينها لم يجد في المسجد درسة ومتعبدين[٢]، وذكر كل من باوزير وزكريا أنه المسجد المعروف حالياً بمسجد الشيخ عبدالله الذي يتوسط المدينة[٣]، بيد أننا نخالفهما في ذلك مستندين إلى ما جاء عند بامخرمة عن جرام الشوك بأنها الحافة العليا من المدينة، وكانت بمعاليها أشجار كبار ذات شوكٍ كالسمر والعوسج[٤].

- مسجد أبي قفل:

سمي كذلك نسبة إلى الفقيه أبو محمد عبدالله الزيادي العمري الحضرمي المعروف بأبي قفل، وكان من قبل إماماً لمسجد أبان وعندما تقدم في السن عمّر مسجداً لطيفاً شرقي مسجد أبان، فأقام فيه حتى وفاته سنة ٦٣١هـ/١٢٣٤م[٥]، ولعل موقعه لا يبعد عن حصن القفل الذي ورد ذكره في أحداث غزو أبي دجانة لعدن سنة ٨٦١هـ/١٤٥٧م، وبما أن هذا الحصن قد بني لاحقاً في شرق المدينة ، فإنه من المحتمل أن يكون قد سمي بالقفل لقربه من موقع المسجد.

- مسجد حسين الأهدل:

عرف قديماً برباط الشاذلية، وكان مدفناً لآل الأهدل، فقد دفن فيه الفقيه حسن بن عبدالرحمن الأهدل (ت٨٣١هـ/١٤٢٨م) وإلى جواره أخوه أبو القاسم (ت٨٤٨هـ١٤٤٤م)[٦]، ثم ثم دفن الفقيه بدر الدين حسين بن صديق الأهدل (ت٩٠٤هـ/١٤٩٩م) في تربة الشاذلية[٧]، وبعد سنوات قلائل بني مسجداً صغيراً بجوار ضريح بدر الدين حسين، فسمي المسجد باسمه وفي وقتٍ لاحق سميت الحارة التي يقع فيها المسجد بحارة حسين، وفي سنة ١٣٧١هـ/١٩٥١م تم هدمه وأعيد بناؤه من جديد، وما زال قائماً حتى الوقت الحاضر[٨].

- مسجد ابن علوان:

ينسب هذا المسجد إلى الصوفي الكبير أبي العباس أحمد بن علوان، وقد أقامه باسمه الشيخ حسين البصري سنة ٨٤٧هـ/١٤٤٣م[٩]، ويقع في شارع الزعفران، وقد تم تجديده سنة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م .

- مسجد الشيخ جوهر:

---

١) الجندي، السلوك، ج٢، ص٣٩٢-٣٩٣؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص٢٤٨.
٢) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج٢، ص٢٤٢.
٣) انظر على التوالي: حلقات القرآن، ص٧٢-٧٣؛ مساجد اليمن، ص١١.
٤) تاريخ ثغر عدن، ج١، ص٩.
٥) الجندي، السلوك، ج٢، ص٤٢٠؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص١٠٨-١٠٩.
٦) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص٢٤٦-٢٤٧.
٧) بافقيه، تاريخ الشحر، ص٣١.
٨) باوزير، أمين، حلقات القرآن، ص٩٣-٩٤؛ محمد زكريا، مساجد اليمن، ص١٢.
٩) باوزير، أمين، حلقات القرآن، ص٧٦-٧٧.

سمي كذلك نسبة إلى الشيخ الصوفي جوهر بن عبدالله العدني (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، وقد كان من قبل رباطاً له(١)، وفي وقت لاحق دفن فيه وإلى جواره عدد من العلماء وفقهاء عدن وأعيانها، وعن أوقافه ذكر بامخرمة أن أحمد بن نصر بن علي بن العقرب قد أوقف على رباط جوهر مائة وثمانية عشر سهماً في سابطين، وجعل النظر إلى الشيخ محمد بن أبي القاسم العواجي، ثم من بعده من يتعين شيخاً في الرباط، ثم إلى الأرشد فالأرشد من الأولاد الشيخ محمد العواجي وأولاد أولاده ما تناسلوا أو تعاقبوا، وشرط الواقف أن يرصد ربع أجرة الوقف لعمارة الوقف وثلاثة أرباعها لإصلاح ما تشعث من الرباط وترميمه وفي سقاء الرباط وما يتعلق باحتياجاته، وشرط أن يصرف كل شهر لمن قام في الرباط أربعة دراهم وذلك سنة ٩١٨هـ/١٥١٢م(٢)، ثم أقيم مسجد قريب من هذا الرباط سمي بمسجد جوهر وما يزال قائماً في الحارة التي نسبت هي الأخرى للشيخ نفسه.

- مسجد المياه:

من المساجد القديمة، وقد تعرض للخراب خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، فجدد عمارته السلطان الظافر عامر (الثاني)، ورتب فيه إماماً ومؤذناً وخطيباً، ونصب به منبراً ، وأوقف لهم ما يكفيهم الكفاية التامة(٣).

- مسجد العيدروس:

ينسب إلى الشيخ أبي بكر بن عبدالله العيدروس (ت٩١٤هـ/١٥٠٨م)، وهو مسجد عريق التأسيس بني في حياة الشيخ أبي بكر إبان توطنه بعدن سنة ٨٩٠هـ/١٤٨٥م ، والمسجد تميزه المئذنة العالية الجميلة ذات الطراز الهندسي المتفرد، وقبته البيضاء، وشرفاتها المتعددة، ويعود بناء هذه القبة إلى السلطان الظافر عامر (الثاني)، ثم بنى من بعده الأمير مرجان رباطاً كبيراً، وداراً كبيرة لسكنى الشيخ القائم بالتربة، ثم بنى الشيخ محمد بن عبدالملك ثلاثة أروقة محيطة بالقبة ، وتحت القبة مباشرة يقع ضريح الشيخ أبي بكر، ومن حوله أضرحة عديدة داخل القبة وخارجها وهي لولده الشيخ أحمد المساوى، والسيد عمر بن عبدالله العيدروس، والسيدة مزنة بنت الشيخ أبي بكر(٤)، كما دفن أيضاً تحت القبة الأمير مرجان الظافري.

وكان هذا المسجد منذ تأسيسه مجمع المريدين ومقصد الفقراء وطلاب العلم حتى العصر الراهن، ومن الآثار العلمية التي خلفها الشيخ أبوبكر الرباط والمسجد والمقام، وبعض أمتعته كالمسبحة، وإناء للماء، والعصا التي يحملها خطيب الجمعة، إلا أن هذه الآثار قد نهبت

---

١) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص٣٩.
٢) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧١٠-٣٧١١.
٣) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص٢٣٩؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص١٨-١٩.
٤) المشهور، جلاء الهم، ص٢٠. انظر: لوحة رقم (١٥، ١٦).

لاحقاً كأبواب الضريح المصنوعة من الساج الفاخر، وضربت النقوش والقناطر الأثرية، وامتدت الأيدي إلى نافذة من نوافذ المسجد المسماة بنافذة تريم، وأحرقت مع عظام الموتى الذين نبشت قبورهم . أما المنبر فيعتقد أنه صنع في وقت لاحق مع ترميمات بسيطة قام بها مناصب المقام وهو على ما يذكر أنه استورد من بلاد الهند مع بقية أخشاب المسجد، وفي عهدٍ قريب جدد المناصب التوابيت والأبواب ، فضلاً عن ترميم المسجد بما في ذلك البركة الخاصة بالشيخ أبي بكر المسماة ببركة الشفاء التي كان يغتسل منها ويتوضأ، ولا زالت بعض آثار الاعتداء ظاهرة على القبة والمنارة [١].

وأياً كان الأمر، فلم يتوف العيدروس العدني إلا وقد أجرى في عدن صدقات سنوية ثابتة على طلبة العلم ورواد المقام ، وتم شراء أراض واسعة لتغطية نفقات المقام ومناسباته[٢].

وعموماً، لم يكن مسجد العيدروس الصرح الوحيد الذي عنت به سلطة الطاهريين فحسب ، بل كانت لهم أياد بيضاء في عمارة المساجد وتجديدها، إذ ورد أن السلطان المجاهد قد جدد مسجد المدرسة بعدن وعمر بها صهريجاً بجوار المسجد[٣]، كما ذكر ابن الديبع أن السلطان الظافر عامر (الثاني) قد شيد مسجداً آخر بعدن دون أن يحدد موقعه على وجه الدقة، إلى جانب تجديده عمارة مسجد المباه[٤].

ومن جهة أخرى، أسهم تجار عدن ببناء عدد من المساجد منها: مسجد مسعود كبير محمد، ويوحي اسمه بأنه من الطوائف الهندية التي توطنت المدينة منذ أمدٍ بعيد، وكذلك مسجد ابن حقس، وقد جاء ذكرهما في أحداث الحريق الذي اندلع في المدينة سنة ٩١٥هـ/١٥٠٩م[٥]، وفي الحريق السابق الذي حدث في المدينة سنة ٩٠٨هـ/١٥٠٢م ذكر المؤرخون عن تلف بيت التاجر المشهور بأبي الليل ضمن البيوت المتضررة من هذه الحادثة[٦]، ولعله قد شيد المسجد القائم (حالياً) في الطرف الجنوبي لشارع الزعفران، والمعروف بمسجد أبو الليل.

وهناك مساجد كثيرة في عدن وردت أسماءها في مصادر الدولة الرسولية لكننا لانعلم ما إذا ظلت قائمة وتؤدي وظائفها في عهد الطاهريين أم لا، مع الأخذ بعين الاعتبار أن بعض المساجد نسبت إلى أئمتها لا إلى بانيها أو مجددها وأخرى اندثرت لاسيما الواقعة في ضواحي المدينة،

---

١) المشهور، جلاء الهم، ص١٤٨-١٥١؛ تداعى مسجد العيدروس ثم انهار، وأعيد بناؤه سنة ١٢٧٦هـ/١٨٥٩م. السقاف ، "تاريخ المباني في عدن "، ص٥٦ .
٢) المشهور، جلاء الهم ، ص١٤٠.
٣) الأكوع، المدارس الإسلامية، ص٣٢٧؛ وقد جاء ذكر هذا المسجد في ترجمة العلامة عبدالله بن محمد بن أحمد بافضل، وجاء فيها بأن بافضل قد أجيز بالتدريس في مسجد المدرسة. أنظر: الشلي، السناء الباهر، ص٣١٠؛ العيدروس، النور السافر، ص١٨٧.
٤) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص٢٣٩.
٥) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٢٩.
٦) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص٩٣؛ بافقيه، تاريخ الشحر، ص٦١؛ العيدروس، النور السافر، ص٤٨.

ومن هذه المساجد القديمة: مسجد العندي[١]، مسجد النبيﷺ [٢] ، مسجد التوبة (أبوشعبة)[٣]، مسجد ابن عبلول[٤]، مسجد الزنجبيلي[٥]، مسجد السماع[٦]، مسجد ابن بندار[٧]، مسجد ابن البصري[٨]، مسجد البيلقاني[٩]، مسجد عبدالله الرومي[١٠]، مسجد المالكية[١١]، مسجد جبل حديد[١٢]، مسجد رباك[١٣]، مسجد اللخبة[١٤] .

ب) **المدارس الإسلامية:**

نشأت المدارس الإسلامية في اليمن خلال عصر الدولة النجاحية التي قامت في زبيد سنة ٤١٢هـ/١٠٢٢م، فقد أشار إليها عمارة في معرض حديثه عند خروج سعيد الأحول النجاحي من زبيد سنة ٤٧٣هـ/١٠٨١م[١٥]، كما وردت إشارة أخرى لا تقل أهمية عن الأولى في ترجمة الفقيه القاسم بن محمد العجمي (ت٤٣٧هـ/١٠٤٦م) جاء فيها أن له مدرسة بسهفنة[١٦]، مما يدل على أن اليمن قد عرفت هذه المدارس منذ القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، بيد أن المراجع الحديثة كان لها رأي آخر، فهي تربط تأسيسها بقدوم بني أيوب إلى اليمن سنة ٥٦٩هـ/١١٧٤م وذلك وفق ما ذكر من أن السلطان المعز إسماعيل بن طغتكين قد قام ببناء مدرسة في زبيد سنة ٥٩٤هـ/١١٩٨م وأخرى في تعز[١٧]، وبحسب المعطيات الآنفة الذكر يمكننا القول: إن المدرسة كمسمى تعليمي قد ظهرت قبل عصر الدولة الأيوبية ، ثم تطورت لاحقاً وأصبح لها كيانها المستقل تحت رعاية سلاطين الدولة الأيوبية، وأخذت بالانتشار في حواضر اليمن ومنها مدينة عدن التي استوعبت هذا النظام أو الشكل التعليمي في عصر الدولة الرسولية.

---

١) الجندي، السلوك، ج٢، ص٤٣٣؛ الأفضل، العطايا السنية، ص١٤٩.
٢) الجندي، السلوك، ج٢، ص٤١٩؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص١٠٠-١٠١.
٣) الجندي، السلوك، ج٢، ص٤٢٠؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص٢٥٨
٤) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص١٥٩-١٦٤.
٥) الجندي، السلوك، ج٢، ص٤٢٤؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص٦٣.
٦) الجندي، السلوك، ج٢، ص٤٢٦؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج٢، ص٢٠٨.
٧) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص٢٥٧.
٨) الجندي، السلوك، ج٢، ص٤٠١؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص٥٤.
٩) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص٨٣.
١٠) بامخرمة، النسبة إلى المواضع، ص١١٦-١١٧.
١١) ابن المجاور، المستبصر، ص١٣٢.
١٢) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج١، ص١٨.
١٣) المصدر نفسه والجزء ، ص٢٠-٢١.
١٤) المصدر نفسه والجزء ، ص٥٤.
١٥) المفيد، ص١٥٥.
١٦) العبادي، الحياة العلمية في زبيد، ص١٦٥.
١٧) الأكوع، المدارس الإسلامية، ص٢٧؛ فاروق أحمد، التعليم في اليمن، ص١٠٧.

ومن الواضح أن المدارس التي نشأت في عدن خلال عصري بني رسول وبني طاهر قليلة العدد إذا ما قورنت بزبيد أو تعز، وهذا الأمر ليس بغريب ، فلطالما سخر السلاطين الرسوليون والطاهريون إمكانياتهم وطاقاتهم في تطوير المدينة من الناحية الاقتصادية والتجارية بصفتها الرافد الرئيس في دخل خزانة الدولة.

ويمكن حصر عدد المدارس التي شيدت في عدن في الفترة الممتدة من ٦٢٦هـ/١٢٢٨م حتى ٩٤٥هـ/١٥٣٨م بسبع مدارس منها ست في عصر الدولة الرسولية وواحدة في عصر الدولة الطاهرية، وكل هذه المدارس أدت وظائفها التعليمية على نحوٍ إيجابي حتى سقوط المدينة بيد العثمانيين وربما حتى ما بعدها وهذه المدارس هي:

- المدرسة المنصورية :

تنسب هذه المدرسة إلى السلطان المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول (٦٢٦-٦٤٧هـ/١٢٢٨-١٢٤٩م)، حيث أشارت المصادر إلى أن السلطان المنصور بنى مدرسة بعدن ومدارس أخرى في مكة وتعز وزبيد ورتب في كل مدرسة مدرساً ومعيداً ودرسة (طلاب) وإماماً ومؤذناً وأيتاماً يتلون القرآن، وأوقف عليها أوقافاً تقوم بكفايتهم[١]، ويذكر أن المدرسة المنصورية التي أقامها بعدن أوقف عليها أوقافاً بعدن ولحج [٢]، ويحتمل بأن أوقاف عدن كانت دكاكين ، فيما أوقاف لحج عبارة عن أراضٍ زراعية.

أما عمارتها ، فقد جعلها جمنونين (قسمين بسقف جملوني) أحدهما للشافعية والثاني للحنفية[٣] ، بيد أن المصادر لم تشر إلى موقعها[٤] أو سنة عمارتها ، ويبدو أنها تأسست فيما بين بين العقدين الرابع والخامس من القرن السابع الهجري تزامناً مع تأسيس مدرسة مكة سنة ٦٤١هـ/١٢٤٤م[٥] ، أو قربها عهداً منها .

- المدرسة الظاهرية:

تنسب هذه المدرسة إلى السلطان الظاهر يحيى (٨٣١-٨٤٢هـ/١٤٢٨-١٤٣٨م) فقد أوردت المصادر أن الظاهر بنى مدرستين الأولى في تعز والثانية في عدن عند باب الساحل[٦]،

---

١) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج١، ص٨٢؛ بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٢٨٦٠؛ يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ج٢، ص٤٣٣؛ الأكوع، المدارس الإسلامية، ص٣٨، ٤٢ ،٤٦، ٥١، ٥٣, ٥٧؛ محمد سيف النصر، "المدارس اليمنية تخطيطها وعناصرها المعمارية"، مجلة الإكليل، ع(١)، وزارة الثقافة، صنعاء، السنة الثالثة، ١٩٨٥م،ص١٠١ .

٢) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص١٧٩؛ لقمان، تاريخ عدن، ص٧٨ .

٣) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص١٧٩؛ الأكوع، المدارس الإسلامية، ص٥٧.

٤) يشير رابضة إلى أن موقعها لا يبتعد عن حارة القطيع؛ لأن الإمام البيلقاني دفن في مقابر القطيع، كما أن مسجد البيلقاني يقع في الحارة ذاتها. رابضه وباوزير، أمين، مدرسة الفاروق، ص٢٨ .

٥) ابن الديبع، قرة العيون، ج٢، ص١٢؛ يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ج٢، ص٤٢٦ .

الساحل[١]، ولمدرسة عدن منارة عجيبة الشكل ذات درجتين ، وله مثلها في زبيد ، وليس لليمن نظير لهاتين المنارتين إلا بصنعاء [٢].

ولم تشر المصادر إلى سنة تأسيسها أو إلى موقعها أو أوقافها ، ولكن يبدو أن تأسيسها تزامن مع بناء المدرسة الظاهرية بتعز[٣].

- المدرسة الفرحانية:

لا يوجد عن هذه المدرسة غير إشارة وحيدة ذكرها الشلي في ترجمة العلامة عبدالله بن عمر بن عبدالله بن أحمد بامخرمة (ت٩٧١هـ/١٥٦٤م)، حيث قال: "ثم رحل إلى بندر عدن سنة ستين [٩٦٠هـ/ ١٥٥٣م] واستوطنه، وولي النظر والتدريس بالمدرستين المنصورية والظاهرية والمدرسة الفرحانية وتدريس الجامع، وأقام بعدن ذاباً عن الشريعة"[٤]، ويبدو أن بناءها يعود للحرة جهة الطواشي جمال الدين فرحان سلامة، وهي زوج السلطان الملك الأشرف إسماعيل بن الأفضل وأم ولده السلطان الظاهر يحيى المتوفاة في صفر ٨٣٦هـ/١٤٣٣م ، فقد بنت مدرسة أخرى في زبيد حملت الاسم نفسه، ويقال لها أيضاً مدرسة أم السلطان[٥].

- المدرسة الياقوتية:

تنسب هذه المدرسة إلى جهة الطواشي اختيار الدين ياقوت زوج السلطان الظاهر يحيى بن إسماعيل (ت بعد ٨٤٠هـ/١٤٣٧)[٦]، حيث رتبت فيها إماماً ومدرساً وطلبة علم وأيتاماً يتعلمون القرآن[٧]، وهي واحدة من أربع مدارس شيدتها جهة الطواشي ياقوت بذي السفال وزبيد وحيس[٨]. أما موقعها فقد أشار إليه المؤرخ بامخرمة بأنها تقع في حارة البصّال[٩].

---

١) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص١١٢؛ الأكوع، المدارس الإسلامية، ص٣٠٦؛ شهاب، عدن فرضة، ص١٦٧.
٢) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص١١٢؛شهاب، عدن فرضة، ص١٦٧ .
٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٢٥٥؛ ابن الديبع، بغية المستفيد، ص١١٠؛ الأكوع، المدارس الإسلامية، ص٢٩٧ وما يليها .
٤) السناء الباهر، ص٤٧٣. والجدير بالتنويه إلى أن هذه المدرسة لم يذكرها الأكوع في كتاب المدارس الإسلامية في اليمن .
٥) انظر: الأكوع، المدارس الإسلامية، ص٢٨٩.
٦) المرجع نفسه ، ص٣٠٧؛ رابضة، المدرسة الياقوتية، منشورات جامعة عدن، عدن، ٢٠٠١م، ص٢٣٣ .
٧) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٥٦٨؛ الأكوع، المدارس الإسلامية، ص٣١٠ ؛ لقمان، تاريخ عدن، ص١٠٥؛ رابضة وباوزير، المدرسة الياقوتية (مسجد مذيهب)، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، عدن ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص٥ ؛ رابضة، المدرسة الياقوتية، ص٢٣٣ .
٨) الأكوع، المدارس الإسلامية ، ص٣٠٦، ٣٠٨، ٣٠٩ .
٩) بامخرمة، قلادة النحر, ج٣، ص٣٥٦٨؛ النسبة إلى المواضع، ص١٦٦ ، ١٦٧. وحارة البصّال هي مايعرف اليوم بشارع الملك سليمان/مديرية صيرة/ محافظة عدن.

وقد حظيت المدرسة الياقوتية بدراسات وبحوث علمية متعددة[١] من قبل الباحثين والمهتمين بتاريخ عدن الحضاري أبرزهم رابضة الذي بذل جهوداً كبيرة للكشف عن خفايا هذه المدرسة وأسرارها، وتوصل إلى أن موقع هذه المدرسة هو مسجد مذيهب الذي ينسب إلى الفقيه محمد بن أحمد الذهيبي المعروف بالبصّال (ت ٧٤٥هـ/١٣٤٤م) [٢]، كما يذهب إلى أن مدرسة الفاروق التي هي ضمن هذا المسجد (حالياً)، تعد امتداداً للمدرسة الياقوتية[٣]، وأن المسجد القائم القائم هو ما تبقى من المدرسة الياقوتية[٤]، وهو الكائن في حارة البصّال[٥]، والمعروفة بمجنة البزارين التي دفن فيها عدد من العلماء الأفاضل ومنهم الذهيبي[٦].

وعند مقارنتها بمثيلاتها من المدارس التي شيدتها جهة الطواشي ياقوت بذي السفال وحيس ، أمكن تحديد فترة تأسيسها التي تعود إلى مابين العقد الرابع والخامس من القرن التاسع الهجري لاسيما أن ياقوت عاشت إلى ما بعد ٨٤٠هـ/١٤٣٧م [٧].

ولم تذكر المصادر ماهية وأنواع الأوقاف التي خصصتها جهة الطواشي ياقوت لهذه المدرسة، إلا أنه من المؤكد أن تلك الأوقاف كانت تكفي حاجة المدرسة ومصالحها.

- المدرسة الأشرفية:

ذكر بامخرمة[٨] أن الأشرف إسماعيل بن الظاهر يحيى بنى سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٨م مدرسة عند باب الساحل ، وهذا يدعو للتساؤل عما إذا بنيت مدرستان بالقرب من الباب البحري أم أن الظاهرية الأولى كانت مسجداً ذا مئذنة عجيبة، والأشرفية الأخرى كانت مدرسة منفردة البناء، أو أن الأشرف أضافها إلى مئذنة أبيه الظاهر.

وعلى الأرجح أن هذه المدرسة قد شيدت إما مستقلة أو ملحقة بمئذنة الظاهر، لاسيما أن والدته هي الأخرى قد سبقته ببناء المدرسة الياقوتية بعدن، وطمعاً بالأجر والثواب أسهم بتشييد هذه المدرسة، لينضم بذلك إلى قائمة السلاطين الرسوليين الذين تركوا بصماتهم شاهدة للأجيال اللاحقة في ثغر عدن.

---

١) نظمت جامعة عدن خلال الفترة من ١٥-١٦ أكتوبر ٢٠٠١م/ ٢٨-٢٩ رجب ١٤٢٢هـ، ندوة علمية بعنوان: "الحياة العلمية والفكرية في عصر الدولة الرسولية(المدرسة الياقوتية)"، ونشرت وثائق الندوة في كتاب = =بعنوان: "المدرسة الياقوتية في عدن ودور المدارس الإسلامية في اليمن في نشر التعليم"، منشورات دار جامعة عدن للطباعة والنشر ، لعام ٢٠٠١م .

٢) اليافعي، مرآة الجنان، ص٣٠٩ ، ٣١٠ .

٣) تم افتتاح مدرسة الفاروق في مسجد مذيهب في ٢٧ رجب سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ويديرها الشيخ الجليل أمين سعيد باوزير ويساعده عدد من المعلمين الأفاضل أبرزهم نضال باحويرث.

٤) المدرسة الياقوتية، ص٢٢٨.

٥) المرجع نفسه والصفحة.

٦) المرجع نفسه والصفحة.

٧) المرجع نفسه والصفحة.

٨) قلادة النحر، ج٣، ص٣٥٦٨.

- مدرسة باحنان:

تنسب هذه المدرسة إلى التاجر الفقيه محمد بن أحمد باحنان (ت٨٥٦هـ/١٤٥٢م) وقد أنشأها بسوق الخزف، وأوقف على مصالحها فندقاً بعدن، وأوقف كذلك أرضاً بلحج نصفها على مصالح المدرسة وقوتها على الإمام والمؤذن والبراج والسردال(١) ومعلم الأيتام وقارئ الحديث(٢).

- المدرسة السفيانية:

وهي المدرسة الوحيدة التي بنيت في عدن في عصر الدولة الطاهرية بناها الشيخ علي ابن سفيان(٣)، وهو عند ابن الديبع وبامخرمة الشريف علي بن سفيان كان مشهوراً بالشرف، وكذلك ذريته وقرابته حتى الآن يعرفون بالأشراف، ويذكرون أن نسبهم يعود إلى سفيان بن عبدالله الأبيني صاحب الحوطة المشهورة بلحج(٤)، وله صحبة أكيدة بالشيخ علي بن طاهر قبل ولايته، كما يعد من رجالات الدولة الطاهرية، ومن قادتها الثقاة الذين كان لهم صولات وجولات في الوقائع الحربية، وقد قتل سنة ٨٧٥هـ/١٤٧٠م في إحدى المعارك التي خاضها مع السلطان المنصور عبدالوهاب ضد الزيديين (أهالي الزيدية في سردد) (٥).

وقد جاء ذكر هذه المدرسة في حوادث الحرائق التي شبت في عدن سنة ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م وكذلك سنة ٩١٤هـ/١٥٠٨م، وفي الحادثتين تعرضت المدرسة للضرر والتلف، ولعله تم ترميمها وإصلاح ما تشعث منها عقب هذه الحرائق، إذ ورد أن ابن سفيان قد رتب فيها دروساً في الفقه والحديث ، وأوقف لها الأوقاف الجيدة(٦)، وممن اشتغل فيها بالتدريس الفقيه أحمد بن عبدالله بلعس اليافعي (ت٩١٠هـ/١٥٠٤م) وكان مدرساً في الفقه والحديث(٧).

والجدير بالتنبيه في هذا الصدد، أن المقرات العلمية لم تقتصر على المساجد والمدارس والرباطات فحسب، بل أدت الكتاتيب(المعلامات)، وبيوت الفقهاء والعلماء دوراً مهماً في العملية التعليمية، فضلاً عن المكتبات العامة التي عادة ما تلحق بالمساجد والمدارس والرباطات، كما كان بعض الفقهاء والعلماء لايتوانون عن إعارة طلابهم مختلف الكتب من مكتباتهم الخاصة .

---

١) لم يترجمهما المحقق، ولعل كلمة البراج خطأ سماعي لدى الخطاط وكان المقصود بها البراد أو الوراد وهو الذي يجاب الماء .
٢) بامخرمة ، قلادة النحر، ج٣، ص٣٥٧٩ .
٣) الأكوع ، المدارس الإسلامية، ص٣٣٦.
٤) انظر على التوالي: بغية المستفيد، ص١٤٤؛ قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٠٥-٣٦٠٦.
٥) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص١٤٤؛ بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٠٦؛ الأكوع، المدارس الإسلامية، ص٣٣٦.
٦) بامخرمة ، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٠٢؛ الأكوع، المدارس الإسلامية، ص٣٣٦.
٧) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٠٢.

وانطلاقاً من مفهوم التصوف الذي يقصد به إصباغ القيم والمثل العليا بصبغة الزهد والرغبة عن الدنيا ومتاعها والاتجاه نحو الآخرة والعمل لها، وما يترتب عن هذه الاتجاهات من نشر روح الاستكانة والقناعة والتذلل بين عامة الناس، فإنه لايستبعد أن التصوف كان سبباً في عدم قيام نهضة عمرانية راقية في عدن تبرز معها جماليات الفنون التشكيلية والتطبيقية كالرسم والنحت والزخرفة والخط وغير ذلك، كما هو الحال في المدرسة العامرية برداع العرش التي لازالت تحكي للأجيال قصة الحضارة التي صنعها اليمنيون في ذلك العصر .

واستناداً إلى ذلك، فإنه لا يمكن أن نلقي اللوم كله على سلاطين بني طاهر وحدهم لقلة اهتمامهم بعدن إلا من الناحية الاقتصادية، بل إن جزءاً منه يلقى في الغالب على رؤوس الأموال العدنية التي كانت وحدها كفيلة بجعل عدن كلها تحفة معمارية فائقة الجمال، إلا أن ذلك لم يتحقق ولم نجد من آثار ذلك العصر غير ما ذكر عن أبنية دينية، ودور أكثر تواضعاً وبساطة.

٢- نظام التدريس:

أوليت وظائف التدريس إلى نخبة من العلماء والفقهاء الكبار، ويتم تعيينهم في الغالب من قبل السلطان الطاهري بالمدارس الكبرى لا سيما في زبيد التي كانت تعد الحاضرة الثقافية لدولة بني طاهر(١). أما بقية المدرسين فكانوا يعينون حسب توافر شروط الواقفين فيهم، ومن الألقاب العلمية التي كانت تطلق على الهيئة التعليمية آنذاك ما يأتي:

أ) الإمــام:

وهو أعلى الألقاب وأعظمها، وقد منح لكبار الشيوخ الذين كان يُرجع إليهم في جل المشكلات العلمية والدينية، ويحتج بآرائهم(٢)، ويُتبعون في مذاهبهم، ويُقلدون في أعمالهم وسلوكهم، وممن لقب بهذا اللقب من العلماء الإمام ابن الإمام ابن الإمام شيخ الإسلام قاضي القضاة وجيه الدين عبدالرحمن بن الطيب بن أحمد الناشري (ت٨٩٤هـ/١٤٨٩م) (٣)، والإمام العالم العامل الولي أبو عبدالله محمد بن أحمد بن علي بافضل (ت٩٠٣هـ/١٤٩٨م) (٤).

ب) شـيـخ الإسـلام:

أطلق هذا اللقب على كبار العلماء، ولم يكن صاحبه مقيداً بوظيفة أو منصب، وإنما ارتبط بأصحاب الشهرة الدينية والعلمية الواسعة والمكانة البارزة في المجتمع، على أن الوظائف التي مارسها أصحاب هذا اللقب هي التدريس وتلقين العلم في شتى فروعه، ويأتي في مقدمة

١) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص٢٠٦-٢٠٧.
٢) المشرقي، التعليم في اليمن، ص٢٠٣.
٣) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٤٦.
٤) المصدر نفسه والجزء، ص٣٦٩٢-٣٦٩٣.

الذين حملوا هذا اللقب شيخ الإسلام القاضي عفيف الدين عبدالله بن الطيب الناشري[١]، وشيخ الإسلام نجم الدين يوسف المقرئ (ت٩٠٤هـ/ ١٤٩٩م) [٢]، وشيخ الإسلام محمد بن أحمد بافضل (ت٩٠٣هـ/١٤٩٨م) [٣]، وشيخ الإسلام عبدالله بن عمر بن عبدالله بامخرمة (ت٩٧١هـ/١٥٦٤م) [٤].

ج) الرحلة:

ويطلق هذا اللقب على كبار العلماء ممن اشتهر بالعلم والتعليم، ويرحل إليه الطلبة من كل ناحية للأخذ عنه[٥]، كالعالم نجم الدين يوسف المقرئ الذي كان إماماً عالماً محققاً مطلقاً، قوي الإدراك والاستنباط، ارتحل إلى عدن، فأخذ عن إمامها محمد بن سعيد كبن، وقد برع وتميز، وساد وتولى قضاء الأقضية في اليمن، وارتحل إليه الطلبة من كل مكان للانتفاع بعلمه[٦].

د) المقرئ:

وهذا اللقب يطلق على مشايخ القراءات المتعددة للقرآن الكريم لا سيما من ذاع صيتهم واشتهروا بها، وتتلمذ على أيديهم طلبة العلم في القراءات، وممن اشتهر بها المقرئ الفقيه جمال الدين بن أبي بكر بن بدير (ت٩٠٧هـ/١٥٠٢م) مقرئ مدينة زبيد وعالمها، توفي عن تسعين عاماً، وقد انتهت إليه الرئاسة في علم القراءات في مدينة زبيد[٧].

هـ) الفقيه:

وجمعها فقهاء، ويطلق على المفتي والقاضي والمدرس ومؤدب الأطفال، والإمام، والمؤذن، وطلبة العلم وغيرهم[٨]، ومؤدبو الأطفال يقومون بالتدريس في الكتّاب أو الكتاتيب أو في دور الأيتام، وحرص الأعيان على تربية أولادهم على يد مؤدب أو فقيه خاص بهم يتردد على بيوتهم[٩].

و) الشيخ:

١) المصدر نفسه والجزء ، ص٣٦٣٢.
٢) العيدروس، النور السافر، ص٣٨.
٣) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٩٢ -٣٦٩٣ .
٤) الشلي، السناء الباهر، ص٤٧٠
٥) ويمكن أن يطلق عليه لقب آخر وهو الحجة، وهذا اللقب يطلق في العادة على من كان يحفظ ثلاثمائة ألف حديث بأسانيدها ومتونها. المشرقي، التعليم في اليمن، ص٢٠٢.
٦) العيدروس، النور السافر، ص٣٨.
٧) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص٨٤.
٨) الباشا، حسن، الألقاب الإسلامية في التاريخ والآثار، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٨م، ص٤٢٢.
٩) الصيرفي، علي بن داود، أنباء الهصر بأنباء العصر، تح: حسن حبشي، القاهرة، ١٩٧٠م، ص١٩٤.

والشيخ في اللغة هو الرجل المتقدم في السن، وكان يقصد به التوقير، ومن منطلق التوقير والاحترام انتقل استخدام اللقب إلى العلماء فلازمهم، ومرادف هذا اللقب: المدرس الذي شاخ في تحصيل المعرفة، وشيخ المادة هو أستاذها الأول، ومرجعها الأول، والمعتمد عليه في مسائلها وأمورها[١].

ز) المدرس:

اشتق لقب المدرس من المدرسة، وهو لقب تعليمي بحت، ولعله استخدم عوضاً عن لقب الشيخ الذي تضاءل شيوعه بعد ظهور المدرسة[٢].

ح) المعيد:

يقوم بإعادة الدرس وتبسيطه، حتى يسهل فهمه على باقي الطلبة، وكان عليه البحث الزائد على بحث السابقين له حتى تحصل به الفائدة[٣]، وقد أشارت المصادر إلى عدد غير قليل ممن لقب بهذا اللقب ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: محمد بن مسعود باشكيل الذي رتب معيداً في المدرسة الظاهرية بعد بنائها مباشرة[٤]، وشهاب الدين أحمد بن الفقيه عبدالله بن عبدالرحمن بالحاج (ت٩٢٩هـ/١٥٢٣م) حيث تفقه لدى كل من والده، والفقيه محمد بن أحمد بافضل، وأخذ العلم عن العلامة يونس بن يونس المقرئ، والقاضي أحمد بن عمر المزجد وغيرهم، وقد برع وتميز، وتصدر للإفتاء والتدريس، وتولى الإعادة في دروس الجامع في مدينة عدن في زمان والده، ولما مات والده خلفه وصار في عين المكان[٥].

ويحتل ناظر الطلاب آخر سلم هيئة التدريس إذ أشار بامخرمة إلى أن جمال الدين محمد بن أحمد بافضل كان قد قدّم أحد تلاميذه ويدعى الفقيه أحمد بن سالم بانقيب الدوعني (ت٩١٠هـ/١٥٠٤م) على الدرسة (الطلاب) وجعله ناظراً عليهم[٦]، ولعل مهامه قد اقتصرت على مراقبة الطلاب وحفظ النظام في حال غياب شيخه، كما أن تقديمه عليهم يقصد به تهيئته وتأهيله ليصبح معيداً.

ومن الوظائف المرتبطة بالشعائر الدينية نهض بها أهل العلم والدين منها الإمام الذي يؤم المسلمين في الصلوات الخمس المفروضة، وصلاة التراويح في شهر رمضان، وصلاتي

---

١) البطاوي، أهل العمامة، ص١٣٩.
٢) حسن عبدالعال أحمد، التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ط١، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٢م، ص١٦٧.
٣) البطاوي، أهل العمامة، ص٧٩.
٤) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٠٣.
٥) العيدروس، النور السافر، ص١٢٥.
٦) قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٠١-٣٧٠٢ .

الكسوف والخسوف، وقد اشترط فيمن يولى هذه الوظيفة: أن يكون من أهل العلم والدين، حافظاً لكتاب الله، مشهوراً بالخير والصلاح، حسن الصوت، محسن التلاوة، عالماً بأحكام العبادات[١].

وأما الخطيب فهو الذي يقوم بالخطابة في أيام الجمع والعيدين، وفي الكسوف والخسوف، ويشترط في الخطيب ما يشترط في الإمام بالإضافة إلى أن يكون عارفاً بطريقة الخطابة محسناً تأديتها[٢].

وهناك وظائف أخرى مثل قارئ الكرسي، وهو الذي يقرأ القرآن والحديث على الناس في جامع أو مسجد أو مدرسة، ويكون جالساً على كرسي ولا يقرأ إلا من كتاب، وقد ذكر بامخرمة في ترجمة الفقيه أحمد بن عبدالله بلعس اليافعي (ت٩١٠هـ/١٥٠٤م) بأنه كان يقرأ الحديث بدار السعادة بحضرة السلطان المجاهد علي بن طاهر، وذلك بعد صلاة الجمعة على كرسي لزق بالمقصورة، وكان المجاهد إذا فرغ من صلاة الجمعة أقام بالمقصورة يسمع الحديث وربما أقام إلى صلاة العصر[٣]، كما وجد موظفون آخرون بالجوامع كالواعظ، والمؤذن، والمرقي وهو ذلك الذي يعلن بالأذان عند صعود الخطيب المنبر[٤].

٣- مناهج التعليم في عصر الدولة الطاهرية:

لا تختلف المناهج الدراسية في عصر بني طاهر عن عصور الدول اليمنية السابقة؛ وذلك لأن العامل المشترك بينهم جميعاً هو تعليم القرآن الكريم وحفظه، وتعلم آداب الدين الإسلامي من الحديث الشريف.

أ) مناهج التعليم في المرحلة الأولى:

لقد كان القرآن الكريم هو أول العلوم التي ينبغي أن يدرسها الصبيان، بل هو المحور الذي يدور حوله التعليم في الكتاتيب[٥]، ولم يكن حفظه واستظهاره يمثل منهج الكتّاب (المعلامة)، بل كان الطفل يتعلم القراءة والكتابة؛ لأنهما وسيلتان لتعليم القرآن[٦]، كما كان الطفل يتعلم الصلاة، والصوم، والأخلاق، والآداب، وقدراً من الحساب ، بالإضافة إلى اللغة والنحو، والشعر، والخط[٧]، وكان صاحب الخط الجميل يمدح ويثنى عليه، وكان الصبيان

---

١) محمد أمين، الأوقاف، ص١٨٤.
٢) محمد أمين، الأوقاف ، ص١٨٧.
٣) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٠٢.
٤) محمد أمين، الأوقاف، ص٢٠٨.
٥) الأبراشي، محمد عطية، التربية الإسلامية وفلاسفتها، ط٢، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٩م، ص١٥٩.
٦) حفظ الفقيه عبدالله العمودي بن عبدالله بامخرمة القرآن الكريم وهو دون العاشرة . بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٩٣؛ باسنجلة، العقد الثمين، ص٢٣ .
٧) الشجاع، عبدالرحمن عبدالواحد، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع الهجريين، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٦٥، ٧٠ .

يلتحقون بالكتاتيب في سن مبكرة، وغالباً ما كان الصبي يجتاز هذه المرحلة في ثلاث سنوات تزيد أو تنقص على نحوٍ يصعب معه تحديدها بدقة، فهي تختلف باختلاف استعداد الطفل وظروفه(١).

ب) **مناهج التعليم العالي:**

لقد اتسع مجال التأليف والتصنيف والشروح في تلك الفترة، وازداد النشاط العلمي، ونشأت المدارس، وكثرة حلقات العلم في المساجد، وشدت رحال طلبة العلم إلى مختلف البقاع لتعلم علم الحديث، واقبل المتعلمون على مختلف العلوم في اللغة، والعلوم الشرعية، والتاريخ، والحساب، والطبيعة(٢).

وتتكون مناهج التعليم للمرحلة العالية من المواد العامة التي يجب أن يدرسها الطلاب جميعاً، والمواد التي تخضع لميول الطالب واهتماماته. أما المواد العامة فهي المواد اللغوية والدينية، وقد تعددت آنذاك العلوم وتعددت معها المناهج باختلاف الغرض الذي يرمي إليه المتعلم، على أن الطالب لم يكن في هذه المرحلة مقيداً بدراسة مواد بعينها، وكذلك المدرسون لم تعرض عليهم مناهج محددة(٣)، وعلوم هذه المرحلة هي:

- **العلوم النقلية:** علم القراءات، وعلم التفسير، وعلم الحديث، وعلم الفقه وأصوله، وعلوم اللغة والنحو.
- **العلوم العقلية:** علم الطب، وعلم الفلك، وعلم الرياضيات والحساب والجبر والمقابلة، وعلم الفرائض، وعلم المنطق والكلام، وعلم التاريخ والسيرة، وعلم الموسيقى والطرب.

٤- طرائق التدريس:

أ) القراءة والحفظ :

قبل أن يتعلم الصبيان القراءة والكتابة في الكُتّاب (المعلامة) يقومون بحفظ بعض السور القصيرة من القرآن بطريقة التلقين، حيث يقرأ المعلم أمامهم ويرددونها من بعده حتى يحفظوها عن ظهر قلب، ثم يطلب المعلم من الطالب إعادة قراءة ما حفظه منه، وهذه الطريقة تكسبهم

---

١) السروري، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة، ص٥٤٥ ؛ وقد ظهر هذا المنهج في تعليم المؤرخ ابن الديبع، حيث قرأ القرآن وهو في السادسة من عمره على يد القاضي زين الدين البرشكي (ت٨٨٤هـ/١٤٧٩م) ثم تعلم القرآن عند الفقيه نور الدين بن أبي بكر حتى وصل إلى سورة (يس) ثم انتقل في تعليمه إلى خاله العلامة جمال الدين أبي النجا محمد بن الطيب إسماعيل بن مبارز (ت٨٨٤هـ/١٤٧٩م)، واستكمل عنده ما تبقى من القرآن، ثم أخذ في تعلم علم القراءات (الشاطبية) وهو في العاشرة، ثم اتجه إلى تعلم الحساب والجبر والمقابلة، والمساحة، والفرائض، والفقه حتى انتفع بكل علم منها. ابن الديبع، الفضل المزيد، ص٨-٩؛ العيدروس، النور السافر، ص١٩١-١٩٣.

٢) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص٢٢٨.

٣) المشرقي، التعليم في اليمن، ص١٢٣.

مهارات إتقان القراءة الصحيحة والنطق السليم عند مواضع الوقف والابتداء[١]، كما أن هذه الطريقة هي الأكثر شيوعاً في مراحل التدريس العليا وخصوصاً في تعليم القراءات القرآنية، وهي تستخدم في سائر العلوم الدينية واللسانية مع بعض الطرائق الأخرى، بالإضافة إلى علمي النحو والفقه[٢].

وقد تبين أن كثيراً من الطلاب كانوا يحرصون على قراءة بعض الكتب المتخصصة في علوم الفقه، والعقيدة، والتصوف، واللغة والنحو وغيرها ومنها: التنبيه للشيرازي، والحاوي للقزويني، والمنهاج للنووي، وإحياء علوم الدين، وبداية الهداية، ومنهاج العابدين للغزالي، وألفية ابن مالك، ورسالة القشيري، وعوارف المعارف للسهروردي، والعدة للجزري[٣].

ب) الكتابة والإمــلاء:

وهي تشبه الإقراء، إلا أنها تميل كثيراً إلى استدعاء الذاكرة ومحفوظاتها، حيث يقوم الطالب في الكتاتيب (المعلامات) بكتابة ما قرأه وما سمعه من المعلم على الألواح[٤]، وهنا يكتسب الطالب مهارة الكتابة، وفي مراحل الدراسة العليا يتوسع نطاق الكتابة ليشمل نقل الكتب المختلفة ونسخها نسخاً حرفياً[٥] ؛ أما طريقة الإملاء فيقوم بها المعلم، حيث يملي على الطلاب بعض أجزاء الكتاب المقرر خلال المحاضرة أو يؤجل ذلك إلى مابعد ختمه للكتاب[٦]، وقد عدت هذه الطريقة عند أغلب العلماء خير طرائق التعليم حتى لمن يأخذون بطرق السماع، كما اعتبرت طريقة الإملاء أعلى درجات الرواية لما فيه من ضبط الحروف والكلمات في الكتب[٧].
الكتب[٧].

ج) السمــاع:

وهو سماع لفظ الشيخ للأحاديث الشريفة أو غيرها من علوم القرآن، وسواءً أكان من حفظه أم من كتابه، وهذه أرفع الطرائق عند الجماهير[٨].

د) الحلقات والمجالس:

تعد الحلقات من أشهر أنواع التدريس وأكثرها انتشاراً؛ لأنها تعقد في المسجد وهو أقدم مقرات التعليم في العصر الإسلامي، حيث يتجمع الطلاب حول شيخهم لتحصيل العلم[١]،

---

١) محمد عبدالحميد عيسى، التعليم في الأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨١م، ص٣٤٧.
٢) المشرقي، التعليم في اليمن، ص١٦٢.
٣) انظر: فيماسيأتي ، ص٢٦٩ ومايليها .
٤) السروري، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة، ص٥٤٥ ؛ كان اللوح هو الوسيلة الوحيدة للكتابة، حيث يكتب الأطفال ما يملى عليهم من القرآن والشعر، والأمثال كنماذج للتدريب على الكتابة.
٥) السروري، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة، ص٥٥٦.
٦) المرجع نفسه والصفحة .
٧) المشرقي، التعليم في اليمن ، ص١٦٤.
٨) الشجاع، الحياة العلمية ، ص٨١ .

وتجسدت مظاهر الحلقات بعدن في أسماء مساجدها التي نسبت إلى الفقهاء والعلماء الذين اتخذوها مقراً دائماً للاجتماع بطلابهم ومن يفد إليهم لطلب العلم، ومنها مساجد: العندي، التوبة، ابن الخطيب ؛ أما المجالس فقد كانت تعقد في بيوت العلماء أو الأمراء أو وجهاء المجتمع، وأحياناً تقام في المسجد، وتدور فيها المناظرات الكلامية والفقهية[٢]، وفي مدينة عدن كانت تعقد أيضاً في الهواء الطلق، ولم تكن خاصة بطبقة معينة من المجتمع، بل شملت عامة الناس[٣].

هـ) الوجادة:

وهي ما أخذ من العلم من صحيفة أو كتاب من غير سماع ولا إجازة من كاتبه[٤]، ولاتجدي الوجادة إلا لمن كان في مراحل التعليم العالي، فهي صورة من صور التعليم الذاتي، حيث يمتلك المتعلم قدرات ذاتية لدراسة كتاب ما من دون لقاء بصاحبه[٥]، ولعل هذا الأسلوب قد شاع نتيجة للنهضة العلمية التي ظهرت في ذلك العصر، وحرص أهل اليمن وحكامها على جلب أكبر قدر ممكن من الكتب ونسخها ووقفها على المدارس والمساجد، مما أتاح للطلاب أن ينهلوا من هذه العلوم بأكثر من طريقة.

و) الملازمة:

وهو ملازمة الطالب لشيخه أو لاثنين من شيوخه كل منهما مختص بعلمٍ ما لمدة طويلة حتى يتمكن من الأخذ عنهما أكبر قدر ممكن من العلوم والأخلاق[٦].

ز) التعليم بالمراسلة:

تخضع هذه الطريقة لرغبة الطالب فيما إذا أراد زيادة تحصيله العلمي، وهي تعد إحدى الطرائق التي كانت تتبع في التدريس خلال ذلك العصر، حيث كان الطالب يطرح مسألته العلمية على أستاذه بالمراسلة، ويتلقى منه الإجابة مكتوبة، وهي عادة ما تتم مع العلماء المشهورين في البلدان الإسلامية، إذ يتلقون الرسائل من طلاب العلم متضمنة مسائلهم واستفساراتهم، فيجيبون عنها ويبعثونها للطلاب أينما كانوا[٧].

---

١) المرجع نفسه، ص٧٣ .
٢) الشجاع، الحياة العلمية، ص٧٧ .
٣) أملت الظروف المناخية على أهل عدن إقامة مثل هذه المجالس في الهواء الطلق، وربما أطلقوا عليها المظلات، ومنها مظلة باشكيل التي ورد ذكرها في كارثة الحرائق التي تعرضت لها المدينة سنة ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م . انظر: بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٢٩.
٤) الشجاع ، الحياة العلمية ، ص٨٨ .
٥) المرجع نفسه والصفحة .
٦) المشرقي، التعليم في اليمن، ص١٦٨؛ أبرز مثال على ذلك الفقيه محمد بن عبدالله بن أحمد بامخرمة(ت٩٠٦هـ/١٥٠١م) ، حيث رحل من بلده الهجرين إلى عدن لطلب العلم ، فقرأ على أخيه الطيب بامخرمة التنبيه وعدداً من كتب الفقه والنحو، ولازم الفقيه علي الشرعبي واشتغل عليه في النحو ، وقرأ على الشريف حسين بن صديق الأهدل في الحديث ، ثم عاد إلى الشحر . بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٦٩٥.
٧) المشرقي، التعليم في اليمن ، ص١٦٩.

ح) الرحلات في طلب العلم:

تعتبر الرحلة من أكبر وسائل التحصيل العلمي في تاريخ التعليم الإسلامي، وهي وسيلة مهمة لا سيما في المراحل العليا من الدراسة[١]، والرحلة قسمان، الأولى داخلية وتتم داخل البلد أو الإقليم الواحد ويكون الاتجاه نحو المدن الرئيسة التي يوجد فيها كبار المدرسين مثل زبيد، وصنعاء، وعدن، وتعز، وحضرموت وغيرها[٢]. أما الأخرى فهي الرحلات الخارجية، وفيها يشد طلبة العلم رحالهم بعد استيفاء الطلب لدى كبار العلماء في الداخل إلى العواصم الإسلامية في الخارج مثل مكة، والمدينة، وبغداد، ومصر وغيرها[٣]، حيث يخرج الطلاب فرادى وجماعات لتحصيل العلم على كبار المشايخ متحملين أهوال السفر ومصاعب المعيشة.

ولعل فضل الرحلات يكمن في أنها ساعدت على استمرار الوحدة الثقافية بين الأقطار الإسلامية على الرغم من تمزق العالم الإسلامي من الناحية السياسية، وبفضلها أيضاً استمر التبادل الفكري بين سكان مختلف الأقاليم، وجعل تلك الوحدة حية وزاد من تماسكها، على أن أهم العوامل التي ساعدت على نجاح تلك الرحلات أداء فريضة الحج، واستخدام اللغة العربية كوسيلة للتعليم في جميع بقاع العالم الإسلامي[٤].

وعندما يصل التعليم إلى غايته وتتحقق أهدافه يتم منح مؤهل الإجازة العلمية، وهي أعلى درجة علمية يتحصل عليها الطالب.

والإجازة: هي إذن الشيخ للطالب في الرواية عنه لفظاً وكتابة[٥]، أي الإخبار بمرويات ومسموعات الشيخ أو بمؤلفاته عن طريق التلفظ أو الكتابة، والإجازة أنواع منها:

- **إجازة السماع:** وتمنح في الغالب في علم الحديث والتفسير[٦].
- **إجازة إقراء:** وتمنح لطلاب العلم في بعض العلوم مثل: القراءات، واللغة العربية كالنحو، وعلوم الفقه، والمنطق[٧].
- **إجازة النقل:** وهذا النوع من الإجازات لم يكن منتشراً بكثرة كالسماع والإقراء[١].

---

١) دلت النصوص الشرعية على أن الرحلة في طلب العلم إن لم تكن واجبة في بعض الحالات، فهي لا تخلو من أن تكون سُنة في حالات أخرى لقوله تعالى: ﴿فلولا نفرَ من كلِ فرقةٍ منهم طائفةٌ ليتفقهوا في الدينِ ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ التوبة، الآية (١٢٢)، كما قال رسول الله ﷺ: "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنة".

٢) فاروق أحمد ، التعليم في اليمن، ص٩٦.

٣) الشجاع ، الحياة العلمية ، ص٩٩ .

٤) منير الدين أحمد، تاريخ التعليم عند المسلمين مستقاة من تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، تروتعليق: سامي القار، الرياض، د. ت ، ص٦٧.

٥) الشجاع، الحياة العلمية، ص٨٦ .

٦) المشرقي، التعليم في اليمن، ص١٧٩.

٧) المرجع نفسه ، ص١٨٠.

ومن الملاحظ أن علماء عدن قد اتبعوا طريقة الاستنابة في التدريس ، حيث استناب الطيب بامخرمة ابن أخيه عبدالله بن عمر في التدريس بالمدرستين المنصورية والظاهرية إلى جانب تدريسه في جامع عدن[٢]، وهذا يعني أن علماء عدن قد قسموا أوقاتهم للتدريس في أكثر من جامع ومدرسة، ناهيك عن تحملهم مسئولية تدريس أفراد الأسرة، أي التعليم العائلي، وهو صورة من صور التعليم جرى تطبيقها في إطار الأسر العلمية كما هو الحال في أسرتي بافضل[٣]، وبامخرمة[٤]، واللافت للنظر أيضاً تخصص مدارس عدن بعلوم معينة ، حيث يذكر أن الفقيه شهاب الدين أحمد بن عبدالله بامخرمة قد درس الفقه في المدرسة المنصورية والحديث في المدرسة الظاهرية[٥] .

أما التعليم عند أهل الذمة في عدن لا سيما اليهود فإن المصادر التي بين أيدينا لم تشر إلى ذلك لا من قريب ولا من بعيد، وطبيعي أن العلوم الأولية التي كان الطفل اليهودي يتلقاها في الكتاتيب كانت تشمل مبادئ ديانته وبعض القصص الدينية، فضلاً عن مبادئ اللغة وعلم الحساب الذي اشتهروا بضلاعتهم فيه وإتقانهم له عبر العصور، ومع هذا وذاك فإن السمة الغالبة على هذا التعليم تتميز بطابعها الديني، وهو الطابع الذي غلب على تعليم المسلمين آنذاك أيضاً بحكم المفاهيم الدينية التي كانت تحكم ذلك العصر.

٥- مكانة العلماء في المجتمع والسلطة السياسية :

أ) دور العلماء في الأزمات السياسية والاقتصادية:

لا شك أن الدين قد حمّل رجل العلم أعباء حتمت عليهم القيام بها مثل: التوعية والإرشاد عن طريق الخطابة والتدريس والكتابة ووضع المؤلفات، ومن هذا المنطلق صاروا زعماء وموجهين لمختلف طوائف المجتمع، نظراً لما للدين من سلطان على الأفئدة والنفوس، وهذه الأهمية كانت محل اعتبار سلاطين آل طاهر منذ أن مسكوا بتلابيب الحكم، وتعاملوا مع علماء الدين باحترام وتقدير ليتخذوا منهم دعامة يستندون إليها في حكمهم، ويستعينون بها في كسب رضاء الرعية، وتحت تأثير الدين أحس كثير من العلماء بأنهم مسئولون عن حماية مصالح العامة من الشعب حتى أمام الحكام، فنالوا المكانة السامية والرفيعة عند الحكام والمحكومين على السواء.

---

١) المرجع نفسه، ص١٨١.
٢) الشلي، السناء الباهر، ص٤٧٢-٤٧٣.
٣) تولى العالم محمد بن أحمد بافضل تدريس ابنه عبدالله بعض العلوم منها الحديث والفقه . الشلي، السناء الباهر، ص٣١٠ .
٤) تلقى الفقيه الطيب بن عبدالله بامخرمة علومه عن أبيه، ثم أخذ العلامة عبدالله بن عمر بامخرمة العلم عن الطيب. انظر على التوالي: العيدروس، النور السافر، ص٢٠٤؛ الشلي، السناء الباهر، ص٤٧١.
٥) بامخرمة ، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٠٣.

- **العلماء والحروب الداخلية والخارجية:**

لقد تعرضت مدينة عدن طوال عصر السلاطين الطاهريين إلى أخطار داخلية وخارجية عديدة ، وخلال هذه الأحداث صعد نجم العلماء وأدوا دوراً مهماً في الجانبين الإرشادي والتوجيهي، فعلى الصعيد الداخلي كانت الفتن والتمردات القبلية سمة العصر الطاهري، وألقت بظلالها على وضع العلماء سلباً وإيجاباً، ذلك أن الطاهريين آمنوا كأسلافهم بمبدأ الوراثة في الحكم، لذا شهد عصرهم كثيراً من الثورات والاضطرابات التي قادها خصومهم من آل طاهر أنفسهم، فكل منهم آنذاك كان يدعي سنداً شرعياً يدعم حقه في الملك، ويطمع جل المتخاصمين بمن يساعده في التغلب على خصمه، ويكفل له مساندة العامة أو على الأقل كف أيديهم عنه، وعندئذٍ تبدو أهمية استمالة العلماء لما لهم من تأثير على الرأي العام، فكان العلماء محط أنظار مشايخ بني طاهر عندما تبدأ حلقة من حلقات الصراع الداخلي، ولعل أبرز مثال على ذلك ما حدث خلال تنصيب السلطان المنصور عبدالوهاب بن داود في المقرانة سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٨م ، إذ لم يخرج من المقرانة لإعلانها للناس إلا وفي صحبته القاضي جمال الدين محمد بن حسين القماط[١]، الذي كان حينها يمثل فئة العلماء، وإقراره ضمنياً بشرعية المنصور وخلافته لعمه المجاهد على أمر الطاهريين، وفي موقف آخر لا يقل أهمية عن موقف القماط نجد شيخ الإسلام العلامة شمس الدين يوسف المغربي بن يونس قد تصدى للشيخ محمد بن عامر الذي تزعم المعارضة ضد الظافر عامر (الثاني)، حيث رفض تسليمه تعز، بل وأمر الناس بالفطر في رمضان ودعاهم لمقاتلة الشيخ محمد وأعوانه، ونجح في الحفاظ على المدينة تحت سلطة الظافر[٢].

ومن جهة أخرى، أدى رجال العلم دوراً بارزاً في إخماد الفتن الداخلية التي تأججت في هذا العصر، فقاموا بالوساطة بين الطاهريين لإحلال السلام بينهم، ولعل الدور الذي قام به الشيخ أبوبكر العيدروس في الوساطة بين السلطان الظافر عامر (الثاني) وخاله عبدالله شاهد على ذلك، وعندما شهدت عدن أزمة سياسية شغر فيها كرسي الحكم سنة ٩٣٣هـ/١٥٢٧م، سارع أعلام عدن لتدارك الأمر واتفقوا بالإجماع على اختيار عامر بن داود للقيام بمهام الحكم.

وعلى نحو مخالف لإرادة السلطان الطاهري وقف بعض العلماء في صف خصومه إما تعصباً أو لقناعة شخصية، وهذه الحالة بدت واضحة مع الفقيه أحمد بن بلعس اليافعي (ت٩١٠هـ/١٥٠٤م)، فعندما ثارت الفتنة بين السلطان الظافر عامر (الثاني) وبين أهل يافع

---

١) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٠٢.
٢) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص١٨٧؛ بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٧١.

الذين مالوا مع عبدالله بن عامر، لم يتوان الفقيه عن الانضمام إلى عصبته، وهذا ما أغضب السلطة منه، وأنزلت به العقوبة بالخروج من عدن، ثم شفع فيه الشيخ جمال الدين محمد بن أحمد بافضل، فإذن له الدخول إلى عدن على أن يلزم بيته ويترك معارضة السلطان[١].

أما على الصعيد الخارجي فقد تعرضت عدن لاعتداءات البرتغاليين والمماليك وعلى فترات زمنية طويلة وفي هذه الأوقات قام العلماء بالدفع المعنوي للجماهير ودعوتهم لمساندة الحكام في إعلاء راية الجهاد ضد الأعداء، وحثوهم على بذل النفس والمال، ومن هنا ندرك مدى حاجة البلاد عامة والحكام خاصة لهؤلاء العلماء، لتفاعلهم داخل المجتمع بصورة إيجابية.

ففي موجة الغزو البرتغالي التي اجتاحت البحر الأحمر والمحيط الهندي والموانئ المطلة عليهما ، وأخذهم سفن المسلمين غصباً، واستحلالهم لدماءهم وأموالهم ونساءهم، بعث أهل عدن الخبر إلى السلطان الظافر عامر (الثاني)، فأمر بدوره التجهيز لهم سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٥م، وتوجه من مدينة عدن أربعة عشر مركباً يحملون ما يزيد عن ستمائة مجاهد، وتوجه معهم الفقيه إسماعيل الجرداني، والشيخ عثمان العمودي، وخرج معهم من طلبة العلم للجهاد في سبيل الله، واستمر القنوت عليهم في الصلوات الخمس، وفي خطبة الجمعة في جميع البلاد اليمنية[٢]، غير أن المصادر لم تذكر شيئاً عن أخبار هؤلاء المجاهدين، ولعل عدم التكافؤ بينهم وبين الأساطيل البرتغالية قد حسم المواجهة في أعماق المحيط لصالح أعدائهم، وعندما أغار البرتغاليون على الشحر وقتلوا أميرها، وأسروا، ونهبوا كان العلماء على رأس النفير للجهاد، وكان في مقدمتهم الفقيه عبدالله بن عبدالرحمن بالحاج بافضل الذي خرج لقتالهم في معركة شرسة سميت بمعركة الكفار، واستشهد فيها الفقيه وذلك سنة ٩٢٩هـ/١٥٢٣م[٣]، كما كانت التجمعات التي يتزعمها العلماء تنعقد في المساجد لقراءة القرآن والحديث، ويدعون على البرتغاليين الغزاة، ففي سنة ٩١٩هـ/١٥١٣م أمر السلطان الظافر عامر (الثاني) بقراءة القرآن وقراءة صحيح البخاري في مسجد الأشاعرة والدعاء على البرتغاليين الذين غزوا البلاد[٤]، ولعل هذه المساندة المعنوية قد عززت الثقة في نفوس المقاومة في عدن والشحر.

- العلماء والأزمات الاقتصادية:

تعرضت عدن لأزمات اقتصادية حادة كان معظمها مرتبطاً بالجفاف وشحة الأمطار أو انقطاعها، وما يتبع ذلك من قحط وغلاء يصحبهما انتشار الأمراض والأوبئة، فكان اللجوء في هذه الأوقات العصيبة إلى ذكر الله والتقرب إليه بالطاعات سبيلاً للخروج من هذه المحنة،

١) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٠٢.
٢) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص١٣٥.
٣) العيدروس، النور السافر، ص١٢٥-١٢٦.
٤) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص٢٠٢-٢٠٣.

وحينها تتجه الأنظار إلى العلماء ليلتمسوا منهم النصح، وبدورهم يأمرون بإخراج الصدقات وإقام الصلوات، ويشارك فيها العامة والخاصة يتزعمهم العلماء مبتهلين وداعين الله أن يكشف عنهم الغمة، وقد مر بنا كيف كان أهل عدن يخرجون إلى حقات للاستسقاء[١]، ومثل هذه التظاهرات بزعامة العلماء كان لها أثرها في ربط العامة والسلاطين جميعاً بعلماء الدين.

- العلماء سفراء إلى الخارج:

ذلك أن سلاطين بني طاهر حرصوا دائماً على إظهار التزامهم بالدين وخاصة أمام الدول الأخرى، وإذا كانت بعض السفارات المتجهة من اليمن إلى الخارج ذات طابع سياسي أو حربي أو اقتصادي، إلا أنها غالباً ما كانت تضم رجالاً من أهل العلم والدين، وممن أنيطت إليهم مثل هذه المهام الفقيه أحمد بن عبدالله بلعس اليافعي، فقد كان سفير المجاهد ثم المنصور إلى المجاهد ابن سعد الدين في الحبشة وكان يحمل إليه الدعم العسكري من الخيل والأسلحة وغير ذلك من العتاد لمواصلة الجهاد ضد النصارى[٢]، كما شارك عدد من العلماء في سفارات الطاهريين إلى مصر، والحجاز وغيرها.

ب) **علاقات العلماء بالسلاطين الطاهريين:**

لقد حظي أهل العلم باحترام وإجلال السلاطين، ولم يكن ذلك قاصراً على فترة معينة في تاريخ الدولة الطاهرية دون أخرى، أو على سلطان دون آخر، وهنا نسوق بعض الأمثلة التي تبين منزلة العلماء عند السلاطين، وأبرزهم أئمة وقضاة وعلماء آل الناشري عموماً، فقد كانوا أكثر قرباً من سلاطين آل طاهر ومن ثقاة رجالهم، ولطالما عهدوا إليهم أعلى الوظائف في أجهزة الدولة، ويليهم قضاة وعلماء آل القماط، إذ بلغوا منزلة رفيعة لدى الطاهريين، وكثيراً ما أسندت إليهم مهام عظيمة لا سيما التأثير على الرأي العام وتوجيهه نحو مساندة سلاطين بني طاهر، ويلي هؤلاء الأشراف آل العيدروس باعلوي، فقد كانوا على علاقات وثيقة بسلاطين آل طاهر فقد ذكرت المصادر أنه كانت بين السلطان المنصور عبدالوهاب والشيخ أبوبكر العيدروس علاقات طيبة ، وكثيراً ما كان السلطان يحسن إليه[٣] ، ثم توثقت عراها في عهد السلطان الظافر عامر (الثاني) ونشأت بينهما علاقات مودة ومحبة أكيدة وهي، في تقديري، من العلاقات المتميزة التي اتسمت بها مرحلة حكم الظافر سياسياً وأدبياً، حيث كان الشيخ أبوبكر مشرفاً ومعظماً في بلاطه، وجرت بينهما مساجلات وأشعار ومراسلات كثيرة[٤]، كما كان للشيخ أبوبكر مواقف عظيمة إلى جانب السلطان الظافر عامر (الثاني) منها: أنه لما مات والده

---

١) انظر فيما سبق، ص ١٩٩.
٢) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٠٢.
٣) المصدر نفسه والجزء، ص٣٧٠٥.
٤) انظر: فيما سيأتي، ص٢٩٧ ومايليها.

السلطان عبدالوهاب بن داود رمته الناس عن قوسٍ واحد، وتنكروا له، غير أن الشيخ أبوبكر قام معه مقاماً حسناً، وكان في جملة من خالف خاله عبدالله بن عامر وخالفت الناس معه، فسعى الشيخ أبوبكر بينهم بالصلح، فأجابوا إلى ذلك، وأخذ منهم المواثيق والعهود، فنكث عبدالله بن عامر هذا الصلح[١]، بيد أن هذا الموقف لم يثن الشيخ العيدروس عن مواصلة دعمه للسلطان الظافر ومساندته في أحلك الظروف، وكثيراً ما كان الشيخ العيدروس يبشره بفتح المعاقل والحصون والمناطق كصنعاء ويافع ودثينة وجبن وغيرها، والدعاء له بالنصر والظفر[٢]، ومما يذكر عن هذه البشارات أن السلطان الظافر تجهز ذات يوم إلى صنعاء، إلا أن الشيخ العيدروس أشار عليه بالتّرك، فقال له:"ألست قلت لي أنك تأخذها ؟ فقال الشيخ بلى ولكن لكل أجل كتاب"[٣] ، فخالف السلطان كلام الشيخ وسار إليها، غير أنه أخفق في السيطرة عليها، وبعد وبعد سنتين أشار الشيخ على السلطان بالطلوع إليها، وصدر لها ورقة وأقسم له عشر أيمان أنك تأخذها في شهر رمضان هذه السنة، فسار إليها، وتحقق له النصر كما قال الشيخ أبوبكر العيدروس[٤]، ووفاءً للشيخ أبي بكر العيدروس بنى السلطان الظافر عامر (الثاني) على قبر العيدروس قبة عظيمة عجيبة، ومن جهة أخرى لم تقتصر علاقات السلطان الظافر بالشيخ أبوبكر فحسب، بل تفرعت في عصب آل العيدروس، إذ يذكر أنه كان بينه وبين الشيخ حسين بن عبدالله العيدروس مكاتبات ومساجلات شعرية[٥].

وعلى صعيد آخر، كان الأمير مرجان الظافري مولى السلطان الظافر عامر (الثاني) على علاقة وطيدة بالشيخ أبي بكر، وكان له تعلق كبير وتولع عظيم، واعتقاد فيه ، وقد روت عنه بعض كتب التراجم كرامات خارقة أجراها الله أمام عينيه لسيده العيدروس، وخاصة في الحروب التي خاضها مع سيده السلطان الظافر، ومما يذكر عن الأمير مرجان أنه قال:" كنت في نفر من أصحاب لي في محطة صنعاء الأولى، فحمل علينا العدو فتفرق عني أصحابي، وسقط بي فرسي لكثرة ما أثخن من الجراحات، فدار بي العدو حينئذٍ من كل جانب فهتفت بالصالحين، ثم ذكرت الشيخ أبابكر رضي الله عنه وهتفت به فإذا هو قائم، فوالله العظيم لقد رايته نهاراً وعاينته جهاراً، أخذ بناصيتي وناصية فرسي وشلني من بينهم حتى أوصلني المحطة، فحينئذ مات الفرس، ونجوت أنا ببركته رضي الله عنه ونفع به"[٦].

---

١) العيدروس العدني، ديوان محجة السالك، ص١٣٤.
٢) المصدر نفسه، ص٨٩.
٣) العيدروس العدني، ديوان محجة السالك ، ص٤٥.
٤) المصدر نفسه والصفحة.
٥) العيدروس، النور السافر، ص١٣٧.
٦) المصدر نفسه، ص٨٠.

ولما صار الأمير مرجان بعد وفاة السلطان الظافر عامر (الثاني) صاحب الكلمة النافذة على أسياده من آل طاهر الحكام كان آل العيدروس آنذاك من أعيان عدن ووجهائها المقربين من الأمير مرجان، فخلال الأزمة السياسية التي حدثت بين الطاهريين على السلطة كان لآل العيدروس محاولات جادة لتسوية الأوضاع واستقرار الحكم، ففي سنة ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م خرج الأمير مرجان من عدن إلى التلاج(١) وفي صحبته الشريف عبدالله بن شيخ بن عبدالله بن أبي بكر العيدروس، وهلال عتيق الشيخ أبي بكر العيدروس، والقائم بتربته، وقدم حينها الشيخ عبدالملك بن محمد من لحج إلى التلاج، فاجتمع به الأمير مرجان ومن معه من آل العيدروس وتمت مبايعته، ووعده بدخول عدن في حال تخلصه من ابن عمه الشيخ أحمد بن محمد(٢)، وقد مرّ بنا كيف تصاعدت الأحداث وما آلت إليه الأمور خلال هذه الأزمة،

ولشدة تعلق الأمير مرجان واعتقاده بالشيخ بنى في مسجد العيدروس رباطاً كبيراً وداراً كبيرة لسكنى الشيخ القائم بالتربة(٣)، كما أوصى بأن يُدفن إلى جواره في الموقع المعروف بقبة العيدروس. ومن الفقهاء الذين كانت تربطهم علاقة طيبة بالسلطة الطاهرية الشريف عمر بن عبدالرحمن بن محمد باعلوي (ت٨٨٩هـ/١٤٨٤م)، إذ ذُكر أن خطه كان طالقاً عند الديوان بعدن يوصل بما شاء لمن شاء ولا يراجع السلطان في ذلك(٤).

ومن النساء اللاتي اشتهرن بالعلم والصلاح وكان لهن جاه عظيم عند السلطان الطاهري السيدة الصالحة أسماء بنت الفقيه العلامة كمال الدين موسى الضجاعي (ت٩٠٤هـ/١٤٩٩م)، حيث ذكر عنها أنها كانت صالحة عابدة قارئة تقرأ التفاسير وكتب الحديث، وتُسمع النساء وتعظهن وتؤدبهن، وكان لقولها وقع في القلوب، وربما كتبت الشفاعات إلى السلطان والقاضي والأمير فتقبل شفاعتها ولا ترد(٥)، والحقيقة أنه كان عدد كبير من أهل العلم والدين قد بلغوا مكانة خاصة عند بني طاهر، بيد أن هذا التقدير والاحترام كان له ما يقابله من الولاء والطاعة المطلقة للسلطان.

وعلى النقيض من ذلك، تولى بعض العلماء الوقوف في وجه السلطان الطاهري في أمور أوجبت ذلك، فعندما كانت تنحرف سياسة السلطان عن جادة الصواب، يتحرك بعض العلماء لمواجهة هذا الانحراف، ولا شك أن هذه المواقف كانت تعرض صاحبها لنقمة ذوي

---

١) التلاج: هي ذلك الوادي الفسيح الذي يقع بين رأس العرق وجبل حديد في شمال المدينة، وتقطعه سلسلة جبلية تنتهي برأس الجارف، وقد أطلق عليه الإنجليز اسم البرزخ؛ لأنه الموقع الوحيد الذي يربط شبه جزيرة عدن بالبر. محيرز، العقبة، ص٧٤ .

٢) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٦٦؛ بافقيه، تاريخ الشحر، ص١٤٨.

٣) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٠٦-٣٧٠٧.

٤) المصدر نفسه والجزء، ص٣٦٤٠ .

٥) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص٥١.

السلطة، ويمكن حصر دوافع هذه المعارضة في دفاع المعارضين عن أموال الرعية، حيث وقف العلماء حماة لأموال الأوقاف والأيتام أمام أطماع السلطان الظافر عامر (الثاني)، وقد تأسف لها ابن الديبع[١] بقوله:"لم يكن في الملك الظافر خصلة تذم سوى تعرضه للوقف، ومعارضة الفقهاء فيه، وأظن ذلك هو الذي كان سبباً لزوال دولته وما في يديه"، ومن هنا نرى أن العلماء قد تزعموا المعارضة رغم جسارة السلطان الظافر وقسوة عقابه للمعارضين إما بالعزل من الوظيفة أو النفي أو الضرب أو السجن، كما نرى أن معارضتهم كانت من أجل صالح الناس، ولم تكن دفاعاً عن مصلحة شخصية، ومع أن هذا الموقف الشجاع يحسب لهم أمام عامة المجتمع، إلا أنه من المستغرب صمتهم المطبق إزاء الجرائم التي كانت ترتكبها القوات الطاهرية مع أصحاب النخيل من قطع وحرق في ذهابهم وإيابهم من زبيد مثلاً[٢]، وقد يفسر هذا الأمر على أنه لا وجه للمقارنة بين القضيتين وذلك لاختلاف المجني عليه في كلا الحالتين، فالأول (الأيتام) عاجزون تماماً عن الدفاع عن أملاكهم مع قدرة الثاني (أهل تهامة) في مقاومة حملات الذل والتجويع، والحقيقة أنه لا فرق بين الحالتين، والواجب يقتضي على العلماء القيام بدورهم المناهض للظلم بالوسائل المختلفة، ورحم الله الشيخ أحمد بن علوان (ت٦٥٥هـ/١٢٥٧م) القائل في السلطان المظفر الرسولي:

عارٌ عليك قصورات مشيدة   وللرعية دور كلها دمن[٣]

وعلى أية حال، فإن تباين مواقف العلماء من السلطان الطاهري لم تكن أسوأ مما بلغه الفقيه العلامة جمال الدين محمد بن عمر باقضام بامخرمة (ت٩٥١هـ/ ١٥٤٤م)، فقد استماله السلطان عامر بن داود في آخر عمره وأحسن إليه لأغراض فاسدة عزم عليها، وكان عامراً إذ عزم على أمر فاسد يتعلق بالشرع أرسل إليه من يشاوره في كتابة سؤال في قضية لكي يجيب عنها، فيجيبهم إلى ذلك، ويكتب على أسئلتهم أجوبة توافق أغراضهم، فيتوصلون بها إلى مفاسد لا تنحصر[٤].

ج) **العلماء والاحتفالات الدينية :**

من المظاهر التي أضفت على علماء الدين مكانة سامية في المجتمع مشاركتهم الفعالة في شتى مظاهر الحياة العامة للمجتمع ومنها:

رؤية الهلال: فمن المعروف أن التقويم الهجري، وبعض الفرائض مثل: الصيام، والحج والأعياد، والمناسبات الإسلامية مرتبطة بالشهور القمرية، ولا يحدد بدء الشهر إلا برؤية

١) ابن الديبع، الفضل المزيد ، ص٢٤٠.
٢) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص١٢٥.
٣) الخزرجي، العقود اللؤلؤية ، ج١، ص١٦١.
٤) العيدروس، النور السافر، ص٢١٤-٢١٥.

الهلال، لذلك كانت رؤية الهلال في غاية الأهمية بالنسبة إلى المسلمين في كل بقاع الأرض، وكانت العامة والخاصة من أهل عدن ينتظرون رؤية هلال شهر رمضان بترقب وشغف للاحتفال بهذه المناسبة، ولعل رؤية الهلال كانت من مسئوليات قاضي قضاة المدينة، وبحسب العادات المتعارف عليها في كل أقطار الإسلام ، وذلك بأن يجتمع فقهاء المدينة ووجوهها بعد العصر من اليوم التاسع والعشرين للشهر العربي بدار القاضي، وعند تكامل المجلس يركب القاضي ومن معه ويتبعهم العامة حتى ينتهوا إلى موضع مرتفع في طرف المدينة أو خارجها، وبعد رؤية الهلال ينزلون إلى المدينة في موكب ضخم محتفلين بحلول شهر جديد.

وكثيراً ما كان يحدث اضطراب بين العامة نتيجة لتأخير الرؤية، أو لوجود قوم رأوا الهلال، وقوم لم يروه، وهذا الاضطراب كان يحدث في شهري رمضان وذي الحجة خاصة، وقد حدث ذلك الاضطراب بالفعل في مدينة زبيد سنة ٨٩٨هـ/١٤٩٣م، حيث افترق أهلها فرقتين فرقة أفطرت وهم جماعة العلامة المقرئ يوسف بن يونس الجبابي وطائفة يسيرة من أهل البلد، والفرقة الأخرى أفطرت وعيدت في اليوم التالي وهم القاضي محمد بن عبدالسلام وجماعته وغالب أهل البلد، وذلك لاختلاف المقرئ وابن عبدالسلام في ثبوت الشهر[١].

الاحتفال بالمولد النبوي الشريف: شارك العلماء في الاحتفالات الدينية، ومنها الاحتفال بالمولد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، كما حرص السلاطين والأمراء على إحياء مثل هذه المناسبات الدينية، وحرصوا أيضاً على مشاركة العلماء لهم فيها، وكان يجري الاحتفال بهذه المناسبة في شهر ربيع الأول من كل عام، ويتم فيها قراءة القرآن، وسماع الذكر وسيرة الرسول ﷺ ، وتبسط فيه موائد الطعام، وتتميز بحضور مشايخ الصوفية وفقراء الزوايا، ويغلب على الاحتفال بهذه المناسبة مظاهر الصوفية وطقوسها المختلفة، فينشدون الأناشيد حتى أواخر الليل.

د) المستوى المعيشي للعلماء :

اختلفت مستويات العلماء المعيشية من عالم إلى آخر، فمنهم من نال كفايته من السلطان من الرواتب والأعطية والصدقات وغير ذلك من خلال اشتغالهم بأكثر من وظيفة في جهاز الدولة الإداري أو القضائي أو المالي إلى جانب رواتب الوقف التي يتقاضونها نظير مهنة التدريس في المساجد والمدارس والرباطات، ومنهم من كان يتطوع للتدريس دون مقابل[٢]، وقسم ثالث آثر حياة الزهد والتقشف والترغيب في الحرمان من متع الدنيا ومباهجها.

---

١) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص٢٠٣؛ بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٨١.

٢) وهذا الحال ينطبق، في تقديري، على الفقهاء والعلماء الحضارم الذين ينتسبون إلى الأسر الميسورة كآل باحميش، وآل بافضل، وآل بامخرمة .

فقد زاول بعض العلماء أعمالاً أخرى خاصة إلى جانب مهنهم الرئيسة، وهي مهن بعيدة عن وظائف الدولة، وذلك بهدف التكسب وتحسين أوضاعهم المعيشية، ومن هذه الأعمال: الزراعة، والتجارة، والصناعة، حيث كان الشيخ جمال الدين محمد بن إبراهيم المغربي الأندلسي المعروف بالشماع والذي اشتهر آنذاك بفن الأدب، والرسائل، وكتابة الإنشاء وغيرها من العلوم يعمل في صناعة الشمع والبيع والشراء(١)، ولعل التجارة قد جذبت الكثير من علماء عدن لا سيما الوافدين من حضرموت، وإذا جاز لنا القول فإن هؤلاء العلماء كانوا سمة الحياة العلمية والتجارية في العصر الطاهري ، وقد ذكرت المصادر أسماء عديدة يتعذر حصرها في هذا المقام، وهم من آل باحميش(٢)، وأهل دوعن(٣)، وآل بامخرمة(٤)، وآل باشكيل وغيرهم، ومن جهة أخرى كانت التجارة سبباً في عزل القاضي الأجل محمد بن مسعود بن سعد باشكيل (ت٨٧١هـ/١٤٦٧م) عن قضاء عدن حيث انشغل بالبيع والشراء، وعمارة الدور، ثم أصيب ببعض الأمراض التي لم تمكنه من القيام بمهام عمله رغم سعة علمه مما أدى إلى فصله عن القضاء(٥).

وممن آثر حياة الزهد العالم أحمد بن عمر بن عبدالرحمن المزجد (ت٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م)، فعندما أغار المماليك على زبيد تعرض المزجد لإهانات المماليك طمعاً في أمواله بحكم منصبه، إلا أنه كان فقيراً، ولما تحقق حسين الكردي من فقره أطلقه بعد أن كان قد وضع الأثقال في عنقه(٦).

ويتضح من العرض السابق عدة ملاحظات على وضع أرباب الوظائف التعليمية والدينية نجملها فيما يأتي:

أولها: الجمع بين أكثر من وظيفة للفرد الواحد، بمعنى أن الفرد منهم ربما جمع بين وظيفة القضاء أو النظر إلى جانب وظيفة التدريس ؛ والظاهرة الثانية: هي توارث الوظائف وليس في هذا الأمر من غرابة، فقد تخصصت أسر بعينها في شغل وظائف معينة، وخاصة وظيفة القضاء والتدريس، وهذا الأمر راجع إلى علاقة هذه الأسر بالحكام أو إلى شهرتها العلمية التي أتاحت لأفرادها شغل هذه الوظائف، لذلك أصبحت ظاهرة التوريث سمة ذلك

---

١) البريهي، طبقات صلحاء، ص٣٣٨.
٢) تعد هذه العائلة من أعرق العائلات الحضرمية التي لها باع كبير في التجارة، وهي مستمرة بالاشتغال بها حتى العصر الراهن.
٣) ومنهم الفقيه أحمد بن سالم بانقيب الدوعني (ت٩١٠هـ/١٥٠٤م). بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٠١-٣٧٠٢.
٤) ومنهم الفقيه شهاب الدين أحمد بن عبدالله بامخرمة (ت٩١١هـ/١٥٠٥م). بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٠٥-٣٦٠٦.
٥) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٠٣.
٦) العيدروس، النور السافر، ص١٣١.

العصر وربما الذي سبقه، وأصبح أمراً متعارفاً عليه لدى أهل الدولة، كما أن هذه الظاهرة لم تجد معارضة من أهل العلم فنجد الولد يرث والده في الوظائف الكبرى سواء تدريس أو نظارة أو قضاء أو غيرها من الوظائف الصغرى، وهناك عاملان ساعدا على انتشار هذه الظاهرة الأول: هو شرط بعض الواقفين في حجج وقفهم بأن يتولى الوظيفة الابن بعد أبيه إن كان أهلاً للوظيفة، وهذا الشرط قد يفتح الباب أمام ضعاف النفوس ليلحقوا أبناءهم بوظائفهم دون النظر إلى أهليتهم، والعامل الثاني: هو اعتراف الدولة بهذا الوضع أو على الأقل غض الطرف عنه، واعتبر السلاطين والأمراء أن توريث الوظيفة أشبه بتوريث التركة، وأنه من باب الاعتراف بالجميل للعالم الذي يموت عن وظائف تدر رواتب كبيرة أن يتولى ابنه وظائفه حتى وإن كان صغير السن وغير أهل لهذه الوظائف.

كما اتضح أيضاً حجم الدور الذي قام به العلماء والفقهاء داخل المجتمع العدني من خلال مباشرتهم للوظائف العديدة ديوانية كانت أو قضائية أو تعليمية أو دينية، ولذا فقد اتسع نشاطهم واتصلوا بالخاصة والعامة على السواء، وربطتهم علاقات وثيقة بطبقات المجتمع كافة.

ثالثاً- أبرز علماء عدن وفقهاءها :

١- القاضي العالم محمد بن أحمد بن عبدالله باحميش:

ولد سنة ٧٩٨هـ/١٣٩٥م في مدينة غيل باوزير بحضرموت ، وتلقى علوم القرآن على أيدي فقهاء حضرموت، ثم دخل إلى عدن سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م وتتلمذ على أيدي فقهاء عدن ومنهم: الفقيه علي بن عمر بن عفيف الهجراني الحضرمي، والفقيه تقي الدين عمر بن محمد اليافعي، وأجازوا له وأفتى ودرس، واستجاز من الإمام الجزري وغيره من الأئمة الواردين إلى عدن، وأخذ عنه الفقيه عبدالله بن أحمد بامخرمة، والفقيه محمد بن أحمد بافضل، والفقيه محمد بن محمد الموزعي وغيرهم من الأئمة الأعلام[١].

وقد تولى قضاء عدن بعد جمال الدين محمد بن عمر الحريزي سنة ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م ، وقضى في هذه الوظيفة نحو سنتين إذ فصل بالقاضي محمد بن مسعود باشكيل، ولما تولى الطاهريون السلطة ولوه على القضاء الأكبر (قاضي قضاة عدن)، واستمر على ذلك حتى وفاته سنة ٨٦٢هـ/١٤٥٨م[٢]، ووصف بأنه أحد كبار مشاهير العلماء والفقهاء في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، وأحد أعلام الفتوى[٣]. وأبرز مؤلفاته: "شرح الحاوي"[١].

---

١) البريهي، طبقات صلحاء، ص٣٣٤؛ بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٥٩٤.
٢) البريهي، طبقات صلحاء، ص٣٣٤.
٣) باوزير، سعيد، الفكر والثقافة، ص١٣٧.

٢- الفقيه شمس الدين علي بن محمد الحضرمي:

وهو من فقهاء حضرموت، وقد قدم منها إلى عدن ثم سافر إلى مكة، ثم غادر إلى مصر، وقرأ على فقهائها طرفاً من العلوم، وأجازوا له، ثم عاد إلى مدينة زبيد، فقرأ على القاضي جمال الدين الطيب الناشري، واجتهد في تحصيل مختلف العلوم حتى تأهل للتدريس والفتوى، وتولى القضاء بالشوافي أياماً، ثم انتقل إلى دمت فأحسن إليه سلاطين بني طاهر، ومكث عندهم مدة قصيرة، ثم أقام في لحج، ثم انتقل منها إلى عدن وتوفى بها سنة ٨٦٦هـ/ ١٤٦٢م، وأهم مصنفاته: اختصار شرح المنهاج للأذرعي، وجعله في مجلدين[٢].

٣- القاضي العالم محمد بن مسعود بن سعد باشكيل:

ولد بمدينة غيل باوزير سنة ٨٠٤هـ/١٤٠٢م، ونسبه يتصل بالإمام الفقيه محمد بن سعد بن شكيل، وقد وفد إلى عدن سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م، وتلقاه الفقيه العالم محمد بن سعيد كبن، وأقرأه وأنزله في مسجده، وبرع وأفتى ودرّس، وكان ذكياً فطناً لبيباً له معارف جليلة وجزيلة، فقرأ عليه التنبيه، والمنهاج، والحاوي، ولبس الخرقة الشاذلية، ورتب معيداً في المدرسة الظاهرية، وبرع وأفتى ودرّس، واشتهر في المدينة بقراءة الفقه، كما كان ميسور الحال مهتماً بجمع الكتب[٣]، وقد تولى قضاء عدن، ثم فصل بالقاضي باحميش، وأعيد إلى وظيفته في عهد المسعود الرسولي، وأبقاه الطاهريون عند قيام دولتهم . وبالإضافة إلى التدريس والفتوى والأحكام اشتغل بالتجارة وعمارة الدور، ثم أقصي عن القضاء، وتوفى بعدن سنة ٨٧١هـ/١٤٦٧م، وأبرز مصنفاته، شرح المنهاج، وجمع فيه كلام الأسنوي، والسبكي، والأذرعي، وابن النحوي، وشروحهم، ومات والكتاب مسوّدة، فقام بتبييضه حفيده عمر بن عبدالرحمن بن محمد، وفي علم التاريخ له: "تراجم الأولياء الصالحين من أهل اليمن"[٤].

٤- الفقيه بدر الدين سعيد بن أحمد الذبحاني:

وهو إمام فاضل مجوّد ومجتهد بطلب العلوم، اشتغل بالفتوى، ولما طعن في السن كان له ولد اسمه محمد في عشرينيات عمره قيل: "أنه أدرك من نخب العلوم ما لم يدركه أبوه لجودة فهمه وعلو همته، وهو منقطع في طلب العلم والتدريس، وقد يتكلم في علم الهيئة، ولكنه قد يأتي

---

١) السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص٣٢٨.
٢) البريهي، طبقات صلحاء، ص٣٣٣-٣٣٤.
٣) ذكر عنه بأنه قد اشترى من القاضي عبدالعزيز بن القاضي محمد سعيد كبن الكثير من كتب شيخه محمد كبن، وأثاث البيت، واشترى منه داره التي كان يسكنها. بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٠٣.
٤) البريهي، طبقات صلحاء، ص٣٣٦؛ باخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٠٣-٣٦٠٤؛ باوزير، سعيد، الفكر والثقافة، ص٢٠٢؛ الحبشي ، مصادر الفكر، ص٢٠٢-٤٢٣.

بدعوات من التمكن ما لا يصادق عليه"[١]، وكانت وفاة أبيه سنة ٨٧٥هـ/١٤٧٠م فيما كانت وفاته سنة ٨٨٧هـ/١٤٨٢م[٢].

٥- الإمام العالم أبوبكر بن عبدالرحمن بن شراحيل باشراحيل:

وهو محدث حافظ أصل بلده شبام حضرموت، وقد لازم حافظ اليمن يحيى بن أبي بكر العامري (ت٨٩٣هـ/١٤٨٨م) وقرأ عليه في الحديث، وصار فيه ماهراً، وله مشاركة في غيره من العلوم كالفقه والنحو، وكانت وفاته سنة ٨٨٨هـ/١٤٨٣م، ودفن بقرية الحمراء بلحج، وقد صنف كتباً على البخاري ومسلم والموطأ على نهج مشارق الأنوار للقاضي عياض سماه: مفتاح السُنة، وزاد فيه زيادات من القاموس وغيره، وهو كتاب مفيد في فنه[٣].

٦- القاضي محمد بن عبدالله الناشري:

قدم عدن وقرأ على القاضي محمد بن حسين القماط، وولي قضاء لحج مدة، ثم عزل عنه، فلزم بيته في عدن إلى أن مات سنة ٩٠٠هـ/١٤٩٥م[٤].

٧- الإمام العالم أبو الطيب عبدالله بن أحمد بن علي بن أحمد بامخرمة:

ولد بالهجرين سنة ٨٣٣هـ/ ١٤٣٠م، وحفظ القرآن وله نحو عشر سنين، وقد دخل عدن لطلب العلم فقصد القاضي محمد باحميش وقرأ عليه، وأجاز له إجازة عامة، وقرأ النحو على الفقيه ابن أزهر (ألفية ابن مالك)، وقرأ على القاضي محمد باشكيل الكثير من كتب الحديث، والتفسير وأجاز له في جميع أنواع العلوم، وزوجه القاضي باشكيل بابنته، وقرأ على الفقيه البرحمي كتاب المصابيح، وأجازه فيه، ثم عاد إلى شبام حضرموت فأجازه عالمها الإمام باهرمز إجازة عامة، وولي قضاء عدن مدة، ثم فرَّ منه متبرماً متخفياً إلى الشحر، ثم عاد إلى عدن، وقرأ عليه عدد من الطلاب، واستفادوا منه حتى صاروا أئمة منهم: الإمام عبدالله بن عبدالرحمن بافضل، والفقيه عمر بن أحمد باكثير، والفقيه علي بن زيد الشرعبي وغيرهم، وكان بامخرمة مفتي عدن ومدرسها، وصار يرجع إلى قوله وفتواه في زمن مشايخه، وتوفي في شهر محرم سنة ٩٠٣هـ/١٤٩٨م بمدينة عدن، وأهم مؤلفاته: نكت على جامع المختصرات للنشاي، ومجموعة فتاوى مرتبة على أبواب الفقه، وتأليف لطيف يذكر فيه المسائل التي ذكرها في غير

---

١) البريهي، طبقات صلحاء، ٣٣٥-٣٣٦.
٢) المصدر نفسه ، ص٣٣٦ ؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٣٥٥، ج٧، ص٤٥٠.
٣) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٣٨.
٤) المصدر نفسه والجزء ، ص٣٦٥٢.

مظنتها على نمط (خبايا الزوايا) للزركشي، وله كتاب نكت على ألفية ابن مالك في النحو، وشرح على ملحة الحريري، وشرح منظومة ابن ياسمين في الجبر والمقابلة[١].

٨- الإمام العالم الفقيه جمال الدين محمد بن أحمد بافضل:

ولد بتريم سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٧م ونشأ في طلب العلم، وأخذ عن القاضيين باحميش وباشكيل، وقد أفتى وتصدر للتدريس وسنه قريب من الثلاثين، وغلب عليه الورع والقناعة، وكان فقيهاً مجوداً محققاً مثبتاً لا ينظر للوظائف، وقريب من طلاب العلم، لا ينفك عن مراجعة الشروح، ولا يترك النظر في تدقيق المسائل وتجبيرها بمشكاة الفتوى، وهو إلى جانب عبدالله بامخرمة كانا إمامي عدن وعمدتي فتواها، وذكر أنه اعترض على الغزولي في جواب بعض المسائل، وأجمعت الناس على فضله وعلمه، ولقب بمفتي المسلمين؛ لأن مدار الفتوى كانت تقع عليه في عدن وما جاورها من البلاد وقد توفي بعدن في شهر شوال سنة ٩٠٣هـ/١٤٩٨م[٢]، ومن مؤلفاته: المقدمة الحضرمية في فقه السادة الحضرمية، ومختصر في الفقه، شرحه جماعة من العلماء منهم ابن حجر الهيثمي، ومحمد بن سليمان الكردي بعنوان: المواهب المدنية، ومختصر الأنوار للأردبيلي ويسمى: نور الأبصار، وشرح البرماوية، والعدة والسلاح لمتولي عقود النكاح، وكشف الحجاب ولب الألباب لذوي الألباب، وحلية البررة في الحج والعمرة، وفي علوم اللغة والبيان له: الغيث الهمل شرح المدخل في المعاني والبيان لعضد الدين الأيجي، وله كتاب موضوع على تراجم البخاري يذكر فيه وجه مناسبة الترجمة للحديث، وله رسائل جمة في العمل بالربع المجيب[٣].

٩- الفقيه حسين بن الصديق بن حسين بن عبدالرحمن الأهدل:

ولد بأبيات حسين سنة ٨٠٥هـ/١٤٠٣م ، ونشأ بنواحيها، اشتغل بالفقه على الفقيهين أبي بكر بن قعيص وأبي القاسم بن عمر بن مطير، وفي زبيد اشتغل بالفقه على عمر الفتى ، وفي الأدب على علي بن الزين الشرجي، وأخذ عن الحافظ يحيى العامري وبحث عليه المنهاج، ولازم السخاوي في مكة المكرمة، ودخل عدن وحط في رباط الشاذلية، وصاهر الكُتّاب بني إسحاق، ودرس في الحديث والفقه والنحو في جامع عدن وفي بيته، وانتفع به جمع غفير من

---

١) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٨٩-٣٦٩١؛ باسنجلة، العقد الثمين، ص٢١؛ الحبشي، مصادر الفكر، ص٢٠٧-٣٨٠.

٢) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص٤٦؛ بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٩٢-٣٦٩٣؛ شنبل، تاريخ حضرموت، ص٢١٥؛ باسنجلة، العقد الثمين، ص٢٢.

٣) العيدروس، النور السافر، ص٢٧؛ الحبشي، مصادر الفكر، ص٢٠٦-٢٠٧، ٣٨٠.

طـلاب العلـم، وكانـت وفاتـه فـي شـهر ذي القعـدة سـنة ٩٠٣هــ/١٤٩٨م ، ودفـن بتربـة أهلـه بالشاذلية[١]، وأهم مصنفاته: ارتياح الأرواح في ذكر الله الكريم الفتاح[٢].

١٠- الفقيه عبدالله المعروف بالعمودي بن عبدالله بن أحمد بامخرمة:

ولد بعدن سنة ٨٨١هـ/١٤٧٦م، وحفظ القرآن غيباً وهو دون العشر سنوات، واشتغل على الفقيه أحمد بن علي أحمد بامخرمة علم الحساب فجوده في مدة يسيرة، وقرأ على والده وعلى أخويه الفقيه أحمد والطيب أبناء عبدالله بامخرمة، وله معرفة جيدة باللغة والنحو، وشعره جيد جداً، وقد دخل صنعاء وامتدح الإمام محمد بن الناصر بقصيدة فائقة، ثم تقدم إلى جازان وقد هيأ قصيدة يمدح بها الشريف أحمد بن دريب صاحب جازان، ومات في حرض قبل أن يصل إلى جازان وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ٩٠٣هـ/ ١٤٩٨م، ولم يترك غير ديوان شعر[٣].

١١- الفقيه أحمد بن سالم بانقيب الدوعني:

قدم من بلده إلى عدن لطلب العلم، فنقل كتاب المنهاج، وقرأ في كتب الفقه والحديث والتفسير على الشيخ جمال الدين محمد بن أحمد بافضل، وانتفع به كثير، ولشدة إعجابه به قدمه على الطلاب، بل وجعله ناظراً عليهم، وحصل كتباً كثيرة، وأفتى ودرّس، وانتفع به جمع من الطـلاب، واشـتغل بالتجـارة إلـى جانـب التـدريس والفتـوى حتـى وفاتـه بعـدن سـنة ٩١٠هــ/ ١٥٠٤م[٤].

١٢- الفقيه أحمد بن عبدالله بلعس اليافعي:

اشتغل كثيراً على الشيخ جمال الدين محمد بن أحمد بافضل، وقرأ عليه كتب الفقه والحديث وغير ذلك، كما قرأ على الفقيه أبو الطيب بامخرمة الحساب والفرائض، وكان ذكياً لبيباً حسن الأخلاق لطيف المعاشرة، ولما ابتنى الشريف علي بن سفيان مدرسته بعدن رتب فيها مدرساً في الفقه والحديث، وكان له نغمة حسنة، وراجلة مليحة في قراءة الحديث، وقد امتلك كتباً كثيرة وكان يعيرها لمن أراد، وقرأ عليه جمع من الطلاب وانتفعوا به، وتوفى بعدن في شهر ذي الحجة سنة ٩١٠هـ/١٥٠٤م[٥].

---

١) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٩٢؛ باسنجلة، العقد الثمين، ص٢٢؛ العيدروس، النور السافر، ص٢٧-٢٨.
٢) الحبشي، مصادر الفكر، ص٢٨٣.
٣) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٩٣-٣٦٩٤؛ باسنجلة، العقد الثمين، ص٢٣.
٤) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٠١-٣٧٠٢.
٥) المصدر نفسه والجزء، ص٣٧٠٢.

١٣- الفقيه شهاب الدين أحمد بن عبدالله بامخرمة:

وهو من مواليد مدينة عدن سنة ٨٦٦هـ/١٤٦٢م ، وحفظ بها القرآن الكريم، وقرأ على والده الحساب والجبر والمقابلة والفرائض حتى تمكن منها، وتزوج بابنة شيخه الإمام جمال الدين محمد بن أحمد بافضل، كما اشتغل على والده في الفقه، وقرأ عليه كتاب التنبيه وبعض المنهاج، ثم توقف عن تحصيل العلم واشتغل بالتجارة، وكاد يموت غرقاً في البحر قريباً من هرمز، فعاد إلى عدن للاجتهاد في طلب العلم، وشرع في نقل جامع المختصرات قراءةً وحفظاً، وجد واجتهد، ودرس الفقه في المدرسة المنصورية بعدن وبالظاهرية في الحديث، وقرأ على والده صحيح مسلم، ودرّس وأفتى شاباً، ولم يضع خطة على فتوى إلا في الفرائض، كما قرأ عليه أخوه الطيب التنبيه، والمنهاج، وعدداً من كتب الحديث، وبه تخرج، ولم يزل مشتغلاً بالعلم تدريساً وتحصيلاً وتصنيفاً إلى أن مات بعدن سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٥م، وأهم مؤلفاته: شرح على جامع المختصرات، ونكت وأشياء في الحديث، ومات وهي مسوّدة[١].

١٤- الشريف أبوبكر بن عبدالله بن أبي بكر باعلوي العيدروس:

ولد بتريم في سنة ٨٥٠هـ أو أوائل ٨٥١هـ/١٤٤٧م، تفقه على والده (ت٨٦٥هـ/ ١٤٦١م) وعوده أبوه على تحقيق كتب العلم، وحفظ القرآن، فحقق في السلوك (بداية الهداية) و(منهاج العابدين)، وفي الفقه (منهاج الطالبين) و(الخلاصة) وكلها للغزالي، وبعد وفاة أبيه اشتغل على عمه الشيخ علي بن أبي بكر في (الإحياء)، وقرأ عليه (عوارف المعارف) للسهروردي، وأجازه في جميع مروياته وأسانيده، وزوجه بنته في حياة والده، ومن أبرز شيوخه: الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بلحاج بافضل، والشيخ إبراهيم بن محمد باهرمز، والشيخ محمد بن أحمد بافضل، والشيخ عبدالله بن أحمد بامخرمة، والشيخ أحمد بن عمر المزجد، والشيخ يحيى العامري، والشيخ مقبول الزيلعي، والشيخ محمد بن عبدالرحمن السخاوي، والشيخ أحمد بن أحمد الشرجي[٢]، وقد نال إحسان السلطان المنصور عبدالوهاب بن داود، وكان السلطان الظافر عامر (الثاني) يعتقد فيه اعتقاداً عظيماً على غيره من سائر الناس ولا يرد له شفاعة، وحظي باحترام وتوقير الأمير مرجان الظافري والي عدن، حيث كان الشيخ أبوبكر العيدروس من كبار رموز الصوفية وأشهر الأولياء في عصر الدولة الطاهرية.

وقد اتسعت دائرة الأخذ والتلقي عن الشيخ أبي بكر العيدروس من سائر مناطق اليمن والحجاز وزيلع وغيرها من البلاد التي زارها، وأبرز تلامذته ومريديه: الشيخ عبدالرحمن علي

---

١) باهخرمة، قلادة النحر، ج٣ ، ص٣٧٠٤.

٢) المصدر نفسه والجزء ، ص٣٧٠٥؛ العيدروس، النور السافر، ص٧٧-٧٨؛ المشهور، جلاء الهم، ص٤١-٦٦.

السكران، والشيخ عمر بن عبدالله العيدروس وأخواه الشيخان شيخ والحسين بن عبدالله، وابنه الشيخ أحمد (المساوى) بن أبي بكر، والشيخ محمد بن عمر بحرق، والشيخ الحسين بن الصديق الأهدل، والشيخ محمد بن أحمد باجرفيل، والشيخ عبدالله باقشير، والشيخ جوهر بن عبدالله الحبشي[١] ، وكانت وفاته بعدن سنة ٩١٤هـ/١٥٠٨م وقبره يقصد للزيارة والتبرك من الأماكن البعيدة حتى العصر الراهن، ومن تصانيفه: تصنيف شريف واف شاف سماه: الجزء اللطيف في علم التحكيم الشريف، وذكر فيه ما ورد في إلباس الخرقة وأقسامها وغير ذلك من عادات وتقاليد الصوفية، وله ديوان شعر[٢].

١٥- الإمام الفقيه عبدالله بن محمد بن أحمد بافضل:

وهو فقيه صوفي، اشتغل على والده بتحصيل العلوم، فأخذ عنه الحديث والفقه، كما أخذ عن العلامة الشيخ عبدالله بن أحمد بامخرمة الأصول والفروع ، وأجيز بالتدريس، وانتصب بعد وفاة أبيه للتدريس في عدن بمسجد المدرسة، وولي عدة مدارس، وانتفع به أهل عدن وغيرهم من الواردين، وكانت وفاته بعدن سنة ٩٤٢هـ/١٥٣٥م[٣].

١٦- الفقيه العلامة الطيب بن عبدالله بن أحمد بن علي بامخرمة:

وهو عفيف الدين أبو محمد الطيب بن عبدالله بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن أحمد بن إبراهيم بامخرمة الحميري السيباني الهجراني الحضرمي العدني الشافعي، وأصله من الهجرين في حضرموت، وقد رحل أبوه إلى مدينة عدن التي ولد فيها الطيب بامخرمة في ١٢ ربيع الآخر سنة ٨٧٠هـ/١٤٦٦م، وتلقى العلم فيها عن والده وغيره من علماء عدن وزبيد كالفقيه محمد بن أحمد بافضل، والقاضي محمد بن حسين القماط، والقاضي أحمد بن عمر المزجد، وأجيز في الإفتاء والتدريس[٤].

وقد برع وتفنن في عدد من العلوم كالفقه والتفسير والحديث والنحو والتاريخ، حيث كان من أحسن الفقهاء تدريساً، وأصبح يشار إليه بالبنان في الفتوى في عدن إلى جانب القاضي محمد بن عمر باقضام، وكان توليه القضاء سنة ٩٣٤هـ/١٥٢٨م، وكان سبب قبوله لهذه الوظيفة هو إلحاح السلطة الطاهرية، وأنه كان كثير العيال فاضطر للقبول على كبر سنه[٥]، وكان لنشأة الطيب بامخرمة في أسرة علمية أثر في تكوين شخصيته الفكرية بالإضافة إلى

١) المشهور، جلاء الهم، ص٦٧-٩٦ ؛ يعتقد أن هناك شخصين يحملان الاسم ذاته، أحدهما البهاء جوهر بن عبدالله العدني وهو المتقدم زمناً (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) والمدفون بجوار مسجده المعروف بعدن، والآخر وهو المتأخر زمناً والمعروف بالحبشي، وهو الذي أخذ عن الشيخ العيدروس.
٢) العيدروس، النور السافر، ص٨٣.
٣) المصدر نفسه ، ص١٧؛ الشلي، السناء الباهر، ص٣١٠.
٤) العيدروس، النور السافر، ص٢٠٤.
٥) الشلي، السناء الباهر، ص٣٥٠.

الحراك العلمي والثقافي الذي اتصفت به حياة العائلات الحضرمية في مدينة عدن، وهو ما ولد لبامخرمة الشعور بروح المنافسة وفرصة للإبداع والتألق، وكانت وفاته بعدن سنة ٩٤٧هـ/١٥٤٠م[١].

ويعد بامخرمة من أبرز أعلام معاصريه في مجال التأريخ لمدينة عدن ولا يقل كفاءة عن الحافظ عبدالرحمن بن الديبع مؤرخ الدولة الطاهرية، وأهم مؤلفاته:

- شرح صحيح مسلم[٢].
- أسماء رجال مسلم[٣].
- النسبة إلى المواضع والبلدان[٤] ويُقرأ أيضاً مشتبه النسبة إلى البلدان[٥].
- قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر ، وهو ثلاثة أجزاء، ألفه بامخرمة سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م[٦].
- تاريخ ثغر عدن، ويحتوي على جزئين: الأول في ذكر مدينة عدن، وما جاء عنها في آيات الذكر والأحاديث والأشعار والآثار، وقدم المدينة، ودورها وجبالها وأعمالها مقتفياً أثر ابن المجاور صاحب كتاب المستبصر، وأضاف إليه ما استجد من بعده، والقسم الآخر خصص لتراجم الملوك والأمراء والتجار والعلماء والصلحاء[٧].

١٧- القاضي العلامة محمد بن عمر باقضام بامخرمة:

ولد بالهجرين في حضرموت، ونشأ بها وحفظ القرآن، ثم رحل إلى عدن وأخذ عن العلامة محمد بن أحمد بافضل، والعلامة عبدالله بن أحمد بامخرمة، ثم رحل إلى زبيد وأخذ عن العلامة أحمد بن عمر المزجد، والقاضي محمد بن حسين القماط، ولازمهما مدة قضائهما بعدن، وقد جد في الفقه حتى فاق أقرانه، وصار بعدن بعد موت إماميها (بافضل وبامخرمة) المشار إليه بالإفتاء، وقصده الناس بالفتاوى من كل البلاد، إلا أن العلامة عبدالله بن عمر بامخرمة قال عنه:" لكنه كان يتساهل في الفتاوى، ويترك المراجعة لا سيما في أواخر عمره، فاختلفت أجوبته، وتناقضت فتاويه"[٨]، وله فتاوي، اعتمد عليها علي بن عمر باكثير في فتاواه[٩].

---

١) العيدروس، النور السافر، ص٢٠٤.
٢) المصدر نفسه ، ص٢٠٦.
٣) المصدر نفسه والصفحة.
٤) الحبشي، مصادر الفكر، ص٤٢٩.
٥) العيدروس، النور السافر،ص٢٠٦.
٦) الحبشي، مصادر الفكر، ص٤٢٩ .
٧) المرجع نفسه ، ص٤٢٩.
٨) العيدروس، النور السافر، ص٢١٤-٢١٥؛ الشلي، السناء الباهر، ص٣٦٨.
٩) الحبشي، مصادر الفكر، ص٢٠٩.

١٨- العلامة عبدالله بن عمر بن عبدالله بن أحمد بامخرمة:

هو شيخ الإسلام، ومفتي اليمن، ولد سنة ٩٠٧هـ/١٥٠٢م ، أخذ العلم عن والده الفقيه عمر وعمه القاضي الطيب الذي استنابه في التدريس في المدرسة المنصورية والمدرسة الظاهرية، كما أخذ عن القاضي عبدالله بن أحمد باصرومي، وأخذ من الحرمين الشريفين عن نور الدين السمهودي وأبي الحسن البكري، والشيخ محمد بن عراق، ومن زبيد أخذ عن أبي العباس أحمد بن محمد الطبنداوي، وصفي الدين أحمد المزجد، والحافظ عبدالرحمن بن الديبع[١]، وقد أتقن علم الأصول، والتفسير، والحديث، والفقه، والتصوف، والمعاني، والبيان، وعلوم العربية من لغة ونحو وصرف، واشتقاق، وعلم العروض والقافية، وعلم الفرائض، والحساب، والجبر، والمقابلة، وعلم الهيئة، والفلك، والميقات، وعلم البحر، وأتقن علم الطب، والتواريخ والأنساب، وأخبار العرب وأنسابها والسير[٢]، وأجازه أكثر مشايخه في الإفتاء والتدريس، ودرس في حضرموت والشحر، وعدن، والحرمين، وزبيد، وتعز، وكان العلماء لا يفتون والعلامة عبدالله موجود معهم[٣]، وولي النظر والتدريس بالمدرستين المنصورية والظاهرية، والمدرسة الفرحانية، وتدريس الجامع[٤]، وكانت وفاته بمدينة عدن سنة ٩٧١هـ/١٥٦٤م[٥].

وأهم تصانيفه: شرح العدة والسلاح وسماه المصباح، وشرح الرحبية، ورد على ابن عربي بكتاب سماه: حقيقة التوحيد وصحيح الاعتقاد في تكفير طائفة الوحدة والاتحاد، ورسالة في القهوة، ورسالة سماها: التنبيهات على بيان الفضيحة الواقعة في النصيحة، وله الفتاوى الصغرى الهجرانية، والفتاوى الكبرى، وله أيضاً تأليف لطيف فيما يحتاج إليه في معرفة الأوقات، وسمت القبلة، ومعرفة الساعات، وله رسالة في علم الحساب تتعلق بالبيوع، والضمان، والإقرار، والوصايا، والصداق، والعتق مأخوذة من علم الجبر والمقابلة، وله تأليف في علم المساحة، وله تكميل وتذييل على طبقات الأسنوي، بيّضه ولده علي زين العابدين وسماه: رشف الزلال الروي في التكميل والتذييل على طبقات الأسنوي، وله رسالة في اختلاف المطالع واتفاقها، وله الجداول المحققة المحررة في علم الهيئة، وكان فصيحاً بليغاً في النظم

---

١) الشلي، السناء الباهر، ص٤٧١.
٢) المصدر نفسه والصفحة .
٣) المصدر نفسه، ص٤٧٢.
٤) المصدر نفسه، ص٤٧٣.
٥) المصدر نفسه، ص٤٨٦.

والنثر الفائق، والمديح، والترسل، ونظم عدداً من القصائد في مدح الرسول ﷺ والسلاطين والملوك والأولياء الصالحين[١].

ومثلما أخذ أعلام عدن العلم عن مشايخ من مناطق اليمن المختلفة، فإن مدينة عدن كانت هي الأخرى، مركزاً علمياً لا يقل أهمية عن تلك المراكز المشهورة آنذاك، ولطالما شد طلاب العلم رحالهم إليها، لينهلوا من مشاهير أعلامها مختلف العلوم، حتى صاروا بعد عودتهم إلى ديارهم أعلاماً ومنهم:

١- الشيخ علي بن أبي بكر بن عبدالرحمن السقاف (ت٨٩٥هـ/١٤٩٠م):

ولد بتريم سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م، وتفرغ لعلوم الصوفية، ورحل إلى عدن فأخذ عن القاضي محمد باشكيل وغيره من العلماء، ومن تصانيفه: معارج الهداية إلى ذوق جني ثمرات المعاملات في النهاية في التصوف، والبرقة المشيتة في ذكر الخرقة الأنيقة وشيوخ أهل الطريقة[٢]، وهما في التصوف، وله في الأدب والنحو: ديوان شعر[٣]، وكتاب في قواعد النحو[٤].

٢- القاضي العلامة يوسف بن يونس بن يحيى الجبائي (ت٩٠٤هـ/١٤٩٩م):

كانت نشأته في زبيد ودرس عن علمائها الفقه، ثم رحل إلى عدن وأخذ بعض العلوم عن محمد بن سعيد كبن، وقد تولى قضاء الأقضية في اليمن، وكان عمدة الفتوى، وعالماً محققاً ومطلعاً حسن الاستنباط، وعمل بالتدريس، وتخرج على يديه عدد من الأعلام أبرزهم شهاب الدين أحمد بن عمر المزجد[٥].

٣- الفقيه عبدالله بن عبدالرحمن بالحاج بافضل (ت٩١٨هـ/١٥١٢م):

ولد بتريم حضرموت سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٦م، ثم رحل إلى الشحر وعدن ومكة، ثم عاد إلى تولي القضاء بالشحر، ومن مؤلفاته في التصوف: لوامع الأنوار وهدايا الأسرار وودائع الأبرار في فضائل القائم بالأسحار، والحجج القواطع في معرفة الواصل والقاطع، وحلية البررة في أذكار الحج والعمرة، وله أيضاً مختصر الأذكار للنووي[٦].

---

١) الشلي، السناء الباهر ، ص٤٧٣-٤٧٦.
٢) الحبشي، مصادر الفكر، ص٢٨٣.
٣) المرجع نفسه، ص٣٢٩.
٤) المرجع نفسه، ص٣٨٠.
٥) العيدروس، النور السافر، ص٣٨.
٦) الحبشي، مصادر الفكر، ص٢٨٤.

٤- العلامة محمد بن عمر بن مبارك بن عبدالله بحرق(ت٩٣٠هـ/١٥٢٤م):

ولد سنة ٨٦٩هـ/١٤٦٥م في حضرموت ونشأ بها، فحفظ القرآن وعلم الفقه والأصول وقواعد اللغة وكان شيخاً في اللغة والنحو والإعراب، وأخذ عن الفقيه محمد بن أحمد باجرفيل، وفي عدن أخذ عن الشيخين المشهورين عبدالله بن أحمد بامخرمة وصاحبه الشيخ محمد بن أحمد بافضل، وعن علماء زبيد أخذ التفسير والنحو عن العلامة جمال الدين محمد بن أبي بكر الصائغ، كما أخذ التصوف عن الشريف حسين بن عبدالرحمن الأهدل، والشيخ أبي بكر بن عبدالله العيدروس[١]، وفي الحجاز أخذ عن كبار علمائها ومنهم الحافظ السخاوي[٢].

وإلى جانب علمه الغزير وموهبته الشعرية عرف بحرق بأنه قائد عسكري إذ كان أحد عمال السلطان بدر أبو طويرق في حضرموت، كما تصدى للتدريس والإفتاء وتولى قضاء الشحر[٣]، وتكررت زيارته إلى عدن ولقي فيها ترحاباً من أميرها مرجان الظافري الذي قربه إليه في دار الإمارة، وعقب وفاة الأمير مرجان غادر بحرق إلى الهند وفيها مات سنة ٩٣٠هـ/١٥٢٤م[٤]، ولبحرق إنتاج علمي متميز منه ثلاثون مؤلفاً في التوحيد، والفقه والتصوف، وعلم القراءات، والنحو والصرف، والطب، والحساب، والميقات، والعروض، ونورد هنا أهمها على النحو الآتي:

- عقد الدرر في الإيمان بالقضاء والقدر.
- ذخيرة الأخوان من كتاب الاستفتاء بالقرآن.
- العقد الثمين في إبطال القول بالتقبيح والتحسين.
- التبصرة الأحمدية في السيرة النبوية.
- العروة الوثيقة في الشريعة والطريقة والحقيقة[٥].
- العقيدة الشافعية في شرح القصيدة اليافعية.
- مختصر الناشري في علم القراءات.
- شرح الجزرية في علم التوحيد[٦].
- أرجوزة في الطب وشرحها.

---

١) كانت أم الفقيه بحرق من جواري الشيخ عبدالله العيدروس، فكانت سبباً فيما أصابه ابنها من آل العيدروس من الذكاء والنجابة والكرامات العديدة. العيدروس، النور السافر، ص١٣٩.
٢) العيدروس، النور السافر، ص١٣٥؛ باوزير، سعيد عوض، صفحات من التاريخ الحضرمي، مكتبة مركز الدراسات والبحوث التربوية، عدن، مكتبة الثقافة، عدن، د. ت، ص١٤٢.
٣) العيدروس، النور السافر، ص١٣٦.
٤) المصدر نفسه والصفحة.
٥) المصدر نفسه ، ص١٣٦.
٦) المصدر نفسه والصفحة.

- أرجوزة في الحساب وشرحها.
- مختصر ابن مالك.
- رسالة في علم الميقات.
- البهجة في تقويم اللهجة.
- شرح على منظومة في العروض[١].

٥- الفقيه عمر بن عبدالله بن أحمد بامخرمة (ت٩٥٢هـ/١٥٤٥م):

ولد سنة ٨٨٤هـ/١٤٧٩م في الهجرين بحضرموت ونشأ بها وتربى، وارتحل في سن البلوغ إلى مدينة عدن عند أبيه الذي كان حينها قاضيها ومفتيها، فأخذ عنه، ولازم شيوخ عدن مجتهداً في تحصيل علوم الفقه، والتفسير، والحديث، والنحو والصرف، واللغة والبيان، ولاسيما العلامة محمد باجرفيل، والشيخ أبي بكر بن عبدالله العيدروس، ثم عاد إلى حضرموت ولازم الشيخ سهل بن عبدالله بن إسحاق، والشيخ عبدالرحمن باهرمز وأخذ عنهما التصوف وصار حاملاً للوائه، كما أخذ عن جماعة من أعلام زبيد وعدن[٢].

والى جانب العلوم الشرعية اشتغل الفقيه عمر بالفنون الأدبية ونظمه في الشعر كثير جداً، يشتمل على كثير من إشارات الصوفية واصطلاحاتهم، ومسائلهم الدقيقة، وعليه حلاوة وفيه طلاوة، على غناء أهل الجهة (حضرموت) وأصواتهم، ويقال له عندهم: الدان[٣]، وشعره كثير يحتوي على مجلدات، ومع هذا يحفظه أهل حضرموت، ويتمثلون به، وهو سلس الألفاظ قريب المعاني يفهمه كل أحد بحسب حاله في المحبة المجازية ونحو ذلك، ويشتمل على كثير من الأمثال المتداولة بينهم[٤].

وقال الشلي عنه: "وكان آخر عمره على سيرة شيخه عبدالرحمن باهرمز من جمع النساء الحسان والسماع، وهذه هفوة في حقهما نسلِّم لهما حالهما كغيرهما ممن وقع له نحو ذلك من الشطح ونحوه مما لا يبيحه الشرع، وينفر عنه أهل الكمال، فلا يجوز لأحدٍ الاقتداء بهم"[٥].
بهم"[٥]. ومن مؤلفات الفقيه عمر ما يأتي:

- الوارد القدسي في شرح آية الكرسي[٦].

---

١) انظر عن هذه المصنفات وغيرها ممن لم نذكر: العيدروس،النور السافر، ص١٣٦.
٢) الشلي، السناء الباهر، ص٣٧٨-٣٨٠؛ ابن عقيل، عمر بامخرمة، ص٩٥.
٣) الدان: هو نغم ولحن له أصوله، وجذوره، وتفعيلاته، وأوزانه، ونغماته الملحنة، وينطلق من الدندنة أو الهمهمة، ويرتبط بمقاطع شعرية أو لحن أو نغم معين، وبمعنى آخر، فإن الدان الحضرمي هو جمل موسيقية تساعد في عملية وضع قوالب الألحان والأنغام المختلفة للأغاني الشعبية، والعادة أن النغم والتلحين يسبقان الشعر في أغاني الدان الحضرمي.ابن عقيل ، عمر بامخرمة ، ص٨٨ .
٤) باسنجلة، العقد الثمين، ص٩٠؛ العيدروس، النور السافر، ص٣٣.
٥) السناء الباهر، ص٣٨٣.
٦) ابن عقيل، عمر بامخرمة، ص١٠٩.

- شرح أسماء الله الحسنى[١]، مع إيجاز واختصار عجيب[٢].
- المطلب اليسير من السالك الفقير.
- مجموعة من الوصايا والرسائل.
- ديوان شعر[٣] نظمه بالشعر الحميني[٤].

٦- الإمام محمد بن علي علوي المشهور بـ(خرد) (ت٩٦٠هـ/١٥٥٣م):

أخذ عن علماء حضرموت، وأجازوا له في الحديث والفقه وألبسوه خرقة التصوف، ثم رحل إلى عدن وأخذ عن الشيخ أبي بكر العيدروس، ثم غادر إلى زبيد وأخذ عن الحافظ عبدالرحمن بن الديبع والحافظ يحيى العامري، كما أخذ عن العلامة أحمد بن عمر المزجد، وله مصنفات عدة منها: الوسائل في الحديث، والنفحات في التصوف[٥]، وغرر البهاء[٦].

٧- السيد جمال الدين محمد بن أبي بكر الشلي باعلوي (ت٩٦١هـ/١٥٥٤م):

ولد في حضرموت ونشأ بها، ثم رحل إلى عدن وأخذ عن شيخها محمد بن أحمد بافضل وصاحبه عبدالله بن أحمد بامخرمة[٧].

ويتضح مما سبق إيراده أن عدن في العصر الطاهري شهدت نهضة علمية بدت واضحة من خلال حركة التأليف الواسعة في علوم الفقه، والحديث، والتصوف، والفلك، واللغة والنحو، منها ما كان شروحاً أو تجميعاً أو مختصرات لكتب سابقة، على أن مصنفات التصوف قد أظهرت وبحق قدرات علماء عدن وإبداعهم في التأليف، فيما تميز علم التاريخ وفاق أقرانه من العلوم على يد الطيب بامخرمة، ولاعجب في ذلك فقد شهد هذا العلم نهضة نوعية على أيدي معاصريه ليس في اليمن[٨] فحسب، بل في مختلف الأقطار الإسلامية[٩].

---

١) ابن عقيل، عمر بامخرمة، ص١٠٩ .
٢) باسنجلة، العقد الثمين، ص٩٠.
٣) ابن عقيل، عمر بامخرمة، ص١٠٩.
٤) الشعر الحميني، يقصد به الشعر الشعبي الذي يتقبله ويفهمه عامة الناس، وهو أكثر قيمة جمالية من الشعر الحكمي الملتزم بصرامة الأوزان وبحور الشعر، وأبرز خصائصه مجافاته للإعراب، ويجعل قارئه في غير حاجة إلى رفع الفاعل ونصب المفعول. ابن عقيل، عمر بامخرمة، ص٨٢.
٥) الشلي، السناء الباهر، ص
٦) العيدروس، النور السافر، ص٢٢٦.
٧) الشلي، السناء الباهر، ص٤٣٠.
٨) من أهل اليمن: حسين بن صديق الأهدل، وأحمد بن عبدالله شنبل، والداعي الإسماعيلي عماد الدين إدريس بن الأنف، ويحيى بن أبوبكر العامري.
٩) من الأقطار الإسلامية: ابن تغرى بردى، وشمس الدين السخاوي، وجلال الدين السيوطي.

رابعاً – الحياة الأدبية في عدن:

اعترى الحياة الأدبية في عصر الدولة الطاهرية شيء من الضعف والركاكة، وربما يعود السبب في ذلك إلى اضطراب الأحوال السياسية التي رافقت هذا العصر، إذ لم تشهد الدولة الاستقرار والرخاء إلا سنوات قليلة من عمرها التاريخي، مما قلل من مستوى الإنتاج الأدبي عموماً والانصراف إلى الشعر والنثر الصوفي، حتى صار بذلك سمة الحياة الأدبية في ذلك الوقت.

وقد كان للحراك العلمي والفكري الذي قام بين عدن وحضرموت أعظم تأثير على مدينة عدن ليس من الناحية الاجتماعية والدينية فحسب، بل طغى تراث الحضارم الأدبي والفكري على الحياة الأدبية بصفة عامة، وغدت مدرسة عدن الأدبية نسخة مطابقة للمدرسة الصوفية الحضرمية بأساليبها ومضامينها وتراكيبها اللغوية وغير ذلك، ولذلك فإننا في هذا المقام عندما نتحدث عن الشعر والنثر في عدن، فالمقصود به الشعر والنثر الصوفي الذي ساد وحاز الحياة الأدبية بشكل عام.

١- الشـعـر:

تميز شعراء عدن الصوفيون بوجدان راق، وأسلوب رصين، وكلمات ذات مدلول ليست كظاهرها، لا سيما في عرض المسميات الحسية كالسكر، والخمر، والكؤوس، وسهام العين، وهند، وليلى، ولبنى، وغيرها، فالخمرة عندهم والسكر هما نشوة الذكر والفكر، بينما الكؤوس هي إشارة للسبب المؤدي إلى النشوة، والرموز الأنثوية عبارة عن غرض مقتضى الحال الذي يعتري الشاعر عند تعبيره، وفي مجملها تدور في مستوى الجمالية الوجدانية، وإفراغ معانيها الحسية في مستوى اللذة الظاهرة لتعبر عن شعور راق، غلب على الجوارح(١)، وليست كل قصائد الصوفية على هذا النمط الغزلي، بل نظمت قصائد ذات أغراض أخرى كالوعظ، والمفاخرة ، والوصايا، والمدح والرثاء، والتوسل وغير ذلك، والنصوص الشعرية التي سادت هذا العصر ثلاثة أنواع، ويمكن إيرادها فيما يأتي:

أ) العربيـات:

وهو الشعر المنظوم باللغة العربية الفصحى، ومنه ما جاء في نظم الشيخ أبي بكر بن عبدالله العيدروس إبان قدوم السلطان الظافر عامر (الثاني) إلى عدن سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م، حيث اقترح السلطان على الشيخ أن يتمم على بيت سمعه من الشيخ العلامة محمد بن أحمد بافضل وهو:

---

١) المشهور، جلاء الهم، ص١١١-١١٢.

بـــروق الحمـــا أبرقـــي يـــا بـــروق	عســـى الله يســـقي بـــك المجـــد بـــين

فذيلها الشيخ أبوبكر بهذه الأبيات:

عســـى أغصـــاننا الذاريـــة تنـــتعش	وتثمـــــر مـــــع جملـــــة المثمـــــرين
فيـــا محيـــي المـــوتى بعـــد الفنـــا	بقـــدرتك يـــا أحســـن الخـــالقين(١)

حتى قال:

خزانتــــك بــــالجود لا تنتهـــي	لكثـــــرة عطايـــــاك للـــــراغبين
وصـــــلواتك الله يـــــا ذا العُلـــــى	علـــى المصـــطفى كـــل وقـــت وحـــين(٢)

وعندما كان السلطان الظافر عامر (الثاني) في محطته على صنعاء سنة ٩٠٧هـ/ ١٥٠٢م أرسل الشيخ أبوبكر العيدروس قصيدة يحرضه فيها ويشدد عليه في أخذ الثار منهم بجده عامر بن طاهر مطلعها:

عنايـــــات وتيســـــير بيســـــر	ولطـــــف شـــــامل ودوام نصـــــر
وتأييـــد مـــن المـــولى تعـــالى	وحفـــظ مـــانع مـــن كـــل ضـــر
وفـــتح عـــن قريـــب فـــي عـــلاء	وعافيـــــة مؤبـــــدة وســـــتر(٣)

ثم بشره الشيخ العيدروس العدني حال مسيره إلى صنعاء ليحط عليها ثانية بالنصر والظفر بقصيدة تحقق فيها كل ما تضمنته ومنها هذه الأبيات:

كـــأن حجـــار المنجنيـــق صـــواعق	علـــيهم وأســـهمك القواتـــل كالشـــهب
قلـــيلاً وقـــد حكمـــت فـــيهم بمـــا تشـــا	مـــن الأســـر والقتـــل المنجـــر والســـلب
فللصـــاحب المطـــواع منـــك مواهـــب	ومـــن خالفـــك قـــد بـــاء بـــالخزي والنهـــب
فكـــم مـــن ملـــوك بـــدتها وعســـاكر	هزمـــت وكـــم حصـــن تملكـــت بالغصـــب(٤)

ولما استولى السلطان الظافر عامر (الثاني) على صنعاء بعث إليه الشيخ العيدروس بقصيدة سنة ٩١٠هـ/١٥٠٤م مطلعها:

أيـــا عـــامراً لمكـــارم ومـــآثر	وفضـــــائل ومناقـــــب ومفـــــاخر
يـــا راقيـــاً أوج العـــلاء وناصـــراً	ديـــن الله أكـــرم بـــه مـــن ناصـــر
يـــا كاشـــفاً كـــل الكـــروب وشـــافياً	بالثـــأر كـــم داء قـــديم دائـــر
لـــو شـــاهدا جـــداك مـــا أنصـــفتهم	مـــن شـــارب وذويـــه وابـــن الناصـــر
لصـــفا منهمـــا وزال أذاهمـــا	مـــن هامـــة تؤذيهمـــا بمقـــابر(٥)

وفي قصيدة أخرى مدح الشيخ العيدروس السلطان الظافر عامر (الثاني) وهو يومئذ يحاصر حصن دثينة سنة ٩٠٧هـ/١٥٠٢م، وبشره فيها بالنصر والظفر، وجاء فيها:

---

١) العيدروس العدني، محجة السالك، ص٨٢.
٢) المصدر نفسه، ص٨٢-٨٣.
٣) المصدر نفسه ، ص٨٧.
٤) المصدر نفسه ، ص٩٠.
٥) المصدر نفسه ، ص٩١.

يـا الظـافر الملـك التقـي ... أخـذت بـلاد الطـولقي
الحافـة أمسـت خاربـة ... وشـقى بهـا مـن قـد شـقي
فلسوف تفتح عنوة . ... وأسـر مـن فيهـا بقـي[١]

وللعلامة القاضي جمال الدين محمد بن أحمد بافضل مشاركة جيدة في نظم الشعر الصوفي وقد وعظ ببيتين هما:

إنَّ العيـادة يومـاً بـين يـومين ... وأجلـس قلـيلاً كلحـظ العـين بـالعين
لا تبـرمنّ مريضـاً فـي مسـاءلةٍ ... يكفيـك مـن ذاك تسـأل بحـرفين[٢]

وتبادل أعلام العصر الطاهري قصائد المديح منها ما قاله العلامة أحمد بن عمر المزجد في الشيخ أبي بكر العيدروس:

سـلامٌ علـى الشـيخ الكبيـر الـذي غـدت ... كراماتـه معروفـةٌ ومكارمـهُ
لكـل زمـان قـائم فـي صـروفه ... وهـذا زمـانٌ أنـت لا شـكَّ قائمـهُ
فـلا تخلنـي مـن دعـوةٍ مسـتجابة ... فأنـت وسـيعُ البـرِّ جـمٌ مراحمـهُ[٣]

ورد عليه العيدروس يمدحه:

شـهابٌ العـلا غـوثُ المـلا هـو أحمـد ... وقاضـي قضـاة الوقـت فـي مـدة العصـر
فيـومٌ لـه فـي العلـم والفضـل والحجـر ... يزيـد علـى أعمـار سـبعٍ مـن النسـر
وفـي العلـم يـمٌ لـم يـزل متلاطمـاً ... يجـلُّ عـن الإحصـاء والعـدِّ والحصـر[٤]

ومن القصائد المشهورة في ذلك العصر، ما جاءت على لسان العلامة جمال الدين محمد بن عمر بحرق يمدح فيها السلطان الظافر عامر (الثاني) ومطلعها:

أبـى اللهُ إلاّ أن تحـوز المفـاخرا ... فسـماك مـن بـين البريـة عـامرا
عمـرت رسـوم الـدين بعـد دروسـها ... فأحييـت آثـاراً الإلـه الـدواثرا
فأنـت صـلاح الـدين لا شـك هـذه ... شـواهد تبـدو عليـك ظـواهرا[٥]

وله أيضاً بيت من عشر كلمات:

نشـرت بحـراً بـراً معينـاً ناصـراً ... شـمس الملـوك صـلاحُ دينـك عـامرا

ثم أدخل هذه الكلمات العشر في أربعة أبيات هي:

أيـدت دينـك يـا رب العُـلا أبـدا ... بناصـرٍ لملـوك الأرض قـد ضـهدا
أعنـي بـه عـامراً شـمس الملـوك فكـن ... نصـيره أبـداً فـي كـل مـا قصـدا
وناصـراً ومعينـاً فهـو شـمس ضـحى ... أخفـى نجـوم ملـوك الأرض منـذ بـدا
سـميته عـامراً لمـا أردت بـه ... صـلاح دينـك إرغامـاً لمـن جحـدا[١]

---

١) العيدروس العدني، محجة السالك، ص٩٤.
٢) المصدر نفسه ، ص٢٧.
٣) المصدر نفسه ، ص٧٩.
٤) المصدر نفسه ، ص١٣٢.
٥) المصدر نفسه ، ص١٣٧.

وله هذا اللغز شعراً، ثم حله بالنثر وهو:

يـا متقنـاً كلمـات النحـو أجمعهـا — حـداً نوعـاً وإفـراداً ومنتظمـة
مـا أربـعُ كلمـات وهـي أحرفهـا — أيضـاً وقـد جمعتهـا كلهـا كلمـة

ثم قال: وهذا في تمثيل الوقف على هاء السكت، أي قولك (كلمة) فالكاف في قولك كلمة للتمثيل، واللام للجر، والميم أصلها ما الاستفهامية حذفت ألفها، والهاء للسكتة[٢].

ومن أجمل القصائد التي شملت المواعظ الجامعة والوصايا النافعة تلك التي نظمها العلامة عبدالله بن عمر بن عبدالله بامخرمة وهي:

زم الركـاب وحلهـا عـن عقلهـا — ودع المطايـا ترتمـي فـي سـبلها
وابعد عن الأوطان في طلب العُلى — واتـرك ديـار الـذل عنـك وخلهـا
لا تـرضَ مـن دون النجـوم بمنـزلٍ — وتـرقَّ مـن طـل لطائـلٍ ويكهـا
لا تـرجعن القهقـري مثـل التـي — نقضـت وحلـت بعـد عـزم غزلهـا
واسـمع أخـي نصـيحةً مـن ناصـح — إن النصـيحة لـيس يخفـى فضـلها
انظـر إلـى الله الكـريم ولُـذ بـه — واقصـده فـي جـلِّ الأمـور وقلّهـا[٣]

ومنها:

ودع المعاصـي والغوايـة واسـتقل — فـالله يقبـل مـن أنـاب إذالهـا
والـنفس إن تـدعو فخـالف أمرهـا — ودع الهـوى إنَّ الهـوى مـن فعلهـا
فإذا بدا لك من رفيقك زلّة . — فـاغفر ولا تجـزي المسـيء بمثلهـا
والرفق رافق في أمورك واصطبر — فالصـبر مـن خيـر العـرى وأجلهـا[٤]

ومنها أيضاً:

والصـدق فـالزم فـي حـديثك كلـه — والعـود أوفِ بـه فـذاك أجلهـا
واتـرك مصـاحبة الكـذوب ومـن — تكـن عاداتـه عنـد النميمـة حملهـا
وتغاضى عن عيب الأنام فإن من — يطلـب معيبهـا رمـاه بنبلهـا
عـود لسـانك كـل قـولٍ طيـبٍ — فـالقول مـن عقـل الرجـال ونبلهـا
واحفـظ حقـوق الوالـدين وقـم بهـا — والأهـل والأصـحاب وأحمـل ثقلهـا
وتـرق فـي العليـا إلـى غاياتهـا — فيجمعـك الخيـرات تجمـع شـملها[٥]

ب) الموشحات:

الموشح عند الصوفية هو السماع، وهو عبارة عن قصائد منظومة يحفظها مريدو الصوفية، ثم يرددونها جماعة مع شيء من اللحن، ومنها قصيدة مدح بها الشيخ أبوبكر

١) العيدروس العدني ، محجة السالك، ص١٣٧.
٢) المصدر نفسه ، ص١٣٩.
٣) المصدر نفسه ، ص٢٥٣.
٤) العيدروس، النور السافر، ص٢٥٣.
٥) المصدر نفسه ، ص٢٥٤.

العيدروس السلطان الظافر عامر (الثاني) حال قدومه عدن سنة ٩٠٧هـ/١٥٠١م، وقال في مطلعها:

يامالكاً عمَّ الأنام	بالبذل والندى الجم
وفاق سادات الكرام	بجوده بل صار أكرم
يا غيث يا ليث الصدام	ويا مروى الأسمر الدم
من نازلك ذاق لحمام	ومن جنح للسلم يسلم
دم يا صلاح العالمين والدين	وزادك الله الكريم تمكين

ما أنت إلا بهجة السلاطين

أنشأك ربي يا همام	في منظم الملك المعظم
ترعى بعين لا تنام	وحارس قط ما يسام
يا عامر الدين القويم	للعالمين بالبذل والجود[١]

وللشيخ أبي بكر العيدروس قصيدة في الشوق والعشق منها:

عذيب اللما ذرني	أنا للقا	ولكم لك تماطلني	وكم تكثر الهجران
أيرضيك تقتلين	بلا ذنب يا	وطول الجفا	أنا الهايم الولهان
أنا الهائم المفتول	أنا في الهوى مجنون		أنا خاطري
بمن قد سلب ذهني	بمبسمه	جماله قد أفتني	كحيل الرنا
حبيبي فكم تمطل	بوصلك ولا ترحم	وطول الجفا يقتل	لمن في الهوى مسقم
متى وصلكم يحصل	متى ينجلي ذا	وأسلوا إذا عيني	رأت داجي العينان
لماذا الجفا كله	على من سلب عقله		وجور الهوى سله[٢]

وله أيضاً:

بما يعينك من سحر ومن شهب		بما بخديك من ورد ومن لهب
بما بثغرك من درّ ومن حبب		بما يجيدك من طوق من ذهب
وبالبياض والسواد	وبالنهود البواد	تداركي يا سعاد
متيم ضلّ عن طرق الرشادغبى		مشرد النوم باكي العين في تعب
أسرت قلبي بطرف ناعس حوم		وأخذت روحي بجعد داجي فحم
وأسكرتني من رحيق حالي شبم		يا كعبة الحسن يا ذات اللما الشنب
البقا البقا	يا غزال النقا	اسعدي باللقا[٣]

ج) الحمينيات:

وللشيخ العيدروس عدد من القصائد الحمينية منها:

يا قلب لاتسأم لما تعانيه		في المحبة أو لما تقاسيه

---

١) العيدروس العدني، محجة السالك، ص١٣٥-١٣٦.
٢) المصدر نفسه ، ص١٤٩.
٣) المصدر نفسه ، ص١٥٩.

مـــن لا يـــذوق المـــرّ مـــن مداويـــه يمـــرض ولا يلقـــى طبيـــب يشـــفيه
لـــك الهنـــا إن حـــل فيـــك ذرة مـــن حـــبهم أولاح منـــك خطـــره
فـــي ذكـــرهم مـــا أعظـــم المســـرة طـــوبى لقلـــب حـــل حـــبهم فيـــه
مـــا أعـــذب التعـــذيب إن رضـــوني عبـــداً لهـــم رقـــا وإن جفـــوني
فالويـــل كـــل الويـــل يعتقـــوني مـــولى المـــوالي مـــن هـــم مواليـــه[١]

ويقول العيدروس في شوقه إلى عدن:

هزنـــي الشـــوق إلـــى عـــدن شـــد يـــا حـــادي الركـــاب
شوقـــنا ازداد والوســـن عـــن جفونـــي نـــزح وغـــاب
خاطـــري قـــط مـــا ســـكن مـــذ جـــاء مـــنهم كـــتاب
هـــل درى وردي الـــوجن مـــا بقلبـــي مـــن اضـــطراب
لونـــه يمســـك حـــين فـــاح مـــا يماثلـــه قـــد طيـــب[٢]

وفي الشوق واللوعة لمسقط رأسه يقول الشيخ العيدروس:

مســـافرين أبلغـــوا عنـــا مـــن فـــي تـــريم ألـــف وألفـــي ســـلام
مـــن قامتـــه تشـــبه الغصـــنا ومـــن جبيـــنه كبـــدر التمـــام
مـــتمم الحســـن والمعنـــى ســـويجي الطـــرف قميـــري الحمـــام
والجســـم مـــن فرقتـــه مضـــنى وناظـــري مـــا تهنـــا منـــام
قولـــوا لمـــن قـــد بـــرا حـــالي لا يحســـب إنـــا نســـينا لقـــاه
أفديـــه بالحـــال والمـــال ولـــيس مقصـــودي إلا رضـــاه
والله أقـــسم ولا أبـــالي مـــا حـــب فـــي الخلائـــق ســـواه[٣]

والغزل أسلوب صوفي بديع، وغالب المتصوفة يميلون إلى التعبير به في الكثير من المناسبات، وقد عاب المتأخرون أسلوب الغزل عند الصوفية فنسبوه إلى المجون والخلاعة لما يرد من صريح العبارات للمرأة، والكأس، والخمرة، والدلال، والغنج، والشوق، والعشق، بيد أن أبابكر المشهور يرد على هذا الاتهام بقوله: "بالطبع لو نظر المرء إلى ظاهر الألفاظ محكماً فهم الزمان المعاصر وأسلوبه لما رأى في هذه النماذج الشعرية إلا الخلاعة ووصف النساء والفراش، ولكن بالبديهة يستطيع الباحث المتأمل أشعار القوم ومراسلاتهم وأحوالهم وأخلاقهم أن يرى فناً خصوصياً لا يرضخ للمقاييس الحكمية المجردة، وإنما يعبر عن شعور راق في الذات الصوفية، جعلت من تلك اللذائذ الحسية مجرد رمز لا علاقة لها بمعانيه السفلية الأغلالية، وإنما يستشف منه التحليق إلى معانٍ تعتلج في ذات ذوقية الفهم... شفافة الأسلوب.. عالية المقصد"[٤].

١) العيدروس العدني، محجة السالك ، ص١٦٧.
٢) المصدر نفسه، ص١٨٦.
٣) المصدر نفسه ، ص١٩٢.
٤) جلاء الهم، ص١٢٧-١٢٨.

ويؤكد أبوبكر المشهور بأنه لا قياس بين فهمنا الحسي المجرد الذي يرغي بنقده المتأخرون وفهم صدور الأوائل، واستشهد أبوبكر المشهور بقصيدة الشيخ العيدروس التي مدح بها السلطان الظافر عامر (الثاني) وهو في جواره فقال:

شـوقي إلـى زينـب شـديد شـائق | والقلـب إليهـا لا يـزال خـافق
وأدمعـي مـن مقلتـي دوافـق | شـوقاً ونـومي للجفـون مفـارق
خـدود زينـب زينـت بتوريـد | وجيـد زينـب جيـد ظبيـة البيـد
نفسـي فـدا زينـب وذلـك الجيـد | لقـد حـوت زينـب لحسـن فـائق
زينـب منـى قلبـي وكـل قصـدي | زينـب لهـا أرفـع محـل عنـدي
مـا حـال زينـب يـا نسـيم بعـدي | أمـا أنـا مشـتاق صـب وامـق
فـإن زينـب قـرة النـواظر | وإن زينـب منيـة الخـواطر
لـولا صـلاح المكرمـات عـامر | لأ طيـر إليهـا واقطـع العلائـق[١]

وزينب هنا رمز لا حقيقة، ومن هذا الرمز وعليه يجتمع فهم الكاتب والمكاتب، وكلاهما يعلم من صاحبه قدر العبارة ومصدرها، ومن هو صاحبها وما مقدار علمه وخلقه وأدبه[٢].

ولعل ما يؤكد صحة ما ذهب إليه أبوبكر المشهور أن القصيدة قيلت في حاكم عسكري يجلس إلى جوار الشاعر، وربما لن يقبل أن يتحدث معه كأنثى لو تم فهم الأبيات مجردة عن مقصد الشاعر وذوق الممدوح، وقد تعد إهانة لرجل يعتز برجولته، مما قد يؤدي في فهم قاموسنا المعاصر إلى القتل أو التنكيل.

إن اصطلاح الصوفية على الأسلوب الغزلي فن خاص بهم، كما أنه فن ذوقي قد مات بموت أصحابه، ولا مجال للاقتداء إلا بذات الشروط الوجدانية[٣]، وهنا ينظم الشيخ أبوبكر العيدروس قصيدة في الغزل تعد من روائع ديوانه في هذا الفن وهي:

يـا نسـيم سـحر هـل عنـك خبـر | عـن غريـبٍ بـوادي المنحنـا
فـارقوني ولـم اقضـي وطـر | مـن لـقاهم ولا نلـت المنـا
شـا تصـبر فمـا قلـي صـبر | والنبـي مالهـوى إلا عنـا
ماكتمـت الهـوى إلا ظهـر | مـن شـهود المـدامع والضـنا
يـا قمـر فـوق غصـن مـن نقـا | أسـقمتني مطالـك والوعـود
يـا رعـى الله للـيلات اللقـا | ليتهـا كانـت يـا خلـي تعـود
ليلـة السـعد مـا فيهـا شـقا | كيـف تشـقى وطالعهـا سـعود
صـفوها لا يخمجـه كـدر | بالرضـى والمسـرة والهنـا
كيـف تمنـع وصـالك يـا حبيـب | مـن يحبـك ولا يعشـو سـواك

---

١) محجة السالك، ص١٨٨.
٢) جلاء الهم، ص١٢٧-١٢٨.
٣) المرجع نفسه ، ص١٣٢.

لست أعلم لدائي من طبيب | غير قبلة هنية من لماك[١]
راقب الله وارجع عن قريب | قبل يتلف جسمي في هواك
لو رأى وجهك العاذل عذر | حين ينظر جمالك كيف أنا[٢]

ومن جهة أخرى ضم ديوان العيدروس العدني غزليات ذات عبارات شعبية منشدة بأصوات غنائية، وبأسلوب غير متكلف، وخرجت عن قواعد العروض المألوفة، وتتميز مطالعها الإيقاعية عن أصوات الإنشاد السائد آنذاك عند صوفية اليمن، وقاموسها اللغوي ممزوج بين الألفاظ العربية الفصيحة واللهجة الشعبية، وكثيراً ما يميل إلى استخدام الكلمات الشعبية المتداولة في مناطق اليمن لا سيما في تهامة مثل:

شاأعشق لي معز غالي | وارتقي لي مرتقي عالي
شافاخر لي بفخر محبوبي | وأعطاني في الحب مطلوبي[٣]

ومن هذا اللون الشعبي قصيدة أخرى لعلها بلهجة أهل دثينة ومنها:

طالب العمر لك مائتي سنة بعدها واش | بعدها الموت لاخلا غنياً ولا أوحاش
يا دنيا ترى أنتي حظ من كان يهواش | يعشقونش قلال الدين وأهل التقى أعداش
يعلم الله لمن ذي قد دعيتيه ما جاش | والله اليوم ما تسوي لمن يعرف أدناش
يا علي جانب الدنيا كما هي على لاش | يا علي ذقت نيراناً كما برية الكاش[٤]

٢- النثـــر :

كان الفن النثري (الإنشاء) في عصر بني طاهر يمثل صورة راقية في فن التعبير أكثر مما يعبره الشعر، وقد يعود ذلك إلى المدرسة الصوفية التي اعتنى رجالها بالخطابة، والمكاتبات والمراسلات بأسلوب ذوقي يحمل المعاني والعبارات الرصينة الدائرة في فلك التصوف، وللحق أقول: إن هذا اللون الأدبي يعد من الفنون الأصيلة التي ميزت حركة التصوف منذ نشأتها وحتى العصر الراهن، فهو في منهاجهم يمثل المعول أو الوسيلة الرئيسة التي اعتمد عليها فقهاء الصوفية ودعاتها في عملهم الدعوي، وتمكنوا من خلاله من التوسع والانتشار في المجتمعات الإسلامية بصورة لافتة للنظر.

وعلى أية حال، فإن المصادر التي عاصرت الطاهريين تزخر بكم هائل من صروف النثر الفائق فصاحة وبلاغة، واشتهر بهذا الفن عدد غير قليل من العلماء والفقهاء، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر العلامة محمد بن عمر بحرق الذي ذاع صيته في ميادين العلم وفنون

---

١) محجة السالك، ص١٨٢.
٢) المصدر نفسه ، ص١٨٢.
٣) المصدر نفسه ، ص١٧٥.
٤) المصدر نفسه ، ص١٩٧.

الأدب، وقد قضى بعض سني عمره كاتباً للإنشاء في ديوان الأمير مرجان الظافري[١]، والشيخ أبوبكر العيدروس الذي له بعض من المكاتبات والوصايا والمقولات التي تزخر بها مؤلفاته التي جمعها تلميذه الشيخ عباللطيف بن عبدالرحمن باوزير كالجزء اللطيف في التحكيم الشريف وقد حوى بين دفتيه كل ما يتعلق بالتصوف بأسلوب نثري بديع، وخاتمة فحول ذلك العصر العلامة عبدالله بن عمر بامخرمة فقد قال عنه الشلي: "وله الخطب البديعات البليغات، التي لو بلغت زهيراً لقال: من أين لي بهذه الحدائق؟ أو اتصل نبؤها بالمتنبي .. لاشتغل عن ذكر العذيب وبارق، والكتابة التي يغدو بها الطرس رياضاً محبرة، أو سماءً زاهرة، إن لم يرض أن يكون في الأرض نجوم مزهرة"[٢].

ومن النماذج التي يمكن أن نستشف منها المستوى الذي بلغه النثر بين الفنون الأدبية في ذلك العصر ما جاء في مكاتبة نثرية وشعرية أرسلها الشيخ ابوبكر بن عبدالله العيدروس إلى الشيخ عبدالرحمن بن علي بتريم وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

من الفقير إلى الله تعالى المملوك العبد الرق أبي بكر بن عبدالله علوي لطف الله به:

فقد ورد في الكتاب الكريم المقابل بالتبجيل والتعظيم المشتمل على الدرر النظيم، والزهر الفائق البسيم، الذي يحق أن يقال: ﴿إنه من سليمان و إنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الوارد من الشيخ الأوحد، العالم العلم المفرد، سيد الشرفاء و سبط المصطفى، ورضيع ألبان الصفا والوفاء ، بحر الحقائق، وكاشف رموز الدقائق، زين الأدباء، ولسان العرب العرباء، ذي الأخلاق الرضية ، والشمائل المرضية، والهمة العالية الأبية، والأنفاس العلوية القدسية، وجيه الدين، وبركة المسلمين، سليل الصالحين، واسطة عقد الشرف الثمين، الشيخ الأجل الولي الصالح، الساعي في المصالح، عبد الرحمن بن علي بن الشيخ أبي بكر رضي الله عنهم آمين، ونفعني بهم، فقبلته تقبيل مقتطف من رياضه، مغترف من حياضه، متبرك بمواضع أقلامه، محترف بإنعام تودده وشامل إكرامه وإنعامه، ونزهت طرفي في حدائق براعته، وما أودعه من جواهر بلاغته، فشكر الله أنامل سطرت سطوره، ونظمت منثوره، واقتطفت من رياض الأدب زهوره، وأطلعت في سماء البلاغة كواكبه وبدوره.

وما أهديتم من السلام فخصكم الله بأضعافه ، وغمركم بمنه وألطافه، وما جاء به من علوم البلاد، وما حدث فيها من الفتن والفساد، فالرجاء في الله أن يزيل الشر وينفي كل محذور،

---

١) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٥٨.
٢) السناء الباهر، ص٤٧٦.

ويطفئ نار الفتن، ويمحي منها سائر اليمن، ما ظهر منها وما بطن، والبلاد وإن حصل بها ما ترى فالحوطة بالله، ثم ببركة السلف محفوظة، وبعين العناية والرعاية إن شاء الله ملحوظة، وكيف لا وهي موضع مهابط الرحمة والسكينة، وموطن أقدام الأولياء والصالحين وقد أحسن سيدنا الإمام السبكي[1] رضي الله عنه:

وفي دارِ الحديث لطيف معنىً   إلى فُرشٍ بها أصبو وآوي
لعلي أنْ أمسّ بحُرِّ وجهي   مكاناً مسّه قدمُ النواوي

وعوائد الله لم تزل جميلة، ومواهبه في جميع الأحوال جزيلة.

وجاء فيها أيضاً:

وفي النفس من الضيق بهذا الوقت من عدم المجانس كثير، فلما آنست منك الأنس، وعرفت منك أنك تحب البسط، كان كمن جر نهراً محبوساً، فلا تعب على كثرة البسط، فإنه من صفاء المودة، وفي القلب نصائح يحب المملوك أن يبديها لكم لما غلب الود وصفا الحب.

أعلم أن هذا الزمان خصوصا عندكم الغالب على أهله عدم الوفاء، وإظهار القبيح والجفاء، وصرتم بين أظهر أعداء للدين جبلوا على محبة إذاعة مثالب أهل المناصب، وقبيلتنا الغالب عليهم عدم الاحتراز في الأقوال والتلبيس في الأفعال، فلا يجروا على أنفسهم إلا زيادة سوء ظن فوق ما جبلوا عليه.

وفي أخرها جاء:

و بعد فاعلم سيدي أني إذا ذكرت بعدي عن الترب المنيفة والضرائح الشريفة وعدم زيارة المشايخ يحصل التعب الكلي، وإذا رجعت أذكر ما قاسيت من مرير عشرة العشيرة وعدم احتفالهم بمراعاة المروءة، وقل امتثال العاقل، وعدم رمق العواقب، وسيان عندهم عدوهم وصديقهم في إفشاء غوابي أسرارهم، أحببت الغربة وذقت لها حلاوة كائنا ما كانت، ولا شيء يعتبني سوى أن أموت في غير تريم، فالدعاء الدعاء الدعاء أن الله تبارك وتعالى سبحانه جل ذكره أن يجعل موتي بتريم.

وبعد فخاتمة كتابي نسأل الدعاء أن يختم للجميع بخير الدنيا والدين والآخرة بحق محمد وآله آمين[2].

وعموماً، يلاحظ مما عرضناه أن النثر قد تميز عن الشعر بالمتانة وقوة العرض واللغة مع السجع والبيان البديعي الواضح، وهي إشارة إلى غزارة في اللغة، وعمق التصور البياني، وهذه القوة اللغوية تكاد تضعف أو تنعدم في الشعر، وقد يعود السبب في ذلك إلى أن الأدباء في

١) هوعبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي (ت٧٧١هـ/١٣٧٠م) مؤلف كتاب معيد النعم أحد مصادر الدراسة.
٢) المشهور، جلاء الهم، ص٩٦-١٠١.

ذلك العصر على الرغم من قوتهم البلاغية في مجال النثر والخطابة إلا أنهم لم يكونوا يميلون إلى الشعر المتكلف والمقيد ببحور الشعر وقوافيه وأوزانه، ويعزو أبوبكر المشهور ذلك إلى أنهم أرادوا مخاطبة العوام بما يلائم ذوقهم وفهمهم، ولذا جاءت غالب أعمالهم الأدبية غير ملائمة مع المدارس الشعرية الراقية[(١)].

---

١) جلاء الهم ، ص١١٧.

الخاتمة

خرج الباحث بحصيلة من الاستنتاجات نوجزها بمايأتي :

أولاً :

تعد الدولة الطاهرية (٨٥٨-٩٤٥هـ/١٤٥٤-١٥٣٨م) آخر الدول السنية التي قامت في اليمن في العصر الإسلامي، وقد تم إعلان تأسيسها من عدن على أنقاض الدولة الرسولية (٦٥٦-٨٥٨هـ/١٢٢٩-١٤٥٤م)، وتمكن سلاطينها العظام من بسط نفوذهم على غالب مناطق اليمن، لاسيما السلطان الظافر عامر (الثاني) بن عبدالوهاب الذي مثل عهده أزهى المراحل التاريخية التي مرت بها الدولة الطاهرية، على الرغم من ابتلاء حكمه بالفتن الداخلية التي تبناها أخواله المعارضون، وتمرد بعض القبائل من حين إلى آخر، ناهيك عن تداعيات الكشوف الجغرافية التي أسفرت عن بروز قوى أوربية منافسة للعرب على تجارة الشرق البحرية، وخلال الصراع البرتغالي المملوكي على خطوط الملاحة تعرضت عدن لعدوان المماليك حيناً، والبرتغاليين أحايين كثيرة، لكن المقاومة الباسلة التي كان يقودها الأمير الشجاع مرجان الظافري حالت دون دخولهم المدينة، فلجأ الغزاة إلى محاصرتها لسنوات، وتأثر جراءه اقتصاد الدولة الطاهرية التي كان معظم دخلها يعتمد على موارد ميناء عدن، ثم أدى تصاعد الأحداث إلى ظهور أزمة داخلية في عموم البلاد ساعدت القوات المملوكية في اجتياح اليمن، وتمكنت البندقية المملوكية التي لم تكن معهودة في اليمن آنذاك من حسم المواجهة مع القوات الطاهرية ، وبعد مقتل السلطان الظافر عامر(الثاني) بن عبدالوهاب سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م دخل الطاهريون في دوامة الانهيار التدريجي حتى فقدوا عاصمتهم المقرانة، ثم انحسر نفوذهم تدريجياً حتى اقتصر على عدن وأعمالها، وحاولت هذه المدينة حماية نفسها حيناً من الزمن، ثم سقطت في أيدي العثمانيين سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م لتبدأ عهداً جديداً في تاريخها الحديث تحت ظلال الدولة العثمانية.

ثانياً :

حظيت عدن في عصر الدولة الطاهرية باهتمام السلاطين وولاتهم على المدينة، لاسيما ميناءها الذي شهد توسعاً ملحوظاً في جوانبه الخدمية، حيث تم استحداث مخازن أخرى لاستيعاب البضائع الصادرة والواردة ، وإنشاء برج لمراقبة حركة السفن في المرسى، وتشييد حصون أخرى لتأمين حماية الميناء والمدينة ، وإنشاء ممشى (ممر) يربط جزيرة صيرة بالمدينة ، فأسهمت أعمال الطاهريين في تحسين أداء الميناء ، وتنشيط الحركة التجارية ، بيد أن هذا الازدهار لم يكتب له الاستمرار بعد المتغيرات التي شهدتها خطوط الملاحة التجارية،

والصراع الدولي على تجارة الشرق، إذ انهار مركزها التجاري بعد فتح البرتغاليين للخط الملاحي الذي يمر عبر رأس الرجاء الصالح.

ثالثاً :

كانت عدن عبر العصر الإسلامي ميناءً تجارياً مزدهراً ، وانجذبت إليه أفئدة اليمنيين من مختلف المناطق للتجارة وتلمس سبل العيش ، فضلاً عن الأجناس الأخرى عرباً كانوا أم عجماً، حتى شكل سكان المدينة نسيجاً اجتماعياً فريداً، ويحوي خليطاً من الأعراق والألوان والملل والنحل، وفي عصر الدولة الطاهرية اعترى هوية السكان بعض التغييرات إذ لوحظ وبجلاء أن أهل حضرموت كانوا السمة الغالبة على مكونات السكان، كما طغى الفكر الصوفي على الحياة الدينية بصفة عامة وبرز من أهله وأتباعه عدد من الفضلاء والصالحين يتقدمهم الشيخ الشريف أبوبكر بن عبدالله العيدروس وابنه أحمد (المساوى) اللذان كانا وبحق ظاهرة المجتمع العدني، نظراً لمكانتهما الروحية في نفوس العامة والخاصة، ولكثرة صدقاتهما ونفقاتهما على فقراء ومساكين المدينة.

رابعاً :

تدين مدينة عدن بما بلغته من مستوى علمي وفكري لعلماء زبيد، ولعلماء حضرموت أكثر، وإن كان لا يرقى إلى المستوى الذي وصلت إليه زبيد حاضرة الطاهريين الثقافية، ويعود السبب في ذلك إلى أن مكانة عدن عند الطاهريين كانت لا تبتعد عن كونها ميناءً يرفد خزائنهم بالأموال, لذا وجهوا اهتمامهم بنواحي المدينة الإدارية والمالية أكثر من غيرها ، ومع هذا وذاك كانت الحركة العلمية والأدبية في عدن غاية في النشاط والإبداع لاسيما في تصنيف المؤلفات المختصة بعلوم التصوف، وعلم التاريخ الذي نهض به إلى حد ما المؤرخ الشهير الطيب بامخرمة، فيما خلت العلوم الأخرى من الابتكار والتنوع، واقتصرت معظم المصنفات على الشروح والمختصرات والتفاسير للكتب السابقة.

ومما يوصي به الباحث مايأتي:

أولاً :

كان الأمير مرجان بن عبدالله الظافري والي عدن الشخصية الأبرز في تاريخ عدن السياسي لذا فإن الباحث يوصي المجلس المحلي لمحافظة عدن بتكريمه التكريم الذي يليق برموز المقاومة والأبطال الوطنيين الذين سطروا أروع الملاحم البطولية في معارك الدفاع عن مدينة عدن، فهو لايقل شأناً وكفاءةً عن شهداء الثورة وأعلام اليمن في العصر الحديث والمعاصر الذين تزين أسماؤهم ساحات وشوارع المدن اليمنية، كما يوصي الباحث في الوقت ذاته وزارة التربية والتعليم - لجنة مناهج التعليم الأساسي – بتسليط الضوء على شخصية

الأمير مرجان التاريخية، وإدراجه ضمن كوكبة مشاهير اليمن وأعلامها العظام في مقررات مادة التاريخ .

ثانياً :

آخر توصيات الباحث معنية بالمجلس المحلي لمديرية صيرة م/عدن، وجمعيات التاريخ والآثار، تحثهم على بذل المزيد من الجهود للحفاظ على معالم عدن التاريخية والتعريف بها حتى لاتصبح أثراً بعد عين .

ABSTRACT

The Tahirid State (858-948H/1454-1538) is considered as the last state of Sunnite that has been established in Yemen in the Islamic era. The announcement of it's foundation started from Áden after the ruins of the Rasulid State (626-858H/1229-1954) the great and powerful Sultans of this state could extent influence on most areas of Yemen, especially Sultan Al-Zāfir ʿĀmir b. Abdulwahhab which his reconsidered as the most prosperous historical of time period of the Tahirid State, though his ruling time suffered or was accompanied with affliction of internal allurements caused by his opposes uncles in addition to the new geographical discoveries which resulted some powerful, competing European countries in the east marine trade routs. During to struggle between Portugal and Mamluk to control these touts, Áden was exposed to different raids of envisions caused by these two invaders. But the courageous resistance was led by the mighty prince Margan Al-Zafiri prevented the enemies from entering the city. Here the invaders tried to surround the city for some years that affected the economy of Tahirid State which depended on the income of Áden port resources.

The goings on upraised and led to internal crisis within the country that enabled the Mameluk forces invade the country in such a way the Mamluk gun – which was not familiar in the region – could win the fight or battle against the Tahirid forces.

After the assassination of Sultan Al-Zāfir Āmir b. Abdulwahhab in 923H/1517, his people the Tahirid entered a gradual collapse ciculation led to the loss of their capital Maqrana and their potence remained in Áden. The city tried to remain indepent and finally the Ottomans conquered the city in 945H/1538 to start a new stage of it's History under the shades of Ottoman Empire.

Áden was highly regarded in the age of Tahirid State by the Sultans and leaders especially the sea port that witnessed obvious expansion in the field of services where new storages had been designed to reserve imported and exported goods and buildup a lantern or a lighthouse to observe ships movement as well as forts to insure protection for the city and it's seaport with a passage way linking Seera Island with the town.

All these actions by Tahirid helped and improved the seaport work and commercial movement.. unluckily, this prosperity stayed no longer after the major variables of navigational routes had witnessed and the international war on east trade, besides the collapse of it's commercial Center when Portuguese opened the new marine route which goes round the cape of good hopes.

Through the Islamic age Áden was a prosperous commercial seaport and it was the destination of all Yemenies from different areas to do business and to live in addition to the other races – Arabs or non – Arabs – had formed or made a unique social fiber contains a mixture of races, colors, religions.

In the age of Tahirid State, the people's origin had changed a little bit it had been witnessed obviously that the people of Hadramout were the majority of population.

The woolliness thought had spreaded and was common in religious style of life in general and some of it's good and respectable followers had taken place headed or presided by Sheikh Abu Baker b. Abdullah Al-Áydrūs and his son Ahmed AlMosāwa who were truly phenomenon of Áden society for their spiritual position in people's minds and also for their uncountable charity given to the poors of the town.

In the field of scientific life, the city of Áden had the honour to announce that all the progress it had was achieved by sheikhs and

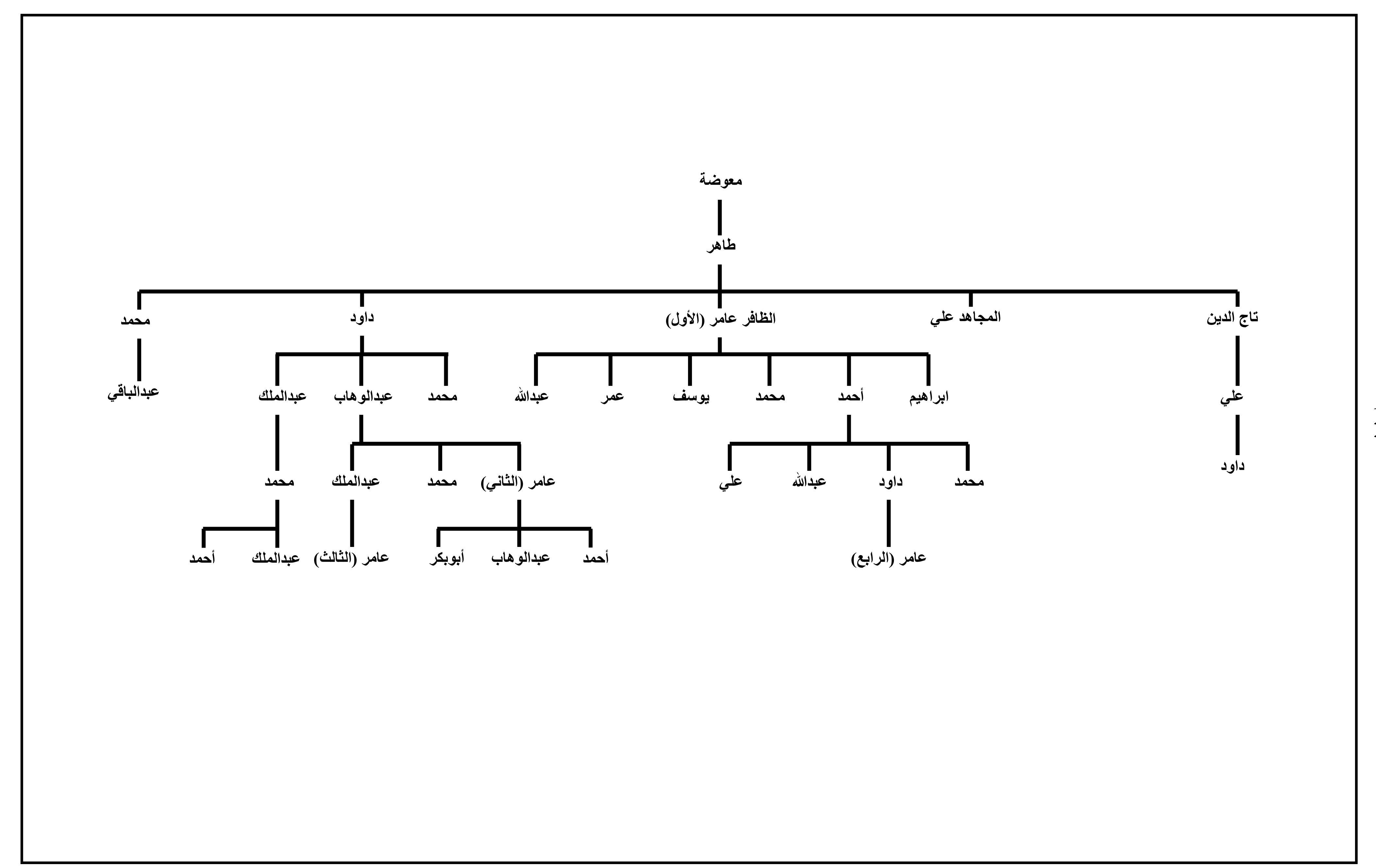
scientists from Zabid and mainly from Hadramout though it hadn't reached the higher level or standard as Zabid.

The scientific product was weak except the science of history which had been raised a little bit by the famous historian Al Tayyib Bamakhrama, the other sciences were not enriched with perfect or variation and most of their production were about appreviations and explanations for old books.

الملاحق

السلاطين الطاهريون
(٨٥٨-٩٤٥هـ/١٤٥٤-١٥٣٨م)

الظافر عامر (الأول) بن طاهر بن معوضة	٨٥٨-٨٧٠هـ/١٤٥٤-١٤٦٠م
المجاهد علي بن طاهر بن معوضة	٨٥٨-٨٨٣هـ/١٤٥٤-١٤٧٩م
المنصور عبدالوهاب بن داود	٨٨٣-٨٩٤هـ/١٤٧٩-١٤٨٩م
الظافر عامر (الثاني) بن عبدالوهاب	٨٩٤-٩٢٣هـ/١٤٨٩-١٤١٧م
شهاب الدين أحمد بن عامر	٩٢٣-٩٢٤هـ/١٤١٧-١٤١٨م
الظافر عامر (الثالث) بن عبدالملك بن عبدالوهاب	٩٢٤هـ/١٥١٨م
محمد بن أحمد بن عامر	٩٢٤-٩٢٦هـ/١٥١٨-١٥٢٠م
عبدالملك بن محمد بن عبدالملك	٩٢٦-٩٣٣هـ/١٥٢٠-١٥٢٧م
الظافر عامر (الرابع) بن داود	٩٣٣-٩٤٥هـ/١٥٢٧-١٥٣٨م



شجرة أنساب سلاطين الدولة الطاهرية

ولاة مدينة عدن في عصر الدولة الطاهرية

م	الاسم	بداية الولاية	نهاية الولاية	سبب الانتهاء	ملاحظات
١	الأمير علي بن سفيان	٨٥٨هـ	٨٦٧هـ	عزل	-
٢	الشيخ محمد بن داود	٨٦٧هـ	-	عزل	شملت ولايته مناطق تعز وجبلة والتعكر بالإضافة إلى عدن
٣	الأمير الشجاع علي بن عمر العنسي	٨٩٢هـ	٨٩٤هـ	عزل	-
٤	الشيخ محمد بن عبدالملك بن داود	٨٩٤هـ	٩٠٥هـ	عزل	قبض عليه الظافر عامر (الثاني)
٥	الأمير محمد بن عيسى البعداني	٨٩٥هـ	٨٩٥هـ	وفاة	أشرك في الولاية مع الشيخ محمد بن عبدالملك، وتعد ولايته أقصر الولايات (بضعة أشهر)
٦	الأمير مرجان بن عبدالله الظافري	٨٩٥هـ	٩٢٧هـ	وفاة	أشرك في ولايته مع الشيخ محمد بن عبدالملك
٧	الأمير عمر بن علي بن الشجاع	٩٠٦هـ	-	عزل	أشرك في الولاية مع مرجان الظافري
٨	الأمير عبدالسلام بن معوضة	قبل ٩٢٣هـ	٩٢٤هـ	هروب	أشرك في الولاية مع مرجان الظافري
٩	الشيخ أحمد بن محمد عبدالملك	٩٢٧هـ	٩٣٣هـ	هروب	-
١٠	الشيخ عامر بن داود	٩٣٣هـ	٩٤٥هـ	وفاة	آخر سلاطين بني طاهر (أعدمه العثمانيون شنقاً)

قضاة مدينة عدن في عصر الدولة الطاهرية

م	الاسم	عدد الولايات	بداية الولاية	نهاية الولاية	سبب الانتهاء	ملاحظات
١	محمد بن مسعود باشكيل	١	٨٥٢هـ	٨٦١هـ	عزل	قاضي الدولتان (الرسولية، الطاهرية)
٢	محمد بن أحمد باحميش	٢-٣	٨٥٨هـ	٨٦١هـ	وفاة	قاضي القضاة
٣	عبدالله بن أحمد بامخرمة	١	٨٦١هـ	٨٦٣هـ	هروب	عزل نفسه
٤	عبدالرحمن بن عبدالعليم المخادري	١	٨٦٣هـ	٨٨٣هـ	عزل	-
٥	محمد بن حسين القماط	١	٨٨٣هـ	٨٩٩هـ	عزل	-
٦	أحمد بن عمر المزجد	١	٨٩٩هـ	٩٠٦هـ	عزل	تم تحويله إلى قضاء مدينة زبيد (حركة قضائية)
٧	عبدالعليم بن محمد القماط	١	٩٠٦هـ	٩١١هـ	عزل	-
٨	أبوبكر بن أبي القاسم اليافعي الوقيري	١	٩١١هـ	-	عزل	-
٩	محمد بن علي الناشري	١	-	٩١٥هـ	عزل	-
١٠	أحمد بن أبي بكر بن عمران	١	٩١٥هـ	٩١٨هـ	وفاة	-
١١	عبدالله بن عبدالعليم القماط	١	٩١٨هـ	٩٢٤هـ	وفاة	-
١٢	-	-	٩٢٤هـ	٩٣٤هـ	-	مجهول الهوية
١٣	الطيب بن عبدالله بن أحمد بامخرمة	١	٩٣٤هـ	-	-	عاصر سقوط الدولة الطاهرية

نُظّار مدينة عدن في عصر الدولة الطاهرية

م	الاسم	بداية الولاية	نهاية الولاية	سبب الانتهاء	ملاحظات
١	عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن إسحاق	٨٥٨هـ	-	عزل	تولى النظر في عهود المجاهد، والمنصور، والظافر (الثاني)
٢	يوسف بن عمر بن أحمد البزاز	-	٩٠٣هـ	وفاة	تولى النظر في عهد السلطان الظافر (الثاني)
٣	عبدالحفيظ عمر بن أحمد البزاز	٩٠٣هـ	٩٠٤هـ	عزل	تولى النظر في عهد السلطان الظافر (الثاني)
٤	محمد بن أحمد العطاب	٩٠٤هـ	٩٠٦هـ	عزل	تولى النظر في عهد السلطان الظافر (الثاني)
٥	عبدالعليم بن محمد القماط	٩٠٦هـ			تولى النظر في عهد السلطان الظافر (الثاني)
٦	أبوبكر بن يحيى الشماع	قبل ٩٢٠هـ	قبل ٩٢٣هـ	عزل	تولى النظر في عهد السلطان الظافر (الثاني)
٧	عبدالنبي بن عبدالله	-	٩٢٧هـ	وفاة	تولى النظر في عهد السلطان محمد بن أحمد بن عامر

جدول رقم (١)

البضائع الواردة من مناطق اليمن إلى الفرضة*

نوع البضاعة	الكمية	الضريبة/ العشور	الدلالة	الشواني
الأبدان الصوف	البدن	١/٤ و ١/٨		
الأبراد القطن والجوازي القطن والمحارم القطن	العشرة	دينار و ٢/٣ و ١/٤	خمس قراريط	
الأرز البيض والمُحشّا	العشرة	١/٢ و ١/٣ و ١/٨	١/٨ وثلاثة فلوس	
الأشكلاط	الخرقة	دينار و ٢/٣		
الأشنة الجبلية	البهار	١/٣ و ١/٤	١/٨	
الأكسية البيض	العشرة	٤	١/٦ و ١/٨ وفلسين	
الأكسية القرمز	العشرة	٦ و ٢/٣ و ١/٨	١/٢	
البذلات الدبيقي	العشرة	دينارين و ١/٤ و ١/٦	خمس قراريط	
البذلات الساذج والبيض والشعري	العشرة	٧ وخمس قراريط وفلسين	١/٣ و ١/٤ وفلسين	
البذلات المذهبة	البذلة	دينار و ١/٤	١/٨	
البرباط	الخرقة	دينار و ٢/٣		
التمر الزبيدي	البهار	١/٣ و ١/٤	قيراط	
الثياب الأطلس	الثوب	دينارين و ١/٣ و ١/٨ وفلس	١/٤	
الثياب البندقي الجيد	الثوب	١/٢ و ١/٤ و ١/٨ وفلسين	قيراطين	
الثياب البندقي القمارية	الثوب	١/٤ و ١/٦ و ١/٨	قيراط	
الثياب البندقي الوسط	الثوب	١/٣ و ١/٤ و ١/٨ وفلسين	قيراطين	
الثياب التمّية المقاربة	العشرة	١/٢ و ١/٤ و ١/٨ وفلسين	١/٨	
الثياب الجومري	العشرة	دينارين و ١/٢ و ١/٣ و ١/٨	قيراطين وفلسين	
الثياب الخلدي	الثوب	١/٤ و ١/٨	ستة فلوس	
الثياب الخوارزمي والمروزي	الثوب	١/٤ وثلاثة فلوس	١/٨	

* المصدر: نور المعارف، ج١، ص٤٨٦-٤٩١.

نوع البضاعة	الكمية	الضريبة/ العشور	الدلالة	الشواني
الثياب السراعطون	العشرة	دينارين وخمس قراريط	١/٨	
الثياب العتابي المقاربة	الثوب	١/٣ و ١/٨ وفلس	خمس فلوس	
الثياب العركبية	العشرة	دينارين و ١/٣ و ١/٤ وفلسين	١/٦ و ١/٨	
الثياب العركبية المقاربة	العشرة	دينارين و ١/٦ وفلسين	خمس قراريط	
الثياب القشطان	العشرة	٥	١/٤ و ١/٦	
الثياب المصلبة	العشرة	دينار و ١/٢ و ١/٣ وثلاثة فلوس	١/٨	
الثياب المصنفة	العشرة	دينار وقيراطين	قيراطين وفلسين	
الثياب المقرب	الثوب	١/٢ و ١/٨	١/٨ وفلسين	
الجلود البقرية	العشرة	١/٤ و ١/٨ وفلس	-	١/٦ و ١/٨
الجوازي الثلاثية الساذج	العشرة	١/٢ و ١/٤	خمس فلوس	
الجوازي الحرير الرباعية	العشرة	دينارين و ١/٣ و ١/٤ وثلاثة فلوس	١/٦ و ١/٨	
الجوازي الحرير والشقق الحرير والملاوات الحرير والنزوائيات	العشرة	دينار وقيراطين	خمس قراريط	قيراطين وثلاث فلوس
الجوازي الرباعية الساذج	العشرة	٢/٣ و ١/٨ وفلس	ستة فلوس	سبعة فلوس
الجوازي الساذج	العشرة	دينار و ٢/٣ و ١/٤	خمس قراريط	
الجوازي الساذج المقاربة	العشرة	دينار و ١/٢ وفلس	قيراطين وفلسين	
الجوازي المحرر الثلاثية	العشرة	دينار و ١/٣ وفلسين	خمس قراريط	
الجوازي المحرر الرباعية	العشرة	دينار و ٢/٣ و ١/٤	١/٦ و ١/٨	
الجوازي المحررة واكراد المحررة	الواحد	١/٤ و ١/٦ و ١/٨	قيراطين وفلسين	
الجوازي المُحشّا الثلاثية	العشرة	دينار وستة فلوس	قيراطين	
الجوازي المُحشّا الرباعية	العشرة	دينار و ١/٣	خمس قراريط	
الجوازي المُحشّا و الرداء الجوازية المحُشّا	الواحد	١/٣ وفلسين	ست فلوس	
الحرير الأسمسيح	البهار	٨ و ١/٤ و ١/٦	٦	
الحُضض	البهار	دينارين وخمس فلوس	١/٤ و ١/٦	

نوع البضاعة	الكمية	الضريبة/ العشور	الدلالة	الشواني
الحنابل (ستائر)	العشرة	ديناريـن و ١/٣ و ١/٤ وفلسين	١/٨ وفلسين	
الحنطة من حرض وزبيد	العشرة	ديناريـن و ١/٨		
الخام الأبيني	الكورجة	دينار و١/٤ و ١/٦ وفلسين	١/٨ وفلسين	
الدخن والذرة والدجر	المدّ (٦٠ مكيال)	دينار و ١/٢		
الدسوت السائج	الدست	١/٦ و ١/٨ وفلسين	ست فلوس	
الدسوت الشعر الملونة	الدست	١/٣ و ١/٨ وثلاثة فلوس	ست فلوس	
الرصاص الأسود	البهار	دينار وخمس قراريط وفلسين	١/٦ و ١/٦	
الزّاج	البهار	١/٢ وفلسين	قيراطين	
الزنجبيل المربا	البهار	ديناريـن وست فلوس	دينار وخمس قراريط	
السباعيات الخلط والملاوات الخلط	الواحد	خمس فلوس	١/٦ وثلاث فلوس	
السباعيات الكتان	الواحد	١/٢ وثلاث فلوس	-	
السكر الرسمي	البهار	ديناريـن و ١/٣ و ١/٤ وفلسين	١/٤ و ١/٦	
السكر الصّعَرِي	البهار	دينار وخمس قراريط وفلسين	-	
السكر المكرر	البهار	٣ وخمس قراريط	٢/٣	
السمسم	المدّ (٦٠ مكيال)	ديناريـن و ١/٨		
السواسي القوصي المقاربة	العشرة	ديناريـن و ١/٢ و ١/٣ و ١/٨	قيراطين وفلسين	
الشُب الجبلي	البهار	١/٢	قيراطين	
الشقق الخلط والظافري	شقة	١/٢ و ١/٨ وفلسين	-	
الشقق الدبيقي المذهبة	العشرة	٤ و ١/٣ و ١/٤	١/٤ و ١/٦	
الشقق الكتان	المدّ (٦٠ مكيال)	٢/٣	قيراطين وفلسين	
الشقق الكتان	العشرة	٢/٣	قيراطين وفلسين	سبعة فلوس
الشقق المُحشّا	العشرة	ديناريـن وقيراطين وفلسين	خمس قراريط	
الشقق المشفع	العشرة	١/٣ و ١/٤	-	

نوع البضاعة	الكمية	الضريبة/ العشور	الدلالة	الشواني
الصبر الجبلي	البهار	دينار وخمس قراريط وفلسين	١/٦ و ١/٨	
الظهاير (التفاضي)	العشرة	دينار و ١/٢ و ١/٣ و ١/٨	خمس قراريط	
العُطب المبرعم	البهار	٢/٣	١/٦	
العُطبْ المحلوج	البهار	دينار و ١/٣ و ١/٤ و ١/٨	١/٤ و ١/٦	
العقيق الأحمر	ما كان قيمته ١٠٠	٨ وقيراطين	٣	
العمائم الحبشيات	العشرة	٣ وثلاثة فلوس	١/٤	
العمائم القطن	العشرة	٢/٣	قيراطين	
الغزل	البهار	ثلاثة و ١/٢ و ١/٣	١/٨	
الفوط الأبينية	العشرة	١/٢ وفلسين	ست فلوس	
الفوط الثلاثية الحرير	العشرة	دينار و ١/٦ و ١/٨ وفلس	١/٨ وثلاثة فلوس	
الفوط الحرير	العشرة	أربعة و ١/٢ و ١/٨	١/٢ و ١/٤	
الفوط الحرير والكتان الثلاثة	العشرة	٢/٣	١/٦ وفلسين	
الفوط الحرير والكتان	العشرة	دينار و ١/٢ و ١/٣	١/٢	١/٦ و ١/٨
الفوط الحرير والكتان الرباعية	العشرة	دينار و ١/٤ و ١/٦	١/٤	
الفوط الرباعية الحرير	العشرة	دينار و ١/٢	خمس قراريط	
الفوط الرباعية الكتان	العشرة	٢/٣ و ١/٨ وفلس	قيراطين	
الفوط الشحرية	العشرة	٢/٣	ست فلوس	
الفوط القوص الصغار	العشرة	١/٢ وثلاثة فلوس	ثلاثة فلوس	
الفوط القوصي الكبار	العشرة	٢/٣ وثلاثة فلوس	خمس فلوس	
الفوط الكتان الثلاثية	العشرة	١/٤ و ١/٦ و ١/٨ وثلاثة فلوس	قيراطين	ست فلوس
الفوط الكتان والمُحشّا	العشرة	دينارين وست فلوس	١/٦ و ١/٨	خمس قراريط
الفوط المشرقية القطن	العشرة	دينار و ١/٦ وفلسين	-	
الفوّة الجبلي	البهار	دينارين و ١/٦ وفلسين	١/٦ و ١/٨	

نوع البضاعة	الكمية	الضريبة/ العشور	الدلالة	الشواني
		ثم أضيف على البهار إثني عشر	-	-
الكبريت	البهار	دينار وخمس قراريط وفلسين	١/٣	
الكمون	البهار	دينار وخمس قراريط	-	
المخاد الطبري	العشرة	١/٣ و ١/٨ وثلاثة فلوس	خمس فلوس	
المُر	البهار	٢/٣ و ١/٨ وفلسين	١/٨	
المسيحيات البيض المشفع	العشرة	دينارين وقيراط	قيراطين وفلسين	
المصاون القطن	١٠٠ مصون	دينارين	١/٥	
المطارح الطبري	العشرة	دينار وقيراطين	فلسين	
المقاطع الدمياطي الخام	العشرة	دينار و ١/٢ و ١/٤ و ١/٨	قيراطين وفلسين	
المقاطع الدمياطي المذهبة	العشرة	دينارين و ١/٦ و ١/٨	خمس قراريط	
المقاطع القوصي	العشرة	دينار و ١/٤ و ١/٦	قيراطين	
المقاطع الدمياطي المقصور	العشرة	دينارين و ١/٦ وفلس	خمس قراريط	
الملاحف القطن والثياب القطن الرباعية والفوط من الجبال	العشرة	٢/٣	ست فلوس	
الملاحف المُحشّا والثياب القطن الثلاثية والمُحشّا وغيره	العشرة	١/٢ و ١/٤ وفلسين	قيراطين وفلسين	
الملاوات الحرير الكتان	الملاءة	١/٢ و ١/٤ و ١/٨ وفلسين	١/٨ وثلاثة فلوس	
الملاوات القطن	الملاءة	خمس قراريط وفلسين	-	
الملاوات القفطي	العشرة	دينار و ١/٤ و ١/٦ و ١/٨	قيراطين وفلسين	
الملاوات القوصي	العشرة	دينار و ١/٣ و ١/٤ وفلسين	قيراطين وفلسين	
الملاوات الكتان الزبيدي	الملاءة	١/٤ و ١/٦ وثلاثة فلوس	قيراطين	
المناديل الساذج الرفاع والمطرز	العشرة	دينارين	-	
المناديل القطن والكتان	العشرة	دينار و ١/٨	-	
المناديل القوصي	العشرة	٢/٣	خمس فلوس	
المناديل القوصي المسكنة	العشرة	١/٢ و ١/٤ و ١/٨ وفلسين	قيراطين وفلسين	

نوع البضاعة	الكمية	الضريبة/ العشور	الدلالة	الشواني
المناديل المطرزة	العشرة	دينارين وقيراطين	١/٤	سبعة فلوس
النيل الجبلي	البهار	اربعة وقيراطين	١/٢ و ١/٤	
الهرد	-	دينار وثلاث فلوس	١/٤	
الورس الجبلي	البهار	١١ وقيراط	-	
وجه البقاير	الواحد	١/٢ وثلاثة فلوس		

بعض السلع الواردة من الحبشة إلى عدن*:

جدول رقم (٢) **العاج:**

النوع	العشور	الأجرة
عال ١٠٠ - ١٢٠ وقية	على كل بها ٦ دينار	من الحبشة الى زيلع ٣ أواق من الحبشة الى زيلع ٣ محابش
المتوسط ٧٠ – ٧٥ وقية	يؤخذ العشر	من زيلع الى عدن ٢ دينار
الدون ٥٠ وقية		من زيلع الى عدن ٤ دينار

جدول رقم (٣) **الزباد:**

السعر في الحبشة	السعر في عدن	الجباية
إذا كان غلاء ٣٠ درهم فضة	إذا غلا ١٠ = ١٠٠ و ١١٠ دينار	أحيانا يدفع ثمنه بز في الحبشة
إذا كان رخص ٢٧ درهم فضة	إذا رخص ١١٠ أواق = ٩٠ دينار	شملة بز من الحبشة

جدول رقم (٤) **البغال:**

نوع البغال	ثمنها في الحبشة	الخرج والكراء العشور في عدن وزبيد	ثمنها في عدن	ملاحظات
نادر	١٠ أواق ذهب	-	ليس لها في اليمن سعر لعدم جلبها	نادرة الوجود ولا تصلح الا للسلطان
نوع جديد	٢٠ وقية فضة	-	١١٠ –	-

* المصدر: نور المعارف، ج١، ص٣٦١-٣٦٦.

نوع البغال	ثمنها في الحبشة	الخرج والكراء العشور في عدن وزبيد	ثمنها في عدن	ملاحظات
			١٢٠ اوقية فضة	
نوع دونة	١٥ وقية فضة	-	١٠٠ وقية فضة	-
نوع أدون	١٠ اوقية فضة	-	٦٠-٧٠وقية فضة	-
نوع دون	٥ اوقية فضة	-	٣٠-٤٠ وقية فضة	-
العال	١٠ و ١١ كاملية نهاية	خرج ١ و ١/٤ ، كرا ٥,٤ عشور زبيد ١ و ١/٤ وليس عليها في عدن عشور وعلف ١ و ١/٤.	-	-
الوسط	٦ أو ٧ أواق	خرج ١ و ١/٤ ، كرا ٥,٤ عشور زبيد ١ و ١/٤ وليس عليها في عدن عشور وعلف ١ و ١/٤	-	-
الدون	٥ أو ٤ أواق	خرج ١ و ١/٤ ، كرا ٥,٤ عشور زبيد ١ و ١/٤ وليس عليها في عدن عشور وعلف ١ و ١/٤	-	-
النادر	٣٠ وقية	الخرج الراس درهمين	-	-
الجيد	٢٠ وقية	الدلالة في الحبشة درهم	-	-
الدون	١٥ و ١٠ وقية	الكراء ٥ دراهم قيمة جلد بفرش قيمة البغل دينار	-	-
الدون	٥ أوقية	ضريبة الديوان والضامن في عدن الراس دينار	-	-

جدول رقم (٥) **الخدم:**

السعر	العشور	
الخدم العال: ١٠٠ وقية نقد	خرج ٢٠ منها عشور زبيد ٥ و ١/٢ وكر ٣,٢ والباقي لأنه يوكل لحم وسمن، عشور عدن ١ / ٤,٢	ليس عليه عشور في عدن
الخدم الوسط (الخرجي) ٨٠	٦٠,٥٠ وقية	
الخدم الدون ٧٠	٤ وقية	

جدول رقم (٦)

البضائع الواردة من مصر إلى الفرضة*

نوع البضاعة	الكمية	الضريبة/ العشور	الدلالة	الشواني
الأبراد العراقية	العشرة	١/٤ و ١/٣ و ٢ دينار وفلسين	١/٤ دينار	
الأبراد المسافرية	البرد	١/٤ و ١/٣ دينار	قيراطين	
الابرسيم	العشرة الاحناء	٦ يدنار	٣ دينار و ٥ قراريط	
الاذن	البهار	٦ و ١/٣ وفلسين	١/٢ و ١/٣ دينار	
الأرباع المذهبة الدمياطي	العشرة	٤ و١/٤ و١/٣ دينار		
الأشنة العراقية	البهار	٢ و ١/٦ دينار وفلسين	١/٨ و ١/٦ دينار	
الأشنة المائعة اليابسة	البهار	٢ و ٢/٣ دينار وفلسين	١/٨ و ١/٦ دينار	
الأكسية الملطي	العشرة	١/٨ و١/٣ و٣ دينار	١/٨ و١/٦ دينار	
الانطاكي الرفاع	الثوب	أو فلسين	قيراطين و ١/٢	
الأنقبة المذهبة	النقاب	١/٣ دينار		
انقبة المذهبة والمطرز	النقاب	١/٦ دينار		
الأوساط المسفع	العشرة	٣ و١/٣ دينار		
البذلات الرفاع	البذلة	١,٥ قراريط وفلسين	قيراطين و ١/٢	
البذلات المطرزة الوسط	البذلة	١/٨ و ١/٤ و ١/٢ دينار وفلسين	قيراطين	
البذلات المقاربة	البذلة	١/٤ و ١/٣ دينار وفلسين	٥ فلوس	
البقاير والحباشي	العشرة	٧ و ١/٤ و ١/٢ دينار		
التقانيع البيض	العشرة	١/٣ دينار	قيراط	
التقانيع الحرير والساذج	التقنيعة	١/٨ و١/٦ دينار		
التقانيع الشرب المذهبة والمناديل والطرحات المذهبة	الواحد	١/٨ و١/٦ و١/٤ دينار		
التلاثيم المطرزة الرفاع	العشرة	٥,٧ قراريط	١/٤ و ١/٣ دينار وفلسين	

* المصدر: نور المعارف، ج١، ص٤٧٩-٤٨٤.

نوع البضاعة	الكمية	الضريبة/ العشور	الدلالة	الشواني
التلاثيم المطرزة الوسط	العشرة	٦ دينار	١/٢ دينار	
التلاثيم المطرزة المقاربة	البذلة	٥,٤ قراريط وفلسي	١/٣ دينار وفلسين	
التوتيا المزارين	البهار	٣ دينار	١/٢ و ١/٤ دينار	
الثياب الشيرازية	العشرة	١/٦ و ٢ دينار وفلسين	٥ قراريط	
الثمرة الحمراء	البهار	٤ دينار وقيراط	دينار	
الثمرة المعصورة	البهار	١/٨ و ١/٣ و ١/٢ و ٢ دينار	٢/٣ دينار	
الثياب الديباج الممرح	الثوب	١/٤ و ٣ ، ١/٨و٣ دينار و٣ فلوس	١/٢ دينار	
الثياب الديباج الممرح	الثوب	١/٤ و ٣ ، ١/٨و٣ دينار و٣ فلوس	١/٢ دينار	
الثياب الديباج المثغر	الثوب	١/٨ و ١/٦ و دينار	١/٦ دينار	
الثياب الحولية	العشرة	٥ قراريط وفلسين	١/٦ و ١/٨ دينار وفلسين	
الثياب العتابي	الثوب	٢/٣ وفلسين	قيراطين	
الثياب السقلاطون	الثوب	١/٨ و ١/٣ و ٢ دينار وفلس	١/٤ دينار	
(الثياب الفارسية) الخام	الكورجة	١ و ١/٨ و ١/٣ و ١/٢ دينار و٣ فلوس	١/٨ دينار	
الثياب الفارسية المقصور	العشرة	دينار وقيراطين		
الثياب الانطاكي الوسط	الثوب	١/٣ و١/٢ و٣ دينار	قيراطين	
الثياب الانطاكي المقارب	الثوب	٥,٦ قراريط	١/٢ و١/٣ دينار وفلسين	
الثياب الديبقي المقارب	الثوب	١/٨ و١/٣ دينار وفلسين	قيراط	
الثياب الديبقي الوسط	الثوب	١/٨ و١/٤ و١/٣ دينار وفلسين	٦ فلوس	
الثياب المرفودة	العشرة	٢ و١/٦ دينار وفلسين	٥ قراريط	
الثياب الحريري التركي الأصفهاني	الثوب	١/٨ و١/٦ و١/٤ دينار	٣ فلوس	
الثياب الحرير الصندات	العشرة	دينار و١/٨ و١/٣	١/٦ متواني ١/٤	
الثياب المصمت المذهب	الثوب	دينار		
الحُلل المذهبة	الثوب	دينارين	١/٢ و ١/٨ دينار	

نوع البضاعة	الكمية	الضريبة/ العشور	الدلالة	الشواني
الحُلل الملونة	العشرة	١/٨ و ١/٣ و ١/٢ و ٤ دينار	١/٤ و ١/ دينار وفلسين	
الحمر	البهار	١/٢ دينار وفلس	قيراطين	
الحواشي الحرير		١/٣ دينار		
الدركي الدهلكي	البهار	٢ و ١/٨ و ١/٣ دينار وفلس	١/٨ و ١/٦ دينار	
الدركي العبري	البهار	١ و ١/٣ دينار وفلسين	١/٨ و ١/٦ دينار	
الدركي العبري	البهار	١ و ١/٣ دينار وفلسين	١/٨ و ١/٦ دينار	
الدسوت الحرير الساذج	العشرة	٣ و١/٣ دينار		
الراسخت	العشرة الأمناء	١/٢ دينار وفلس	٥ قراريط	
الرصاص الأبيض	البهار	٣ و ١/٤ و ١/٢ دينار وفلسين	دينار	
الرصاص الأسود	البهار	دينار وخمسة قراريط وفلسين	١/٨ و ١/٦	
الرميلون الاشكلاط	العشرة	١ و١/٨ و١/٦ و١/٤ دينار وفلسين	قيراطين وفلسين	
الزئبق	العشرة الأمناء	١ و ١/٨ و ١/٤ وفلسين	١/٨ و ١/٤ و ١/٣ دينار وفلسين	
الزبيب من عسير	البهار	١/٤ و١/٢ دينار	٧ فلوس	
الزجاج المصري	البهار	كل ما يساوي ١٠٠/ ٥ و١/٨ و ١/٦ دينار		
الزرنيخ الأصفر	البهار	٢ و١/٦ دينار وفلسين	١/٤ متواني / ٥ قراريط	
الزعفران	المن	١/٨ و ١/٤ و ١/٢ دينار وفلسين	١/٣ و ١/٨ وفلسين	
الزنجفر	العشرة الأمناء	٢ و ١/٨	١,٥ قراريط	
السعد	البهار	٢/٣ و ١/٨ ثلاثة فلوس	١/٦ دينار	
السليط	البهار	١ و١/٨ و١/٢ دينار وفلسين		
السمن	البهار	١ و١/٨ و١/٢ وفلسين		
السواسي الحريري المقصور المقارب	الثوب	٥ و١/٨ و١/٦ و١/٤ دينار وفلسين	قيراط	
السواسي البيض والمسفع والرفاع	العشرة	٧ و ١/٦ دينار	١/٢ و ١/٤ دينار	
السواسي الوسط	العشرة	٥ و ١/٨ و ١/٦ و ١/٤ دينار	١/٢ دينار	

نوع البضاعة	الكمية	الضريبة/ العشور	الدلالة	الشواني
السواسي الكبار	العشرة	٤ و ١/٤ و ٣ دينار فلوس	١/٨ و ١/٦ دينار وفلس	
السواسي الحريري الخام الرفاع	الثوب	٦,١٢ فلوس	دينار و١/٢	
السواسي الحريري الخام الوسط	الثوب	٨ و١/٣ و١/٢ دينار	دينار	
السواسي الحريري الخام المقاربة	الثوب	٥,٦ قراريط	١/٤ و١/٣ دينار وفلسين	
السواسي الحريري المقصور الرفاع	الثوب	٨ و١/٣ و١/٢ دينار	دينار	
السواسي الحريري المقصور الوسط	الثوب	٧ و١/٦ دينار	١/٤ و١/٢ دينار	
السواسي الحريري المقصور المقارب	الثوب	٥ و١/٨ و١/٦ و١/٤ دينار وفلسين	قيراط	
الشب	البهار	دينار		
الشرابيات الملونة	العشرة	٢ و١/٨ و١/٣ و١/٢ دينار وفلسين		
الشمع	البهار	دينارين و ٦ فلوس	١/٢	
الصفر البيروة	البهار	٢ و ١/٨ و ١/٢ دينار وفلسن	٢/٣ دينار	
الصفر الفخر	البهار	٤ و ١/٨ و ١/٦ و ١/٤ دينار	دينار	
الصفر القصب الحلو	البهار	٩ دينار	١/٣ و ١/٢ و ١ دينار	
الصفر القصب المُر	البهار	٨ و ١/٦ دينار	١ و ١/٨ دينار	
عرق السوس	البهار	١/٨ و١/٢ دينار	١/٨ متواني / ١/٦	
العسل النحل	البهار	دينار و ١/٢ و ١/٣		
العصائب (عصابة الراس)		١/٣ دينار		
العصارة	البهار	١/٣ دينار وفلسين	فلس	
العفص	البهار	٥,١ قراريط وفلسين	١/٦ و ١/٨ دينار	
العقدات الملونة الكبار	العشرة	٢/٣ دينار وفلسين	قيراطين	
العمائم الملونة	العشرة	٢ و١/٤ و١/٣ دينار وفلسين	١/٤ دينار	
العمائم القوصي	العشرة	١/٣ و ١/٢ دينار وفلسين	٥ فلوس	
العمائم القوصي المطرزة	العشرة	١	٦ فلوس	

نوع البضاعة	الكمية	الضريبة/ العشور	الدلالة	الشواني
العمائم السفلي (سفالة موزمبيق)	العشرة	٤ و١/٤ و١/٢ دينار	١/٦ و١/٤ دينار	
الفوط القوصي المحشا	العشرة	٦ و١/٤ و٢/٣ دينار	قيراطين	
الفوط الملونة الفتوحي	العشرة	١ و١/٤ و١/٢ دينار وفلسين	٥ قراريط	
قشر المحلب	البهار	٢ دينار وقيراطين	١/٤ و ١/٣ دينار	
الكاغد العراقي	الشدة	دينار و قيراطين	-	
الكبريت	البهار	٥,١ قراريط وفلسين	١/٣ دينار	
الكتان	العشرة الأمناء	١ و ١/٢ و ١/٣ و ٣ فلوس	١/٢ دينار	
الكُحل المغربي	البهار	١/٣ و ١/٢ و ١	١/٣ دينار	
الكمون	البهار	٥,١ قراريط	١/٣ دينار	
الماء الورد	العشرة الاحناء	١/٢ دينار	٥ قراريط	
المائعة السائلة	البهار	٢ و ٢/٣ و ١/٤ دينار وفلسين	٢/٣ دينار	
المحلب بقشره	البهار	٣ دينار وقيراط	١/٣ و ١/٢ دينار	
المحلب المنقا	البهار	١/٦ و ١/٤ و ٤ دينار	١/٦ ، ١ دينار	
المرجان الجيد	البيعة	٢ و ١/٨ و ١/٤ ز ١/٢ دينار	١ و ١/٦ دينار وعلى كل ١٠٠ رطل ٥٤و ١/٣ و ١/٤ و ١/٨	
المرجان الوسط	البيعة	٢ و ١/٤ و ١/٦ و ١/٨ دينار	١ دينار وعلى كل رطل ٤٥ و ١/٨ دينار و ٣ فلوس	
المرجان المقارب	البيعة	٥,٢ قراريط	١/٤ و ١/٣ دينار وعلى ١٠٠ رطل ٣٥ و ١/٣ دينار وفلس	
المرجان المرس	البيعة	١٠ وقيراطين وفلسين	١/٤ و ١/٦ و ١/٨ دينار وعلى ١٠٠ رطل ١٧ دينار	
المصطكي	البهار	٨ و ١/٦ دينار	١/٨ و ١/٢ دينار	
المعاجر البيض المذهبة	المعجر	١/٨ و١/٦ دينار	قيراط	
المقاطع البيض ولامسفع والحريري الرفاع	العشرة	٢ و ١/٨ و ١/٤ و ١/٢ دينار وفلسين	١/٨ و ١/٦ دينار وفلس	
المقاطع الوسط	العشرة	٥,٢ قراريط وفلسين	٥ قراريط	
المقاطع والجيد	العشرة	٢و٢/٣و١/٤ دينار وفلسين	١/٨ دينار وفلسين	
المقاربة	العشرة	١/٤ و ١/٢ و ١ دينار وفلس	قيراطين	

الشواني	الدلالة	الضريبة/ العشور	الكمية	نوع البضاعة
	٥ قراريط	٥,٢ قراريط وفلسين	العشرة	الملاوات الحمصي الكافوري والطاووس
	١/٦ دينار	١ و ١/٢ و ١/٤ و ١/٨ دينار وفلسين	العشرة	الملاوات الشعري
	١/٢ دينار	٤ دينار و ١/٦	العشرة	الملاوات الالكتان والفتوحي والحمصي والكافور والطاووس
	١/٨ و١/٤ دينار وفلسين	٣ دينار و١/٨ و١/٦ و١/٤	العشرة	الملاوات الشعري الفتوحي
	٥ قراريط	٢ و١/٨ و ١/٦ و١/٤ دينار وفلسين	الملاه	الملاوات الشرب الرفاع
	قيراطين ونصف	١ و ١/٨ و١/٦ و١/٤ دينار	العشرة	المناديل المقاربة الشعري والكافوري الساذج
	١/٦ دينار	١/٣ و١/٢ و١ دينار	العشرة	المناديل السباعية المزنرة والمسكي
	١/٨ و١/٦ دينار	١/٨ و١/٣ و٣	العشرة	المناطر الصوف الحريري
	قيراطين وفلسين	١ و١/٣ دينار و٣ فلوس	المنطر	المناطر الصوف الكبار
	١/٦ و١/٤ دينار	١/٨ و٢/٣ دينار و٣ فلوس	العشرة	الملاوات المصري عمل الحبشي
	١/٨ دينار وفلسين	١/٦ و١/٤ دينار وفلسين	العشرة	الملاحف المصري
	٥ فلوس	١/٢ دينار	العشرة	المناديل الانطاكية الصغار
	٥ قراريط	١/٢ دينار وفلس	العشرة الأمناء	النادر
	١/٢ دينار	١/٨ و ١/٤ و ٣ دينار وفلسين	العشرة	النصافي البغدادي الرفاع
	قيراطين	١/٨ و١/٦ و١/٤	النصفية	النصافي المذهبة
	١/٨ و ١/٦ دينار	١/٤ و ١/٣ و ٢ دينار وفلسين	العشرة	النصافي البغدادي الوسط
	١/٨ دينار	١/٦ و ٢ دينار وفلسين	العشرة	النصافي الموصلية
		١/٦ دينار	النجنق	النجانق والمطرز والساذج
		١/٣ دينار	النجنق	النجانق المذهبة (طاغية)
	١/٦ دينار	١/٨ و ٢/٣ دينار و ٣ فلوس	البهار	الهدس الفارسي
	١/٦ و١/٤ دينار	١/٨ و٢/٣ و٣ فلوس	العشرة	الوسطانية الساذج الرفاع

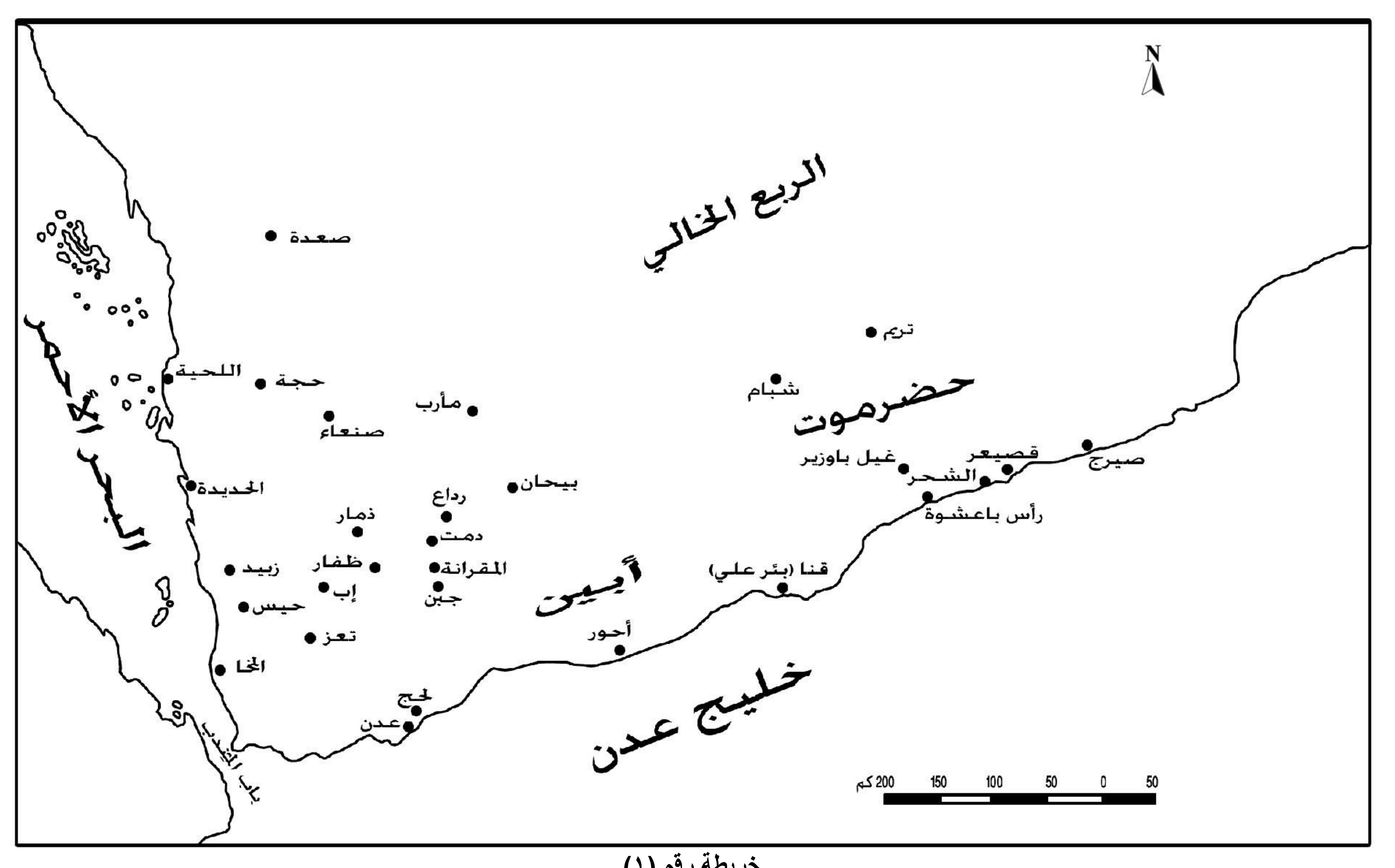
جدول رقم (٧)
البضائع الواردة من بلاد الهند إلى الفرضة*

نوع البضاعة	الكمية	الضريبة/ العشور	الدلالة	الشواني
أبراد بروجية	العشرة	دينارين و ١/٣ و ١/٤ وفلسين	١/٤	١/٤ وقيراط وفلس
أبراد قصبية	العشرة	دينارين و ٢/٣ و ١/٤ وفلسين	١/٤	١/٤ وقيراط
أبراد كنبايتية	العشرة	دينارين و ١/٢ و ١/٤ وفلسين	خمسة قراريط	١/٤ وثلاثة فلوس
إبريسم	١٠ أمناء	٩ و ١/٢ و ١/٣	٣ وخمسة قراريط	١/٢ و ١/٣ و ١/٨ وثلاثة فلوس
أبنوس	١٠ أبهرة	٥ و ١/٣	١/٢ و ٤١	١/٢ وقيراط
أبنوس (تصدير)	١٠ أبهرة	٦ وقيراطين وفلسين	-	-
أظفار مدور	البهار	٣ و ١/٣ و ١/٨ وفلسين	٢/٣	-
أظفار مشّقر	البهار	٦ و ١/٢ و ١/٨ وفلسين	١/٦ و ١/٨	-
ألواح ساج شقيق		يؤخذ ربعها	-	-
بسباسة	١٠ أمناء	٥ و ١/٣ و ١/٤ و ١/٨	٤	١/٤ و ١/٦ و ١/٨ وثلاثة فلوس
بيسر بشرك (نسائية)	الكورجة	٢/٣ و ١/٤	قيراطين	قيراطين وفلس
بيسر بغير شرك		معفي من الضرائب		
تلاثم شعريات وسط	العشرة	٦	١/٢ و ١/٣	دينار
تلاثم مطرزة رفاع شعريات	العشرة	٦ وخمسة قراريط	١/٣ و ١/٤ وفلسين	دينار
تنكار	البهار	١١ و ١/٢	٣ و ١/٢	دينار و ١/٨ وثلاثة فلوس
حديد		يؤخذ منه الخمس		-
حُضض	البهار	٣ و ١/٢ و ١/٨	١/٤ و ١/٦	١/٣ وثلاثة فلوس
حُمَرْ	البهار	دينار وقيراط	قيراطين	قيراطين وفلسين
حنابل (ستائر)	العشرة	دينارين و ١/٣ و ١/٤ وثلاثة فلوس	١/٨ وفلسين	١/٤ وفلسين
خرز جُمان	السفط (وعاء يماثل	١/٢	بدون	نسبتها غير معروفة

* المصدر: نور المعارف، ج١، ص٤٠٩-٤٩١.

نوع البضاعة	الكمية	الضريبة/ العشور	الدلالة	الشواني
خرز مريون صغار	١٠,٠٠٠	٣ و ١/٤ و ١/٦ وفلسين	١/٣ و ١/٨	نسبتها غير معروفة
خرز مريون كبار	١٠,٠٠٠	٣ و ٢/٣ وفلسين	١/٢	نسبتها غير معروفة
خرز هليلجي وعزّي	١٠,٠٠٠	٣ و ١/٢ و ١/٤ و ١/٨ وفلسين	١/٣	نسبتها غير معروفة
خولنجان	١٠ أبهرة	دينارين و ١/٣ و ١/٨	٢/٣	١/٤
خيار شنبر	البهار	دينار و ١/٤ و ١/٦ وفلسين	قيراطين	نسبتها غير معروفة
دار فُلفُل	البهار	٦ و ١/٤ و ١/٨	دينار و ١/٤	١/٢ و ١/٨ وفلسين
ذبل جيد	١٠ أمناء	دينارين و ١/٤	٢/٣ و ١/٨	نسبتها غير معروفة
ذبل خفيف	١٠ أمناء	دينار و ١/٢ و ١/٨ وفلسين	١/٤ و ١/٦	نسبتها غير معروفة
ذرة	المد (٦٠ مكيالاً)	دينار و ١/٢	-	نسبتها غير معروفة
رُز	المد (٦٠ مكيالاً)	دينارين و ١/٢	١/٤	-
رفاع بروجي وكنابيتي	الكورجة (٤٠ قطعة)	٣ و ٢/٣ و ١/٨	١/٣ و ١/٤ و ١/٨	١/٤ و ١/٨ وفلس
رماح قنا	١٠,٠٠٠ رمح	١٢ وخمسة قراريط وفلسين	-	دينار وخمسة قراريط وفلسين
زنجبيل مُربّا	البهار	٣ و ١/٣ و ١/٤ و ١/٨	دينار وخمسة قراريط	١/٤ و ١/٨
سليط	البهار	٣ و ١/٦ و ١/٨	-	١/٣
سمسم	المد (٦٠ مكيالاً)	دينارين و ١/٢	-	١/٤
سمن	البهار	٣ و١/٦ و ١/٨	-	١/٣
سندروس مليباري	البهار	دينار و ١/٢	قيراطين	١/٨ وثلاثة فلوس
شمع من البحر	البهار	٣ و ١/٣ و ١/٤ و ١/٨	١/٢	١/٤ و ١/٨
صندل لمندي	١٠ أبهرة	٩ دنانير	دينار و ١/٢	١/٢ و ١/٤ و ١/٨ وثلاثة فلوس
طباشير	البهار	١٠ وقيراطين	٣ دنانير	دينار وسبعة فلوس
عاج جِلّ	البهار	٥ و ١/٣ وفلسين	١/٤ و ١/٦	١/٤ و ١/٦ و ١/٨
عاج دق	البهار	٥ و ١/٨ وفلسين	١/٣	١/٢ وفلسين
عُصارة	البهارة	٢/٣ و ١/٤	ثلاثة فلوس	قيراطين وفلس

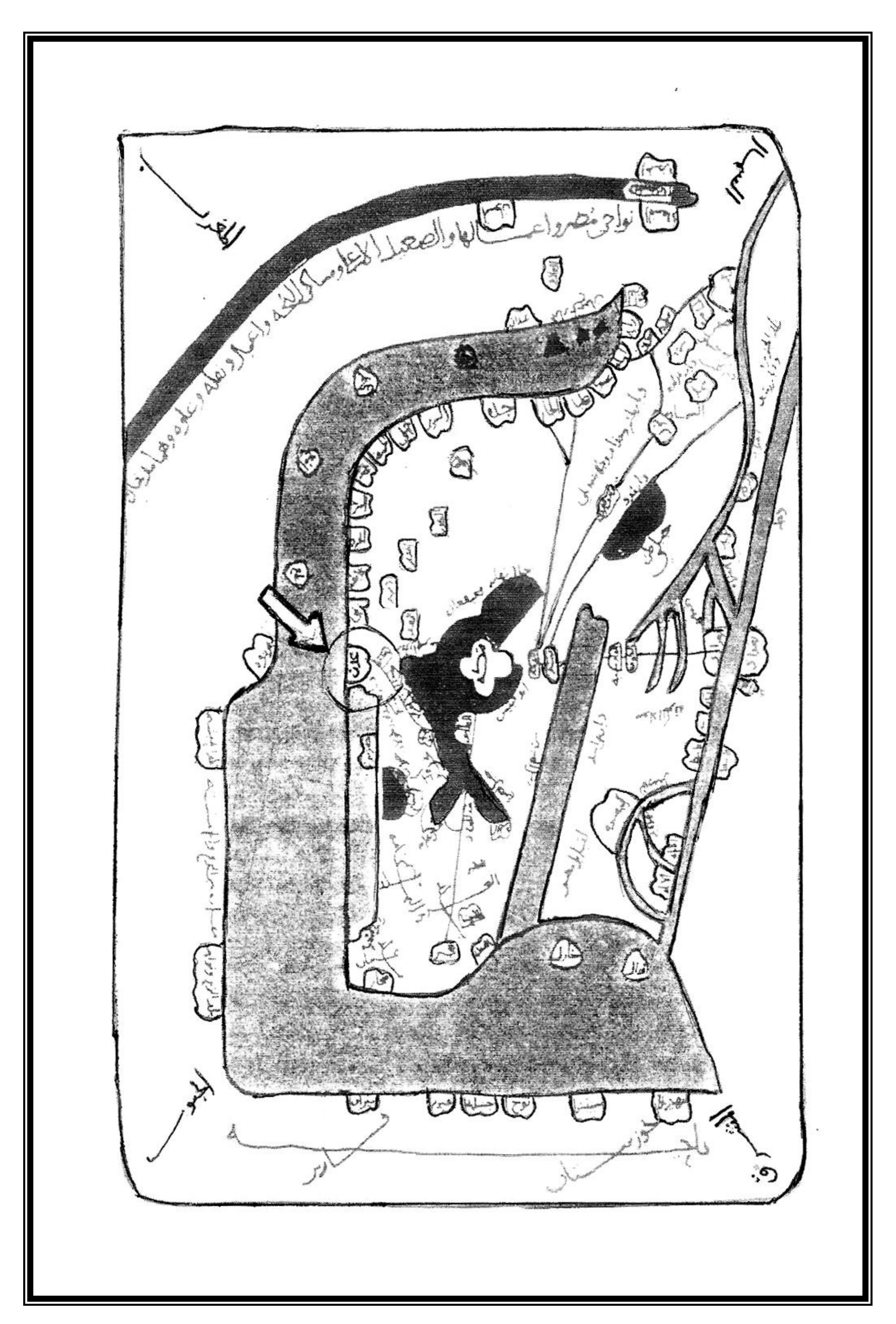
نوع البضاعة	الكمية	الضريبة/ العشور	الدلالة	الشواني
عمائم قطن كبار	العشرة	دينار وفلسين	قيراطين وفلسين	قيراطين وفلسين
عود قاقُلي جيد	١٠ أمناء	٢١ و ١/٢	١٤ دينار	دينارين و ١/٨ وثلاثة فلوس
عود قماري	١٠ أمناء	دينارين و ٢/٣ و ١/٤ وثلاثة فلوس	١/٦ وثلاثة فلوس	١/٦ و ١/٨ وفلس
غزل أحمر صولي	البهار	٢٨ و ٢/٣ و ١/٨	دينار و ١/٢	دينارين و ١/٢ و ١/٤ و ١/٨ وفلس
فاغرة	البهار	٤ و ١/٦ و ١/٨ وفلسين	١/٨	١/٣ و ١/٨
فشوريات	العشرة	٥ و ١/٤ و ١/٨	١/٦ و ١/٨	١/٤ و ١/٦ و ١/٨
فلفل	البهار	٧ و ١/٣ و ١/٤ و ١/٨	١/٢	دينار
فوط كولمي	الكورجة (٦٠ فوطة)	٧ و ١/٤ و ١/٦ و ١/٨	-	١/٢ و ١/٤
فوفل مليباري	١٠٠,٠٠٠ حبة	١١ و ١/٦ و ١/٨	١/٨ وفلس	٢/٣ و ١/٤ وفلس
قرنفل منقا	١٠ أمناء	١١ دينار	دينارين و ١/٤ و ١/٦	دينار وقيراطين وفلسين
قسط هندي	البهار	٥ و ١/٤ و ١/٦ و ١/٨ وفلسين	١/٢	٤١ و ١/٦ و ١/٨ وفلسين
كاغد ديبولي	الشدة	دينار وستة فلوس	قيراطين وثلاثة فلوس	-
كبّابة مليباري	البهار	٣ و ١/٦ و ١/٨	١/٦ و ١/٨	٢/٣
كمون	البهار	دينارين وخمسة قراريط	١/٣	خمسة قراريط وفلسين
لؤلؤ جيد	(على كل ما يسوى مائة)	١٦ و ١/٤و ١/٦	دينار	دينار و ١/٢ و ١/٨ وفلسين
لؤلؤ مقارب	١٠ مثاقيل	دينارين و ١/٢ و ١/٤ و ١/٨	١/٦ و ١/٨	-
لؤلؤ وسط	١٠ مثاقيل	٤ و ١/٦ و ١/٨ وفلسين	١/٤ و ١/٦ وفلسين	-
نيل	البهار	١٢ و ١/٨	٥ و ١/٤ و ١/٨	دينار وخمسة قراريط وفلس
هال مليباري	البهار	٦ و ١/٢ و ١/٤ وفلس	دينار	٢/٣ فلس
هرد	البهار	دينارين و ١/٤	١/٣	خمسة قراريط وفلسين
الخيل (صادر)				٧٠ دينار
الخيل (وارد)				٥٠ دينار



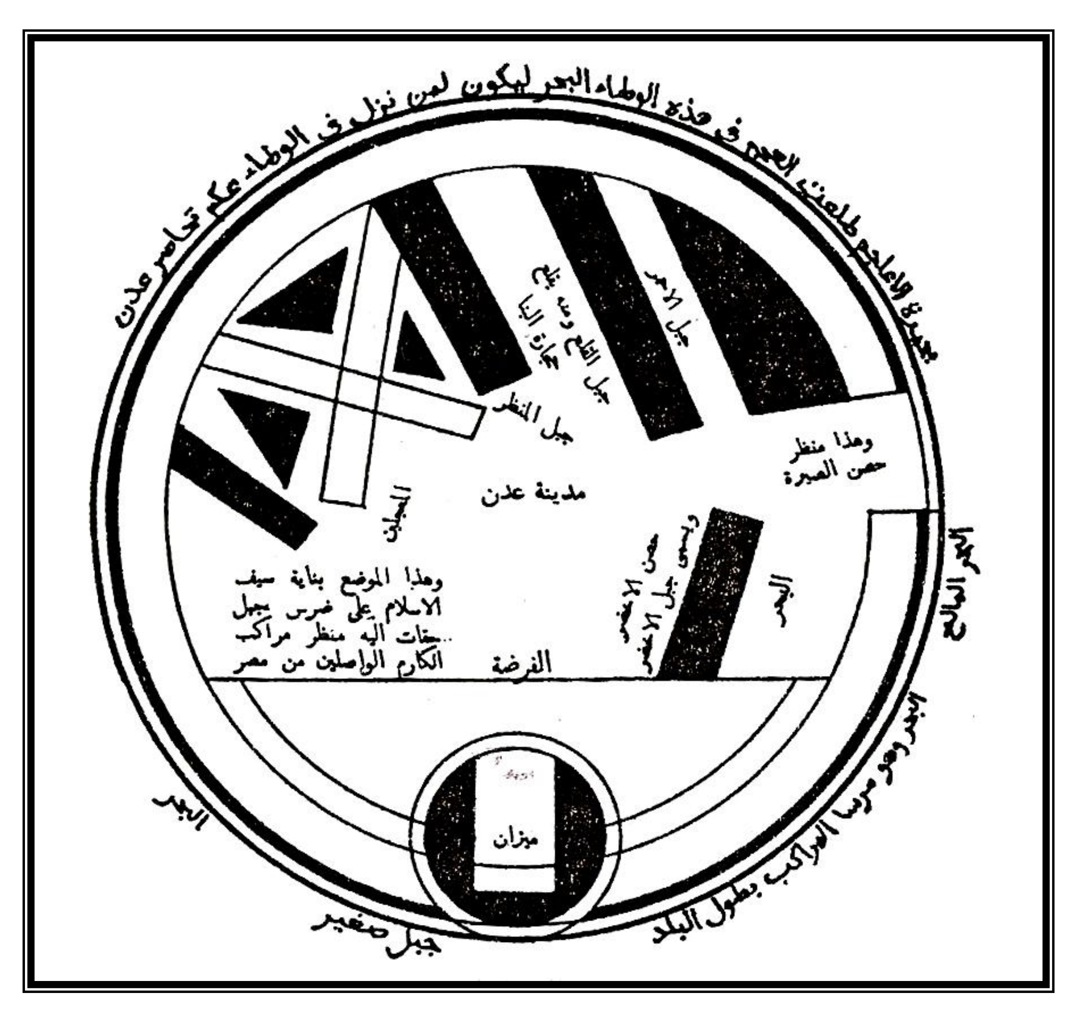
خريطة رقم (١)

توضح أقصى توسع شهدته الدولة الطاهرية في عهد السلطان الظافر عامر بن عبدالوهاب (٨٩٤-٩٢٣هـ/١٤٨٩-١٥١٧م)

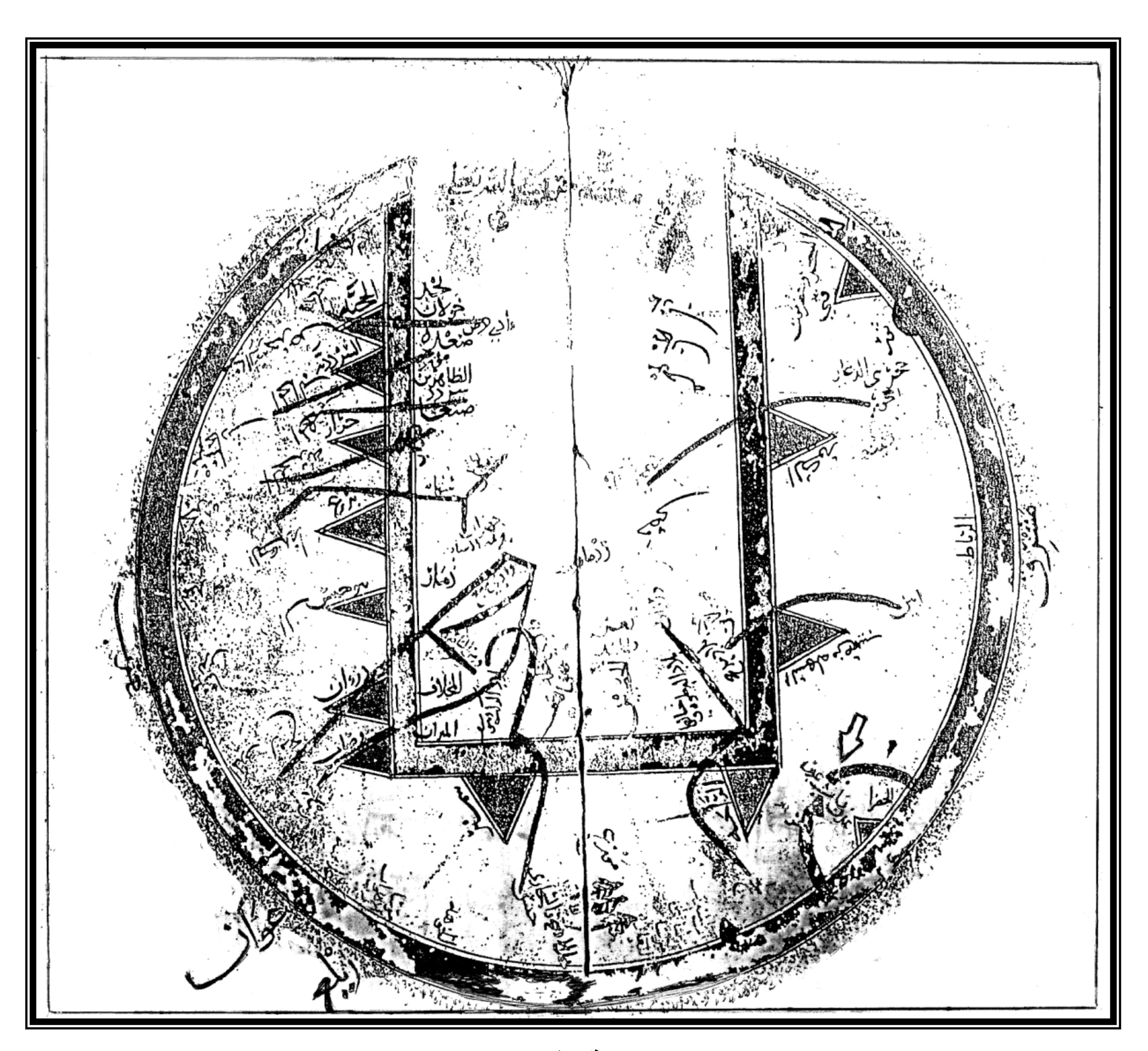
المصدر: من عمل الباحث.



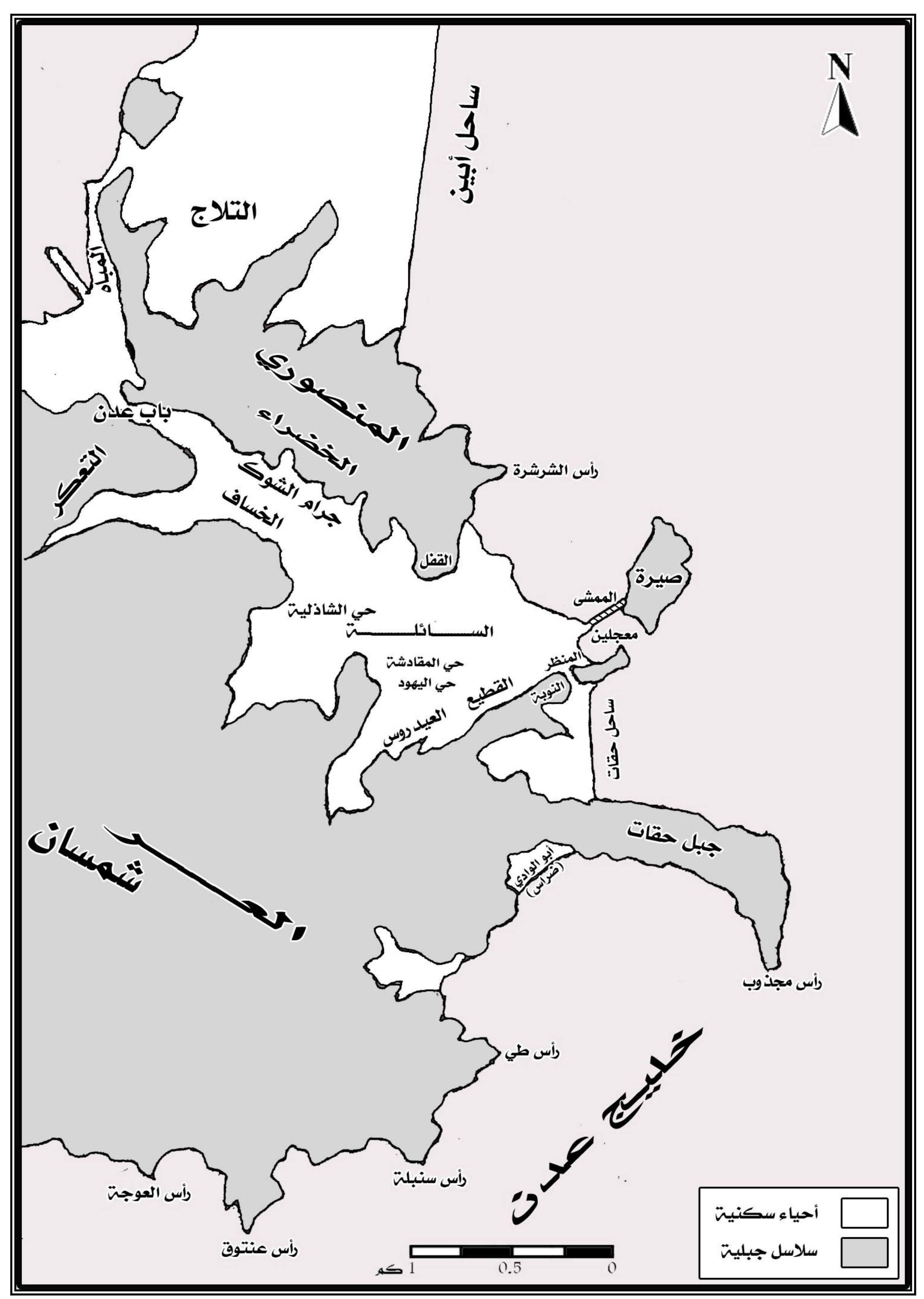
خريطة رقم (٢)
موقع عدن عند ابن حوقل



خريطة رقم (٣)
موقع عدن عند ابن المجاور

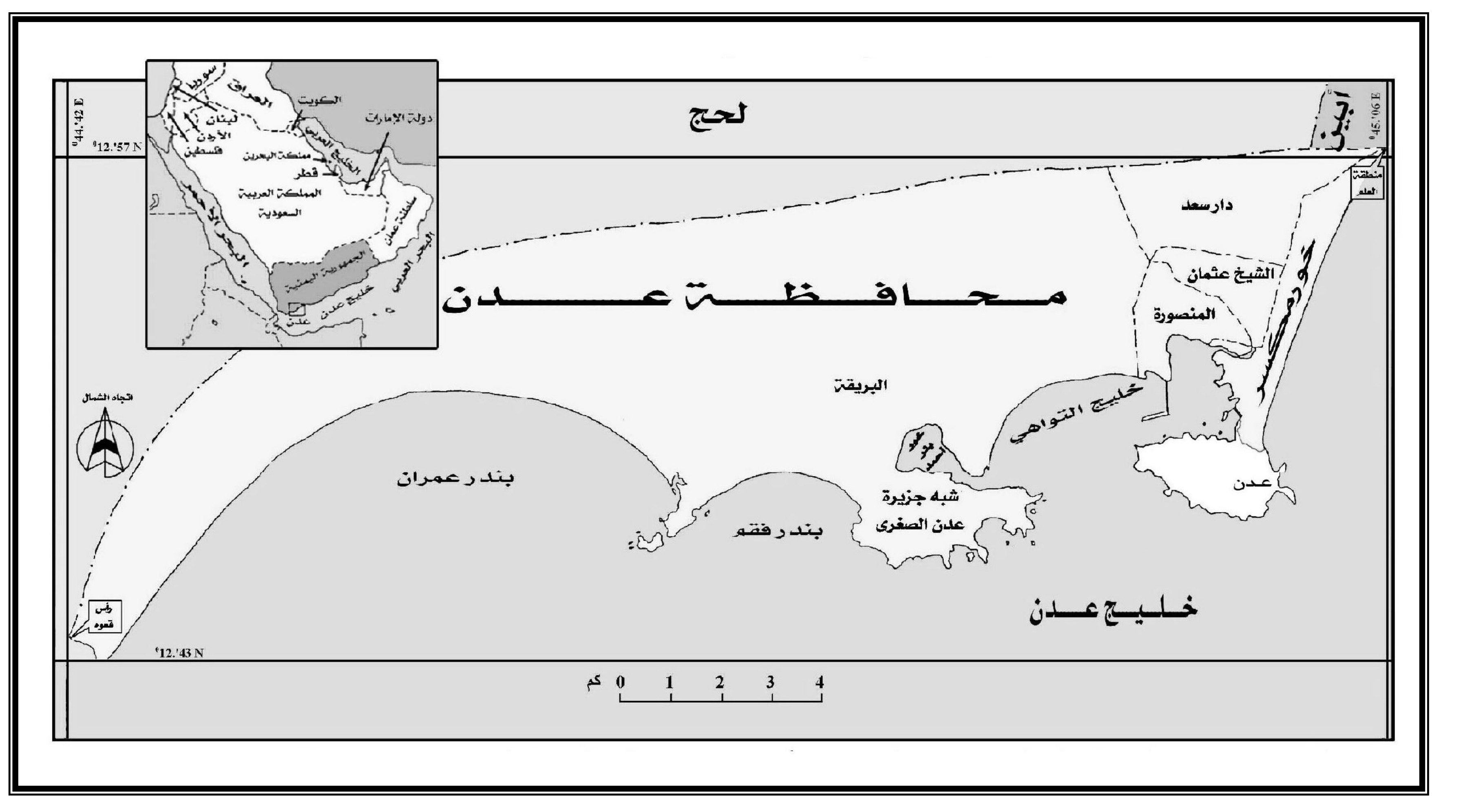


خريطة رقم (٤)
موقع عدن في مخطوط الديوان المالي المعمور



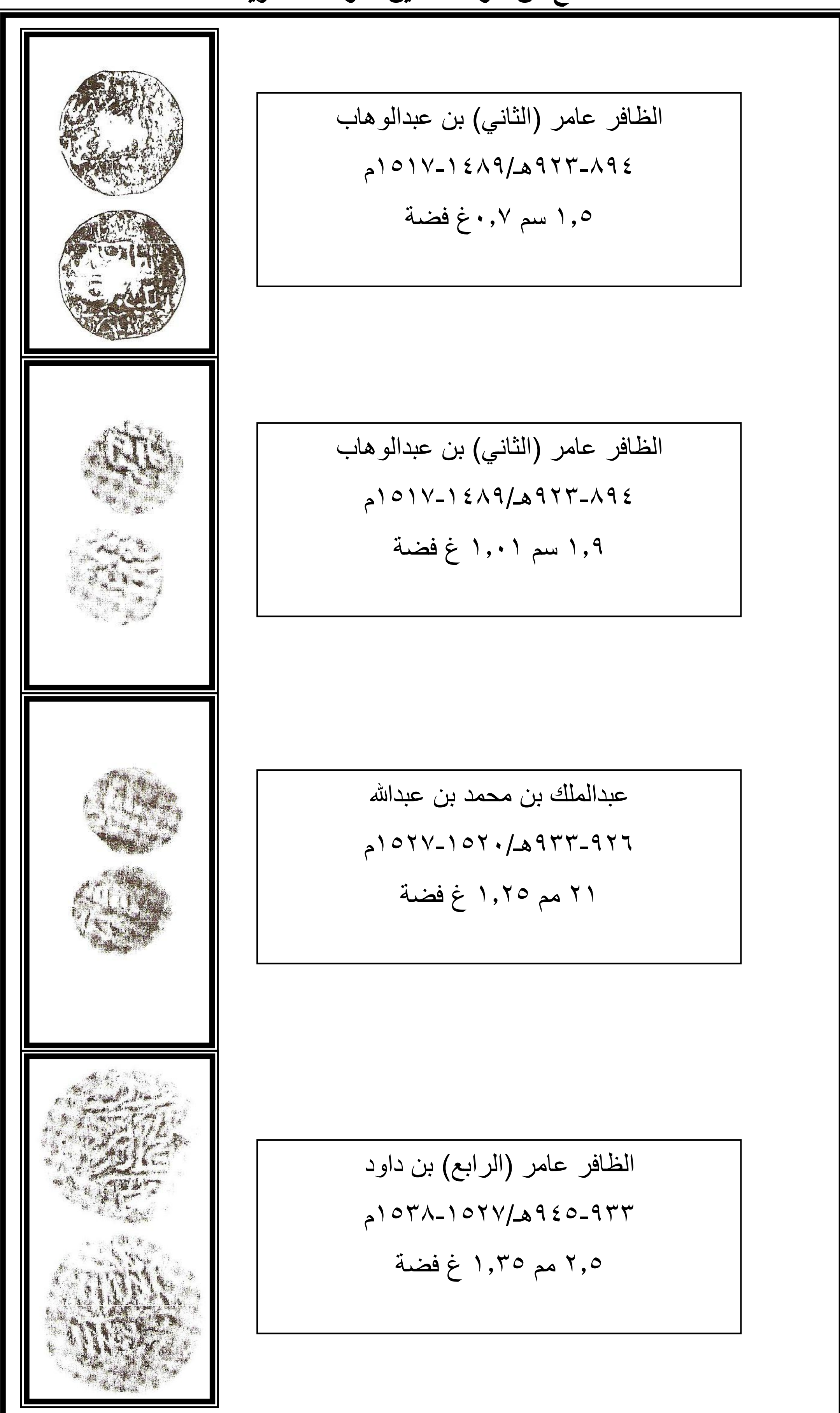
خريطة رقم (٥)

المصدر: محيرز، العقبة، ص١٤٠ مع تصرف الباحث.



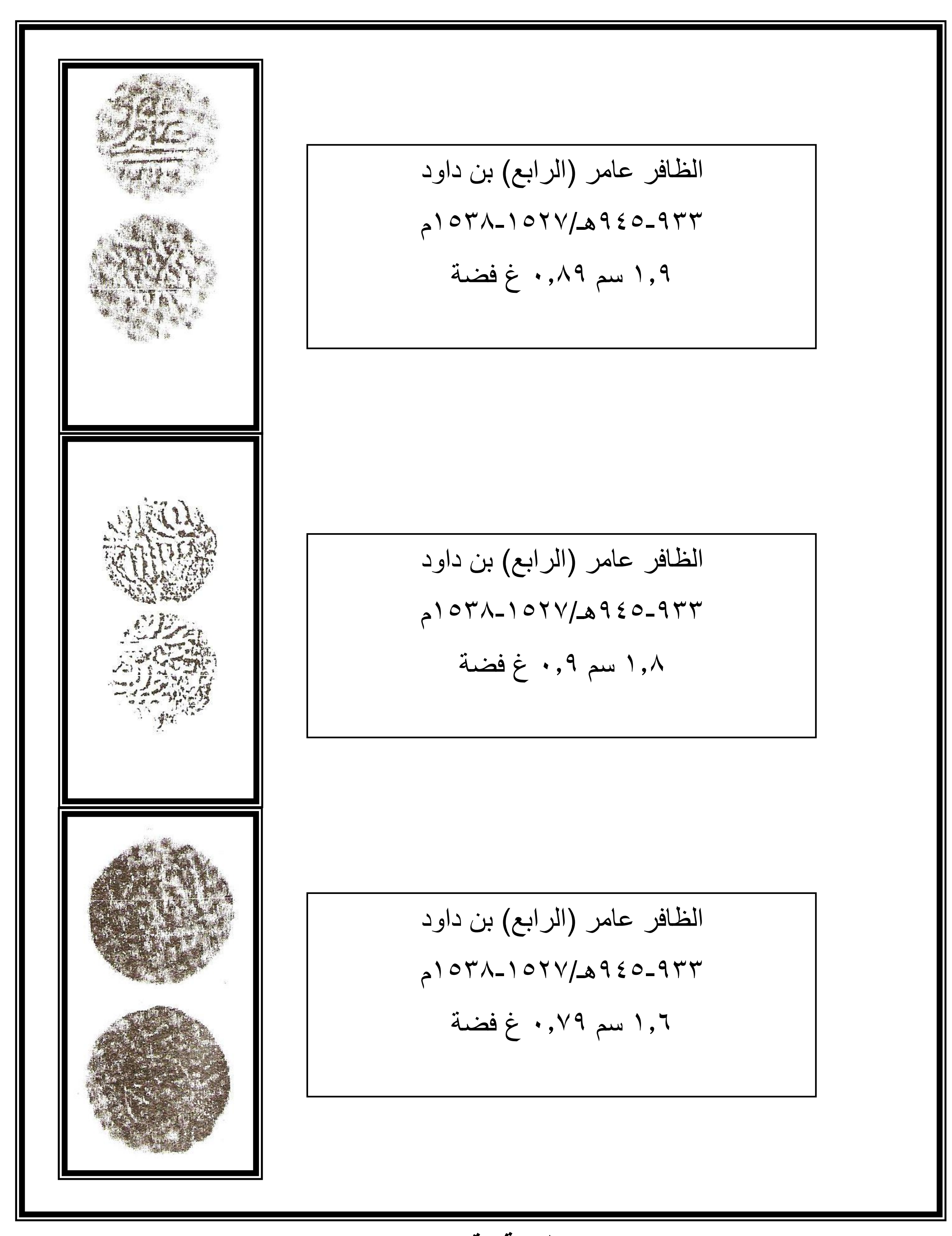
خريطة رقم (٦)
موقع عدن بالنسبة للجمهورية اليمنية

نماذج من نقود سلاطين الدولة الطاهرية



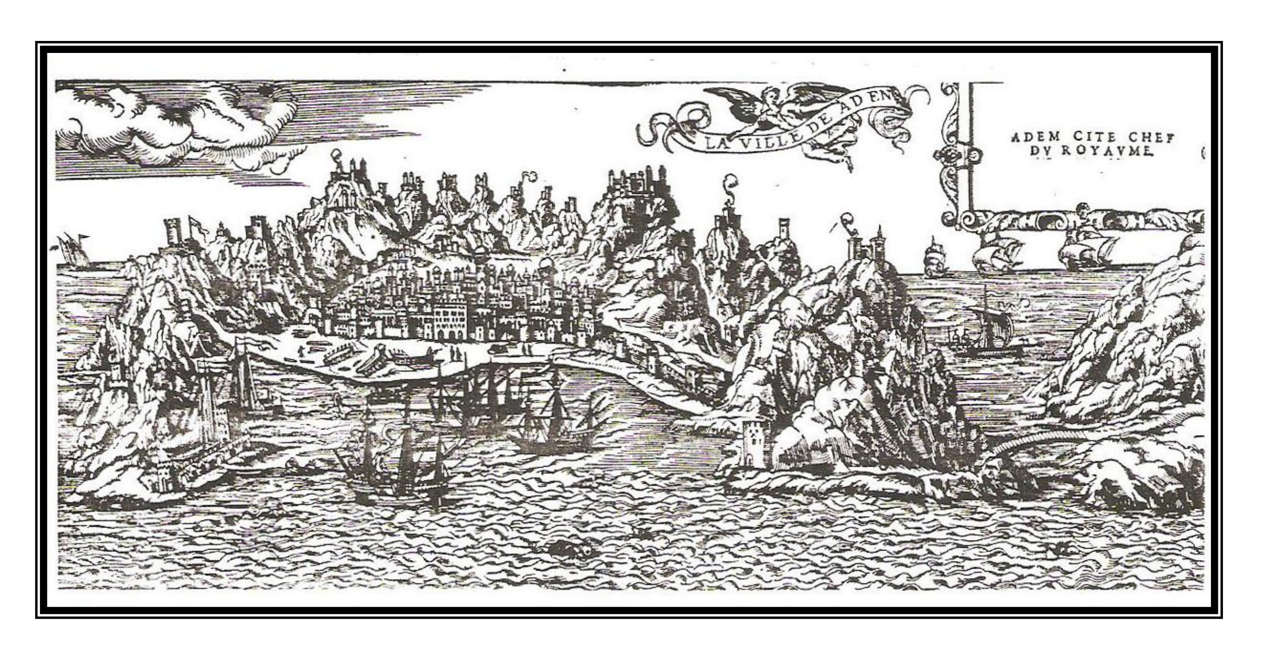
لوحة رقم (١)

المصدر: بلعفير، " العملة والتداول النقدي"، ص٢٧٠-٢٧٣.

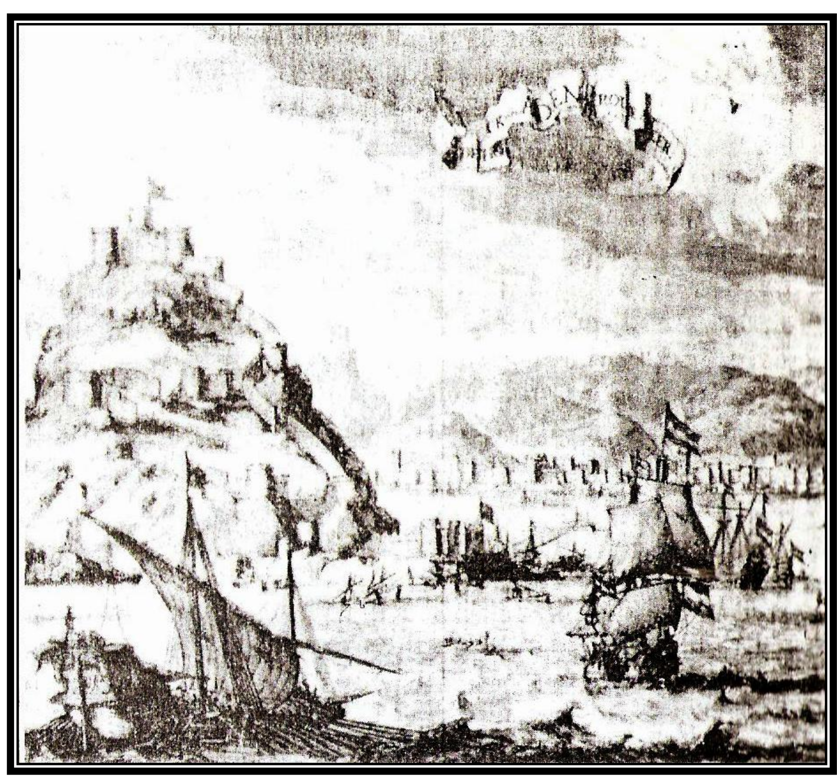


لوحة رقم (٢)

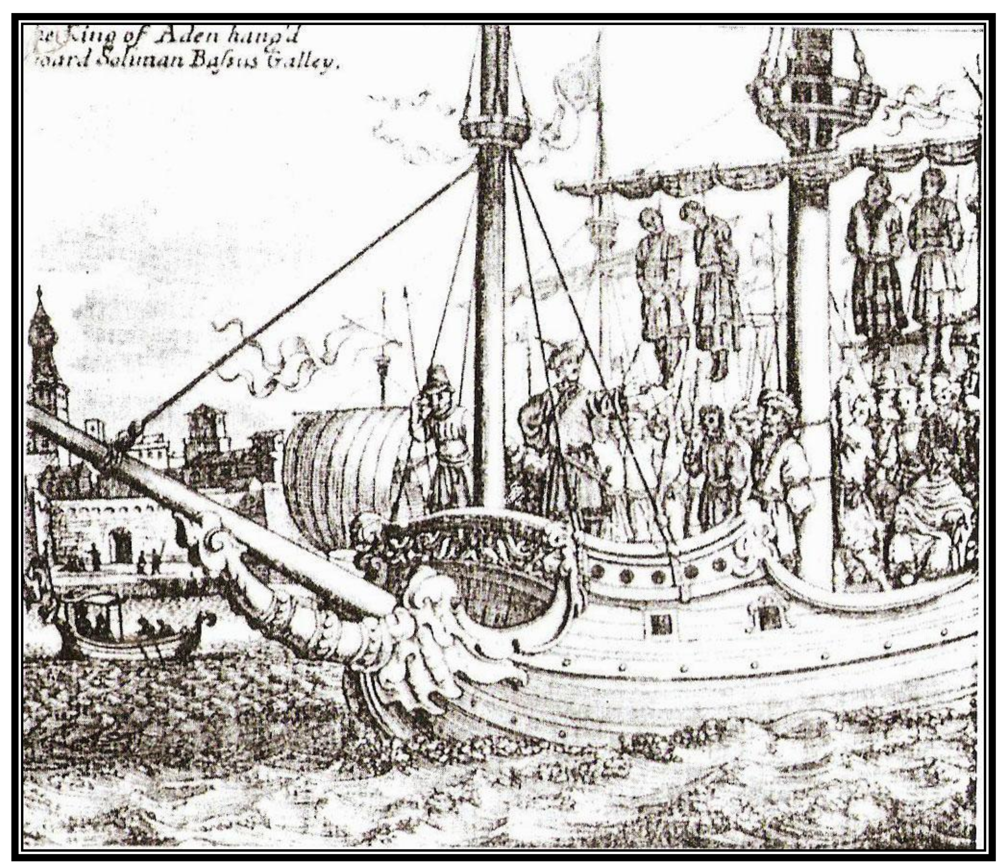
المصدر: بلعفير، " العملة والتداول النقدي"، ص٢٧٠-٢٧٣.



لوحة رقم (٣) مدينة عدن في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي
المصدر: محيرز، العقبة، ص٦٧



لوحة رقم (٤) الأسطول المملوكي يضرب مدينة عدن سنة٩٢٢هـ/ ١٥١٦م
المصدر: شهاب، أضواء على تاريخ اليمن البحري، ص١٤٨.



لوحة رقم (٥) شنق السلطان عامر (الرابع) بن داود ومعاونيه سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م
المصدر: شهاب، أضواء على تاريخ اليمن البحري، ص١٥٩.



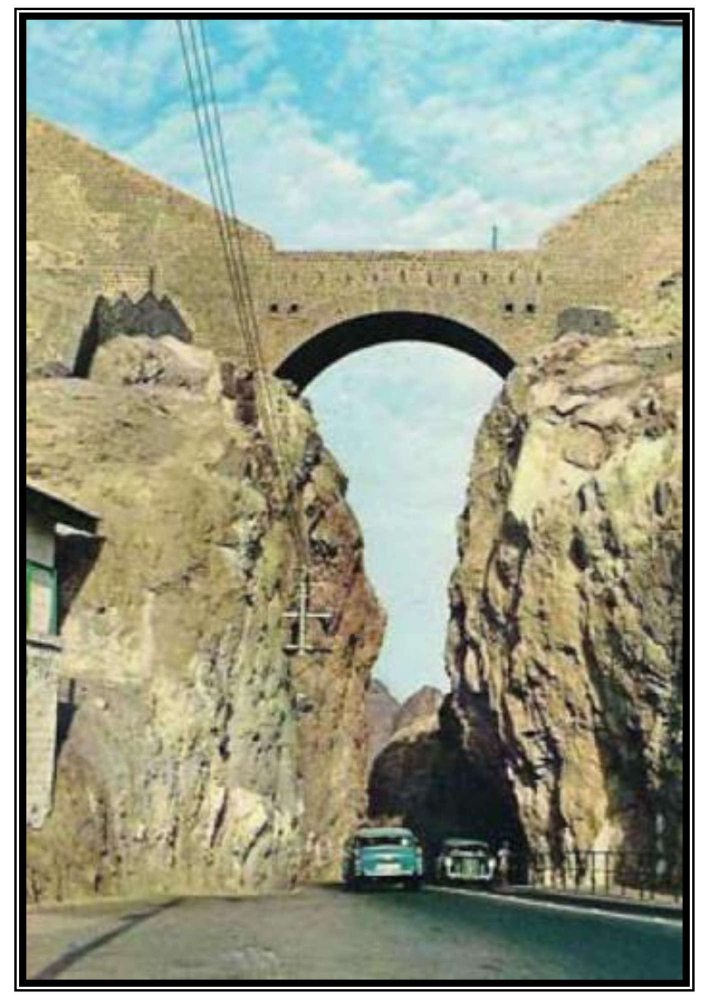
لوحة رقم (٦) جزيرة صيرة



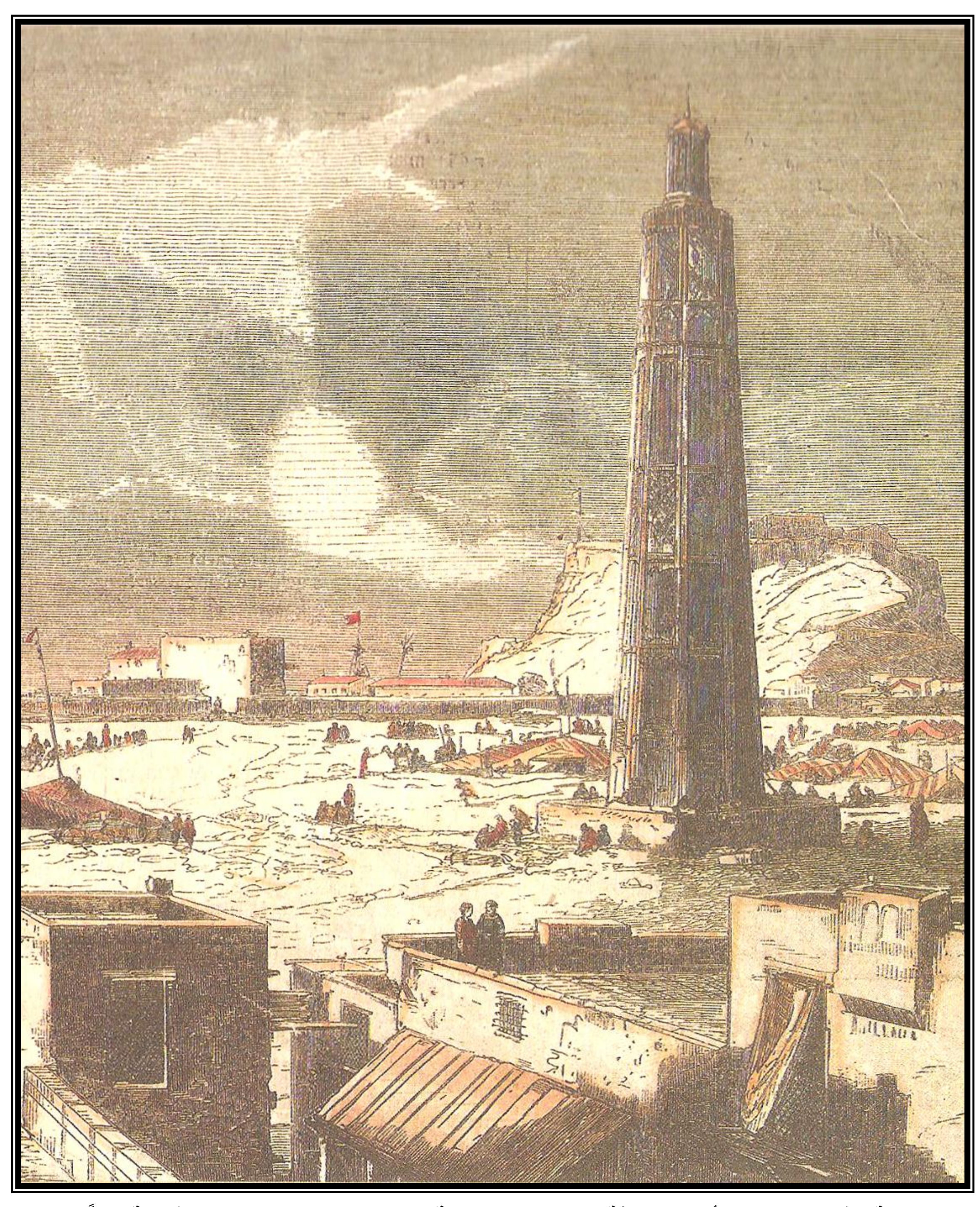
لوحة رقم (٧) الواجهة الشرقية لباب عدن في مطلع خمسينيات القرن العشرين

المصدر:

Bel Jose – Marie: Aden port mythique du Yémen, Amyris, Bruxelles, 1998,p.74

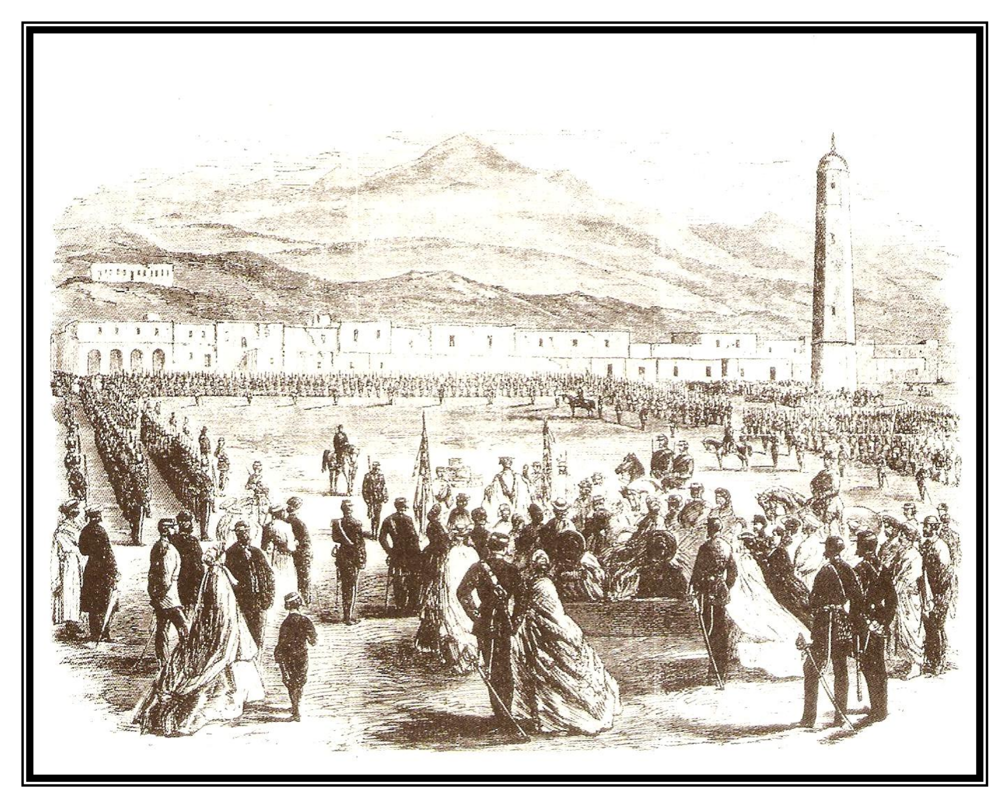


لوحة رقم (٨) الواجهة الغربية لباب عدن في مطلع خمسينيات القرن العشرين

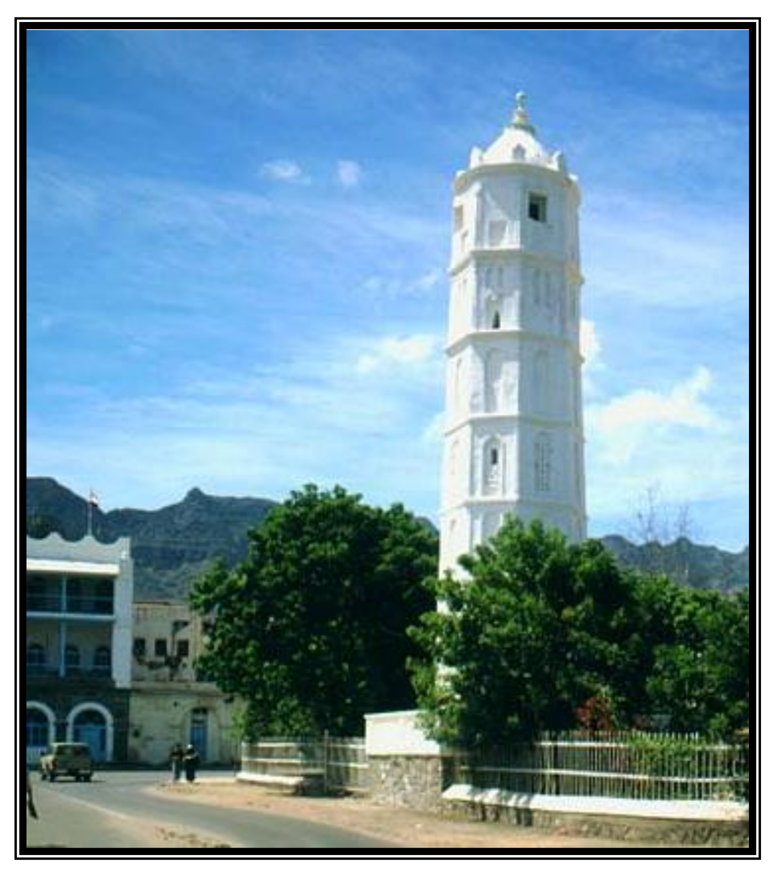


لوحة رقم (٩) المنشأة المعروفة بمنارة عدن سنة ١٨٦١م وتبدو عمارتها قريبة جداً من عمارة الأبراج

المصدر: Bel Jose – Marie: op. cit, ,p.32



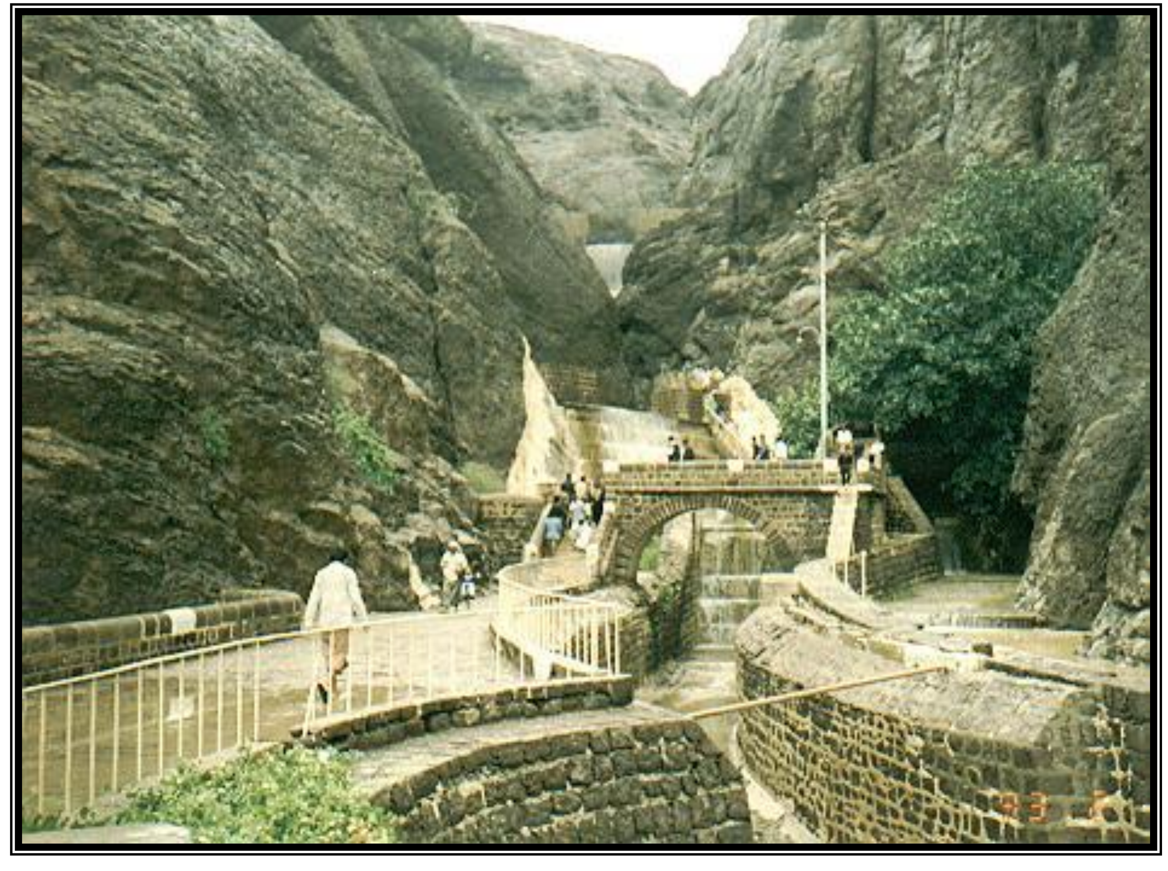
لوحة رقم (١٠) التجديدات والترميمات التي حدثت للمنارة في إحدى مراحلها التاريخية
المصدر: Bel Jose – Marie: op. cit, ,p.22



لوحة رقم (١١) المنشأة التي تعرف بمنارة مدينة عدن ٢٠١٠م



لوحة رقم (١٢) المباه من ضواحي عدن، تصوير الباحث ٢٠٠٩م



لوحة رقم (١٣) صهاريج عدن



لوحة رقم (١٤) صهريج بلاي فير، ينسبه بعض الباحثين للسلطان عامر بن عبدالوهاب، تصوير الباحث ٢٠٠٩م



لوحة رقم (١٥) مسجد العيدروس، شيد سنة ٨٩٠هـ/١٤٨٥م



لوحة رقم (١٦) ضريح الشيخ العيدروس، محاطاً بأحد عشر ضريحاً أحدهم لأمير عدن مرجان الظافري والبقية لآل العيدروس، تصوير الباحث ٢٠٠٩م



لوحة رقم (١٧) مقبرة القطيع، تصوير الباحث ٢٠٠٩م



لوحة رقم (١٨) جنازة للبينيان في طريقها للحرق يتقدمها جمل محمل بالحطب

المصدر: Bel Jose – Marie: op. cit, ,p.101



لوحة رقم (١٩) معبد الهندوس (البانيان)، تصوير الباحث ٢٠٠٩م



لوحة رقم (٢٠) مسجد طائفة البهرة الشيعية، تصوير الباحث ٢٠٠٩م



لوحة رقم (٢١) مسجد الحسيني الخاص بطائفة الخوجة الشيعية، تصوير الباحث ٢٠٠٩م

المصادر
والمراجع

المصادر والمراجع

أولاً - المصادر:

١- المصادر المخطوطة:

الحسيني، الحسن بن علي الشريف (ت.د ٨١٥هـ/١٤١٢م)

١ -ملخص الفطن والألباب ومصباح الهدى للكتاب، نسخة مصورة عن مكتبة الأمبروزيانا، ميلانو، رقم 130 H.

الخزرجى، شمس الدين علي بن الحسن (ت ٨١٢هـ/١٤٠٩م)

٢ -العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، منشورات وزارة الأعلام والثقافة - صنعاء، مشروع الكتاب١/٦، دمشق، ١٩٨١م .

عماد الدين إدريس بن الحسن بن عبدالله الأنف القرشي (ت ٨٧٢هـ/١٤٦٨م)

٣ -عيون الأخبار وفنون الآثار في ذكر النبي المصطفى المختار وصحبه وآله الأطهار عليهم صلوات الله العزيز الغفار ما أظلم ليل وأشرق نهار، ج٧ ، نسخة مصورة عن المخطوط المحفوظ في المكتبة الشخصية للقاضي إسماعيل بن علي الأكوع.

عيسى بن لطف الله بن المطهر بن شرف الدين

٤ -روح الروح فيما جرى بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح، ط٢، مشروع الكتاب ١/٧، وزارة الأعلام والثقافة، صنعاء،١٤٠١هـ /١٩٨١م .

٥ -* الديوان المالي المعمور في زمن دولة بني رسول، نسخة مصورة عن نسخة الزميل محمد منصور بلعيد.

٢- المصادر المطبوعة:

الأبريقي، حسن بن محمد بن حسين الحباني (ت.د ١٢١٦هـ/١٨٠١م)

٦ -الآداب المحققة في معتبرات البندقة، دراسة وتح: عبدالله أحمد محيرز، وزارة الثقافة والأعلام ، عدن، ١٩٨٨م.

الأشرف (الثاني) إسماعيل بن عباس بن علي بن داود (ت ٨٠٣هـ/١٤٠١م)

٧ -فاكهة الزمن ومفاكهة الآداب والفنن في أخبار من ملك اليمن على إثر التبابعة ملوك العصر والزمن (الباب الرابع)، دراسة وتح: علي حسن معيلي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، تونس، ٢٠٠٥م.

* هذا المخطوط هو مجموعة وثائق ديوانية تخص ديوان السلطان المؤيد بن المظفر يوسف(٦٩٦-٧٢١هـ).

الأصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت ٣٤٦هـ/٩٥٨م)

٨ -مسالك الممالك، تح: محمد جابر ومحمد غربال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي – الإدارة العامة للثقافة، الجمهورية العربية المتحدة، ١٣٨١هـ/١٩٦١م .

الأصمعي، بدر الدين أبو عبد الله الحسين (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م)

٩ - معجم الأصمعي، صنفه:هادي حسن حمودي، عالم الكتاب للطباعة، بيروت، ١٩٩٨م .

الأفضل عباس بن علي بن داود (ت ٧٧٨هـ/١٣٧٦م)

١٠ - العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية ، تح: عبدالواحد عبدالله الخامري، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

الأهدل، بدر الدين عبدالله بن الحسين بن عبدالرحمن (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م)

١١ - تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن، ج٢، تح: عبدالله محمد الحبشي، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

ابن إياس، محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٤م)

١٢ - بدائع الزهور في وقائع الدهور، مكتبة يحي البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٣م .

باسنجلة، عبدالله بن محمد بن أحمد (ت ٩٨٦هـ/١٥٧٨م)

١٣ - تاريخ الشحر المسمى العقد الثمين الفاخر في تاريخ القرن العاشر، تح: عبدالله محمد الحبشي، ط١، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

بافقيه، محمد بن عمر الطيب الشحري (ت١٠١١هـ/١٦٠٢م)

١٤ - تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تح: عبدالله الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م .

بامخرمة، أبو محمد الطيب بن عبدالله بن أحمد (ت ٩٤٧هـ/١٥٤٠م)

١٥ - تاريخ ثغر عدن،٢ج، ط٢، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

١٦ - قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، ج٣، تح: محمد يسلم عبدالنور، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء،١٤٢٥هـ /٢٠٠٤م .

١٧ - النسبة إلى المواضع والبلدان، منشورات مركز الوثائق والبحوث، أبوظبي، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م .

البريهي، عبدالوهاب بن عبدالرحمن السكسكي (ت٩٠٤هـ/١٤٩٩م)

١٨ - طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهي، تح: عبدالله محمد الحبشي، ط٢، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

ابن بسام، محمد بن أحمد

١٩ - - نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تح: حسام الدين السامرائي، بغداد، ١٩٦٨م .

ابن بطوطة، محمد بن عبدالله بن محمد المراكشي (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)

٢٠ - مهذب رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، هذبه: أحمد العوامري ومحمد أحمد جادالله، ط٢، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٥م .

ابن تغرى بردى، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الطاهري (ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م)

٢١ - حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تح: كمال الدين عز الدين، عالم الكتاب، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

التيفاشي، أحمد بن يوسف

٢٢ - الأزهار في جواهر الأحجار، تح: محمد يوسف ومحمد بسيوني خفاجي، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩م.

الجعدي، عمر بن علي بن سمرة (ت ٥٨٦هـ/١١٩٠م)

٢٣ - طبقات فقهاء اليمن، تح: فؤاد سيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

الجندي، عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م)

٢٤ - السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج١، تح: محمد بن علي الأكوع، ط١، وزارة الأعلام، صنعاء، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٩م.

ابن حاتم، الأمير بدر الدين محمد (ت.د ٧٠٢هـ/١٣٠٣م)

٢٥ - السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، تح: ركس سميث، مط، جامعة كامبردج، لندن، ١٩٧٣م.

ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)

٢٦ - إنباء الغمر بأنباء العمر، ج١، تح: حسن حبشي، القاهرة، ١٩٦٩م.

الحمادي، أبو عبدالله محمد بن مالك بن أبي القبائل (ت.د ٤٥٠هـ/١٠٥٨م)

٢٧ - كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، تح: محمد بن علي الأكوع، ط١، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

الحمزي، عماد الدين إدريس بن علي بن عبدالله (ت ٧١٤هـ/١٣١٤م)

٢٨ - كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار، تح: عبدالمحسن المدعج، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، ١٩٩٢م.

الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الرومي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م)

٢٩ - معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م .

ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل محمد النسيبي (ت ٣٦٧هـ/٩٧٨م)

٣٠ - صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩م.

الخزرجي، شمس الدين علي بن الحسن (ت ٨١٢هـ/١٤٠٩م)

٣١ - العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، ج١، تح: محمد بسيوني عسل، ط١، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٨٣م.

ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م)

٣٢ - المقدمة، ط٥، بيروت، ١٩٨٤م.

٣٣ - العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج٤، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٨م.

دلبوكيرك، افونسو (٩٢١هـ/١٥١٥م)

٣٤ - السجل الكامل لأعمال افونسو دلبوكيرك (مذكرات)، ج٣، تر: عبدالرحمن عبدالله الشيخ، منشورات المجمع الثقافي، أبوظبي،١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م .

ابن الديبع، عبدالرحمن بن علي (ت ٩٤٤هـ/١٥٣٧م)

٣٥ - بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تح: عبدالله محمد الحبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء،١٩٧٩م .

٣٦ - الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تح: عبدالله محمد الحبشي، ط١، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م .

٣٧ - قرة العيون في أخبار اليمن الميمون، ج٢، تح: محمد بن علي الأكوع، مط السعادة، القاهرة، ١٩٧٧م.

الرازي، أبو العباس أحمد بن عبدالله (ت.د ٤٦٠هـ/١٠٦٨م)

٣٨ - تاريخ مدينة صنعاء، تح: حسين عبدالله العمري، ط٣، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الحكمة، دمشق، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر

٣٩ - مختار الصحاح ، دار الحديث ، القاهرة ،١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .

ابن رستة، أبو علي أحمد بن عمر (ت.د ٢٩٠هـ/٩٠٣م)

٤٠ - الأعلاق النفيسة ، تح ونشر: دي جويه م.ي ، ليدن، ١٨٩١م.

ابن رسول، السلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف (ت ٦٩٦هـ/١٢٩٧م)

٤١ - طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، تح: ك.و.سترستين، ط٢، منشورات المدينة، بيروت، ١٩٨٥م .

السبكي، عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي (ت ٧٧١هـ/١٣٧٠م)

٤٢ - معيد النعم ومبيد النقم، تح: محمد علي النجار، ط١، القاهرة، ١٩٤٨م .

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م)

٤٣ - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م .

٤٤ - الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، ج١، تح: إبراهيم حسن عبدالمجيد، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٩م .

السمعاني، أبو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور

٤٥ - الأنساب، ج٥، تقديم وتعليق: عبدالله عمر البارودي، ط١، دار الجنان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

الشرجي، أبو العباس أحمد بن عبداللطيف (ت ٨٩٣هـ/١٤٨٨م)

٤٦ - طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، تح: عبدالله محمد الحبشي، دار المناهل، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

الشلي، محمد بن أبي بكر باعلوي (ت١٠٩٣هـ/١٦٨٢م)

٤٧ - السناء الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر، تح: إبراهيم أحمد المقحفي، ط١، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

شنبل، أحمد بن عبدالله (ت ٩٢٠هـ/١٥١٤م)

٤٨ - تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تح: عبدالله محمد الحبشي، ط١، د. م، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م .

الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر بن أحمد (ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م)

٤٩ - الملل والنحل، ج١، تح: أمير مهنا وعلي فاعور، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧م .

الصيرفي، علي بن داود (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٥م)

٥٠ - أنباء الهصر بأنباء العصر، تح: حسن حبشي، القاهرة، ١٩٧٠م .

الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٣م)

٥١ - تاريخ الرسل والملوك ، ج٢، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠م .

ابن عبدالمجيد، تاج الدين عبدالباقي (ت ٧٤٣هـ/١٣٤٢م)

٥٢ - تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تح: مصطفى حجازي، تقديم: إبراهيم الحضراني، دار العودة، بيروت، ١٩٨٥م .

عماد الدين إدريس بن عبدالله الأنف القرشي (ت ٨٧٢هـ/١٤٦٨م)

٥٣ - روضة الأخبار ونزهة الأسمار في حوادث اليمن الكبار والحصون والأمصار، تح: محمد بن علي الأكوع، دار المعرفة، صنعاء، ١٩٩٥م .

عمارة، نجم الدين عمارة بن علي بن زيدان بن أحمد الحكمي(ت ٥٦٩هـ/١١٧٤م)

٥٤ - تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، تح: محمد بن علي الأكوع، ط٣، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء، ١٩٨٥م .

العيدروس العدني، أبوبكر بن عبدالله باعلوي (ت ٩١٤هـ/١٥٠٨م)

٥٥ - الجزء اللطيف في التحكيم الشريف ، ط٢، مط مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م.

٥٦ - ديوان محجة السالك وحجة الناسك ، ط٢، مط مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م.

العيدروس، محيي الدين عبدالقادر بن شيخ بن عبدالله (ت ١٠٣٨هـ/١٦٢٩م)

٥٧ - النور السافر في أخبار القرن العاشر، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني

٥٨ - العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، مج١، تح: محمد عبدالقادر عطية، منشورات محمد علي بيضوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م)

٥٩ - تقويم البلدان، اعتناء: رينود والبارون ماك ديسلان، باريس، ١٨٤٠م .

ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحي (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)

٦٠ - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: أيمن فؤاد سعيد، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٥م.

ابن الفقيه الهمذاني، أبوبكر أحمد إبراهيم (ت ٢٩٠هـ/٩٠٣م)

٦١ - كتاب البلدان، تح: دي جويه، ليدن، ١٨٨٤م.

الفيروز آبادي، مجدالدين محمد بن يعقوب

٦٢ - القاموس المحيط، رتبه ووثقه: خليل مأمون شيحا، ط٣، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)

٦٣ - صبح الأعشى في صناعة الإنشا، مط الأميرية، القاهرة، ١٩١٥م .

ابن قيم الجوزية ، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر(ت ٧٥١هـ/١٣٥٠م)

٦٤ - أحكام أهل الذمة، ج١، نشرة: صبحي الصالح، دمشق، ١٩٦١م.

الكبسي، محمد بن إسماعيل (ت ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م)

٦٥ - اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، تح: خالد الأذرعي، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء،٢٠٠٥م .

ابن كثير، الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣م)

٦٦ - البداية والنهاية، مج٥ – ٦، ط١، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

الكندي، سالم بن محمد بن سالم بن حميد (ت ١٣١٠هـ/١٨٩٢م)

٦٧ - تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة، مج١، تح: عبدالله الحبشي، ط١، مكتبة الإرشاد، صنعاء،١٤١١هـ/١٩٩١م.

الماوردي، علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م)

٦٨ - الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط١، الكويت ، ١٩٨٩م .

ابن المجاور، جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب (ت.د ٦٣٠هـ/١٢٣٣م)

٦٩ - صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى تاريخ المستبصر، نشره: أوسكار لوفجرين، ط٢، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٥م.

مجهول

٧٠ - تاريخ الدولة الرسولية ، تح: عبدالله محمد الحبشي، مط الكاتب العربي، دمشق، ١٩٨٤م.

مجهول

٧١ - قلائد الجمن في ملوك عدن وصنعاء واليمن ، مط مجيدي، كانبور، الهند، ١٩١١م.

المقدسي، شمس الدين محمد بن أحمد البشاري (ت ٣٩٠هـ/١٠٠٠م)

٧٢ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط٣١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٩١م .

ابن المقرى، شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر (ت ٨٣٧هـ/١٤٣٤م)

٧٣ - عنوان الشرف الوافي في علم الفقه والتاريخ والنحو والعروض والقوافي، تح: عبدالله خادم الأنصاري، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٩٦م.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)

٧٤ - السلوك لمعرفة دول الملوك ، تح: سعيد عبدالفتاح عاشور، مط دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٢م .

٧٥ - المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المفريزية، مط بولاق، القاهرة، ١٢٧٠هـ/١٨٥٤م.

٧٦ - الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تح: جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٣٥٥هـ/١٩٣٤م.

المليباري، أحمد زين الدين المعبري (ت . د ٩٩١هـ/١٥٦٤م)

٧٧ - تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين، قدم له وحقق وعلق عليه: محمد سعيد الطريحي، دائرة المعارف الهندية "١" ، مؤسسة الوفاء ، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٦٣م.

النهروالي، قطب الدين محمد بن أحمد المكي (ت ٩٩٠هـ/١٥٨٢م)

٧٨ - البرق اليماني في الفتح العثماني (تاريخ اليمن في القرن العاشر الهجري مع توسع في غزوات الجراكسة والعثمانيين في ذلك القطر)، ط٢، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م .

٧٩ - * نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف، ج١، تح: محمد عبدالرحيم جازم، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، صنعاء، ٢٠٠٣م.

النويري، أحمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٣م)

٨٠ - نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج٦، القاهرة، ١٩٩٢م.

الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد (ت ٣٦٠هـ/٩٧١م)

٨١ - صفة جزيرة العرب ، تح: محمد بن علي الأكوع، ط١، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

٨٢ - الإكليل، ج١، تح: محب الدين الخطيب، مط السلفية، القاهرة، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

الوصابي، وجيه الدين عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن الحبيشي

٨٣ - تاريخ وصاب المسمى: الاعتبار في التواريخ والآثار، تح: عبدالله محمد الحبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٧٩م.

* هذا الكتاب هو عبارة عن وثائق مالية وإدارية تخص ديوان السلطان الرسولي المظفر يوسف بن عمر (٦٤٧-٦٩٤هـ/١٢٤٩-١٢٩٥م).

اليافعي، أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٧م)

٨٤ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج٤، ط٢، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

يحي بن الحسين بن القاسم (ت١١٠٠هـ/١٦٨٩م)

٨٥ - غاية الأماني في أخبار القطر اليماني،ج٢ ، تح: سعيد عبدالفتاح عاشور، دار الكاتب العربي، القاهرة،١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

ثانياً- المراجع والرسائل والدوريات العربية:

١- المراجع العربية والمعربة:

أباظة، فاروق عثمان (الدكتور)

٨٦ - الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢-١٩١٨م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م.

الأبراشي، محمد عطية

٨٧ - التربية الإسلامية وفلاسفتها، ط٢، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٩م.

أحمد حسين شرف الدين

٨٨ - اليمن عبر التاريخ ، ط٢، مط السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٦٤م.

أسامة أحمد حماد (الدكتور)

٨٩ - مظاهر الحضارة الإسلامية في اليمن في العصر الإسلامي : عهد دولتي بني أيوب وبني رسول ، مركز الإسكندرية، الإسكندرية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

الأكوع، إسماعيل بن علي (القاضي)

٩٠ - المدارس الإسلامية في اليمن ، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء،١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

٩١ - البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي ، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨م.

أيمن فؤاد سيد (الدكتور)

٩٢ - تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٨٨م .

٩٣ - مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، المعهد العلمي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٤م .

الباشا، حسن (الدكتور)

٩٤ - الألقاب الإسلامية في التاريخ والآثار، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٨م.

بامطرف، محمد عبدالقادر

٩٥ - الشهداء السبعة، دار الحرية للطباعة، مط الجمهورية، بغداد، ١٩٧٤م .

٩٦ - الجامع : جامع شمل أعلام المهاجرين المنتسبين إلى اليمن وقبائلهم ، ج٤، دار الهمداني للطباعة والنشر، عدن، د. ت.

باوزير، أمين سعيد عوض (القاضي)

٩٧ - حلقات القرآن ومجالس العلم في مساجد عدن ، مركز عبادي للطباعة والنشر، صنعاء، ٢٠٠٥م.

باوزير، خالد سالم (الدكتور)

٩٨ - ميناء عدن : دراسة تاريخية معاصرة ، دار الثقافة العربية، الشارقة وجامعة عدن، الشارقة، ٢٠٠١م.

باوزير، سعيد عوض

٩٩ - الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ، د. م، ١٩٦١م.

١٠٠ - صفحات من التاريخ الحضرمي ، مكتبة مركز الدراسات والبحوث التربوية، مكتبة الثقافة، عدن، د. ت.

البطاوي، حسن أحمد (الدكتور)

١٠١ - أهل العمامة في مصر : عصر السلاطين المماليك ، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٧م.

بلاي فير أف. ال

١٠٢ - تاريخ العربية السعيدة أو تاريخ اليمن، تر: سعيد عبدالخير النوبان وعلي محمد باحشوان، دار جامعة عدن، عدن، ١٩٩٩م.

الثور، عبدالله أحمد

١٠٣ - هذه هي اليمن ، ط٢، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩م .

١٠٤ - مختصر من تاريخ اليمن ، د. م، ١٩٨٣م.

الجابر، إبراهيم جابر (الدكتور)

١٠٥ - النقود العربية الإسلامية في متحف قطر الوطني (٢٢)، وزارة الإعلام والثقافة، الدوحة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

الجرافي، عبدالله بن عبدالكريم (القاضي)

١٠٦ - المقتطف من تاريخ اليمن، تقديم : اليأس عبود، دار الكتاب الحديث، بيروت، ١٩٨٤م.

الجرو ، أسمهان سعيد (الدكتورة)

١٠٧ -موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم) ،مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية ، أربد ، ١٩٩٦م.

جواد علي (الدكتور)

١٠٨ -المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت، ١٩٧١م.

جوايتين

١٠٩ -التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تح وتعريب: عطية القوصي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٠م.

الحبشي، عبدالله محمد

١١٠ -الصوفية والفقهاء في اليمن ، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ١٩٧٦م.

١١١ -مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ، مركز الدراسات اليمنية، صنعاء، د.ت.

الحجري، محمد بن أحمد

١١٢ -مجموع بلدان اليمن وقبائلها، جمعه: إسماعيل بن علي الأكوع ، ط٤ ،مكتبة الإرشاد، صنعاء ، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م .

الحداد، محمد بن يحيى (الدكتور)

١١٣ -التاريخ العام لليمن: التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي منذ بداية التاريخ لليمن القديم وحتى العصر الراهن ، ج٢، بيروت، ١٩٨٦م .

حسن سليمان محمود (الدكتور)

١١٤ -تاريخ اليمن السياسي في العصر الإسلامي ، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٦٩م.

حسن عبدالعال أحمد (الدكتور)

١١٥ -التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ط١، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٢م.

حسين بن فيض الله الهمداني وحسن سليمان محمود (الدكتور)

١١٦ -الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ، ط٣، منشورات المدينة، صنعاء، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

الحضرمي، عبدالرحمن بن عبدالله

١١٧ -زبيد : مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ ، المركز الفرنسي، صنعاء، المعهد الفرنسي، دمشق، ٢٠٠٠م.

حوراني، جورج فضلو

١١٨ -العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى، تر: السيد يعقوب بكر، المكتبة الانجلومصرية، القاهرة، ١٩٥٨م.

الدجيلي، محمد رضا حسين

١١٩ -الحياة الفكرية في اليمن في القرن السادس الهجري ، منشورات مركز دراسات الخليج، جامعة البصرة، البصرة، ١٩٨٥م.

دراج، أحمد

١٢٠ -إيضاحات جديدة عن التحول في تجارة البحر الأحمر منذ مطلع القرن التاسع الهجري، الجمعية المصرية التاريخية – الموسم الثقافي ١٩٦٧-١٩٦٨م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مط عين شمس، القاهرة، د.ت.

دهمان، محمد أحمد

١٢١ -معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

رابضة، أحمد صالح

١٢٢ -المدرسة الياقوتية ، منشورات جامعة عدن، عدن، ٢٠٠١م.

١٢٣ -معالم عدن التاريخية ، ط١، مركز الدراسات والبحوث واليمني، والمركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

رابضة، أحمد صالح وباوزير، أمين سعيد عوض

١٢٤ -مدرسة الفاروق النموذجية بين الماضي والحاضر، قريش للطباعة والنشر، عدن، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

١٢٥ -المدرسة الياقوتية (مسجد مذيهب)، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، عدن ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

رجب محمد عبدالحليم (الدكتور)

١٢٦ -العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة في العصور الوسطى ، دار النهضة ومط جامعة القاهرة، الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

سارجنت، ر، ب (الدكتور)

١٢٧ -مينائي عدن والشحر في العصر الإسلامي: دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي، سلسلة الدراسات المترجمة (٥)، تر: نهى صادق، المركز الأمريكي للدراسات اليمنية، صنعاء، ٢٠٠٢م.

السروري، محمد عبده محمد (الدكتور)

١٢٨ -الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة من سنة (٤٢٩هـ/١٠٣٧م) إلى (٦٢٦هـ /١٢٢٨م)، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م .

السلمان، محمد أحمد

١٢٩ -الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج، مركز زايد للتراث، أبوظبي، د. ت.

السيد مصطفى سالم (الدكتور)

١٣٠ -الفتح العثماني الأول لليمن من١٥٣٨-١٦٣٥م ، ط٣، معهد البحوث والدراسات العربية، مط الجبلاوي، القاهرة، ١٩٧٧م .

الشجاع، عبدالرحمن عبدالواحد (الدكتور)

١٣١ -اليمن في صدر الإسلام ، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

١٣٢ -الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع الهجريين، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م .

الشماحي، عبدالله بن عبدالوهاب (القاضي)

١٣٣ -اليمن الإنسان والحضارة، الدار الحديث للطباعة والنشر، ١٩٧٢م.

الشميري، فؤاد عبدالغني محمد (الدكتور)

١٣٤ -تاريخ اليمن سياسياً وإعلامياً من خلال النقود العربية الإسلامية للفترة من القرن الثالث إلى الرابع/التاسع إلى الخامس عشر (٣-٩هـ/٩-١٥م)، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء،١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

شهاب، حسن صالح

١٣٥ -أضواء على تاريخ اليمن البحري ، لجنة نشر الكتاب اليمني، عدن، دار الفارابي، بيروت، ١٩٧٧م .

١٣٦ -الملاحة الفلكية عند العرب ، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، ٢٠٠١م.

١٣٧ -البحار اليمني سليمان بن أحمد المهري مرشد الملاحة العربية في المحيط الهندي ، مركز الشرعبي للطباعة والنشر، صنعاء، ٢٠٠٠م.

١٣٨ -عدن فرضة اليمن ، ط١، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

ظاظا، حسن (الدكتور)

١٣٩ -الفكر الديني الإسرائيلي : أطواره ومذاهبه ، القاهرة، ١٩٧١م.

عاشور، سعيد عبدالفتاح (الدكتور)

١٤٠ -العصر المماليكي في مصر والشام، ط١، القاهرة، ١٩٦٥م.

عبدالعال، محمد أحمد (الدكتور)

١٤١ -بنو رسول وبنو طاهر وعلاقة اليمن الخارجية في عهدهما، الهيئة المصرية للكتاب، الإسكندرية،١٩٨٠م .

١٤٢ -البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م.

عبدالمنعم ماجد (الدكتور)

١٤٣ -نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، ج٢، ط٣، المكتبة الانجلومصرية، القاهرة، ١٩٨٥م.

العبدلي، الأمير أحمد بن فضل بن علي (ت ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م)

١٤٤ -هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، تح : خالد الأذرعي، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء،٢٠٠٤م .

العرشي، حسين بن أحمد (القاضي)

١٤٥ -بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام، دار الندوة الجديدة، بيروت، ١٩٣٩م .

العسيري، محمد بن علي (الدكتور)

١٤٦ -الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي، دار المدني، جدة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

عظيم الدين أحمد

١٤٧ -منتخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان بن سعيد الحميري، اعتنى بنسخها وتصميمها: عظيم الدين أحمد، ط٣، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

ابن عقيل، عبدالرحمن جعفر

١٤٨ -عمر بامخرمة السيباني ٨٨٤-٩٥٢هـ : حياته وتصوفه وشعره ، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

عمشوش، مسعود (الدكتور)

١٤٩ -عدن في كتابات الرحالة الفرنسيين ، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، ٢٠٠٣م.

فاروق أحمد حيدر (الدكتور)

١٥٠ -التعليم في اليمن في عهد دولة بني رسول خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، سلسلة إصدارات جامعة صنعاء لعام ٢٠٠٤م رقم (٣)، مؤسسة الميثاق للطباعة والنشر، صنعاء، ٢٠٠٤م.

فخري، أحمد (الدكتور)

١٥١ -اليمن ماضيها وحاضرها، ط٢، منشورات المدينة، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

الفقي، عصام الدين عبدالرؤوف (الدكتور)

١٥٢ -اليمن في ظل الإسلام منذ فجره وحتى قيام دولة بني رسول ، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٢م.

الفيصلي، محمد أحمد مقبل

١٥٣ -تاريخ الدولة الطاهرية ٨٥٨-٩٤٥هـ، ط١، وزارة الثقافة والسياحة، الهيئة العامة للكتاب، دار الكتب، صنعاء، ٢٠٠٥م.

الفيفي، محمد بن يحي

١٥٤ -الدولة الرسولية في اليمن : دراسة في أوضاعها السياسية والحضارية ٨٠٣-٨٢٧هـ/١٤٠٠-١٤٢٤م، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

قاسم عبده قاسم (الدكتور)

١٥٥ -أهل الذمة في مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية المماليك : دراسة وثائقية ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٣م.

القطعاني،أحمد

١٥٦ -الحجج المؤتاة في الرد على صاحب كتاب إلى التصوف ياعباد الله ، مكتبة الجندي، القاهرة،٢٠٠٦م.

كحالة، عمر رضا

١٥٧ -معجم قبائل العرب قديمة وحديثة ، ج٣، ط٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

الكرملي، الأب أنستانس ماري

١٥٨ -النقود العربية وعلم النميات ، القاهرة، ١٩٣٩م.

كلود كاهن

١٥٩ -تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطورية العثمانية، نقله إلى العربية: بدر الدين القاسم، ط٢، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٧م.

كيث جوردن كوكش وإيان جراهام جاس ودونالد ايفورجون ماك

١٦٠ -التطور الجيولوجي لبراكين عدن وعدن الصغرى ، تعريب: أحمد سعيد باحاج، ط١، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

لجنة الجغرافيا العدنية

١٦١ -جغرافية عدن وبلاد العرب مع خلاصة جغرافية العالم ، دائرة المعارف العدنية، مط النيل المسيحية، القاهرة، ١٩٣٢م.

لقمان، حمزة علي

١٦٢ -تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ، دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٦٠م .

محمد أحمد محمد (الدكتور)

١٦٣ -عدن من قبيل الإسلام وحتى إعلان الدولة العباسية ، دار الثقافة العربية، الشارقة ودار جامعة عدن، ٢٠٠١م .

محمد زكريا

١٦٤ -مساجد اليمن : نشأتها وتطورها التاريخي وخصائصها، مركز عبادي للطباعة والنشر، صنعاء، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

محمد عبدالحميد عيسى (الدكتور)

١٦٥ -التعليم في الأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨١م.

محمد كريم إبراهيم (الدكتور)

١٦٦ -عدن : دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية (٤٧٦-٦٢٦هـ/١٠٨٣-١٢٢٨م) ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٨٥م.

محمد محمد أمين (الدكتور)

١٦٧ الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، ط١، القاهرة، ١٩٨٠م.

محيرز، عبدالله أحمد

١٦٨ صهاريج عدن، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والمتاحف، عدن، ١٩٨٧م.

١٦٩ صيرة : أبحاث متعمقة عن بعض معالم عدن ومرافقها الاقتصادية والعسكرية، ط١، منشورات دار جامعة عدن، جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، سبتمبر ١٩٩٢م.

١٧٠ العقبة – دراسة تحليلية جغرافية تاريخية لجانب من مدينة عدن، وزارة الثقافة، مؤسسة ١٤ أكتوبر للصحافة والطباعة والنشر، عدن، د. ت.

المشرقي، رياض علي سعيد

١٧١ التعليم في اليمن في عصر الدولة الطاهرية من ٨٥٨-٩٢٣هـ، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

المشهور، أبوبكر بن علي

١٧٢ جلاء الهم والحزن بذكر ترجمة صاحب عدن الإمام أبي بكر العدني ابن عبدالله العيدروس (٨٥١-٩١٤هـ)، سلسلة أعلام حضرموت (١٣)، ط١، فرع الدراسات وخدمة التراث/أربطة التربية الإسلامية، عدن، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

١٧٣ المعجم الوجيز المدرسي، دار الهلال، بيروت، ٢٠٠٧م .

المعلم، أحمد حسين

١٧٤ القبورية في اليمن : نشأتها، آثارها، موقف العلماء منها، مركز الكلمة الطيبة للبحوث والدراسات اليمنية، صنعاء، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

المقحفي، إبراهيم بن أحمد

١٧٥ معجم البلدان والقبائل اليمنية ، دار الكلمة، صنعاء،المؤسسة الجامعية للدراسات الطباعية والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م .

١٧٦ المنجد في اللغة والأعلام، ط٢٤، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٣م .

منير الدين أحمد

١٧٧ تاريخ التعليم عند المسلمين مستقاة من تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، تروتعليق: سامي القار، الرياض، د.ت.

١٧٨ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، ط٢، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ١٩٨٩م.

النخيلي، درويش

١٧٩ السفن الإسلامية على حروف المعجم ، د. م، ١٩٧٤م.

الويسي، حسين

١٨٠ اليمن الكبرى ، مط النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٢م .

اليوزبكي، توفيق

١٨١ تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المملوكي، جامعة الموصل، دار الكتاب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٧٥م.

٢- الرسائل العلمية:

بلعيد، محمد منصور علي

١٨٢ عدن في عصر الدولة الرسولية ٦٢٩-٨٥٨هـ/١٢٣١-١٤٥٤م دراسة سياسية حضارية، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة عدن، عدن، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

الطميحي، فيصل علي

١٨٣ مسكوكات بني رسول الفضية المحفوظة في مؤسسة النقد العربي السعودي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٨-١٤١٩هـ/١٩٩٧-١٩٩٨م.

عاشور عبود سالم

١٨٤ الحياة العلمية في عهد الدولة الطاهرية (٨٥٨-٩٤٥هـ/١٤٥٤-١٥٣٨م)، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة عدن، عدن، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

العبادي، عبدالله قائد حسن

١٨٥ الحياة العلمية في مدينة زبيد في عهد الدولة الرسولية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .

عليان، محمد عبدالفتاح (الدكتور)

١٨٦ الحياة السياسية ومظاهر الحضارة لدولة بني رسول ، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٧٣م.

فرحان، عباس علوي حسين

١٨٧ بنو حاتم الهمدانيون (٤٩٢-٦٢٦هـ) دراسة سياسية حضارية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة عدن، عدن، ٢٠٠٥م.

المختار، عبدالرحمن أحمد (الدكتور)

١٨٨ -الحياة العلمية في اليمن : القرنين الخامس والسادس الهجريين، رسالة دكتوراه، كلية العلوم والآداب، جامعة صنعاء، صنعاء، ٢٠٠٤م.

٣- الدوريات والحوليات :

الأغبري، بدر سعيد (الدكتور)

١٨٩ -"أسباب ازدهار التعليم في عهد بني رسول (٦٢٦-٨٥٨هـ/١٢٣١-١٤٥٤م)"، ندوة الاحتفال بالمئوية الثامنة للمدرسة الياقوتية، دار جامعة عدن، عدن، ٢٠٠١م.

بلعفير، محمد صالح (الدكتور)

١٩٠ -"العملة والتداول النقدي بعدن في عصر الدولة الطاهرية" ، مجلة سبأ، ع(١٤-١٥)، جامعة عدن، عدن، يوليو ٢٠٠٧م .

١٩١ -"كنوز ومجموعات النقود الإسلامية في متاحف اليمن" ، مجلة التراث، ع(١٦)، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، عدن، يوليو ١٩٩٦م.

١٩٢ -"معطيات جديدة عن تاريخ اليمن الإسلامي : دراسة لتاريخ الدولتين الصليحية والزريعية من خلال المسكوكات" ، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ع(١)، مج١، جامعة عدن، عدن، يونيو ١٩٩٦م.

١٩٣ -"العلاقات المذهبية بين اليمن ومصر الفاطمية في عصر الدولتين الصليحية والزريعية: دراسة للمصادر المكتوبة والأثرية"، مجلة اليمن،ع(٢٥)، مركز البحوث والدراسات اليمنية، جامعة عدن، عدن، جماد أول١٤٢٨هـ/مايو٢٠٠٧م .

جازم، محمد عبدالرحيم

١٩٤ -"دراسة في تراث المنسوجات والملابس" ، مجلة الإكليل، ع(١)، وزارة الثقافة، صنعاء، ١٤٢٢هـ/١٩٩٢م.

حسين محمد سعيد

١٩٥ -"هولندا واليمن من رحلة دن بروكة إلى كورنيلوس براور"، مجلة المنار، ع(٦)، اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين،عدن ، ١٩٩٠م.

الحنكي، عبدالكريم

١٩٦ -"عبدالله بن أسعد اليافعي" ، مجلة اليمن، ع(٢١)، مركز البحوث والدراسات اليمنية، جامعة عدن، عدن، مايو ٢٠٠٥م.

خليفة، ربيع حامد (الدكتور)

١٩٧ -"مناسج الطراز الخاصة بمدينة صنعاء" ، مجلة الإكليل، ع(٢)، وزارة الثقافة، صنعاء، السنة السادسة، ١٩٨٨م.

١٩٨ -"طراز المسكوكات الرسولية" ، مجلة الإكليل، ع(٣)، وزارة الثقافة، صنعاء، السنة السابعة، ١٩٨٩م.

سالم علي سعيد

١٩٩ -"لهجة عدن" ، مجلة اليمن، ع(٢)، مركز البحوث والدراسات اليمنية، جامعة عدن، عدن، السنة الثانية، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

السقاف، محمود محمد جعفر

٢٠٠ -"تاريخ المباني في عدن" ، مجلة المنار، ع(٣)، اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، عدن، يناير ١٩٨٩م.

شائف عبده سعيد (الدكتور)

٢٠١ -"الحياة الاقتصادية في اليمن لدى الجغرافيين العرب في العصور الوسطى" ، مجلة دراسات يمنية، ع (٤١)، صنعاء، محرم، صفر، ربيع أول ١٤١١هـ/أغسطس – سبتمبر ١٩٩٠م.

الشجاع، عبدالرحمن عبدالواحد (الدكتور)

٢٠٢ - "ملامح الحركة العلمية في ثغر عدن إبان عهد بني رسول" ، مجلة اليمن، ع(٢٢)، مركز البحوث والدراسات اليمنية، جامعة عدن، عدن، شوال، ١٤٢٦هـ/نوفمبر ٢٠٠٥م.

شهاب، حسن صالح

٢٠٣ -"عدن في عهد الدولة الرسولية" ، مجلة التراث، ع(٤)، مركز الدراسات والبحوث اليمني، عدن، رجب – رمضان ١٤١٢هـ/ يناير – مارس ١٩٩٢م.

٢٠٤ -"عدن بين مدافع البرتغاليين ومماليك مصر"، مجلة التراث، ع(٥)، مركز الدراسات والبحوث اليمني، عدن، شوال – ذو الحجة ١٤١٢هـ/ ابريل – يونيو ١٩٩٢م.

الصالح، محمد أمين (الدكتور)

٢٠٥ -"بنو معن ثم آل زريع في عدن" ، مجلة المؤرخ العربي، ع(٥)، إتحاد المؤرخين العرب، بغداد، ١٩٨٠م.

العبادي، محمد أحمد موسى (الدكتور)

٢٠٦ -"عدن دراسة جيوبوليتيكية"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، مج٧، ع(١٥)، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، سبتمبر – ديسمبر ٢٠٠٤م.

قائد حميد عثمان (الدكتور)

٢٠٧ -"تجارة الكارم ودور مدينة عدن في النشاط التجاري والدولي منذ عهد الزريعيين حتى نهاية حكم بني رسول (٥٣٢-٨٥٨هـ/١١٣٧-١٤٥٤م)"، مجلة اليمن، ع(٢٣)، مركز البحوث والدراسات اليمنية، جامعة عدن، عدن، جماد أول ١٤٢٧هـ/مايو ٢٠٠٦م.

قادري، عبدالباقي

٢٠٨ -"الجوانب الجيورمورفولوجية والمناخية لبناء صهاريج عدن ومسألة تموينات المياه للمدينة: دراسة في الجغرافيا التاريخية"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، مج٣، ع(٥)، جامعة عدن، عدن، يناير- يونيو ٢٠٠٠م.

مبارك صالح محمد، غانم وديع أحمد، حنشور أحمد

٢٠٩ -"سمات وملامح العمارة التقليدية في مدينة عدن" ، مجلة جامعة عدن الطبيعية والتطبيقية، مج٥، ع(٢)، جامعة عدن، عدن، سبتمبر ٢٠٠١م.

محمد، سيف النصر

٢١٠ -"المدارس اليمنية : تخطيطها وعناصرها المعمارية" ، مجلة الإكليل، ع(١)، وزارة الثقافة، صنعاء، السنة الثالثة، ١٩٨٥م.

محمد علي خميس

٢١١ -"صناعة الزجاج في اليمن" ، مجلة يمنت، ع(٦)، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والمتاحف، عدن، ١٩٨٨م.

محمد علي موسى

٢١٢ -"الهجوم البرتغالي على عدن : قراءة من خلال مذكرات الفونسو البوكرك" ، مجلة اليمن، ع(٢٣)، مركز البحوث والدراسات اليمنية، جامعة عدن، عدن، جماد أول ١٤٢٧هـ/مايو ٢٠٠٦م.

محمد كريم إبراهيم (الدكتور)

٢١٣ -"مجتمع عدن وسكانها في عهد بني زريع وبني أيوب" ، مجلة كليات التربية، ع(٦)، جامعة عدن، عدن، أغسطس ٢٠٠٤م.

المراجع الأجنبية:

Al Shamrookh, Nayef Abdullah

214- The Commerce and Trade of The Rasulids In the Yemen 630 – 858 / 1231-1453, State of Kuwait, 1996.

Balafir, Mohamed:

215- Trésors et Collections Islamiques des Musées du Yémen, Thèse de Doctorat, Université de Paris Sorbonne, 3tomes, 1994.

Barbosa. D:

216- A Description of The Coasts of East Africa Malabar In The Beginning of The Sixteen Century, Translated by: Henry, E, J. Stanly.

Bel Jose - Marie:

217- Aden port mythique du Yémen, Amyris, Bruxelles, 1998.

Boxer. C:

218- The Portuguese Seubrne Empire (1415-1825), Penguin Books, Havmonds, 1973.

De Nison Ross .E:

219- The Portuguese In India and Arabia Between 1507-1517, Journal of The Royal Asiatic, 1921, Part IV, October.

Edgar Presteg:

220- The Portuguese Pioneers, A & C. Black London, 1933.

Landburg :

221- Le Comte De Landburg, L'arabie Meridional, Dathina et Hadramout, Leiden, 1909.

Long Worth Dames. M:

222- The Portuguese and Turks In The India Ocean In The Sixteen Century, J. R. A. S, 1921 – PartI, January.

Nützel, Heinich:

223- Münzen der Rasuliden Nabst Einem Abriss der Geschichte Dieser Jemenischen Dynastie Coins of The Rasulids Comprisin Asynopsis of The History of Yemenite Dynasty, Translated by: Dr. Alferd Kinzelbach, Mainz, 1987.

Ray Willis. F:

224- Western civilization 3rd ed, D. C Henth & Company, Mass, 1981.

Roxani Eleni Margariti:

225- Maritime Trade and Urban Organization In Medieval Aden "Ca 1083-1229".

Serjeant. R. B:

226- The Portuguese off The South Arabian Coast, Oxford at The Clasendem Press, 1963.

Ventia Porter:

227- Arecent acquisition of The Tahrid Sultans of The Yemen, Yarmouk Numismatics A Refeerced research Journal, Yarmouk University, vol7, 1415-1995.

Wilson. Arnoid . T:

228- The Persian Gulf, An Historical Sketeh from The Earliest Times to The beginning of The Twentieth Century, London, George Allen and Unwin ltd, Second Improsion, 1945.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة